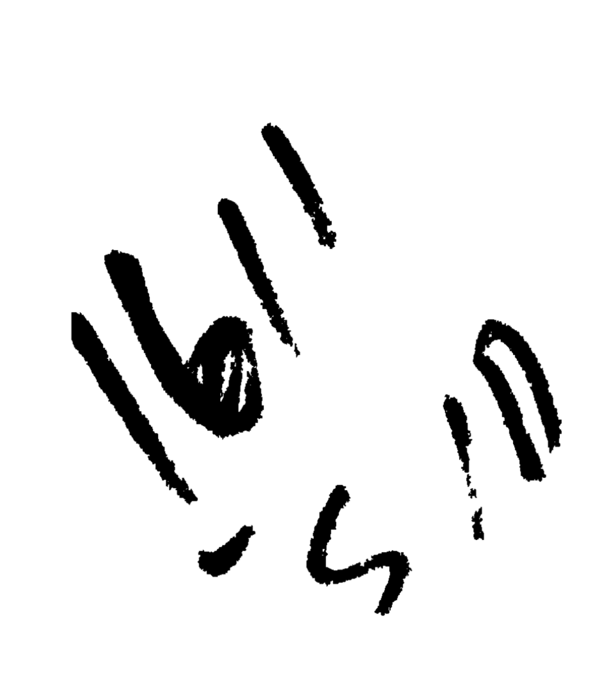


قصة

فيروزشاه

ابن الملك ضاراب

كن عارفا بأحاديث الأولى سلفوا   يزيدك العرف آدابا على أدب
فرب نفع عزيز لست تدركه   بدا بما أغمضته سالف الحقب

المجلد الثالث

الطبعة الأولى

ملتزم الطبع والنشر

عبد الحميد أحمد حنفي

بشارع المشهد الحسيني رقم ١٨

المراسلات : مصر - صندوق بوستة الغورية رقم ١٢٧

الجزء العشرون

من قصة فيروز شاه بن الملك ضاراب

وفى الحال أمر أن يعطى الشاه سرور قصر من قصوره الخاصة وأن تقام له فيه الخدم والعبيد . فسروا بذلك مزيد السرور وفرحوا غاية الفرح وأملوا النجاح والتوفيق وقد قال طيفور الشاه سرور ألم أقل لك ياسيدى أن الملك قيصر يقبلنا وأنه هو وحده الذى يقدر أن يخلصنا من سطوة الملك ضاراب ومن ظلمه ولا ريب بعد قليل من الأيام أن ترى بعينيك فيروزشاه مجندلا على وجه الصعيد تنهش الغربان لحمه ومثل ذلك يصير فى بهزاد والملك ضاراب ويروق ما تعكر من صافى عيشك وترجع إلى بلادك وتحكم فيها كما كنت حاكما قبلا ولا بد لنا عند رجوعنا اليها أن نمسك الشاه سليم الخائن الناكث ونجازيه على فعله وعلى ما أظهره ضدنا من العداوة وبعثان عساكرنا إلى قتالنا وانضمامهم إلى عدونا . قال هذا لا بد لنا منه إذا تيسر لنا أن نرجع إلى تعزاء اليمن إنما دون ذلك أهوال جمة ولا يخطر فى بالى قط أن الملك ضاراب يقصد هذه البلاد بعد حصوله على عين الحياة وزواجها بابنه قال إنى أؤكد لك أن عين الحياة لا ترضى بأن تزف عليه وأنت غير راض عنها ومع كل ذلك فانه وإن اقترن فيروزشاه بعين الحياة لابدله من تأثرنا والسعى خلفنا لأنه مصر على هلاكنا لا يمكن أن يعفو عنا ولو كنت أعلم أنه من الملوك أصحاب الرحمة والشفقة لكنت أطعتك من الأول إلى مصاهرته والتقرب منه وجعل غايته هلاكنا فكيف نسلم بأنفسنا له وسوف ترى ذلك وتعلم صدق قولى على أنه ولو فرض أنه لم يرض أن يأتى هذه البلاد تحسبا من هلاكه وخوفا من الملك قيصر فلا بد من أن ندعه يجمع جيوشه ويسير بفرسانه العظام إلى بلاد مصر أو بلاد فارس أينما كان مقامه فيحل به الويل والعبر . ولهذا علقوا مزيد الأمل بالنجاح وباتوا ينتظرون ما يأتيهم به الزمان وهم يسرون من معاملة قيصر لهم ومن اهتمامه بجمع العساكر وحشدها من أقاصى بلاده إلى أدانيها وكان الفرح الأعظم عند أنوش ابن الملك قيصر لأنه وعد نفسه بعين الحياة وصار يحسب ذاته خطيبا لها وتقرب من الشاه سرور وجعل يصرف أوقاته عنده ويكرمه مزيد الاكرام ويعـــده بكل خير ونجاح .

قال ولندع الشاه سرور والملك قيصر فى هذه البلاد يهتمان بمستقبل لا يعلمون من نتيجته ولنرجع إلى الملك ضاراب حيث باق فى مصر يدبر أمورها ويرتب أحوالها

ويدخر منها الذخائر إلى جيوشه وقد نشرفيهم إعلانا ينذرهم بالتهيء إلى المسير لبلاد الشام بعد ثلاثة أيام . وأما فيروزشاه فكان لا يعرف عملا ولا يعي على أحد وهو متكدر من فعل الزمان كيف خانه وحال دونه ودون غايته وكان يتحرق ويتألم ويتحسر على فواتها من يده وبعدها عنه دون أن ينظرها ولو نظرة واحدة أو يكلمها ولو بكلمة واحدة وكان لا شيء يصبره ويسكن غرامه إلا مناشدة الأشعار والشكرى من فعل الزمان وضرباته المتواترة المتواصلة ومن إنشاده قوله وهو منفردا يتصور فى ذهنه محاسن عين الحياة وجمالها ورقتها .

ياغائبا طرف صبرى عنه قد نكصا	وموحشا بنواه مهجتى غصصا
ونازحا وفؤادى ظل منزله	وغائبا وغرامى فيه ما نقصا
كم ذا الفؤاد حبيس غير منطلق	ودمع عينى طليق قط ما اقتنصا
كم ذا أعلل قلبا قد أضر به	ريب الثرى وجميل الصبر عنه قصى
مسائلا عن لياليه التى انتهزت	أيدى الأمانى بها ما شاء فرصا
حيث الزمان وفى العهود فكم	أقضيت فى نهمه التشبيب لى قلصا
وافت قصارا وولت غير ملوية	عنان نضو على وجد القلى حرصا
أبدلت عنها بدهر ساء منظره	كمن تبدل عن در النجوم حصى
يواصل الحزن قلبى من نوائبه	تقاسمته على غاراتها حصصا

وكان وهو فى هذه الحالة الصعبة يعلم أن لا شيء يهون لديه هذه الصعوبات إلا ركوبه الأخطار والمصائب وإشهار سيف الانتقام ضد كل من يريد أن يقف فى وجهه ويحول بينه وبين من أحبها وهى عين الحياة ولذلك أصبح ينتظر بفروغ صبر مضى هذه الأيام القليلة ليقطع الفيافى سائرا إلى مقر وجودها وكان لا يعلم أنها كانت بالقرب منه فى قصر سيف الدولة وأن لا مانع يمنعه عنها إلا رضاها باظهار نفسها له وأنها سارت برضاها واختيارها من جانبه دون أن تسمح له بالنظر اليها وقد تحملت أشد ما تحمل من لواعج الوجد تتغلب على أميالها وتصون نفسها من العار والغضب الوالدى الذى كانت تخافه وتحسب له عظيم حساب .

وشتان بين حالة فيروزشاه وعين الحياة وبين حالة صفرشاه وطوران تخت لأن المذكور كان قد نزل فى قصرها وجعل ينهب وقته على المسرة والفرح لا مانع يمنعه ولا رقيب يرقبه ولا فراقه يكدره ويحول بينه وبين محبوبته وقد صفا لهما الزمان ونالا من التقرب كل أسباب الحظ حتى كانا لا يتركان الخرة ولا يفوتهما شيء من الشكوى وبث الغرام يصرفان أكثر النهار على شرب العقار ومناشدة الأشعار

ويفرقان الليل على فرش الهناء والراحة جنبا لجنب يحافظون على الطهارة والعفة ويرعيان واجبات الحب الأكيد الثابت البعيد عن الفساد والدنس وهذا الذى كانت طوران تحت ترغب فيه وتطلبه من زمانها فقد حصلت عليه وبقيا على مثل ذلك إلى أن أذن يوم الرحيل وحان وقت الفراق فجاء مصفر شاه وأخبرها بأنه مزمع على لسفر مع الملك ضاراب إلى بلاد قيصر ولا يقدر على الامتناع وقال لها من الواجب عليك أن تصبرى على فراقنا إلى حين حلول الارادة الالهية فلم يعد من مانع بعد عما نرغبه إلا حصول فيروزشاه على عين الحياة فاذا تزوج بها وقام زفافه عليها فعلنا نحن أيضا ذلك وكان يوم العرس واحدا . فكادت تشق مرارتها من هذا الكلام وذمت عين الحياة ولامتها فى نفسها كيف هربت وسببت لها مثل هذا الفراق الذى لا علم فيما بعد عواقبه بل كانت قرنت به وأقامت معه على أهنا عيش وانعم بال وكانت تلك أيضا أقامت بصفاء مع فيروزشاه . ثم تزودت منه بيوم حظ وأفراح لم يكن له ثان وقد أكثرت من وداعه وتقبيله وفعل هو مثلها الى أن دنت ساعة الرحيل فبكى وبكت وشكى وشكت وكاد يغمى على كل منهما وكان لها ساعة تفطر قلب الجماد ويلين لها فؤاد الصخر الصلب . ثم خرج من عندها وهو يمسح بدموعه وبقيت هى فى نوح وتعداد تندب مستقبلها وتذم دهرها وقد نسيت لذة اجتماعها به كل هذه الأيام وما لاقته معه من الهناء والمسرة بساعة من ساعات فراقه وهكذا حالة كل إنسان أن ينسى الماضى بانفعالات الحاضر وكما أنها نسيت عذاب فراقه الأول بساعة اجتماع من اجتماعها به ولذة راحة لاقتها بوجوده لا غرو ان غاب عن ذهنها الفرح وحل الترح وبدل انشادها فعوض أن كانت تشكر الزمان والأيام والأوقات وتطرب انشاد أشعار اجتماعها بحبيبها وهنائها به عادت الى ذم الزمان ولومه على انقضائه كالظل وأخذت فى أن تنشد الأشعار الفراقية فمن قولها .

دمعى وقلبى مطلوق ومأسور ... والشوق والصبر ممدود ومقصور
أما المنام فعينى ليس تعرفه ... كأنها أذن صب وهو تحذير
ياواحد الحسن وجدى فيك ليس له ... حصر ولكن فؤادى منه محصور
إلى متى ذا التجنى والصدود أما ... مرت بسمعك لى تلك المعاذير
نار الغرام غلت فى مهجتى ولها ... يا حاكم الحب فى الأحشاء تسعير
لله أيامنا الظلية انقرضت ... حيث الجآذر لى حيث اليعافير
وأنت فوالت أساف القلب مغرسة ... غصن الربا من دموعه العين ممطور

قال وركب الملك ضاراب وامر أن تركب الملوك والفرسان بحسب ترتيبها

وتدبيرها ويمشى كل فى موقعه كالعادة وقد أخرج معه العساكر التى كانت متجمعة فى مصر وأوصى الشاه صالح أن يديم إرسال الأموال وأن يبقى على الطاعة والانقياد فوعده المواعيد الصادقة وودعه الى خارج المدينة مع وزرائه وأعيان مصر وسار من تلك البلاد بعد أن ترك هيبته فيها ونشر عليها لواء غايته وسلطته واستلم طريق الشام ومن حواليه العساكر والفرسان وفوق رأسه الأعلام والبيارق وبين يديه الموسيقات تعزف بانغام المسرات والافراح والى جانبه ولده فيروز شاه فوق كميته كانه البرج المشيد وهو طائر الفؤاد الى جهة بلاد الرومان أملا أن يلاقى فيها محبوبته عين الحياة ويعرف ماذا جرى عليها ومن يعد نفسه فيها بعد الشاه صالح وداموا على هذا السير إلى أن قربوا من مدينة الشام .

وسبق القول إلى أن مسرور بن عتبة ملك الشام لما انهزم من جيوش مصر مع من انهزم تأثره بهمنزار قبا فقبض عليه وساقه معه أسيرا الى بلادالشام وهو فى فرح لا يوصف من جرى وقوع بهلوان من بهلوانى تخت الملك ضاراب فى يده وكان برفقة مسرور هذا نصر صاحب حلب وقد انهزم معه برجاله وأبطاله قاصدا مدينته فمال الى دمشق بدعوة مسرور ليقيم عنده أياما . ولما قربوا من الشام بلغت الأخبار أهل المدينة وأعيانها فخرجوا عن بكرة أبيهم لملاقاة حاكمهم ورجالهم الغائبين عنهم وهم لا يعرفون من الباقى منهم ومن المفقود . وكان لمسرور بن عتبة بنت كاملة الاوصاف ذات حسن قل مثاله فى ذلك الزمان وعقل وأدب قليل النظير أسمها كايلة يحبها كثيرا ويستشيرها فى كل أعماله ولا يفعل إلا ماتقوله له وعند سفره إلى مصر كان قد أقامها كوكيلة من بعده على المدينة فكانت محبوبة من جميع الاهالى . فلما علمت بمجىء أبيها خرجت فى مقدمة العساكر كانها الكوكب يضىء فى ظلام الليل الحالك وهى راكبة فوق جواد أدهم تميل وتباهى والانوار تنبعث من بدر وجهها الفاضح . وعندما التقت بأبيها ترجلت له وقبلت يديه فقبلها فى جبينها وبكى من فرحه بها وبلقياها بالسلامة وبكت هى أيضا وهنأته برجوعه سالما وسألته عن سفره وما كان منه فاخذ يشرح لها كل ما لقى من الايرانيين وما أنزلوا على المصريين ويصف لها شجاعتهم وبسالتهم وأقدامهم إلى أن قال لها أخيرا وقد أتيت بفارس منهم من الفرسان الشداد يقال له بهمنزار قبا وهو فى الطبقة الاولى من البساله حتى أنه تبعنا وحده وقتل فينا قتلا ذريعا ولم نقدر على مسكه إلا بعد أن أهلك منا جانبا عظيما ولذلك تريني مصر على الانتقام منه جزاء له على فعله . فطلبت من أبيها أن تراه فاحضره اليها ونظرت اليه فتعجبت من هيبته ووقاره متأملة بحسنه وجمال طلعته ولا

زالت تنظر فى وجهه إلى أن نخرت دماغها سوسة الغرام ووسوس فى صدرها شيطانه الخناس وذلك لما فيه من الجاذبية الفعاله التى أوجدها الله فى فرسان الفرس خاصة لأن ما من رجل منهم إلا أجمل من أخيه وكذلك بهمزار لما رآها تنظر فيه وتتأمله وتنظر الى جبينها وهو يندى عرق الحصر والكتم ترجم له فاعل قلبه بما وقع عليها من حبه فاشغل قلبه بحبها وأخذت تنمر به محبتها وتنمو بقلبها محبته حتى أنهما بعدقوجيزة أصبحا من جملة العشاق الملوعين بنيران الهوى . وكانت كليله كما تقدم حكيمة ذاته عقل وأدب فخافت من أن يطلع أبوها على حالتها فاعرضت بوجهها إلى جهته ومالت عليه بما لها من النفوذ فى قلبه وقبلته وقالت له لو لم تكن موفقا لما اعطيت مثل هذا الفارس أسيرا إنما أريد أن أستشيرك لاعرف ضميرك من جهته فبماذا عولت أن تعامله . قال أنى مزمع أن أقتله عند دخولى إلى المدينة انتقاما منه على فعله . قالت ان فعلك هذا يوقعك فى الندم ولاجل فارس واحد تهلك نفسك وقومك لأنك تتأكد أن رجال الفرس أشداء أبطال كما أشرت وقد رأيت أعمالهم وأفعالهم ولا بد لهم من أن يتتبعوا آثار فارسهم ليخلصوه فهل تقدر على مقاومتهم . قال كلا فانى أعرف أنهم أقدر منى ومن سائر ملوك الدنيا وقد تبين لنا أن كل فارس من فرسانهم يقوم مقام جيش حتى أن ملك مصر ونحن والرومان وكثير الملوك كنا منضمين إلى بعضنا ولم نقدر على الثبات أمامهم . قالت حيث تعلم من نفسك أن لا طاقة لك على ملاقاة الملك ضاراب ورجاله فكيف تقتل سيدا من فرسانه وتتركه وراءك يقتفى آثارك أينما كنت وتجعل له عندك ثارا يطلبه فى كل دقيقة فادفع عنك كل هذه الويلات وابقه عندك الى ان تتأكد ان الملك ضاراب آت اليك فتفكر حينئذ ماذا تفعل به فاعجبه كلامها ورآه صوابا وقال لها الحمدلله الذى لم امدد يدا الى هذا الفارس لانه لم يخطر لى قط إلا الانتقام منه على ان لانفع لنا بقتله وأحمده تعالى الذى اوجد عندى من هى مثلك جامعة بين العقل والحكمة ترشدنى دائما الى مابه الصواب ولذلك اطلب اليك ان تبقيه أسيرا عندك وتحافظى عليه بمعرفتك الى ان اعقد ديوانا وأرى ماذا يجب ان تفعل به انبقيه عندنا او نرسله الى ملكه او نعثه للملك قيصر قالت ان ذلك سيكون بعد الآن . وما صدقت ان سمعت من ابيها هذه الكلمة بقوله لها ابقيه عندك حتى اوعب قلبها من الفرح والاستبشار وأملت نوال مرادها والاجتماع به فى خلواتها وسهراتها وكذلك بهمزار فانه امل الراحة والهناء عندها . وبعد ذلك كروا راجعين الى المدينة فدخلوها وتفرق كل فى سبيله وسار مسرور الى قصره بعد ان سلم اسيره الى بنته واوصاها بالمحافظة عليه فقالت له

لا تخف فانه يبقى تحت الترسيم إلى حين الحاجة اليه . فلم يخطر له قط أنها تهواه. تحبه وهو أسير عندها وكان بسيط القلب لا يعلم مشارب النساء وغاياتهن ولا يعلم أنهن كالرجال يفعل الجمال فى افئدتهن أشد الافعال ويملن إلى قضاء حاجتهن بكل مافى وسعهن وكان يكثر الركون اليها لما يعهد فيها من الحكمه والتعقل ولم يتصور قط ان العشق يصدر مرارا عن كثرة الفطانة والذكاء وانه يفعل فى عقول أهل الآداب ويملء خواطر المتمدنين أكثر مما يملء خواطر الجهلاء البسطاء

ولما أخذت كلية بهمنزار دعت كاتم أسرارها ووكيل قصرها وقالت له خذ هذا الأسير فابقه عندك إلى أن يدنو الليل فاحضره إلى إلى الروضة حيث أكون بانتظارك هناك وكان يحيط بقصرها بستان جميل المنظر كثير الأزهار والأشجار والرياحين تشقه جداول من الماء تنحدر من أنابيب بركة فى وسطه من الرخام الأبيض وقد نصبت فى وسط ذلك البستان بالقرب من تلك البركة صيوانا لمقامها تأتى اليه لتتنزه به وتصرف وقت الرياضة فيه ولا سيما فى وقت الصيف ولذلك أحبت أن تجتمع به كل ليلة فى ذلك المكان ولما جن الليل دعت بقهرمانتها وأمرتها ان تنقل إلى الصيوان مائدة الطعام وتصف فيه باطية المدام وتجمع عليها من النقولات كل ما هو موجود فى قصرها وتقطف من فاكهة البستان من كل نوع زوجين وتحفها كلها بالأزهار الزكية الرائحة والجميلة الشكل ففعلت القهرمانة ما أمرتها ولم يكن إلا القليل حتى عادت اليها وأخبرتها بانها هيئت كل شىء فقامت إلى غرفتها ولبست حلة مزركشة بيضاء ناعمة وأفرغت فوقها شوراء من الحرير دقيقة رقيقة ووضعت على رأسها إكليلا من الماس يساوى ملك ملك ووضعت فى عنقها الأبيض عقدا من الجوهر يضىء كالمصباح فى الحنادس وأدخلت فى أصابعها الخواتم الثمينة ورشت نفسها بعطر الورد والمقطرات الذكية حتى أصبحت كأنها القمر فى إشراقه وقد اهتزت جدران قصرها من بهاء جمالها وحسن طلعتها ومال عشقا لها كل ماحواليها من موجودات قصرها فكأنها روح الجوامد وحياة الحياة ونظرت إلى نفسها وتعجبت من حالها واهتزت لنفسها طربا كأنها تعشق نفسها أيضا وبعد أن فرغت من كل شىء نقلت فى رجليها سرموجة مزركشة بالجواهر ليست بأدنى قيمة وثمن من بقية ماعليها من الجواهر وأخذت تدرج السلم إلى الروضة وهى من رأسها إلى قدمها تضىء بالماس واليواقيت والذهب الوهاج حتى أتت الصيوان فوجدت باطية المدام مصفوفة فاعجبتها وجلست على كرسى من العاج عليها شبكة من اللؤلؤ الكبير وانتظرت مجىء بهمنزار قليلا ولم تلبث إلا القليل حتى أقبل مع وكيل قصرها وأدخله الصيوان

ورجع باشارتها لأنه كان يطيعها ويسمع أمرها كجميع من فى قصرها لأنها كانت حرة التصرف فى أمر خدمها تختار من يوافقها ولذلك كانت تركن لهم وتأمن اليهم ٠

قال ولما رأى بهمزار حالتها هذه وقف مبهوتا وقد أخذته الدهشة ولم يصدق انه قائم بين يديها وهى على تلك الحالة المبهجة وقد زادت بهاء وجمالا وأصبحت تأخذ العقول وتضنيها وأراد أن يبادئها بالسلام فلم يطعه قلبه ولسانه لان الأول كان يخفق والثانى كان منعقداً فخر إلى الأرض ساجدا على غير وعى وهو لا يعرف ماذا يفعل أو ماذا يقول وطفقت الدموع من أعينه كالجارى لعظم فرحه . فلما رأت منه هذه الحالة رمت بنفسها عليه باكية مثله وقد أشغلها حبه مزيد الشغل وعرفت حالته واضطرابه فأرادت أن تخفف عنه من حالته وارتباكه وجعلت تقبله وترحب به وتهنئه بالسلامة وتضمه اليها فقبل كفها وشكرها على جميلها وقال لها أعلى الارض أنا أم فى الجنة وهل إنسان أنت أم ملاك فانى أرى من نفسى السعادة العظمى التى لا أظن نالها أحد قبلى قالت لا بل أنت عند كليلة بنت مسرور بن عتبة التى أحبتك حبا لامافوقه من حب وبذلت نفسها لديك وألقت اتكالها عليك وقد سلمتك نفسها راجية منك أن تلفظ كلمة واحدة فقط وهى أن تقبلنى زوجة لك وحليلة وحبيبة بحيث أبقى كل حياتى بين يديك وعلى يدك وفى عنقك قال أنى وسعى أن أمتنع وقد شرد منى عقلى اليك وأخذت قلبى إلى محبتك أيمكنى ان أعيش بلاهما وهما لا ينطلبان غيرك فنعم أنت أنت وحدك الالهة تسجد لها أميالى وتعبدها حواسى وانى أعدك أنى ماحييت إلا لك وأعاهدك على غير هذا العهد وأقسم عليه الايمان انى لا أختار فتاة غيرك وإذا تيسر لى الخلاص لا أصبر دقيقة عنك . قالت وانى أعاهدك نفس هذا العهد وأقسم لك انى لا أختار بعلا غيرك ولا حبيبا سواك ولابد بعد أيام قليلة من وصول الملك ضاراب وفيروزشاه إلى هذه البلاد فيخاصمانك وأكون أنا معك فأبقى عندك وهذا شأن كل بنت من بنات العالم أن تترك أباها وأمها وتلتصق بزوجها ويكون الاثنان جسدا واحدا وبعد أن تعاهدا هذا أخذته من إبطه وأجلسته على كرسى من العاج ككرسيها إلى جانبها وأخذت فى أن تسكب الخمر وتسقيه وهما قائمان فى تلك الروضه لا عين تنظرهما ولا رقيب يرقبهما وبين أيديهما الماء يجرى والاشجار تميل فتصافح بعضها ويسمع لورقها حفيف منعش لقلب مثل هذين العاشقين والأزهار الزكية تبعث اليهما روائحها العطرية فتزيدهما ثمولا فوق ثمول وبالاختصار فان حالتهما كانت تستوجب الحسد منى ومن كل من قرأ هذه القصة وشخص فى ذهنه جمال تلك الطلعة البهية وبهجة تلك الروضة الأنيقة فسبحان

جامع القلوب ومؤلفها ولما لعبت فى رؤوسهما الخمرة ونما فيهما الغرام عمدا إلى مناشدة الأشعار فانها حاملة الشكوى وموضحة للحبيب حالة المحبوب وقد أنشد بهمنزار ما جاش فى خاطره :

لقد دعا إلى الربا الطرب   فاجبناه جسيا يجب
واستقينا والشوق يجذبنا   كأن أشواقنا لنا نجب
وشملنا والحظوظ تسعدنا   مجتمع سلك عقد الأدب
لخلالنا منـــه بمرتبع   وهو الزائرين منتخب
وقد حبانا للربيع مقتبلا   بمزاياه والمنى نخب
فالروض مخضلة ملابسه   تجمع الحسن فيها والأدب
وقد تناغت به بلابلة   فنهم ناقد ومصطحب
وموكب الزهر فى حدائقه   متنزه بالعيون منتهب
تظل مغناه وهو مزدهر   قباب نور كأنها سحب
ينعشنا العرف من شميمها   ومثل هذا العبير يكتسب
والمرج رحب الفنا مصطحب   عليه ذيل النسيم منسحب
تخاله من زبرجد نضر   بحرا غدا بالنسيم يضطرب
يشوقنا حسنه ومنظره   يسرنا حيث زانه الخصب
ولانسكاب المياه حسن صدى   يرقص عند استماعه الحبب
فمذ نعمنا بذا وذاك وقد   تكنفتنا بغيثها القضب
أحصب ربع المنا وطاب به   العيش لنا واستفزنا الطرب
فعاد للوجد مدنف طربا   وهكذا مدنف الهوى طرب
ومال وفق الهوى وحق له   ذاك إذ ليس مابه لعب
ومن يكن بالغرام ممتحنا   لا غرو بالشوق قلبه يجب
بدر محيـاه ما به كلف   برونق الحسن راح يحتجب
أطلعت فيـه الهوى ومعدنه   بمغنطيس الجمال منجذب
جماله فتنة لذى نسك   مهذب زان حسنه الأدب
وقده السمهرى من مرح   ما اهتز إلا ازدهت به القضب
وما بطرف رنا لرامقه   إلا وسهم اللحاظ منتشب
وقد أبى غير مهجتى سكنا   وهى له مرتع ومنقلب
فلا خلا منّ هواه لى خلد   وليس إلا هواه لى أرب

ولما فرغ بهمزار من إنشاده طربت له ودنت منه وقبلته فى عارضه وفى جبينه وقالت لاريب انك خالص الود صافى السريرة وهذه مزية قائمة فى رجال الفرس لاتتغير وإنى أرى الآن من اكبر أسباب التوفيق وقوعك بيد أبى وأسرك عنده وإلا لما تيسر لى أن أكون أسيرة فى يديك ولا تيسر لى أن أذوق لذة اجتماع مع محبوب كامل فى روضة غاب عنها كل مكدر ونمام وليس فيها إلا كل ما هو من دواعى الحظ والمسرة. ثم تناولت قدحا من الخمر فشربت ونظرت إلى حبيبها فتأوهت وأنشدت :

باكر رياض النيرين وماسها	وانظر إلى الأزهار فى أجناسها
ما بين زنبقها الأنيق وردها	وبديع نرجسها النضيض وآسها
وترنم الأطيار فوق غصونها	تروى لطيف الوصف عن عباسها
جمعت معانى اللطف فى ألحانها	وبيان منطقها وحسن جناسها
تغنيك عن صوت الغوانى عندما	تشدو برونقها على جلاسها
فترى الغصون لما بها من نشأة	تهوى اليك من السرور برأسها
طاف القدير بها فأثمر فرعها	وغدا يخبرنا بأصل غراسها
وسرت بها ريح الصبا فتأرجت	جلساؤها بالطيب من أنفاسها
فانهض نديمى نصطحب فى ظلها	واترك لهانيك الهموم وناسها
وأجل لحاظ العين فى أرجائها	واجل القلوب من الصدى وسواسها
واستجل باللذات بين رياضها	واستجل برا أفرغت فى كاسها
عذراء واقعها المزاج فأنتجت	أطفال در لم تشن بنفاسها
شمس تريك سنا إذا ما أغربت	فى فيك أولتك القوى بشماسها
من كف معتدل القوام إذا مشى	بين الغصون قضى فى مياسها
أو مال فى أهل البها ضربت له	أخماسها بالتيه فى أسداسها
ما جيد غزلان الصريم إذا انثنى	وإذا انثنى باللحظ ريم كناسها
للعين فيه تفكه لكن إذا	إذا بصرت به غابت جميع حواسها
ذو مقلة وسنا إذا شاهدتها	أهدتك سهدا من فتور نعاسها
قم يا حبيبى لا برحت عنتما	داء القلوب من السقام وآسها
واسمح وآنس باللقا يا منيتى	لا زالت الأيام فى إيناسها

وكانت لهما ليلة عظيمة جدا صرفت على مثل ما تقدم من موجبات الحظ ومحسناته وهما لايصدقان أنهما اجتمعا مثل هذا الاجتماع ونالا من بعضهما الخلوص

والمودة وطالما طلبا من الله أن يوقف ظلام ذلك الليل كما أرقف الشمس بصلاة إيليا النبي فلا يشرق الصباح ولا يدنو نور نهاره وداما على مثل ذلك . حتى لاح كوكب الصبح وأخذ جيش النهار يبعث بطلائعه يطارد مؤخرة جيش الليل الفار وعند ذلك اشتاقا إلى المنام كما بغضا فى الفراق فنهضا وودعا بعضهماوداعامقرونا بالرجاءوالأمل فى أن يعودا إلى حالتهما فى المساء فأخذ بهمنزار قبا إلى موضعه وذهبت كليلةإلى غرفتها وقلبها مترطب بحلاوة ليلتها ودخلت فراشها فغرقت فى بحر نوم طويل . وفى المساء رجعا إلى عملهما كالليلة الأولى فصرفا ليلة لم تكن أدنى حظا من الليلةالماضية ثم رجعا فى الصباح إلى مراكزهما وفى المساء الثالث اجتمعا وهكذا كانت مدة اقامتهما كل تلك الأيام ولم يكن من مكدر يكدرها ولا من أحد يطلع على أمرهما

قال وكان مسرور بن عتبة فى تلك الأثناء قد عرف بمسير الملك ضاراب إلى جهته وانه قصد برجاله دمشق لخلاص فارسه من أسره لجمع رجال دولته واستشارهم فيماذا ينبغى أن يفعل وأبان لهم صعوبة الحال الواقعين بها فشاروا عليه بالانقياد إلى الملك ضاراب وأن يسير اليه ويدخل فى طاعته . فقال له نصر ملك حلب أن هذا مما يغضب الملك قيصر ويكدره وعندى أن تترك المدينة وتذهب اما إلى الملك الأكبر واما إلى سواه ومتى جاء الفرس إلى المدينة ولم يروا بها أحدا ولا نظروا أسيرهم فيها ساروا فى طريقهم إلى مدائن النمسا إلى قتال الملك قيصر حيث هم الآن يقصدون تلك الجهة ولا ريب أنهم يذوقون هناك العذاب الأليم . قال انه يلوح لى أن أبقى فى المدينة فمتى دخلها الفرس هربت بنفسى منها إلى انطاكية ولذلك أريد منك أن تذهب أمامى إلى هذه المدينة وتصحب معك بنتى كليلة والأسير بهمنزار قبا وتبقى هناك إلى حين أوافيك لأنى أخاف أن يتخلص الأسير فيرجع اليهم أو أن الفرس يسبون بنتى ويغتصبونها منى وهى أحب لدى من كل ما فى الدنيا ولولا علمى بانها تكون كابنتك لما تركتها تسير عنى فتحافظ عليها أشد المحافظة ولا تدع أذى يصل اليها فأجابه نصر إلى ذلك . وفى اليوم الثانى دعا بنته فحضرت وقبلت أيديه فقال لها اعلمى انه لا ينتهى أسبوع أو أسبوعين إلا وبلادنا عاطلة من الفرس لأنى عرفت أنهم تملكوا مصر ودخلوها وقد ركبوا يقصدون بلادى ذاهبين إلى مقاتلة الملك قيصر وعليه فقد عولت أن أرسل بك مع نصر ملك حلب فهو رجل مسن جليل القدر يعاملك فى غيابك معاملة الأب الحنون إلى مدينة انطاكية إلى الملك مشام لأنه صديقى ولا سيما وزيره هياش فانه يتمنى لى خدمة فتقيمين عنده وتصحبين معك الأسير الايرانى خوفا من أن يخلصه قومه فاذا صح ما سمعته وجاء الملك

ضاراب هذه البلاد سرت فى أثركم ولا تمضى أيام إلا وأكون عندكم . فلما سمعت كليلة هذا الكلام خفق قلبها وشعرت بحلول المصائب والويلات وتكدير هنائها وراحتها وحاولت أن تقنع أباها بالرجوع عن عزمه فأبان لها وجوب ذلك فسكتت لعلمها أن محبوبها سيرافقها إلى تلك البلاد وانها ستبقى محافظة عليه وتحت معرفتها إلى حين يأذن الله بالخلاص فيرجع إلى قومه ويتزوج بها ومن ثم ركب الملك نصر وركبوا كليلة على هودجها وقد أخذت معها خدمها وحجابها وجواريها وكل من يلوذ بها وأخذت أيضا جواهرها وأمتعتها وودعت أباها وسارت مع نصر صاحب حلب وبهمزار قبا مشدود إلى جواد بينهم وهى فى كل ساعة ترفع سجاف الهودج وتنظر اليه نظر المتأسف على حالته حتى ظهر أمرها لكل ذى عين وعرف بحبها كل من كان يجهله من خدمها واشتبه فيه الملك نصر إلا انه لم يبد اشارة وعول على أن يبعدها عنه عند وصوله الى انطاكية وداوموا المسير الى أن دخلوها فى رابعة النهار فترحب بهم حاكمها وأحلهم بالاكرام وأعد لكل منهم قصرا وأخذوا بهمزار الى سجن خصوصى بأمر حاكم حلب وأقامت كليلة فى قصرها لوحدها وليس عندها سوى خدمها الذين جاءت بهم من بلادها وقد تكدرت من بعاد محبوبها وانفصاله عنها وتمنت لو أنها ماتت فى الشام ولا لحق بها هذا الفراق الموجع المؤلم وكانت تسلى نفسها بما يخطر فى ذهنها من ان الملك ضاراب ساع خلف فارسه فلا يتركه أسيرا وعما قليل ينقذه من أسره فتنجو معه

قال وأما ما كان من سيف الدولة فانه سار فى طريق ملاطية مدة أيام حتى وصل اليها فبعث بالبشائر الى أهلها يخبرهم بقدومه فخرجوا عن بكرة أبيهم ولاقوه أحسن ملتقى وهنئوه بعودته الى بلاده سالما وسألوه عن غيابه فحكى لهم كل ماتوقع له فى مصر . ثم أمر فى الحال أن ينادى فى المدينة باسم الملك ضاراب وانه هو الملك الاكبر لهذه البلاد وأمر أيضا بتنزيل الاعلام الرومانية ورفع الاعلام الفارسية على أسوار المدينة وفوق دار الحكومة وكل المحلات الرسمية وأبقى عساكره عند أطراف المدينة لتأكده ان الملك قيصر لا بد له عند بلوغه هذه الاخبار من بعث عساكره اليه لمحاربته والانتقام منه وأوصى امراءه الثلاثة بأن يبقوا على الاهبة والاستعداد لبرى ما يكون من امر الملك قيصر . ولما بلغت الاخبار الملك المذكور وعرض عليه امر سيف الدولة وانه صالح الملك ضاراب وعامله وقد ادخل ملاطية ونواحيها فى حوزته غضب مزيد الغضب فارغى وازبد واقسم انه لا بد له من القبض على سيف الدولة وضرب المدينة وسبى حريمه وقودهم الى بلاده سبايا وفى الحال دعا بيهلوان

بلاده تمرتاش أخى تمرتاس الذى قتل فى مصر وكان من الأبطال الشداد كما تقدم بعد من جبابرة ذاك الزمان وصناديدهم الذين شاع ذكرهم فى الأعصار وتقلت عنهم الركبان الأخبار . ولما حضر بين يديه قال له أريد منك أن تذهب إلى ملاطية إلى قتال سيف الدولة بمائتى الف فارس من فرسان الأشداء وتصحب معك خرطوم الرومى حامى المدينة فنرون ان كان سيف الدولة كما يقال قد خرج عن طاعتى ودخل فى طاعة الملك ضاراب فاقبضوا عليه وأتوا به أسيرا إلى واسبوا نساءه فتسوقوهن بين أيديكن إلى وتنهبون المدينة وتصحبون اموالها معكم وان كان ما سمعته عنه كذبا فروه أن يأتى بكل عساكره وقواده إلى بلادى حيث تأكد عندى أن الملك ضاراب آت بجيوشه نحوى فصار من الضرورة أن تحشد جيوشى من كل النواحى فى هذه المدينة وقد عزمت فى الغد أن أبعث بالكتب فاستعجل الملوك باتيانهم وارسال جيوشهم فقال له تمرتاش انى أسير من هذه الساعة إلى ملاطية وسوف ترى ما أفعل فيها ان ثبت خروجها عن طاعتنا

قال وفى ذلك اليوم ركب تمر تاش ورفع فوقه الرايات الرومانية والجيوش الافرنجية وأمامهم خرطوم وهو كالبرج المشيد لأنه كان من الشجعان المعدودين ولا زالوا سائرين حتى قربوا من ملاطية فنظروا عن بعد وإذا بهم يرو الاعلام الفارسية فوق الأسوار مرفوعة فتأكدوا صحة الخبر ونزلوا بالقرب من البلد وكتب تمرتاش كتابا إلى سيف الدولة قال فيه اعلم أن الملك الأكبر قد بعثنى اليك لما بلغه انك خرجت عن طاعته ودخلت فى طاعة الفرس وعاهدتهم على الهجوم والدفاع فاذا صح هذا الخبر فانى مأمور بالقبض عليك وسوقك إلى سيدك الأول لتأديبك على تعديك على حقوقه ونهب أموالك وسوق حريمك سبايا اليه وان كان ذلك من الأخبار الكاذبة أدعوك لتسير اليه معظما مبجلا بكامل جيوشك لتقاتل بين يديه الملك ضاراب لأنه على ما عرفنا انه مزمع على الاتيان إلى هذه البلاد . وبعد أن فرغ من كتابة الكتاب دفعه إلى عيار من عيارى الرومان اسمه كردك العيار [وكان شيطان بصفة إنسان فأخذ الكتاب وسار حتى وصل إلى بين يدى سيف الدولة فدفعه اليه فأخذه وقرأه وفهم ما فيه ثم رد الرسول بالخيبة وقال له اننا دخلنا حقيقة فى خدمة الفرس وان المدينه حصينة فأقدر أن أدافع عنها إلى حين إتيان سيدى الملك ضاراب فيفرج عنى وانى عاهدته وأقسمت له فلا أنكث بوعدى . ومن ثم أمر أن تقفل الابواب وتقوم العساكر على الأسوار وأوصى بهلوانية بلاده وهم فهرو ومهروقهر أن يحافظوا كل المحافظة على المدينة ويقاتلوا أشد قتال ولا يتهاملوا بل يثبتوا إلى حين الافراج بمجيء

الفرش إلى مساعدتهم لانهم لا بد أن يكونوا فى الطريق وبعد أن أتم كل عمل دخل إلى قصره وفى أثناء دخوله نظر عين الحياة فى قصره وهى مارة من غرفة إلى غرفة ثانية وكان لا يعرفها ولا يعلم من هى فانشغل باله بسببها وانبهر من جمالها وحدانية محاسنها ودخل على زوجته وقال لها انى وأنا داخل القصر وجدت صبية لم ترعينى أجمل منها فى كل زمانى ولم يسبق لى قط أن رأيتها فى بيتى فعجبت منها وقد أشغلتنى عن الحالة التى أنا واقع فيها لعلى أنها تكون بنت احد الملوك أو الأمراء فتبسمت من كلامه وقالت له انى كنت مأذونة منها أن لا أطلع أحدا على أمرها إلى الآن وأما الآن فحيث لم يعد من سبيل للاخفا. فأطلعك على خبرها فهذه هى عين الحياة بنت الشاه سرور حبيبة فيروز شاه ابن الملك ضاراب · فلما سمع سيف الدولة هذا الكلام صفق كفا على كف وقال من أحضرها إلى هنا قالت انها جاءت معنا من مصر وكانت مختبئة عندنا فقال ارتكبت خطاء فلما لم تعلمينى وأنت فى مصر وقد صدق من قال · كم من النساء يشدن بيوت أزواجهن وكم من النساء يخربنها ولو انك أعلمتينى ونحن فى مصر وأعلمنا بها الملك ضاراب لكان لنا الكثير وكنا خففنا من الويلات عنا وعن الفرس ما لم تقدر الآن على حمله وقالت انى رغبت كثيرا فى أن أعرض عليك أمرها فلم تقبل وقد قالت لى ان أخبرت زوجك أتكدر جدا ولهذا لم تسعنى مخالفتها قال اذهبى بى اليها فقد وجب علينا إكرامها وتعظيمها لانها محبوبة سيد أبطال هذا الزمان وكفة ميزانه ولا بد له من أن يطلع بأقدامه هذه البلاد قريبا ويتزوج بها فنخدمه بعملنا معها فيشكرنا على ذلك ثم ذهبت اليها وهو معها فلما دخل سلم عليها وقال لها لما ياسيدتى أخفيت أمرك عنا ونحن من جملة أعوانكم وعمالكم وكيف لم تقبلى أن تظهرى امرى لفيروز شاه فى مصر مع انه كان دائما كالمجنون حتى كان يأسف لحالته كل من رآه فتنهدت من كلامه وقالت له ان ذلك كان بتقدير من الله تعالى فقد شخصت لى حالتى وقتئذ تفضيل الاتيان فى اثر ابى وان لا اسلم نفسى سبية وهذا هو الامر الوحيد الذى يشغلنى دائما بأن اتزوج به بدون حصوله على بقوة السيف بل برضاءى ورضا ابى ان امكن وكان حيا قال انك اخطأت فى ذلك فان اباك ليس من الاباء الذين استحقوا الاكرام والمراعاة لانه من جملة الاباء الجهلاء الذين لا يراعون صوالح بناتهن فكم من اب ضحى بنته رغبة فى صالحه الخصوصى فيمنع عنها من تحبه وترى راحتها معه وترغب فى ان تقرن ذاتها به ويقربها من يحبه هو ويرى ان له به صالحا ونفعا واما ابوك فقد اعمى بصيرته فلم ينظر محل النظر بل عمل على خرابه بيده وسلم نفسه إلى اهواء وزيره

طيفور الخبيث المحتال حتى خرب بلاده وبلاد مصر وأهلك ألوفا ومئات ألوف وعول أخيرا أن يخرب بلاد قيصر بامتناعه عن أن يقبل بزواجك بفيروزشاه على أننا نحن الملوك وكل من شاهد فيروزشاه وتقرب منه يرغب فى أن يكون فى ركابه وتحت طاعته . انك مصيبة بحبك له وتقربك منه كل المدة الماضية إنما خطئة بهربك من وجهه هذه المرة قالت انى أعرف ذلك حق المعرفة وقد أراد الله أمرا فعله وماذلك إلا بتقدير منه تعالى ليأتى إلى هذه البلاد ويتملكها وينشر كلمته فيها وكفانى فخرا بأن مثل هذا الرجل أحبنى وانى أحفظ نفسى ما زلت حية وأينما سرت فانا له وهو يتبعنى ومتى جاء إلى هذه البلاد أظهرت له نفسى وأقمت عنده وكتبت إلى أبى أن يحضر عساى أقدر أن أصلح بينهما . قال إن ذلك مستحيل فأبوك قد خطبك من أنبوش ابن الملك قيصر وقد بدئت الحرب بيننا وجاءت جيوش الرومان إلى محاربتنا وهم الآن يحاصروننا . فلما سمعت هذا الخبر طار من عينيها الشرر وعضت كفيها ندما وتحسرا وقالت انى أحمل على طاعة أبى وأرغب فيها وهو يعمل على تكديرى وغضبى مع أنه يعلم حقيقة إنى لا أرضى بغير فيروز شاه وقد أشعل نار فتنة أكبر من الأولى وأخاف أن تستولى رجال الملك قيصر على هذه المدينة فيقبضون علينا قبل أن يحضر الملك ضاراب ورجاله فيسوقوننا إلى العذاب وأعود أنا إلى ملاقاة الأهوال كما كنت قبلا فسامح الله أبى فانى لا أنتهى من واحد إلا ويخطبنى من الآخر قال اما وقوعنا فى أيديهم فهو على غير المنتظر لأن حصون المدينة منيعة فلا يتمكن الأعداء منها بشهور وأعوام ولابد الملك ضاراب أن يكون فى خلال هذا الشهر عندنا وتسمعين بأذنك أصوات فيروزشاه ترن بين هذا الجيش الذى تجمع فيفرقه بيوم واحد ويبعده عنا ومع كل ذلك فانه إذا حدث أمر فوق العادة وتمكن تمرتاش من الدخول إلى البلد خرجت بك وبزوجتى من هذا القصر إلى الخارج من دهليز يبتدىء منه وينتهى إلى البرية فنختفى فى بعض القرى إلى أن نعلم بمجىء الملك ضاراب فنظهر له أمرنا هذا إذا قدر المستحيل ودخل الاعداء المدينة . وبعد أن أقام سيف الدولة عندها نحوا من ساعة دخل الى غرفته مع زوجته وهو أمين من فتح المدينة ودخول الأعداء اليها وأقام إلى أن دخل الليل ومضى منه قسم ليس بقليل فجاء فراشه ونام مطمئنا إلا أنه ما استقر إلا القليل حتى استيقظ مرعوبا وقد سمع أصوات الطبول الرومانية تخفق فى المدينة والصياح قائم من كل ناح وقد دار السلب والنهب فيها وارتجت أسوارها من عظم صياح فاتحيها فارتبك فى أمره وخارت قواه لاسيما عندما سمع صوت تمرتاش بالقرب من القصر وقد أمر بكسر أبوابه والدخول اليه والقبض

على كل من فيه وبينا هو على مثل ذلك دنت منه زوجته وقالت له هلم بنا إلى الفرار من الدهليز فان الوقت قصير فأسرع إلى باب الدهليز وقال لها اسرعي إلى عين الحياة فأتى بها فسارت اليها فوجدتها تبكي وقدعلمت بالحالة الحاضرة وخافت من وقوعها بيد الرومان وبعثها إلى الملك قيصر وهي تلطم خدودها وتعض كفوفها وتندب حظها وتلوم نفسها على فعلها فقربت منها امرأة سيف الدولة وقالت لها ليس الآن وقت بكاء ونواح فاسرعي معنا إلى الهرب والافاننا ان اقمنا خمس دقائق أخر دخل الرومان القصر وقبضوا علينا وسبونا وقادونا إلى بلادهم فنهضت من فراشها وأسرعت إلى باب الدهليز فدخلته مع سيف الدولة وزوجته وأقفلوه من خلفهم وساروا فيه من تحت الأرض الى أن ساروا خارج الأسوار فساروا منه كل تلك الليلة على الطريق المؤدية إلى جهة الشام حتى كلوا من التعب والمشي والجوع فلجئوا إلى مغارة هناك وهم على تلك الحالة وليس معهم ما يأكلون أوما يلبسون لأنهم خرجوا بثياب النوم من أفرشتهم كما تقدم وأصبحوا ينتظرون الفرج منه تعالى

قال وكان السبب في دخول المدينة تلك الليلة فهر وأخوه مهر وذلك انهما كانا كما تقدم محافظين على المدينة مع أخيهما فهر الأصغر فلما كان أول الليل اجتمعوا إلى بعضهم فقال فهر الأكبر انى مكدر من عمل سيف الدولة وخيانته للملك قيصر وخضوعه للفرس أعداء بلادنا ولذلك عولت على فتح المدينة هذه وإدخال تمرتاش اليها فوافقه أخوه مهر وخالف عليه فهر الاصغر وقال له ان عملنا هذا يحسب ضرب من الخيانة فكيف نخون بلادنا ووطننا ونترك الرومان يدخلون اليه وينهبونه ويسبون نساءه مع أننا حلفنا الأقسام العظيمة للملك ضاراب بأن نطيعه ونخدمه ولو امتنعنا عليه لكان قتلنا فليس من شروط الانسانية ما تطلبان به . فلما علما أن أخاهما لا يوافقهما على ذلك أعرضا عنه وهما في كدر منه وصبرا إلى أن نام فأخذا شرذمة من العساكر وسارا إلى الباب ففتحاه لأن مفاتيحه كانت معهما وبعثا برسول إلى تمرتاش يعلمانه بكل ما كان من أمرهما وانهما فتحا الأبواب وأقاما عندها بانتظاره ليدخل بجيشه المدينة في ذلك الليل ويتملكها قبل الصباح . فلما وصل الرسول إلى تمرتاش وأعلمه برسالة فهر ومهر أسرع برجاله إلى المدينة فدخلها وأمر عساكره أن تتفرق فيها فتنهب أسواقها وبيوتها وتسبي حريمها ونساءها وتقتل رجالها وأطفالها وأن يفعلوا البدع بحيث يتركون فيها لهم أثرا لا يمحى بكرور الزمان ففعلوا كأمرهم وسار هو إلى قصر سيف الدولة فوجده مقفلا فامر العساكر أن تكسر أبوابه ففعلوا وهجموا على القصر وهو معهم وفي نيتهم أنهم يرون سيف الدولة فيقبضون عليه ويسبون

حريمه ففتشوا كل القصر فلم يجدوا أحدا ولا رأوا غير الخدم والعبيد فنهبوه وأخذوا كل ما وجدوا فيه وعادوا إلى الأسواق فسلبوا كل ماوصلت اليه أيديهم وكان من جملتهم فهر ومهر وقد قتلوا كثيرا من أبناء وطنهما وبلادهما رقبضا على أخيهما وأوثقاه بالحبال وطلبا منه الطاعة والانقياد إلى الملك قيصر. قال ان ذلك لا أجريه ولو ذقت المهالك وانى لا أخاف الموت مازلت متكلا على الأمانة ولا أرضى الخيانة وعند شروق شمس النهار أمر تمرتاش وخرطوم العساكر أن تعود إلى خيامها وتحمل كل ما وصلت اليه أيديها فساروا بالأموال والسبايا والنساء تبكي وتنوح فقد رجالها وهن يتحسرن على وقوعهن بأيدى الرومان دون أن يشفقوا عليهن ويرحموهن. ولما استقر تمرتاش فى صيوانه أمر أن يؤتى بالوليد حاكم مصر فأحضر إلى بين يديه فأطلقه وأكرمه وأظهر له كدر الملك قيصر من حالته. ثم أمر باحضار فهر أخو فهر ومهر فحضر وهو فى وثاقه فلامه على اصراره على طاعة الملك ضاراب وقال له كان بخاطرى أن أنتقم منك لولا كرامة أخويك فعاهدنى على أنك ترجع عن خدمة الملك ضاراب وتدخل فى خدمة الملك الأكبر ملك ملوك الرومان فاعفو عنك وادعه أن ينعم عليك ويكافئك. قال انى لا أرجو المكافأة ممن لا أرغب فى خدمته فانى عاهدت الملك ضاراب وأقسمت له الأقسام العظيمة انى أخدمه وأقاتل أمامه ولذلك لا أريد أن أخلف فى قسمي لأن نفسى هى له وقد اشتراها بحلمه فلا أملك عليها وكان له الحق أن يقتلنى عندما مسكنى فى مصر من جملة محاربيه فلا مطمع برجوعى عن طاعته فافعلوا بى ما أنتم فاعلون فان الله ينقذنى منكم وانى أعرف أكيدا أنكم ان فعلتم بى شرا يأخذ لى بثأرى منكم الملك ضاراب ولا يتهامل فى أمرى إذا عرف بفعلكم معى فاغضب كلامه هذا تمرتاش والتفت إلى أخويه يستشيرهما فى أمره. فقالا له ارمه إلى الأرض وأمر أن يضرب خمسين سوطا فيصغر ويطيع فامر فى الحال أن يضرب خمسين سوطا على رجليه فيعرف قيمة نفسه وما يكون من عناده فرماه الحجاب إلى الأرض ورفعوا السياط وجعلوا يضربونه وهو يصيح مستغيثا بالملك ضاراب وولده فيروزشاه ويناديهما لمعونته وبعد أن فرغوا من ضربه قال له تمرتاش هل لا تزال مصرا على عنادك وكيف لم يأت الملك ضاراب وينجيك من أيدينا. قال انى قلت أن لاشيء يرجعنى عن خدمة الملك ضاراب إلا الموت وها أنا أنتظره بصبر جميل وأما من جهة إتيانه لخلاصى فهذا لا يفوتنى أبدا وسوف ترونه باعينكم حتى انه لا يمكن أن تخفى عليه حالة عذابى عندكم ولابد أن تصله قبل أن يدخل هذه البلاد وذلك لأنى أعلم أن عنده بهروز العيار يجول البلاد فى يوم وليلة ويعرف ما يكون

فيها ويعود بأسرع من البرق فكأنه حاضر فى كل مكان فواحسرتاه على نظره إلى حالى لكان خلصنى بالرغم عنكم كما خاص قومه من المقنطر الساحر فلما سمع تمرتاش كلامه أمر أن يوضع فى صيوان تحت الترسيم ويبقى فيه إلى حين وقوع سيف الدولة فى يده فيرسله معه إلى قيصر الملك الاكبر ملك الرومان . ثم أمر أن تطاف المدينة وتفتش البيوت على سيف الدولة علهم يجدون له أثر أو يكون مختبئا عند أحد .

قال وبينما كان الحجاب يضربون قهرا بالسياط كان بهروز العيار حاضرا يسمع ويرى ويتعجب من أمانة هذا الرجل وخيانة أخويه وقد عول على خلاصه وإطلاق سبيله من قيوده وإرساله إلى سيده الملك ضاراب . قال وكان السبب فى وجود بهروز فى تلك النواحى هو أنه لما خرج الملك ضاراب من مصر ومعه ولده فيروزشاه كما تقدم الكلام كان يتردد فى أمر سيف الدولة ويحب أن يعرف أهل يبقى مصر على طاعته أو اذا أجبره قيصر يخرج ويحنث بوعده وعرض ذلك على ولده ووزيره فقالا الأوفق ان ترسل عيارا من عيارينا يتأثر سيف الدولة ويأتينا عنه بالاخبار الصادقة لان لا بد بعد وصوله الى بلاده من ان يأتيه الملك قيصر حالا لان بلاده قريبة جدا منه فلا يرجع ما لم يأتنا بالخبر اليقين وكان قصد فيروزشاه بذلك ان يبعث بهروز ليفحص له عن عين الحياة وما كان منها وهل هى عند قيصر مع ابيها ام لا واذا كانت هناك هل هى براحة أم جار عليها شىء من حوادث الدهر وماذا كان من ابيها الشاه سرور ووزيره طيفور هل أن الملك قيصر ممتن بهما او هاملهما . فلما وافق ابوه على رايه دعا بهروز واطلعه على قصدة وقال له اريد منك ان تذهب فتنظر لنا ما يكون من امر سيف الدولة وبعدان تقف على حقيقة احواله تذهب متخفيا الى عاصمة الرومان وتكتشف لنا على حالة عين الحياة فأجابه بالسمع والطاعة وغير ملابسه ولبس ملابس الدراويش وسار قاصدا ملاطية وقد وعدهم انه يلاقيهم الى دمشق او على طريقها اذا تيسر له الرجوع حالا وبقى سائرا على تلك الحالة الى ان دخل ملاطية قبل وصول عساكر قيصر بيومين فنزل الى فندق فيها وصبغ جسمه بصفة عبد ودخل بين خدم سيف الدولة وقد سر منه مزيد السرور عند ما شاهد اعلام الفرس فوق اسوار المدينة وان كل اعماله واوامره تصدر ممنونة باسم الملك ضاراب وبقى على هذه الحالة يومين وقد عزم ان يسير الى بلاد قيصر ليكتشف على خبر عين الحياة واذا قد وصل للمدينة خبر اتيان الرومان تمرتاش لمحاربة سيف الدولة فتاخر عن السفر وصبر ليعلم مايكون من امر سيف الدولة وهل يبقى على طاعته او يخلف الى ان شاهد بعينيه اصراره على طاعة الفرس

فسر منه جدا ونام تلك الليلة فى الفندق على أمل أن يذهب فى ثانى الأيام إلى النمسا إلى عاصمة قيصر فيكتشف أخبار عين الحياة ويعود بكل سرعة ليعلم الملك ضاراب وولده فيروزشاه فيأتيان ملاطية ويرفعان الشر عن سيف الدولة لأنه كان كما تقدم أزمع على الحصار وفى الليل سمع الصياح فعرف أن الرومان دخلوا البلد فانسل من باب الفندق بين الأسواق فرآهم وقد تفرقوا فى المدينة على تلك الحالة يكسرون أبواب البيوت فيدخلونها عنوة ويفعلون الفواحش فكدرته هذه الحالة إلا أنه تتبع آثار واحد منهم كسر باب دكان وأخذ فى أن ينهب منها وبادره بضربة فى خنجره بين أكتافه ألقاه قتيلا فنزع منه ثيابه وسلاحه فلبسها حتى صار كأنه رومانى الأصل أبا عن جد وأخذ يطوف فى المدينة مثلهم إلا أنه كلما انفرد بواحد منهم انقض عليه فقتله وأنزل به العبر حتى طلع الصباح ورجع العسكر عن المدينة بأمر تمرتاش وما منهم إلا وقد سبى منها بنتا أو امرأة ولا واحد إلا وحمل أحمالا مما وصلت اليه يده من الأموال والأقمشة والأمتعة فكدرته هذه الحالة جدا وتأسف على المدينة وعلى ما حل بها ومدح جدا من سيف الدولة وسر حيث لم يقدروا على مسكه ولا عرفوا مقر وجوده ومن أى جهة هرب . ولما عادوا إلى الخيام عاد معهم واختلط بين الحجاب ووقف بباب تمرتاش وشاهد ما كان من أمر فهر ومهر وخيانتهما فصبر عليهما إلى أن رأى أخاهما قهرا وهو يضرب ويستغيث بالملك ضاراب وبفيروزشاه فتحركت برأسه النخوة الفارسية وقال لابد لى من خلاصه فى هذه الليلة وإرساله إلى الشام ولا أترك الرومان يتحكمون به فهو أمين على خدمة دولتنا وقد قبل بالموت واحتمل الضرب والاهانة ولم يقبل بالاحنات بالوعد ولا رضى ان يخون الملك ضاراب وبقى صابرا إلى ان اشتد الليل وقد عرف المكان الذى وضع فيه قهر فجاء إلى الصيوان من قفاه واقتلع منه وتدا ودخل اليه بأسرع من لمح البصر وتقدم من قهر وكان نائما فايقظه وهمس فى اذنه وقال له لا تخف فانا بهروز جئت لأخلصك فنظر فيه ولم يبد كلمة خوفا من ان يسمعه الحارث الموكل بالحفظ عليه عند باب الصيوان بل سلم نفسه اليه فاخرجه من ظاهر الصيوان إلى ان ابعده قليلا عنه . ثم اخذ المبرد فقطع له قيوده وخرج به من المعسكر وسارا كل تلك الليلة حتى اشرق الصـــباح فنظرا نفسيهما بعيدين عن المدينة فى الخلاء الواسع . فهنأ بهروز قهرا بسلامته وقال له قد سمعتك تكلمت عن امانة وصدق ولا بد للملك ضاراب من ان يكافئك عن صدق امانتك ويجازى اخويك على خيانتهما ونكثهما الجميل . فمدحه على عمله وساله سبب حضوره . قال اتيت لأكتشف على الشاه سرور فمررت فى طريقى على ملاطية

لأرى ما يكون جار فيها فاخربة سيدى فيروزشاه فصدف وصولى ووصول الرومان بآن واحد وإنى قد عزمت ان اذهب إلى اتمام خطتى فاذهب انت من طريق الشام فاما ان تصادف الملك ضاراب آت على الطريق اوانك تلحقه بالشام . قال انى لااهتدى على الطريق ولا يمكننى ان اسير على هذه الحالة بلا سلاح ولازاد فاذهب بى الى مغارة فى هذه البرية فاخبىء بها واذهب أنت فأتنى باحتياجاتى فأقيم مختبئا إلى أن تعود من بلاد قيصر فأسير وإياك معا إلى حضرة الملك ضاراب فوافقه بهروز على طلبه وسار به إلى جهة البر إلى المغارة التى كان أقام فيها سيف الدولة وزوجته وعين الحياة فلما وصل إليها دخلها ونظر اليهم فاندهش منهم وكاد يطير من الفرح وتعجب من وجود عين الحياة بينهم وقد ألقت بنفسها إلى الأرض وهى صفراء كالأموات من عظم ما لحق بها ولاسيما من الجوع والضعف ومثلها سيف الدولة وزوجته فجعل ينظر اليهم ولم يعرفه أحد منهم فى الأول بل ظنوه رومانيا إنما سيف الدولة عرف قهرا فسلم عليه وسأله عن حالته فاخذ يحكى له عما لحق به بينما كان بهروز قد انقض الى أمام عين الحياة ودنا يقبل يديها وقال لها لا تخافى ياسيدتى فأنا بهروز العيار وقد جئت لخدمتك من قبل سيدى فيروزشاه فاغرورقت عيناها بالدموع عند سماعها ذكر فيروزشاه حبيبها وفرحت ببهروز العيار مزيد الفرح وقالت له لا زلت أنت وسيدك تأتونى فى وقت الحاجة وعند الضيق فلولم تاتنا لكنا على شفير الموت من الجوع لأننا هربنا من قصر سيف الدولة وأتينا الى هنا على نية السفر الى الشام انما لم يكن معنا من الزاد ما تقتات به يوما واحدا أوساعة واحدة فصرفنا اليوم الماضى كله دون أكل وليس عندنا من ياتينا بالزاد وسيف الدولة لا يمكنه أن يظهر نفسه فايسنا من الحياة ونحن ندعو الله الفرج فجاءنا والحمد لله عن يد أحب الناس الينا . قال ومن أين وصلت الى قصر سيف الدولة حتى هربت معه مع أنه هو أمين على طاعة فيروزشاه وكيف أخفى أمرك فى قصره . قالت انى كنت اختبئت عنه منذ كان فى مصر وتوقعت على زوجته بان تكتم أمرى عنه وعن غيره فلم يعلم بى قط الاهذه الليلة التى هربنا بها . قال ولما فعلت ذلك وكيف أخفيت نفسك عن سيدى فيروزشاه مع أنك تعلمين شدة تعشقه لك وتعبده لشخصك . قالت ان ذلك كان بسماح منه تعالى فانه أخفى عنى ويلات المستقبل وأنسانى صعوبات الماضى فلو سلمت نفسى اليه بمصر لما كان يجىء هذه البلاد ولا كان وقع ما وقع وسوف يقع وانما الله قادنى وصور لى أن لا أسلم نفسى سبية الى من أعتقد أنه لا يفضل نفسه على لا بل يفديها بمجرد كلمة منى انما قد يفعل الله ما يشاء فى عبيده . والآن لا أريد منك الا

الاسراع باحضار كسرة خبز فان رجلى لم تساعدانى على الوقوف . ولما عرف سيف الدولة بهروز فرح ايضا ودعاه اليه وقال له ان مرادنا المسير الى طريق الشام الى ملاقاة الملك ضاراب فنطلعه على كل ما حل بنا وما كان من امرنا لياخذ لنا بالثار من هؤلاء الأوغاد . قال كن مطمئنا فلا بد من ارجاعك الى قصرك وارجاع بلادك اليك وتوسيع ملكك فيا سيدى فيروزشاه بناكث الجميل فاذا حكيت له عما شاهدته منك ومن امانتك وطاعتك لدولته جازاك احسن المجازاة ولاسيما اذا جئته وعين الحياة معك فلا ريب انه يجعلك الحاكم على كل بلاد الرومان وكل ما تطلبه منه يقضيه لك لأنه لا يريد من الدنيا الا عين الحياة وغيرها فلا وهو يقدر ان يدوخ هذه البلاد ببرهة قصيرة ويذل ملوكها ويقلب كراسيها وقد شاهدت منه مايغنيك عن وصفى قال انى اعرف هذا ولذلك ارغب فى المسير اليه بكل سرعة . قال هلموا بنا من هذه الساعة فان الحاجة التى جئت لأجلها قد توقفت اليها من اقرب طريق . فقالت عين الحياة كيف يمكننا المسير وانما يومان لم نذق طعاما فاذهب وأتنا بما نأكل قال لا بد لنا من ان نصادف فى طريقنا قرى وضياعا فنشترى منها ما ناكله . قالت اننا لانقدر على المشى لنصل الى القرى والضياع وربما كانت بعيدة فنموت اذ لا يمكننا ان نذهب خطوة واحدة بلا اكل فالأوفق ان نبقى مختبين فى هذه المغارة الى ان تعود الينا ويكون المساء قد اقبل فنسير تحت الظلام وتكون اشتدت قوانا الخائرة بما تاتينا به من الطعام . وغير ذلك لا يمكننا اجراءه ولا نقدر عليه فلما راى بهروز شدة جوعها تاثر غاية التاثير وحزن كل الحزن وقال فى نفسه ان احكام الله غريبة كيف يمكن ان تكون بنت ملك وتتقاتل على شانها الملوك ويكون مثل فيروزشاه خطيبها وتبات فى البرارى لاغطاء ولازاد يومان حتى اصبحت تكاد تهلك جوعا ولولا وجود الماء فى المغارة لكانت هلكت عطشا وكادت تنفطر مرارته لكلامها وعرف انه لو كان سيده حاضرا وسمع منها شكواها من الجوع لطار صوابه وانحط بنفسه لوحده على عساكر الرومان طمعا باحيائها وان لا يسمع انها جائعة ولو عرف ان الطعام فى وسط جهنم من النار لرمى بنفسه بها فلا تسمع اذناه انها تكاد تهلك جوعا . ولذلك قال لها انى ساطيع امرك واذهب الى عساكر الرومان واتيكم بالطعام والملابس الكافية وكل ماتحتاجونه لوقايتكم من البرد والحر ثم انه كر راجعا من حيث اتى يقصد جهة العساكر وهو بصفة واحد منهم .

قال فهذا ما كان من هؤلاء . واما الشاه سرور فكنا قد تركناه عند الملك قيصر باكرام واحترام وكان عرف باتيان سيف الدولة طائعا للملك ضاراب ونشر الوية

الفرس فوق أسواره وقد بعث الملك قيصر بتمرتاش لاذلاله وان الملك ضاراب آت على الطريق فوقع الرعب فى ركبه وخاف سوء العاقبة وقال لوزيره طيفور هوذا فيروز شاه آت على الطريق بالعساكر والابطال وألوية بلادة مرفوعة على بلاد هى أقرب البلاد الينا وقد أطاعه أخص عمال الملك قيصر فهوذا علائم السعد والتوفيق ظاهرة على وجه الظروف وقد سبقتهم طلائعها إلى هذه البلاد وانى أشعر الآن بقصر عمرى وفروغ حياتى كل ذلك لأجل معاندتى لأهل إيران وعدم إجابتى طلب فيروزشاه فقال طيفور انى أعجب منك ياسيدى كيف تسلم بنفسك إلى الأوهام والمخاوف وتقدر المحال فهل يهمك أمر سيف الدولة ومن هو عند مثل هذا الملك الذى نحن فى حماه فألوف من الملوك مثله بخدمته وقد سير له بالعساكر والأبطال فاذا كان سيف الدولة فعل ذلك عن طية خاطر وصدق نية قبض عليه تمرتاش وجاء به أسيرا ذليلا وإذا كان عن خوف منه فلا بد أن يعود إلى خدمة الملك قيصر ويأتى بعساكره إلى خدمته وخوفك من الموت فذلك خطأ لأن الأجل محتوم والموت بيده تعالى فلو شاء موتنا عن يد الفرس لكان رماتايدهم منذ كانوا فى تعزاء اليمن غير أن الله يرغب فى بقاءنا فأينما سرنا نسير باكرام والتبجيل فنحل بسط الملوك الكبار ونقيم فى قصورهم وعلى خدمهم وموائدهم فيعرفون لنا مقاما ويراعوننا ويرغبون القرب منا والانتساب الينا أليس ذلك من أسباب التوفيق بخلاف الملك ضاراب وولده فيروزشاه ورجالها فانهم وان كانوا يتوفقون إلى النصر والظفر إنما بعد العذاب والقهر لأنهم يقيمون على التراب فى الخيم عرضة لحرارة الشمس والبرد والتشتيت من مكان إلى مكان وعندى أن الله عز وجل يقصد هلاك هذه الطائفة وعذابها فيرميها بالاخطار حتى تصبح على شفير الخراب ثم يلم شعثها ويجمعها ويظفرها على قصد أن يلقيها بخطر أعظم تطويلا لعذابها فكل ما لاقوه فى مصر كان ويلا وعذابا لا يحسب النصر الذى أحرزوه بشىء مقابلهما وسوف ترى بعينيك صدق ما أقوله لك فسكت الشاه سرور قانعا بكل ما سمعه من وزيره طيفور غير انه قال له ان مرادى أرسل هلال العيار إلى ملاطية فيكتشف لنا أخبار سيف الدولة وما يكون منه ويبقى هناك إلى حين مجيء الملك ضاراب عساه يقدر أن يعرف ما كان من أمر عين الحياة وما جرى لها مع فيروزشاه لأنها بدون شك لم تقبل أن تزف عليه أو لم تقع فى يده وإلا لو قبلت أو وقعت فى يده لكان تزوج بها واستغنى عن المجيء إلى هذه البلاد لأن لا مطمع له ببلاد قيصر ولا صالح يرجو منها قال طيفور ان مجيئه لا بد منه لأن عدوانه لنا وبغضة الأالدين جعلاه يتأثرنا أينما سرنا للانتقام منا فهو مصر على

هلاكنا ولذلك ترانى أحب أن أبعد بك عنه ولا أوفقك على مصالحته وتسليم نفسك اليه وهو يكمن لنا الشر وأما زواجه بعين الحياة فهو بدون شك لم يتم والدليل سرعة مسيره عن مصر فى أثرنا لأنه لو زف عليها لوجب لعمل العرس أن يصرف أياما وأشهرا فامث بهلال يستعلم لنا العلم اليقين ويأتينا بخبر عين الحياة كما أشرت .

ثم أن الشاه سرور استدعى بعياره هلال وقال له أريد منك أن تذهب إلى ملاطيه ولا زال مجدا فى مسيره إلى أن وصل فى ثانى يوم دخول تمرتاش اليها وصادف أنه أومع فى الفلاء فابعد فى طريقه حتى صعد ظهرا كمة لأنه كان يجهل حقيقة موقع المدينة فنظر عن بعد فرآها فاتجه اليها وما سار إلا القليل حتى حانت منه التفاتة فرأى عن بعد رجلا رومانيا خرج من مغارة وتدرج إلى السهل فخطر له أن يقصد إلا أنه امتنع واختبى خلف شجرة وقال من الواجب أن أسهر إلى تلك المغارة وانظر ماذا كان يفعل فيها فلا بد من أن يكون هناك سر ربما تهمنا معرفته وكان ذاك الرجل الرومانى هو بهروز لأنه لم يعرفه عن بعد ولا خطر فى ذهنه أنه يأتى هذه البلاد وحده فصبر عليه إلى أن بعد فجاء المغارة وكان لابسا ملابس درويش إلى أن قابلها فنظر إلى داخلها فرأى سيف الدولة وعين الحياة فعرفهما حق المعرفة وكاد يطير من الفرح إلا أنه لم يظهر على نفسه شيئا من ذلك وأظهر أنه يقصد المرور من تلك الجهة . فلما رآته عين الحياة قالت لسيف الدولة أدع لنا هذا الدرويش فلا بد أن يكون معه شيء نقتات به فنسد رمقنا إلى حين مجيء بهروز بالطعام . فصاح سيف الدولة بهلال وقال له أحضر الينا قليلا فاننا نحتاجك . قال دعونى فانى درويش وليس معى شيء وأنى آت إلى بعض المغائر أعبد الله وأصلى فيها فهل أنت من قطعة الطرق لأدعو الى الله أن ينتقم لى منك ويخلصنى قال ليس أما كذلك بل مرادنا كسرة خبز فاننا جياع وعليك منا الامان وقد أوصاكم الله بعمل الخير لانكم رجاله الأخصاء فتقدم الدرويش إلى باب المغارة وقال ماذا تريدون فانى لا خبز معى لأننا نحن الدراويش لا نأكل الخبز فقال له ماذا تأكلون وبما تعيشون .

قال أننا نصطنع حلاوة يقال لها الحلاوة المنعشية فاذا جاع أحدنا لعق لعقة فيشبع شبعا كاملا كأنه أكل خروف فقالت عين الحياة بالله عليك يادرويش الخير أعطنى من هذه الحلاوة وخذ منى هذا الخاتم الالماس فانى لا أملك غيره ثم نزعت الخاتم من أصبعها ودفعته اليه وسألته تعجيل الحلاوة لأنها فى حالة النزاع من الجوع

فرد اليها الخاتم وقال لها أبقيه معك فاننا لانحمل مالا ولاجواهر ولا نرغب إلا فيما يرضى الله وأنى أعطيكم جميعكم من هذه الحلاوة فتشبعون وتشكرون الله تعالى . ثم أخرج من كشكوله قطعة من المعجون مشغلة بالبنج فقسمها إلى أربعة أقسام ودفع لكل منهم قسما فتناولوها بلهفة وأكلوها وما لبثت أن استقرت فى بطونهم حتى قلبوا إلى الأرض كالاموات من فعل البنج فخاف هلال من رجوع الرجل الذى رآه خارجا من المغارة ولذلك عول على نقلهم من ذلك الموضع فحمل عين الحياة وسار بها إلى مغارة كان قد رآها فى طريقه فى ظهر الأكمه التى صعد عليها ثم جاء فأخذ سيف الدولة وقهرا وزوجة سيف الدولة ولما رأى أن لا أحد رآه فرح فرحا لايوصف يتجاح مسعاه وانطلق يجرى إلى المدينه وقد تأكد عنده أن المدينه فتحت وسيف الدوله هرب ومعه قهر احد بهلوانية بلاده وبقى سائرا إلى أن وصل إلى الجيش وهو خارج عن المدينة فى الخيام فقصد صيوان تمرتاش فقرب منه وهمس فى أذنه وأمر أن يعطيه عشرين فارسا ليأتى بسيف الدولة وقهر وعين الحياة فلما سمع تمرتاش هذا الكلام ارتاع وسأل الدرويش من يكون فاظهر له نفسه وحكى له سرا كل ما رآه فى الطريق وأنه وضع أسراءه فى مغارة ويخاف من أن يأتى أحد فيخلصهم فأمر له بالفرسان الذين طلبهم فساروا معه وكان تمرتاش فى قلق واضطراب عظيم من فرار قهر ولا يعلم من الذى فكه وخلصه ولم يعلم أحد ما هو سبب خلاصه بل أخبروه أنهم وجدوا الصيوان مفتوحا من الخارج وعلى مقربة من القيود مقطعة وملقاة إلى الأرض فاغتاظ من ذلك إلى أن جاءه هلال .

قال وسار هلال بالذين معه إلى المغارة التى كان قد وضع بها عين الحياة ورفقاءها فوجدهم لا يزالون على حالتهم فايقظهم بضد البنج فاستيقظوا وارتاعوا عندما شاهدوا انفسهم محاطين بفرسان الرومان ولا سيما عين الحياة فانها كادت أن تغمى عندما شاهدت هذه الحالة وقد تكدرت مزيد الكدر وتمنت أن تقتل نفسها فتقدم منها هلال العيار وقبل يديها وقال لها لا تتكدرى ولا تغضبى فان أباك بعثنى لأفتش عليك وبالقضاء والقدر رأيتك فى تلك المغارة وأنا لابس ملابس الدراويش فلم تعرفينى ولا ريب أن سيدى أباك يسر سرورا ما بعده سرور إذا عرف بأنك هنا فلم تكلمه ولا أبدت خطابا بل أذرفت دموع التحسر والندامة وثبت لديها أنها ستذهب إلى الملك قيصر وتبقى هناك عرضه للويلات الشديدة والمصائب الهائله . ثم أن الفرسان رفعوهم إلى الخيول وجاءوا بهم الى المعسكر وادخلوهم على تمرتاش فلما رأى عين الحياة قام واقفا على الأقدام إكراما لمقامها ولعلمه بأنها خطيبة مولاه أنوش

ابن الملك قيصر وأمر فى الحال أن تأخذ الى صيوان مخصوص وأن يقدم لها الأكل الى حين تكنفنى بحيث يريد أن يرسلها فى نفس ذلك اليوم مع الأسارى إلى مولاه وأمر أيضا أن يطعم الأسارى ليقدروا على أن يصلوا إلى العاصمة . وبعد أن أكل الجميع وشبعوا أمر أن يقيد قهر وسيف الدوله قيدا ورفع عين الحياة على هودج يليق بمقامها ومثل ذلك زوجة سيف الدولة وامرهلال أن يسير أمامهم ولا يفارقهم الى أن يصلوا الى البلد وسألوا الوليد ان يركب معهم ويسير بالنى فارس الى حضرة الملك الأكبر ففعل وسار الجمع يقطعون الطرقات نحو المدينة .

وأما بهروز فأنه سار ليأتى بالزاد فدخل بين العسكر وجمع ما قدر أن تصل اليه يديه منه وأخذ شيئا من الملابس والأغطية وصبر الى الليل فانسل بين الخيام وفك أربعة روس خيل وكر راجعا الى ان وصل الى تلك المغارة وفى نيته أن يلاقى سيف الدوله وعين الحياة ومن معهما إلا انه رأى ذلك المكان خاليا خاويا ليس فيه أحد فوقف برهة صامتا مطرقا الى الأرض يفتكر الى اى جهة ساروا فخطر له اخيرا انه ربما يكونون قد ساروا امامه فركب جوادا وساق الثلاثة امامه وانطلق يجرى الى جهة الشام واسرع فى السير وقد غاب وعيه إوارتبك مزيد الارتباك وتقلبت عليه الدنيا اشكالا والوانا وهو لايعرف الى اى جهة يسير حتى أصبح الصباح فكشف البر من امامه على مسافة نصف نهار فلم ير احدا فوقف هناك يفكر فى الرجوع وقد ترجح عنده انهم لم يسيروا قط فى تلك الناحية وانهم ربما كانوا وقعوا بيد احد من الرومان وكان هذا الأمل يقوى عليه تارة ثم يضعف لظنه انه كان بين الرومان وانه جاء عن طريق المغارة فلم يصادف احدا فى طريقه ولم يخطر له قط ان هلالا نقلهم من المغارة الى غيرها وسار بهم على غير طريق إلا انه وطد العزم على الرجوع وقال فى نفسه حيث أنى لا أزال قريبا من المدينه والمعسكر فلا بد من الاستطلاع على ذلك حتى إذا قطعت الرجاء من الوقوف على امرهم عدت الى المسير نحو الشام ولما قوى هذا العزم فى رأسه رجع القهقرى الى ان وصل عند المساء الى المعسكر وقد ترك الخيل بعيدة بحيث لايراها احد واختلط بين العسكر واخذ يستنشق الأخبار فحكى له عن كل ما كان من امر هلال العيار وكيف انه لقى سيف الدوله وعين الحياة فى المغارة وقهر وامراة سيف الدولة وان تمرتاش بعثهم الى الملك قيصر تحت امرة الوليد بعد ان اوصى هلال بالمحافظة عليهم . فلما عرف ذلك اسودت الدنيا فى عينيه وقد غاب عنه هداه وشغل باله وبقى نحوا من ساعة يفتكر ماذا يصنع أيسير فى أثرهم وينتظر الفرصة فيعود بهم او يسرع الى سيده الملك ضاراب فيطلعه على كل مارآه

ويخبر فيروزشاه بخبر عين الحياة وما كان من أمرها وبعد الامعان خطر له أن يرجع إلى سيده ويستعجله لخلاص المدينة ومتى كانت عساكر إيران قائمة فى تلك النواحى سار إلى خلاص عين الحياة وسيف الدولة من أيدى الرومان وخاف من أن يلومه الملك ضاراب إذا تعوق من العود اليه ومن أخباره بأسر سيف الدولة وخراب المدينة . وعند ما ترجح له هذا الظن كر راجعا إلى جهة دمشق وقلبه يشتعل من عمل هلال العيار وقد أقسم أنه لا بد له من أن ينتقم منه بعد عودته إلى تلك البلاد ليريه كيف تكون ملاعيب الرجال ولم يقبل أن يصحب معه الخيل خوفا من العاقة فى الطريق ومن ثم أطلق ساقيه للريح يقصد جهة دمشق وهو لا يأخذه هدوء ولا اصطبار ويتمنى أن يكون له أجنحة للطيران فيطير اليها أو انه يصادف مولاه فى الطريق

وبقى الوليد سائرا وبين يديه هلال العيار وهو فرحان بالخلاص مؤمل بالرجوع إلى مصر شاكرا منته تعالى على إطلاق سبيله وحسب أن ذلك من أسباب التوفيق والسعادة وبقى سائرا إلى أن قرب من المدينة القائم فيها الملك قيصر فبعث رسولا يبشره بقدومه ويخبره عن عين الحياة وكان تمرتاش قد كتب كتابا من قبله وسلمه إلى هلال العيار ليدفعه إلى الملك قيصر ولما وصل الرسول وأخبر الملك بقدوم الوليد وبشره بوصول عين الحياة وبافتتاح المدينة وأسر سيف الدولة فرح مزيد الفرح وبعث من يلاقيه ويدخل به المدينة وعرف الشاه سرور بقدوم بنته ففرح غاية الفرح واستدعا بولده الشاه أسد وقال له ان أختك قد ظهر أمرها وقدمت معه الوليد والقادمين والحمد لله الذى وصلت الينا بالسلامة وانى أخاف من أن تأتى المدينة ويدخلها الملك بين حريمه فلا نعود نراها فيما بعد وأخاف عليها من سوء وان يطمع بها انوش قبل أن يقضى لنا غرض فنخسر مالنا وعرضنا ولذلك أريد منك أن تسرع فتأخذ أختك إلى قصر بعيد عن قصور الملك فتبقى فيه لنرى ما يكون من أمر الملك وولده وما يجرى بنا بعد ذلك ونكون قد اجتمعنا بهلال وعرفنا كيف قدر ان وصل اليها فسار الشاه أسد إلى أن التقى بأخته فسلم عليها وسلمت عليه وطلب من هلال أن يخرج بها وأن لا يوصلها فى ذلك الوقت إلى الملك فاستصوب ذلك وعرج إلى مكان بعيد عن المدينة فاستأجر لها قصر وقال انها تقيم فيه بعض أيام إلى أن نرى لها مكانا موافقا نقدمه لها ونضعها فيه تحت معرفتنا وأقاموا فى ذلك المكان الخدم والعبيد من غرباء المدينة الذين ليسوا من الرومان وبعد أن دبر هلال هذا التدبير رجع إلى الملك قيصر وكان الوليد قد وصل اليه وسلم عليه وجلس إلى

جانبه وهو يترحب به ويهنئه بالسلامة . ولما دخل هلال العيار قبل يدى الملك ودفع اليه كتاب تمرتاش فأخذه وفض ختامه ثم دفعه إلى وزيره يبد أخطال أن يقرأه علنا فقرأه وإذا هو ما يأتى

من تمرتاش فارس بلاد الرومان وحاميها وعبد الملك قيصر إلى سيده المنصور الظافر

بعد ذكر الله أخبرك يا مولاى أنى توجهت بعساكرك وأبطالك لأقضى ما أمرتنى به حتى وصلت إلى ملاطية فرأيت على أسوارها أعلام الفرس فتكدرت من ذلك ولم يهن على هذا الأمر رفى الحال بعثت بكتاب الى سيف الدولة أسأله عن ذلك وأطلب منه تنزيل الألوية الفارسية وإتيانه بجنوده إلى خدمتكم فلم يصغ لقولى وعزم على العناد والكبر والمدافعة عن المدينة وربما كان ظنه أنه يقدر على الثبات إلى حين وصول الملك ضاراب غير أن الصدف لم تساعده لأن فهرومهر عبديكا خلفا عليه واستقبحا عمله وطلبا من أخيهما قهر أن يوافقهما فأبى متمسكا بآراء سيف الدولة ففتحا لى الأبواب وأوقعت بالمدينة العذاب جزاء لها على خروجها عن طاعتنا وتركتها عبرة للناظرين وطلبت سيف الدولة فلم أجده وفتشت عليه كثيرا حتى ثبت عندى أنه خرج من البلد وفر الى الخارج وأحضرت قهروسألته الطاعة فامتنع فجازيته بالضرب الوجيع ثم حبسته فى صيوان تحت الحفظ ولا أعلم كيف سرق من الصيوان المذكور إلا أنه فى اليوم الثانى جاءنى هلال عيار الشاه سرور وأخبرنى بانه بينما كان آت من البرارى عرج إلى مغارة هناك فصادف سيف الدولة وزوجته وقهر وعين الحياة فاحتال عليهم وبنجهم ونقلهم من مكانهم وطلب إلى أن أصحبه بالعسكر ليأتى بهم فأتينا بهم إلى الجيش وأنا لا أعرف كيف نجا سيف الدولة ومن أين جاءت عين الحياة ومن الذى أوصل قهرا اليهما بعد أن كان مقيدا مسجونا فى صيوان مخصوص ومحروسا من أن أشغل نفسى بهم أو أصرف الوقت عليهم بعثتهم اليك حفظا عليهم لعلمى أن الملك ضاراب وولده فيروزشاه سيأتيان إلى هذه الناحية بعد قليل من الأيام فابعث اليك إذ ذاك باخبار الفرس وما يكون من أمرهم وإلى أى حالة ينتهون والسلام ختام

فلما قرأ الملك قيصر الكتاب استعاد القصة من هلال فاعادها عليه فشكره ومدحه وأثنى عليه وأمر أن يؤتى بسيف الدولة لبين يديه وبالأمير قهر فأتى بهما وهما بالقيود وأوقفا بين يديه فانتهرهما وقال لهما ماذا فعلت معكما من القبيح لتعاملانى هذه المعاملة وتنيمانى إلى الأعداء وتجعلا بلادى عرضة لهم . فقال له سيف الدولة

أننا لا نلام على خروجنا عن طاعتك ودخولنا بطاعة الملك ضاراب ولو كنت أنت مكاننا لما فعلت إلا ما فعلنا إذا شاهدت حلمه وكرامته مع قوة سلطانه ونحن حين سرنا بامرك إلى مصر قد قاتلناه فى الأول بثبات عزيمة وصدق نية ونحن محافظون على أوامرك وعداوته إلا أننا وقعنا بايديه وصار له الحق فى قتلنا والانتقام بعد أن لاقى مالاقى منا أثناء الحرب بدل من انتقامه بالحلم والرحمة فعفا عنه وأحسن الينا واتخذنا نصراء لهواعوانا فلما رأيت مارأيت من عدله وانه نظر الينا وصدق كلامنا ولم يطلب أذانا ولا امتحنا قبل أن وجه كل ركونه الينا رأينا من الضرورى الواجب ان نخدمه بامانة ولانحنث بيميننا معه لاسيما وهو قادر على الانتقام منا إذا سعينا بالغش والخيانة ضده كما أنه قادر على خلاصنا والانتقام من كل من يقصد لنا ضرا . وانى أحذرك عاقبة عملك هذا فانك تجهل حالة الفرس وعظم مقدرتهم وتوفيقهم ورغبة العناية الالهية فيهم فلا تدخل باب العناد ضدهم ولا تفكر بقتالهم بل اتخذهم أصدقاء لك ولدولتك واقبض على الشاه سرور ووزيره طيفور وسلمهما له ولا تمنع عين الحياة عنهم ولا تبقها فى مدينتك ولا تخاطر بنفسك فى هذا السبيل وتعرض بابنك لعداوة فيروزشاه فهو الطامة الكبرى والآفة العظمى لا تثبت لديه الاسوار والحصون ولا تمنعه عن ايفاء غايته الفرسان والابطال مهما كثرت وتجمعت وانى على يقين وأكثر من التأكيد أن كل من تعرض لعين الحياة قهر وذل وخربت بلاده وقاد بنفسه إلى مواقف الهلاك فما هى من يطمع فيها ووراءها فيروزشاه وهذا من قبيل النصيحة فاذا فعلته دفعت عن بلادك الويل والخراب وخلصتها من حروب أنت فى غنى عنها وحفظت دماء رجالك وفرسانك من الاهراق ولا يغرنك كلام الشاه سرور وطيفور فقد أغشا قبلك الوليد كما أغشا أنفسهما فاعتبر بمن سبق فلما سمع الملك قيصر كلامه لعب به الغضب وحركة نمول التعاظم والافتخار والقوة . فقال لسيف الدولة أتجسر أن تكلمنى بمثل هذا الكلام وأنت تعلم قوتى وكثرة جيوشى وعظم سلطانى وما عندى من الفرسان الذين لا يوجد من يقف أمامهم فى هذا الزمان وهل يسع الملك ضاراب ورجاله وكلما تجمع معه من الفرسان أن يقفوا أمام جيوشنا أكثر من وقعة واحدة وكنت قد نويت على قتلك والانتقام منك قبل الآن إنما سأبقى ذلك لبعد أن أريك ما يحل بهذا الملك الذى تخوفنى منه وتتهددنى بولده فيروزشاه الذى لا يلبث أن يغدو قتيلا اما من سيف ولدى انبوش واما من سيف تمرتاش فارس بلادى وسيد أبطالى وعما قليل اقرن اليك الملك ضاراب . ثم أمر أن يؤخذ سيف الدولة إلى السجن بينما يبعث به إلى القلعة القائمة فى وسط البحر فرفعوه ومعه الأمير

قهر ووضعوهم فى السجن وأقيم عليهما الحراس والمحافظون . ثم أمر أن يفرش قصر من قصوره للوليد صاحب مصر وان يكون له فيه الخدم والغلمان اعتبارا له ولمقامه كونه من الملوك العظام أصحاب المجد والجاه

قال وعند انفضاض الديوان اجتمع الشاه سرور بوزيره طيفور وقال له انى الآن مرتاح لجهة عين الحياة حيث فيروزشاه لم يصل اليها ومرادى أسير نحو قصرها فاستفسر منها عما أجرته بعد غيابنا وكيف قدرت أن تصل إلى هذه البلاد فجيئها نافع لنا جدا إذ أنه صار من الواجب على الملك قيصر أن يدافع عنها ويمنع غارة الفرس وطمعهم فيها وصار يعرف أيضا ويؤكد أنها فى يده وأنه إذا أرجع فيروز شاه عنها زفها على ولده . قال طيفور ها ان الامور جارية على أحب ما يشتهى فان الله أعمى قلب فيروز شاه فلم يتوصل إلى عين الحياة ولو أنه وصل اليها لما تركها أن تصل إلى هذه البلاد وتعود الينا وسوف نعلم منها ما كان من أمرها فى مصر وهذا دليل كبير على ان الله سبحانه وتعالى لم يكتب نصيبا لها به وربما كان نصيبها عند الملك قيصر فهو اليق لها منه فهلم بنا لنذهب اليها ونعلم حقيقة أمرها

قال وكانت عين الحياة بعد قيامها فى القصر الذى وضعت فيه وتأكيدها وجودها داخل بلاد قيصر اسودت الدنيا فى وجهها وتأكدت رجوعها إلى المصائب والعذاب وما كانت تقاسيه فى مصر فجعلت دأبها البكاء والتعداد وكلما قوى فى رأسها صعوبة المركز الواقعة به والساعية اليه تلوم نفسها على فعلها وتركها المتوجب عليها عند وجودها فى مصر وأخذت تفكر كيف أنها تركت الراحة والهناء وأبعدت حبيبها بيدها ورمت بنفسها فى حفر العذاب والويل والكدر وهى لا تصدق أنها كانت فعلت ما فعلته وحسبت أن ذلك كان منها ضربا من الجنون وعدم التعقل مع أنها كانت تعهد فى نفسها الحكمة والاصابة وأنها تنظر فى المستقبل نظر العاقل الخبير وقد قالت فى نفسها مرارا ماذا يا ترى فعلت أيليق بى أن أبعد عن فيروزشاه بعد أن كنت قد وصلت إلى يده ودخلت فى حوزته وهل انى كنت أطلب بعدى عنه كرها فى زواجه مع انى أرغب فيه أكثر منه . وحيث أعلم من ذاتى أن لا بد لى من ذلك فلم لما غاب عنى لم أسع اليه راكضة وكنت بذلك خففت عنه عذابا وشدائد لا يعلم ثقلها إلا الله وكنت أيضا دفعت عنى كلما الاقيه أليس أنا التى وعدته على الوفاء والمودة وصفاء العيشة فما الذى جرى على حتى سعيت وراء الأكدار والتعب فلا ريب انى جاهلة مخطئة ضده وماذا يا ترى يفعل إذا عرف بفعلى وانى خرجت من مصر مع سيف الدولة وأنا مختبئة عنه أجهد النفس بالبعد عن مكان كان قائما فيـــه وقلبه

يتحرق من الألم والوجع ومن العذاب الأليم الذى ألم به تأكده غيابى وكنت قادرة بكلمة واحدة منى أن أشفى كل أوجاعه وآلامه وأجعله سعيدا فرحا وأجعل ذاتى مثله وكنت أيضا قد حفظت اهراق دماء ألوف من رجاله ومن رجال هذه البلاد . وبقيت هذه الحالة حالتها وهى لا تسر لا بأكل ولا بشرب ولا طعام ولم تشعر بخطئها إلى عند وقوعها بالعذاب والألم وقد أظهرت لها حالتها الحاضرة عظيم غلطها وخطئها مع أنها عندما كانت بالراحة والاطمئنان كانت تستصوب عملها وتراه وجوبيا غير أن الشىء الوحيد الذى كان يسليها هو أنها تعتقد كل الاعتقاد أن ذلك كان بالهام من الله تعالى وأنه هو الذى جعل فى عينيها ما فعلته وأن له غاية لا تعلمها هى ولا غيرها . وفى تلك الساعة دخل عليها ابوها فقامت من ساعتها وقد ترحبت به وقبلت يديه فقبلها وكاد يغمى عليه من الفرح والسرور وجلس إلى جانبها وهو يقبلها ويذرف دموع الحنو والرأفة لأنه كما تقدم كان يحبها محبة عظيمة أكثر من كل اخوتها بقدر انقيادها إلى طيفور الوزير وطاعته له . وبعد أن أقام قليلا سألها عن حالها وكيف أنها وصلت إلى هذه البلاد مع أنها كانت فى مصر . فلما سمعت سؤاله ورأت من نفسها أنها مضطرة لأن تعلمه بكل شىء بكت بالرغم عنها . وقالت له ان نفسى أصبحت تكره الحياة فلو كنت أملكها او لى تسلط عليها لكنت ترانى الآن فى اللحود فما اشقى حظى واتعسه ثم اخذت فى ان تشرح له كل ما كان من امرها فى مصر وانها خرجت مع امرأة سيف الدولة دون ان يعلم احد بها حتى ان زوجها نفسه لم يكن يعرف بوجودها فى بيته وبين حريمه حتى كانت ليلة وصول تمرتاش إلى ملاطية . فلما سمع الشاه سرور كلامها فرح به جدا وقبلها مرارا وقال لها لا ريب انك محبة لى مطيعة لأوامرى ولا تفعلين إلا ما ارغبه منك وهذا كان عهدى بك فحرك كلامه هذا داخلها ولم يعد فى وسعها ان تخفى عنه شيئا وارادت من كل قلبها ان تطلعه على غايتها وما اضمرته منذ القديم ورأت ان ذلك ضرورى فى مثل هذا الوقت ليعلم انها لا ترغب فى غير فيروز شاه مطلقا فلا تطمعه نفسه فى ان يزوجها بغيره او يعد احدا بها غيره . فقالت له وهى ناظرة الى الأرض والدموع ملأى عينيها انى ما برحت ولا ابرح اقدم نفسى فدية لطاعتك واعتبارك فافعل كل ما يكون به رضاك وصالحك ولو فعلت ما بى صالحى ورضائى لكنت خلصت نفسى من كل هذه الأكدار وارتحت كثيرا من المشاق والمتاعب وصنت ممالك من الخراب وحفظت الدماء من الانهراق ألم تر ان كل ذلك صار بسببى فعرف الشاه سرور معنى كلامها وقد رأى فيه وجها للصواب . فقال لها ان كل ما مضى قد فات فياليتنى اجبت

فيروز شاه إلى طلبه لكنت الآن باق فى بلادى كعادتى لا أحد يقدر أن يتعدى على أو يسطو على مملكتى إنما طيفور الوزير هو الذى أوصلنى إلى هذه الحالة وورى بقلبى بغض أهل إيران وحركنى على عداوتهم فقاطعه طيفور وقال لا تظلمنى ياسيدى وتنسب لى ماأنت ناسبه فلست أنا الذى رغبت فى عداوة الايرانيين وجل رغبتى منذ البداية حفظ شرفك وناموسك إذ لم يكن من سبب بينى وبينهم يوجب كل هذا البغض الذى نسبته لى إلا عمل فيروزشاه وتعديه على قصرك وعبيدك توصلا إلى سيدتى عين الحياة أنسيت يوم كان يتسلق السطوح والجدران ويرغب فى النزول على غرفة ابنتك وقد قتل العبيد وفعل مافعل فيكون هو نفسه السبب بوقوع الشر بينكما لانه لم يحسن التصرف ولا جاء بوفده كبقية الطالبين وسألك زواج بنتك وأنت تعلم انه لو جاء وسألنى أن أساعده لما تأخرت إذ يكون ذلك من الصالح العائد لدولتنا بالفخر والجاه إنما جاء كلص وفى نيته إما أن يسرقها وإما أن يفتك بها فلم يتيسر له ولاريب أنك تعلم منه ذلك وتعرف قوة هذا التعدى فلو أجبناه إلى الزواج بعد ان وقع بأيدينا كلص فماذا ياترى تقول عنا الملوك والأمراء أليسوا يظنون بنا السوء يشيعون أننا رغبنا فى زواجه طمعا بستر فضيحتنا فكان طيفور يتكلم وعين الحياة تسمع وقد ذكرها حوادث قصرها فى تمزاء اليمن فأهاجت الذكرى منها غرامها وما لاقته فيه من العناء فى ثلاث ليال متواليات وانه لولاها لما تكدرت تلك العيشة ولولا انها تقتل العبد وترمى جرثومة الشر لما حدث كل ما حدث ولما طرق ذهنها كل هذه الأمور ضاق صدرها ولم يعد فى وسعها ان تكتم شيئا وقالت فى نفسها ان اطلاع أبى على كل شىء مما يوضح له براءة حبيبى وليعلم انه ما جاء تمزاء اليمن إلا ليراها ويرى ان كانت كما قيل له فيخطبها خطبة الشرف والناموس وإذ ذاك قالت لأبيهـــا ان ماظنه وزيرك بفيروزشاه هو عين الخطأ والجهل لأنه عرف بين العالم قاطبة انه كامل المروءة والناموس وقد رآى فى الحلم ثلاث ليال متوالية وفى كل ليلة يرانى كما أنا غير أن ثيابى مغبرة فأكلمه وقد قلت له عن اسمى فأشغله ذلك وعلم ان الله يقصد أمرا وأن هـذه الفتاة التى أراه إياه باحلامه هى بانتظاره اليوم بعد اليوم فلما خطر له هذا الخاطر وقد وقع حبى بقلبه بمجرد الوهم أى بمجرد ما رآى فى الحلم خرج هائما يطوف الديار والبلاد يسأل عن فتاة تدعى عين الحياة رآها فى حلمه فقيل له عنى فقصد أولا أن يعرف هل أنا هى التى زارته فى الكرى مبعوثة بأيدى العناية إلى ذهنه أم لا فجاء إلى بلادنا وصادف مجيئه وأنتم تحت ضيق الحصار من الشاه روز وبهروز وميسرة ففعل ما فعل ونجاكم من سطوة الأعداء وحمى عرضكم من

والانهماك لا سيما وقد سمع أن الغاية من تلك الحرب هو أنا فزادت رغبته فيه وبعد انقضائه لم يرد أن يظهر نفسه بل بقي مصرا على الاختفاء أملا ان لا أكون أنا المطلوبة منه فيرجع بعد أن يراني وإذا وجداني انا غايته عاد فطلبني من أبي بواسطة أبيه وبينما كان يقصد أن يراني حدثت تلك الأسباب المكدرة فلم يكن هو ممن يقصد شرا أو يرغب لي سوءا ولم يقتل هو العبيد بل الذى قتلهم هو غيره لأني أعلم ذلك جيدا وقد قتل العبد الأول قصاصا لأنه كان يفعل الفحشاء على السطوح مع بعض الجواري وقد اجتمعت به واجتمع بي مرارا وعرفت ما هو عليه من المروءة والنخوة اللتان لا توجدان في غيره من بني البشر في عصرنا هـذا وعلى كل حال فاني عاهدته أن أكون حافظة عهده راعية وده فلا أنكث حتى الموت ومع كل ذلك فاني كنت أرى نفسي مضطرة للانقياد اليك وطاعتك أراها من الضروب اللازمة فصبرت على حكم القضاء وسلمت أموري لله على وشك أنه يدبرني بحسب ارادته لأني وقعت بين أمرين خطيرين أحدهما أنت والآخر فيروز شاه واعرف الآن أن ما أفوه به هو جسارة على سلطتك المعطاها من الله إنما أريد أن أطلعك على سرائر قلبي مع أنك كنت تعرفها لا من فمي بل من القرائن والاحوال وأخيرا أطلب اليك أن لا تعد بي أحدا فما من سبيل إلى زواجي غير من عاهدته وعندي ان الموت أحب إلى من قبولي بغيره فاستدرك الأمر طيفور عندما رأى ونظر وجه أبيها فوجده متأثرا من كلامها بأثر الحنو والحب فقال لقد أخطأنا منذ البداية فياليت العناية ساعدتنا لنعرف ماهو قصده وغايته انما الآن قد مضى ما مضى ولم يعد في الامكان الدنو منه والتقرب اليه لا سيما وقد عرفنا أن أباه قد قسم بأبر الاقسام أنه لا بد من أن يقتلنا شر قتلة فاذا كنت ترغبين في حياة أبيك يجب أن تبقي على طاعته قالت اني راغبة في حياته كل الرغبة وأدافع عن راحته كل المدافعة ما زلت قادرة على ذلك واني أطيعه جهـــدي في كل الامور انما أسأله أن يعفو عني ويسمح لي أن لا أقبل بما يقبله لي بتدبيرك وإرادتك فما أنت بناصح له ولو كنت ممن يرغب في حياته لما عرضته لكل هذه الاخطار وطرت به البراري والقفار وطرقت المدن والامصار مع أنه صار شيخا ولم يعد يقدر على حمل كل هـذه المشقات والاتعاب . أبدا . أبدا لا مطمع لك ولغيرك بارجاعي عن عزمي فاني الاقي الموت قبل أن ألاقي وجها غير وجه فيروز شاه ولا أقول ذلك من سبيل الوقاحة والتعدي على الحقوق الوالدية انما بما أزوجه الله فلا يفسخه انسان فالله وحده هو الذى بعثه إلى ورمى حبه بقلبي ورمى حبي بقلبه حتى أصبحنا نفضل الموت على الانفساخ ولا يليق بي أن أعامله بغير ما

يستحق وهل سمعتم أن رجلا من رجال الدنيا يرتكب كل هذه المخاطر ويسير عن بلاده الوف اميال طمعا بالحصول على بنت ربما كان فى مملكته الوف مثلها ثم طفقت الدموع من اعينها على حين كانت تتكلم بحدة فرق لها قلب ابيها ولم ينه فط بكلمة لانه شعر بخطائه معها ومع فيروز شاه وغلطه ولولا وجود البغض الفعال فى قلبه لوجد لنفسه طريقة للخلاص من بلاد قيصر ورجع إلى الملك ضاراب وطلب عفوه وصالحه غير ان الله قد قسى قلبه لينتقم منه الملك ضاراب فودع بنته وخرج إلى قصره مع طيفور وهو حزين عما وقع عليه ونادم كل الندم على هذا التطرف بالعداوة . ولما رآه طيفور وهو سائر إلى جانبه على هذه الحالة خاف من ان يأخذ به الحنو إلى الرجوع عن عزمه اوان كلام بنته غير حالته وقرب فيرز شاه من قلبه فندم على موافقته للحضور اليها وقال فى نفسه إذا اجتمع ببنته مرتين أو ثلاث مرات غيرته كل التغيير وجعلته إيرانيا محضا ومحبا لهم فهو سريع التقلب ولذلك فلابد لى من السعى فى ابعاد عين الحياة عن المدينة وارسالها إلى مكان آخر مأمون العقبى . ثم قال له وهو يعظمه ويجله اطال الله بعمرك ياسيدى ارأيت ما كان من عين الحياة فبالحقيقة هى جاهلة حالة فيروزشاه وابيه وقد اوصل بها هواها الذى كنا لا نجهله الى التطرف والوقاحة . امن العقل أن يحب الرجل عدوه وقد زعمت اننا نحن الراغبون فى عداوته الساعون فى بغضه مع انه هو وحده قاد نفسه إلى ذلك وقد جد واجتهد فى الانتقام منا فهل إذا فرض واصفينا له قلوبنا وقربنا منه وقلنا له هو ذا نحن بين يديك وطوع امرك وقد ازوجناك بعين الحياة رغبة ورضاء منا يبقى علينا او يترك لنا سبيلا للحياة بل انه كان فى الحال ينتقم منا ويأخذ بنتك بالرغم عنا لا سيما ولم يعد فى وسعه ارجاع ملكنا الينا بعد مصافاة الشاه سليم ومعاهدته وقد خدمه وبعث بنته مع مائة الف فارس من فرساننا للقتال معهم فهل يكافئه بغير ما يتوجب عليه وهل عاد من الممكن ان يخلعه فعبثا تظن وانا اعلم اكيدا ان لا احد يقدر على ان يعيد لنا ملكنا الا الملك قيصر فتى اهلك الملك ضاراب وولده سير العساكر معنا الى تعزاء التى فسرنا اليها وخلعنا الشاه سليم وجازيناه على خيانته بعد أن كان ودودا لنا وهذا ان شاء الله لا يكون بعيدا عنا قال الشاه سرور انى اريد ذلك انما كان فى ودى وفى نيّى ان لا تتزوج بنتى بابن قيصر الشاه انبوش لانه على غير دينها وهى لا ترغب فيه وقلبي ينبهنى الى ان الفرس سوف يقدمون هذه البلاد ويدوخونها ويفعلون بها ما فعلوا بمصر فاذا عرف فيروزشاه انى وعدت بها انبوش يزيد بغضه فينتقم لا محالة قال ان فوز الايرانيين على الرومان مستحيل وقوعه اتظن ان الزمان عبد لهم فيخدمهم

كل العمر ولا يمكن أنهم يتسلطون على هذه البلاد مع اتساعها وكثرة جيوشها ووفرة أموالها واتساع نطاقها عما لها فهى تضاعف إيران ومصر . فاصبر إلى المنتهى تخاص وعدا عن كل ذلك فانا لا نزوج انبوش الآن بعين الحياة بل نعده بها ونطلب من أبيه أن يعيدنا إلى ماكنا ويخلصنا من طالبيها والساعين خلفها فبعد أن يتم لنا ذلك أجبناه وزوجناه بها . قال ولو فرض أنه انتهى كل ما تتصوره من النجاح لنا فعين الحياة لا ترضى بانبوش فتقتل نفسها وأكون قد خسرتها بظلمى لها . قال لا يثبت فى ذهنك أن النساء يبقين على حالة واحدة فمتى تم لنا النصر وقتل فيروزشاه وخاب املها منه عادت إلى طاعتك ورغبت فيمن رغبته أنت لها فهى أمينة على أمرك ألم تر أنها لو كانت ترغب فى مخالفتك وتفضل من تدعى أنها تحبه لكانت سلمته نفسها واقترنت به وما نفرت منه ورغبت فى البعد عنه . فانى لا أعجب منك مع أن الايام قلبتك كثيرا والزمان حنكك وأتى عليك كثيرا من أحواله كيف يغيب عن ذهنك طفيف الأمور وطالما قلت لك كن ثابت العزم والعزيمة فما المرء إلا ابن يومه ولا تقل لا بعد إن قلت نعم . فانقاد الشاه سرور إلى كلامه وقال انى أسأل الله نوال مرادنا وما نطلبه وهلاك فيروزشاه وأبيه فهو السميع المجيب . ثم دخلا قصرهما وناما تلك الليلة وطيفور مسرور بفوزه ونجاحه وبعد ذهابهما قامت عين الحياة فى القصر على حالها ولم يكن عندها ما يسليها غير النوح والتعداد والبكاء وليس أمامها إلا الخدم الذين استخدمهم لها هلال وكانوا قد أحبوها مزيد الحب وأقاموا على خدمتها بصدق نية وأمانة

وأما أنبوش فبلغه مجيء عين الحياة إلى المدينة وقد مدح من محاسنها كل من شاهدها ورأى قدومها حتى أصبح فى هاجس وبلبال واشتد به حبه وتمام غرامه وطلبت نفسه أن يراها ودام على هذه الحال وهو فى مزيد قلق واضطراب إلى أنه كان ذات يوم جالسا فى قصره حدثته نفسه أن يذهب اليها ويطلب منها أن تريه نفسها ويخاطبها وبعد أن قوى فى رأسه هذا الفكر وزين له غرامه صوابية عمله وأنها ستلاقيه أحسن ملاقاة وتسر باتيانه كثير سرور لعلمها أنه خطيبها وأنها لابد أن تكون قد عرفت وتأكد عندها من هلال العيار أو من أبيها أنها ستقترن به ولذلك تطيب وتعطر ولبس الملابس الفاخرة وسرح شعره وأخذ بيده قضيب الخيزران وسار فى طريقه وهو ينظر فى حاله ويعجب من نفسه ويميل ويباهى وقد تصور كل التصور أنه سيحل فى قلبها بأرفع مكان ويكون له عندها عظيم وقار واعتبار . ولما وصل إلى قرب القصر رآه أحد خدم عين الحياة فعرفه وسبق اليها لحكى لها بقدومه فدعت الباقين وقالت لهم أريد منكم أن تسرعوا إلى باب القصر ومتى رأيتم انبوش وقف بالباب وسأل عنى فبادروه بالضرب بالسياط وأظهروا على أنفسكم أنكم تجهلونه

ولاتسمونه باسمه بل قولوا له ان سيدتنا لا ترغب ان ياتيها الأجانب بغير اذن ابيها والملك قيصر فاجابوها الى سؤالها واسرعوا الى الباب فوقفوا عنده الى ان وصل الأمير انبوش وطلب الدخول فرفعوا السياط وارسلوها الى جسده بعضها يصعد وبعضها يسقط وهو يصيح وقد استحى ان يعرفهم بنفسه بل جعل يصيح ويستغيث حتى انتهك جسده وعين الحياة تراه من فوق وتضحك منه وهو على تلك الحالة وتذكرت فيروزشاه وبسالته وانه لو كان مكانه لقتل العبيد والخدم بل لو كان جيش ابيه برمته واقف بباب القصر لفرقه وانقض على الباب فدخله ولا يدع احدا يمنعه لا من انس ولا من جان ولما رأى انبوش ان لا سبيل له بالدخول وقد ورم جسده من تاثير الضرب طلب الفرار وهو مثخن بالجراح مهشم لا يصدق بوصوله الى قصره حيا ولما دخله رمى نفسه بالفراش يئن ويشكو من الوجع والألم واحضر الطبيب الى مداواته فاتاه وجعل يضمد له جراحه وكانت خفيفة جدا ويضع له المراهم وبلغ خبره اباه فجاء اليه كالملهوف وهو لا يعلم السبب الموجب ومعه الشاه سرور وطيفور ولما وصلوا اليه وجدوه على تلك الحالة يئن متوجعا فساله ابوه عن حاله وعن سبب هذه الجراح ومن قدر ان يتعدى عليه فلم يجبه بالحقيقة واستحى من ان يخبره بعمله وخاف من لومه فقال له قد اهدانى بعض اصحابى مهرا لم يركب بعد فقصدت ان اطيعه فذهبت به الى الخارج فجمح بى ورمانى الى الأرض فتهشمت واصابنى ما اصابنى فقال له انى اوصيك من الآن وصاعدا ان لا تركب مهرا عاصيا فيرميك وربما يميتك وبعد ان اقاموا عنده مدة ساروا عنه وبقى هو فى الفراش الى ان كاد يشفى وختمت جراحه وحينئذ بعث وراء وزير ابيه بيد اخطل وقال له اريد منك ان تذهب الى ابى وتساله ان يزوجنى بعين الحياة فامن مانع الآن يمنعنا عن الزواج لأنها فى قبضة يدنا وما من احد يزاحمنى فيها او يطلبها من امامى فوعده بكل جميل وانه يعرض امره على ابيه ثم انه ودعه وسار الى ابيه فشرح له حال ولده وانه راغب فى الاقتران من عين الحياة باسرع ما يمكن من الوقت اذ ان الغرام قد اخذ به ماخذا عظيما فقال له انى لا اظن ان اباها ينعم بزواجها وهو فى اضطراب كهذا الاضطراب وبعد قليل من الأيام يكون الملك ضاراب وخطيبها فى هذه النواحى وفيروزشاه يطلبها ويرغبها ولا ريب انه يطلب خلاصها اولا من يد طلابها فتى منعوا عنها وهلكوا اوخابوا راجعين ينعم ويجيب قال اننا نطلبها منه فربما انه يوافقه زواجها ويرغب فيه فاتفقا على ذلك .

قال وفى اليوم الثانى بينما كان الشاه سرور فى مجلس الملك قيصر وحوله رجاله

وأعيانه ووزراؤه تقدم بيد اخطل من الملك قيصر أن يسمى بقران ولدة من عين الحياة وأن يهتم بها فقال الملك انى أطلبها الآن من أبيها فنزفها قبل أن تصل الأعداء. وبذلك ينقطع منهم الرجاء ويعودون بالخيبة ويفشلون . فاستدرك طيفور الكلام وسبق سيده اليه فقال لاشيء أحب علينا من انجاز مثل هـذا الأمر وما أتينا هذه البلاد إلا لمثل قضاء هذه النية غير ان سيدى الشاه سرور أقسم مرارا أنه لايزوجها إلا بمن يرجع اليه ملكه بالرغم عن الملك ضاراب على أنه لو قبل بزواجها بفيروزشاه لارجعه حالا الى ملكه وأعاد اليه بلاده . انما لما كنا لانرغب فى التقرب من الايرانيين لأنهم همج وبرابرة سعينا إلى الانتساب بكم والتقرب منكم وانى أعدكم عن سيدى الشاه سرور وعدا صادقا اننا لانرغب فى غيركم وأن عين الحياة فى يدكم الآن ويمكنكم أن تحفظوا عليها فى مكان لا يمكن للاعداء أن يصلوا اليها ولاخفاكم أن عياريهم شياطين فى صفة أناس وأنهم إذا جاءوا هذه البلاد لابد أن يحتالوا إلى أخذها من بينكم بحيث لاترونهم والآن نرى أن زواجها غير موافق لنا ولكم وهو لايفوتكم قط فالصبر عليه أليق وأوفق فقال الملك قيصر ان ذلك ضرورى لابدلنا منه فاننا نصبر عنها غير أننا سنحتفظ عليها مزيد الحفظ وقد خطر فى ذهنى أن أبعثها إلى قلعة الحديد القائمة فى وسط البحر وبهذه القلعة مكان موافق لقيامها وفى نفس القلعة أيضا أحبس سيف الدولة وقهرا فلايقدر أحد أن يصل اليهم إلى أن نرسل فنحضرهم ثم أمر أن نرسل عين الحياه إلى القلعة ومعها امرأة سيف الدولة فيوضعان فى أعالى القلعة تحت الاكرام والاحترام ويوضع سيف الدولة فى أسفلها تحت الحفظ والترسيم وفى الحال أخذوا عين الحياة وقهرا وسيف الدولة وزوجته ونقلوا إلى القلعة وكتب الملك قيصر كتابا إلى محافظ القلعة واسمه الامير فهد يقول له فيه انى بعثت اليك بخطيبة ابنى عين الحياة ومعها زوجة سيف الدولة وتقيم عندها لتسليها مع خدمها وجوارها فاعدد لها مكانا عظيما فاخرا فى أعالى القلعة واخدمها بكل ماتقدر أن تخدمها به وبعثت اليك سيف الدولة والأمير قهر فاحتفظ عليهما كل الاحتفاظ وإياك أن تدع أحدا يدخل القلعة أو يحتال عليك بأمر آخر فينتشل منك عين الحياة والاسارى وانى أوصيك أن تنتبه إلى ذلك وأن لاتسلم من عندك أحدا إلا بأمرى ورسولى الذى أبعثه اليك يكون حاملا خاتمى الخاص ومن لم يكن معه خاتمى فانتبه اليه .

وكانت قلعة الحديد هذه من القلاع المعدودة فى تلك الأيام وكانت حصينة جدا مبنيـــة على جزيرة وسط البحر وهى من الطوب والآجر محاطة بسور من الحديد

يكاد يكون قطعة واحدة وفيها من الغرف كثير منها مرتب ومفروش للنزهة واقامة حاكمها ومن يأتي زائرا من أمراء البلاد وأعيانها ومنها معدود لسجن المغضوب عليهم الذين لا خلاص لهم ولا رجاء بالاطلاق ومنها أيضا معدود لتخبئة المؤن والذخائر والنفائس التي يرغب في اخفائها الملك قيصر لأنها كانت مانعة لا يقدر على دخولها أحد وأبوابها من الحديد إذا قفلت أقفالها صارت قطعة واحدة هي والسور . فلما وصلت عين الحياة ومن أرسل اليها إلى تلك القلعة سلمت إلى الأمير فهد القائم عليها فأخذها بالترحب والاكرام وأعد لها مكانا في أعالي القلعة يكشف على البحر من جهاته الأربع وعين لها من يخدمها وأقامت زوجة سيف الدولة عندها ونظرتا إلى ذاتيهما كاسيرتين محجورتين لا قدرة لهما على الرواح والمجيء وأخذت امرأة سيف الدولة تلوم عين الحياة وقالت لها أما كنت أنت السبب في جلب كل هذه المصائب عليك لأنك لو كنت حكيمة لكنت الآن زوجة لفيروز شاه تلاقي معه الهناء والراحة وتسرين بالتقرب منه والالتصاق اليه . وكنا نحن أيضا براحة لأن زوجي كان اما ان يرجع إلى طاعة قيصر إذ يكون قد عرف حقيقة ان الملك ضاراب لا مطمع له بهذه البلاد ولا يأتي اليها أو أنه يكون سار مع الفرس إلى بلادهم وأقام عندهم واتخذ مقاطعة من مقاطعتهم وترك كل هذه النواحي . انما ألوم نفسي كوني وافقتك على غرضك وما أظهرت أمرك . قالت اني كنت مثلك لا أعرف ضربات المستقبل وما تخبأ لنا في زواياه وليس الآن إلا أن نصبر صبر الكريم فلابد من خلاصنا ذات يوم ولو كنا داخل ألف قلعة مثل هذه القلعة وكان حولنا ألف سد من الحديد مثل هذا السد فان طلابنا لا يتهاملون عنا ولا يهملون امرنا ولا يتقاعدون عن ان ينتشلونا من هذا المكان المحصون وسوف ترين بعينيك ما يكون منا ومنهم واقامتا مع بعضهما تتسليان بالأحاديث وتعللان نفسيهما بالخلاص بأقرب وقت وقد تحضر لهما الطعام

انتهى الجزء العشرون ويليه الجزء الحادي والعشرون

الجزء الحادى والعشرون

من قصة فيروز شاه بن الملك ضاراب

وكل ما تحتاجان اليه دائما والأمير فهد فى خدمة عين الحياة وأكرمها حبا بطاعة الملك واجابة لأوامره وكذلك سيف الدولة والامير فهر فانهما وضعا فى أسفل القلعة ولم يكن أقيم عليهما التحفظ مشددا لأن الامير فهد كان مؤكدا أن القلعة عديمة النوافذ من الاسفل لايمكنهما أن يخرجا ولا يمكن احدا أن يصل اليهما .

فلنبقهما هنا على ماتقدم ونعود إلى الحديث عن الأمير نصر حاكم حلب الذى جاء من الشام ومعه كليلة بنت مسرور بن عتبة وبهمنزار قبا فانه بقى سائرا يقصد انطاكية ليقيم عند الملك هشام صاحبها إلى أن وصل اليها فبعث رسولا يخبره بقدومه عليه فلما بلغ الخبر خرج للقائه مع أعيان مدينته وأمرائه وولده اكراما له لأنه كان يحبه ويرعاه وكانت المودة بينهم قديمة لداعى الحب الذى كان يربطهما كونهما بجوار بعضهما ولما وصل اليه سلم عليه وترحب به وسأله عن سبب حضوره فحكى له كل ما كان من أمره ومن أمر مسرور بن عتبة فى مصر وانكسارهما إلى الشام وأسر بهمنزار قبا وقال له أخيراً وقد عرفنا مؤكدا أن الملك ضاراب سائر إلى بلاد الرومان لمحاربة الملك قيصر وقد جعل طريقه عن دمشق لينقذ بهلوانه منها فلما عرف ذلك سرت أنا به وبينت مسرور لنخفيها فى هذه المدينة ومتى تأكد مسرور وصول الملك ضاراب ترك المدينة وجاء إلى هنا من وجهه إلى أن نرى مايكون منه ومن الملك قيصر فقال له على الرحب والسعة ودخل به وبمن جاء معه من المدينة وأعد قصرا مخصوصا لكليلة وعين لها الطباخين وأقام عند قصرها رجالها وخدمها الذين جاءوا معها من الشام لحراستها فى الطريق وأعد أيضا قصرا فاخرا للأمير نصر وأقاموا على الترحيب والكرامة ووضع بهمنزار فى السجن وأقيم عليه الحرس والخفر لايقدر على الدخول والخروج حتى كاد يقضى عليه من عظم الغيظ وفراق كليلة وتمنى أن يكون أسيرا كل عمره فى الشام ولا سعى الملك ضاراب إلى خلاصه ونجاته منها وكذلك جرى على كليلة فانها حرمت من النظر إلى بهمنزار قبا ولم يعد فى وسعها أن تراه أو تعلم شيئا من أمره غير أنها عرفت أنه وضع فى السجن تحت الحفظ المشدد بأمر الأمير نصر صاحب حلب فكانت تزيد عليها الأكدار وتنمو يوما بعد يوم ولم يكن دأبها إلا البكاء والنوح

والتعداد وهي في قلق واضطراب تطلب من الله أن يفرج همها ويمنع عنها ضربا الفراق الواقعة فيه ويخلص بهمنزار من سجنه ويرفع عنه ثقل الشدائد الواقع فيهات ليسعى في خلاصها من يد أبيها وغيره .

قال ولم تكن كليلة تحسب حساب الزمان ولم يكن قد مر عليها من الحوادث ما مر على سواها ولذلك كانت تفكر أن مدة عذابها وفراقها تنتهي قريبا ولا يبقى غير زواجها بمن أحبته ولم تعلم أن الزمان عمل على عداوتها وسعى قبل أن يذيقها لذة العيشة في أن يريها منصوبا من ملاعبه ويعذبها بمرارة الحوادث المرة وذلك أنه كان للملك هشام صاحب انطاكية ولد اسمه قطاع لم يخلق الله أقبح من أطواره وخصاله زنديق شرير سكير كأنه أحد الأبالسة العظام لا يعرف الحلال من الحرام ولا يراعي جانب أبيه ولا غيره يسفك الدماء على غير طائل فلا يقدر أحد على مقاومته أو مضادته وكل من في المدينة يخافه ويهابه لأنه فرق كل شروره هذه قد جعل نفسه رئيسا للأشقياء فكان كل شرير وشقي في المدينة يأتي اليه فيكرمه ويضمه إلى أصحابه حتى أن أباه كان يخافه فلا يعارضه في كل أعماله خوفا من أن يبطش به وقد تغاضى عن أعماله كل التغاضي فعتا وتجبر وسطا على بنات المدينة ونسائها فلا تحلو واحدة في عينه إلا بعث من جاءه بها بالطيبة أو بالرغم أو بالسرقة فلما عرف هذه المرة بقدوم الأمير ومعه كليلة بنت ملك الشام طمع في أن يراها وخرج مع أبيه على هذه النية وحاول أن ينظرها فلما رآها أعقبته النظرة الف حسرة وهام بحبها هياما عظيما لأنه لم يكن قد رأى في زمانه ولا نظرت عيناه جمالا كجمالها وصبر على مضضه وغرامه إلى أن استقرت في قصرها وتدبر أمر خدمها ورجالها وأقام الأمير قطاع في قصره فدعا ببعض أصحابه وقال له أريد منك أن تذهب إلى أبي وهو في مجلسه وتعرض عليه أمر حبي لهذه الصبية بنت ملك الشام وقل له اني أحببتها حبا زائدا ولذلك أرغب في زواجها حالا على السنن والفرائض الناموسية كونها بنت ملك واني أطلب اليه أن يزفني عليها بوقت قريب إذ لم يعد لي صبر منها وعن التقرب منها فذهب رسوله بحسب أمره ووقف بين يديه وهو في ديوانه وعرض عليه كلام ابنه وقال له واني أخطب منك الآن بنت صديقك ملك الشام فقد فوضني في ذلك وهو يريدها حلالا على حسب ما تقتضيه فروض الزواج فارتاع هشام وتكدر من ابنه لأنه هو نفسه كان قد رآها وأحبها وهام بها وصبر إلى أن يجيء أبوها فيخطبها منه لنفسه وقد حدثته نفسه الخبيثة أن يتزوجها وان كان جاريا عليه ماهو جاريا على ابنه (ولا غرو فالكلب والد الجرو) فلما سمع كلام

وسول ابنه ارتبك فى أمره ولذلك أجابه أن هذا لا يمكن الآن لأن البنت ضيفة عندنا وقد بعثها أبوها ليتنع عنها طمع الفرس وخوفا عليها من أن تقع بأيديهم فى مثل هذا الوقت لا يمكن زواجها وإنما متى جاء أبوها طلبناها له منه وزوجناه بها فليكن مرتاحا وليصبر فلا بد لأبيها من أن يكون هنا بعد أيام قليلة . وكان قصد هشام أن يصبر ابنه ويدبر لأمره طرق زواجها ومتى تزوجت به يمتنع عنها ولا يمد يده إلى زوجة أبيه وظن بنفسه أن هذه الواسطة تنسيه إياها . فرجع الرسول خائبا حتى وصل إلى مولاه وأعرض عليه كلام أبيه فالهب فى داخله نار الغرام فوق ما كانت عليه قبلا وحدثته نفسه أن يسير اليها إلا أنه امتنع لما فكر أنها بنت ملك وأنها ربما لا تطاوعه على طلبه وقال فى نفسه هذا لا يفوتنى فلا بد لى من زواجها على أى وجه كان وأبى قد وعدنى به فالأوفق أن أصبر إلى حين اتيان أبيها فهو قريب يكون عندنا . إلا أنه مامضى عليه يومان حتى جاءه بعض أصحابه وكان من ديوان الملك وهو لا يعلم به فقال له انى سمعت أباك يقول انى لو كنت أعلم أن هذه الصبية ترغب فى الزواج وتريده قبل أن يحضر أبوها لكنت أخذتها لنفسى فغرامى أشد من غرام ابنى بها . فلما سمع قطاع هذا الكلام أرغى وأزبد وقام وقعد وتحركت عليه شروره وقال أيسابقنى عليها هذا الشيخ فلا بد من الانتقام منه . ثم دعا اليه كل اصحابه واوصاهم أن يتسلحوا ويكونوا على أهبة الاستعداد فى الليل لأنه عزم على قتل ابيه . ولما كان الليل تقلد سلاحه وسار إلى قصر ابيه . وكان الحجاب قائمين على ابوابه فلم يعترضه احد لعلمهم انه ابن سيدهم وبقى سائرا إلى ان دخل الغرفة التى ينام بها ابوه فوجده مع امه فى الفراش فصاح به وقال له ويلك ايها الشيخ الشرير اتزاحمنى فى غايتى وتمنع عنى من احببت فاستهدف الآن لوقوع الموت فلا رجوع عن قتلك الساعة فقد كفانى الصبر عنك كل هذا الزمان ولم يعد فى وسعى ان اترك الملك فى يدك وكنت لا اريد ان ابتدىء بالشر معك حتى بدئت به انت ثم اشهر السيف وهجم لجهته فصاحت والدته ورمت بنفسها عليه تستعطف بخاطره وظنت ان بعملها هذا ترجعه عن غايته وتمنعه من قتل ابيه وتسكن من غضبه فزاده غيظا فوق غيظ ورفع السيف فضربها به على ام رأسها شقه إلى نصفين وتقدم من ابيه وهو فى ارغاد وارباد وضربه بالسيف فقتله . وبعد ان شاهد اباه وأمه مائتين الى الأرض تركهما وخرج وكان رفقاؤه فى الاسواق وعند باب القصر ينتظرونه فامرهم ان يقتلوا الحجاب ففعلوا بعد ان اشتبك بينه وبينهم قتال شديد ثم سار بهم الى بيوت امراء المدينة الذين كان يعلم انهم من احزاب ابيه واصدقائه فدخل

عليهم وقتلهم إلا من اطاعه منهم وقبل يديه ووعده بأن يكون من خدامه وما طلع النهار حتى لطخ المدينة بدماء كثير من الابرياء وفعل الافعال القبيحة والاعمال الرديئة وعند بزوغ شمس النهار ذهب إلى دار الاحكام محفوفا باصحابه وأحزابه حتى دخل اليها دون معارض ومانع فدخل الديوان وجلس على كرسى أبيه ولبس التاج على راسه وأمر أن ينادى فى المدينة باسمه وأن يأتى أهلها أفواجا إلى تقبيل يده وطاعته ومن عصى يكون جزاؤه العذاب فجعل ينادى بما أمر فاقبلت الناس أفواجا على داره فيدخلون اليه ويقبلون يديه ويدعون له بالنصر على غير رضى منهم وهم متيقنون أن أن المدينة ستصبح فى حالة فوضى عرضة لغاياته وانفاذ مآرب اصحابه الاشقياء وبعد أن يخرجوا من امامه يدعون إلى الله أن ينتقم منه ولا يطيل بعمره لتطمئن الرعية قال ولم تمض إلا أيام ثلاثة حتى أصبح كل من فى المدينة طائعا له مرغوما إلى إنفاذ أوامره . وبعد أن راقت له الحال ولم ير فى سبيل أمله مانع اعتز بنفسه وبسلطانه وقال لا ريب أن كليلة الآن تشتاق أن تكون زوجة لى وترغب فى كل الرغبة لأنها تكون ملكة انطاكية وسيدتها ولذلك دعا بشيخ من شيوخ ديوانه وقال له سر إلى كليلة بنت ملك دمشق واطلبها من نفسها لى واخبرها بحبى لها وانى لا ارجع عنها . فسار الرسول اليها وعرض عليها طلب مولاه وطلب منها ان تقبله زوجا لها لأنه أصبح المالك على كل انطاكية ونواحيها . وكانت قد عرفت بكل عمله وما فعل بأبيه وأمه فاغضبها هذا الكلام وقالت للرسول سر إليه واخبره انه لا يطمع نفسه فى ولا يقدر على أن يغتصبنى أو يتمكن منى فانى أقتل نفسى قبل ان يصل إلى فالموت أحب إلى من التقرب منه وفضلا عن انى اكرهه ولا ارضاه فانى أيضا مستقبحة عمله فكيف أقبل زوجا لى رجلا قد قتل أباه وامه فهو دون شك لا يخاف الله ولا يراعى حرية الانسانية وما هو إلا وحش ضارى وها انا منذ هذه الساعة مستعدة لأن اقتل نفسى إذا عرفت بقدومه منى او اغتصابه اياى . فلما سمع الرسول كلامها ورأى اصرارها على الامتناع رجع إلى الأمير قطاع وأعاد عليه كلامها وماسمع منها فغضب منها مزيد الغضب وعول على اجبارها على تنفيذ مآربه وانها ان لم تقبل باللين تقبل بالرغم عنها فيغتصبها وينال إرادته منها . وكان فى ديوانه رجل من جماعته خبيث محتال طماع وهو من اخصائه الذين اعتادوا على القبائح معه . فلما رأى حالته فكر فى الطرق التى تكسبه المال منه ولم يرد ان يضيع مثل هذه الفرصة . فقال له لا تغضب ياسيدى فانى اقضى لك ما انت طالبه بل يجب ان تستعمل الوسائط المقنعة لمن هى مثل كليلة

وأنت تعلم ان النساء لا يملن إلى التعرض بأنفسهن لمثل هذه الأمور إلا لثلاثة حاجات الأولى طمعا بالمال والجواهر لأن كثيرات منهن يرغبن في الزين والتزخرف والتبرهج فيبعن أعراضهن رجاء بالحصول عليها ويسلمن بأنفسهن لمن يجود بها لهن والثانية عن هوى وعشق وغرام فيبذلن الغالي والعزيز لديهن لقضاء مآربهن وتطلبات قلوبهن ممن يهوينه ويعشقنه وهن بخلاف الأوائل . والثالثة من النكاية والكيد لمن يروم في حجرهن أو للازواج الذين يلهون عنهن بغيرهن . فكليلة الآن لا يمكن أن تقبل الان بك إلا بالمال والجواهر لأنها لم تكن مغرمة قط ولا ما يدفعها أن تسلم نفسها اليك لتتخلص من غيرك لاسيما وقد سمعت أنها تذكر دائما بمنزار فنا وهو الرجل الايراني المسجون عندنا فاحضر إلى من العقود النفيسة والخواتم الألماسية والجواهر الغالية ما يمكن أن ينسيها محبة غيرك وترى من نفسها أنها إذا لبست مثل هذه الجواهر تزيد حسنا وجمالا وأنا أزيد لها عنك وعن أوصافك واخبرها بحلمك ورقة معانيك وأنك راغب فيها عن هوى وغرام واشرح لها عن اتســـاع ملكك وقوة جانبك وأني أكفل لك رضاها وقبولها . فلما سمع كلامه رآه صوابا فانقاد اليه واسرع في احضار الجواهر المطلوبة فأتى منها بشيء كثير يصعب وصفه ودفعه للرجل المحتال وقال له خذ هذا طلبك وإذا أتيتني منها بالوعد الصادق اغنيتك من العطـاء وافرغت عليك الانعام والأموال الغزيرة فوعده بكل جميل وأخذ الجواهر منه وهو يقول في نفسه لا ردها الله عليك ولا جمعك بها فانك قبيح خبيث وبقي سائرا إلى أن دخل على كليلة فوجدها في حالة بكاء ونواح فتقدم منها وسلم عليها وعرض اليها الجواهر وقال لها أني بعثت من عند سيدي قطاع لأدفعها اليك واسألك قبولها منك فهو مغرم بك ولا يريد الآك وإن كان في وسعه أن يحصل عليك بالرغم إلا أن حبه لا يسلم معه بذلك ولهذا أرسلني ثانية على رجاء أن تقبلي منه حبه وأن تقابليه بالمثل وتكونين له زوجة ويكون لك بعلا وقد قال لي أن أقول لك أنه يضع ملكه وخزائنه بين أقدامك وتحت أمرك ويجعلك المالكة على كل البـــلاد وكل شيء أمرت به فعله لك وأطاعك عليه . قالت أني لا أرغب فيه ولا اشتاق إلى ملكه ولا أريده مطلقا لاسيما وهو لا يعرف الله ولا يرعى جانبه وقد قتل أباه وأمه ويروم أن يغتصبني فلا بد لي من أن أدعو الله ينتقم منه فهو السميع المجيب وبعد أن حاول ذلك الرجل تكرارا ارضاءها دون الحصول على جدوى أو نتيجة عاد من عندها وهو يقول لها اني سأقول له أنك قبلت وأن يهتم بامر العرس وبعد عشرة أيام يكون يوم الزواج وهي تمنعه من ذلك وتظهر له أنها تقتل نفسها إذا حاول الحصول عليها بأي طريقة كانت ثم أن

الرجل أخذ الجواهر إلى بيته فدفعها إلى زوجته وقال لها هيئ نفسك إلى الغد فانى مزمع على السفر ولم يعد لنا من ثم إقامة فى هذه المدينة وبعد ذلك رجع إلى أن وصل إلى ديوان قطاع فوجده بانتظاره وكان الوقت إذ ذاك آخر النهار فأظهر عند وصوله فرحا واستبشارا وقال له هنيئا لك ياسيدى فانى لا زلت عليها حتى قنعت وأخذت منى الجواهر فرحة بها ووعدتنى بعد عشرة أيام يكون الزفاف وتستعد للقائك وقبولك عندها وقد سرها كرمك وجودك وأنك تقدر أن ترفع شأنها وتكفيها مؤنة الذين يرغبون فيها فلما سمع الأمير قطاع هذا الكلام كاد يطير من الفرح والسرور وفى الحال أمر أن يدفع اليه المال الكثير بلا عد ولاحساب فقبض الذهب الذى أمر له به وخرج من عنده مستبشرا بالغنى العظيم والسعادة القصوى وقال فى نفسه لاعمر الله لك بيتا لا أنت ولا هى فلم يعد لى الآن إقامة فى هذه البلاد وقد صار عندى من المال ما يكفينى لألوف من السنين ولما وصل إلى زوجته وجدها قد هيئت نفسها وأحضرت كل ما يحتاج اليه وما هو عزيز عندها ورزمته رزما ولما كان صباح اليوم الثانى جاء الرجل بالبغال فحملها وحمل زوجته وأولاده ومعه الأموال والجواهر وخرج من المدينة دون أن يعلم به أحد أو يطلع على أمره الأمير قطاع

وأقام الأمير قطاع مسرورا مستبشرا بنوال غايته بوصال كليلة وهو يرجو أن تنقضى هذه الأيام القليلة التى كان يراها أطول من شهر الصوم وأخذ فى أن يعد المعدات ويهيء اللوازم ويرتب كل شىء يحتاج اليه فى عرسه وقد أعد قصرا فاخرا وزينه بالأثاث الفاخرة والنقوش الذهبية وحسنه من كل أنواع الزخارف حتى أصبح كالفردوس كل ذلك فرحا بعروسه التى كانت لا تعلم شيئا من هذا وقد ظنت من نفسها أنه رجع من تلقاء نفسه وانتهى عنها بغيرها وكان الامير قطاع فى هذه المدينة افتقد الرجل صديقه من ديوانه فلم يره فسأل عنه فقالوا له اننا منذ أيام ما رأيناه فقال لاريب أنه أخذ الدراهم ففرح بها وانعكف على المعاصى ولعب القمار يصرفها فيها لندعه فى حظه وكان يعلم كل أطواره وقبائحه منذ كان رفيقه فى الشرور والقبائح فلم يعبأ بأمره ولا ظن أنه يغشه لانه كان صديقا له صدوقا منذ الصغر وبقى على استعداده إلى ان كان اليوم المعين فدعا بأرباب ديوانه وأصحابه وأمراء المدينة الذين أطاعوه ووزير أبيه هياش وعمل لهم وليمة فاخرة وكذلك الامير نصر صاحب حلب وقد علم بزواج قطاع بكليلة فقال فى نفسه هو خير لها من هذا الابراني الذى تطمع نفسها به فلم يقبل أن يبدى كلمة وقال لاريب ان أباها يسره ذلك فلا مانع فيه فمثل هـــذا النصيب لا يفات ولا يترك وكان يوما عظيما عزفت فيه الموسيقات

الملكية ورفعت به الأسهام النارية واجتمعت كل المدينة الفرجة على ذلك الزفاف إلى ان
كان المساء ولم يكن عند كليلة خبر من كل هذا . ولما حان الوقت بعث الأمير قطاع
اليها بالخبر ان تتهيأ بحسب وعدها وانه بعد ساعتين يأتى إلى قصرها مصحوبا برجال
مملكته لنقلها إلى القصر الجديد الذى أعد لها وان الموسيقات وكل آلات الطرب تسير
أمامها إلى هذه الغاية . فلما سمعت بهذا الخبر كاد يطير الشرار من عينيها واضطربت
مزيد اضطراب وغاب عنها صوابها واحتارت ماذا تفعل ولما أعياها الأمر وثبت عندها
أنه لا يرجع عنها إلا بقضاء حاجته جمعت اليها الرجال الذين جاءوا معها من بلادها
وقالت لهم إن الأمير قطاع مراده ان يجبرنى على زواجه مع انى اكرهه ولا ارغب
فيه فاريد منكم ان تقيموا على قصرى فمتى جاء تمانعوا وتدافعوا وترجعوه إما بالحسنى
واما بالقتال ولا تبيعونى رخيصة فى سبيل مآرب هذا الفاسق فقالوا لها إننا لا نسلم بك
ونحن احياء وكيف نعرضك الى الفضيحة وانت بنت ملكنا ومحبوبة منا وقد بعثنا ابوك
لخدمتك والمحافظة عليك . قالت بارك الله فيكم فانتم ركنى وعونى . ومن ثم لزموا باب
قصرها فلم يفارقوه وقد هيئوا بانفسهم واستعدوا للقتال اذا اقتضت الحال ولزم الأمر
قال ولم يكن الا القليل حتى اشرقت تلك النواحى بمشاعل الأنين وارتفعت اصوات
المغنين واللاعبين والموسيقات تتقدم الجميع وفيما بينهم الأمير قطاع كانه النمر الجارح
وفى كل نيته انه سيلتقى بكليلة وينال وصالها وتكون زوجته ولم يعلم قط بامتناعها الى
ان قرب من قصرها وطلب جماعته الدخول فمنعهم رجالها وقالوا ان سيدتنا امرتنا ان
لا ندع احدا يدخل عليها لانها لا ترغب فى الزواج ولم تعين له وقتا فعاد المتقدمون
الى العريس واخبروه . فقال لهم لا بد من الدخول رضيت اولم ترض فاقتلوا اصحابها
وادخلوا بالرغم عنهم ومتى وصلنا اليها جعلناها ان تقبل بالغصب عن ارادتها .

قال ولما سمع جماعته ذلك تقدموا الى الباب وارادوا الدخول عنوة فانتشب
القتال بين بعضهم البعض وارتفع الصياح وقامت الغوغاء ورأت كليلة ما كان فعلمت
ان لا مناص لها من يد الامير قطاع ولا رحمة بقلبه ليشفق عليها ويتركها ويرجع
عنها وتأكد عندها ايضا ان جماعتها لا يلبثون ان يتفرقوا لانهم قليلوا العدد وجماعة
المدينة كثيرون ولذلك جاءت الى النافذة التى فى ظهر القصر فربطت نفسها بقماش
وتدلت حتى وصلت الارض سالمة وقد تاملت النجاح فسعت راكضة تطلب
مختفى فيه ولا زالت الى ان بعدت عن القصر ولم يعلم احد بها ولا اطلع على خبرها
وبقيت سائرة من مكان الى مكان حتى جاءت اطراف المدينة فوصلت الى بيت منفرد

عليه دلائل الفقر والضنك فدخلته وهى تلهث من التعب والخوف ولما صارت داخله نظرت إلى امرأة عجوز منفردة فى ذلك البيت وليس فيه غيرها فدنت منها ورمت نفسها على أقدامها تقبلها وهى تذرف دموعا سخية من فؤاد مجروح مقروح فاندهشت العجوز من وجودها وتعجبت من جمالها وما عليها من الجواهر فترحبت بها وطمنتها على نفسها وقالت لها ماذا ترغبين ياسيدتى . قالت أعندك فى هذا البيت غيرك ذكر أو أنثى . قالت ليس سواى فماذا تريدين . قالت أريد أن أبقى عندك عدة أيام مختبئة ولا أريد أن يطلع أحد على أمرى ولك منى ماتطلبين . ثم خلعت من عنقها عقدا من الجواهر فدفعته لها وقالت خذى هذا يا أمى سلفا منى وهو يسارى ثمانمائة ذهب فيغنيك عما تحتاجين اليه فى نفقتى وإنى أزيدك بعد فوقه أضعاف ولا أرغب عندك بكرامة أو تكليف وجل ما أرغبه أن تكتمى أمرى ولا تطلعى أحدا بوجودى عندك لأنى غريبة وقصتى سوف تطلعين عليها بعد أن أقدر أن أملك نفسى سأهبك من المال مايجعلك غنية مثرية . فلما رأت العجوز العقد فرحت به مزيد الفرح وسرت غاية السرور وكادت تطير وهى لاتصدق كل ماتراه وتسمعه وقربت منها وأعطتها لتأكل ووعدتها بكل جميل وأن لاتدع أحدا يعرف بأمرها فاطمأن بال كليلة وارتاح ضميرها وسألت الله الفرج وبقيت عند العجوز إلى نحو نصف الليل فمدت لها فراشا ودعتها لتنام فنزلت الفراش وتمددت فيه إلا أنها لم تنم قط من عظم الهاجس الذى لا يزال يزورها ويتردد فى ضميرها وبقيت أكثر من ساعة تتلاعب بها الأفكار والهواجس وبينما هى على مثل ذلك سمعت الباب يدق فارتعش فؤادها واضطربت وهى لا تعلم من الطارق وسمعت تلك الأمرأة المسنة قد نهضت ففتحت الباب وأدخلت شابا فى سن الثلاثين سنة وبعد دخوله أقفلته وسمعتها تقول له لقد أبطأت ياولدى فشتمها ولعنها وقال لها كم من مرة قلت لك لا تقولى لى مثل هذا الكلام مع أنك تعلمين أنى لا آتى قبل الساعة السابعة فهل تريدين أيتها الكهينة أن آتى من أول الليل وأقيم معك فى هذا البيت كالحبيس لا أرى غير وجهك المشئوم فأترك أصحابى وأحبابى وقد كان لنا هذا اليوم وهذه الليلة سرورا عظيما وقد شربت من الخمر ما جعلنى أثمل من البسط والانشراح فاقصرى عن لومك وإلا قصرت عمرك فلما سمعت أمه كلامه لم تعد تبدى خطابا بل دخل البيت وطلب اليها أن تقدم له الطعام ليأكل ففعلت وبعد أن أكل واكتفى نظر إلى كليلة وهى فى الفراش فتحير منها وتعجب من أمرها وسأل أمه عنها فحكت له أمرها وقالت له اعلم يا ولدى أنها دفعت لنا هذا العقد وهو ثمين جدا ولذلك عولت على أن أخفيها عندى فاصير مثرية

من إنعامها لأنه يظهر لى أنها بنت أمير أو وزير . فلما رأى العقد كاد يطير شعاعا وفرح مزيد الفرح وحدثته نفسه بان يأخذه فى الغدو يبيعه ويصرف ثمنه فى سبيل سكره وفواحشه وكانت كليلة قد جفل قلبها منه لما رأته ورأت فى وجهه علائم الشرو الرداءة وعرفت أن العجوز غشتها فقالت لها أن لا أحد عندى وندمت كل الندم على حضورها إلى ذلك البيت إلا أنها لما كان ليس فى وسعها الخروج منه صبرت على حالها وسلمت أمرها لله بان يخلصها من شر المصائب الواقعة فيها . ثم ان العجوز وابنها ناما إلى بعضهما البعض وقد شغل بالعقد عنها ولم يكن فكره يحدثه إلا بالاستيلاء عليه وجعل يفكر فيما يفعل فى الغد وإلى أى حانة يذهب ومن يرافق وإلى أى فحشاء يوجه بفكره وعمله .

وأما كليلة فلم يأخذها النوم قط ولاهدأ بالها بل صرفت كل تلك الليلة قلقة متناومة وقلبها وعقلها مستيقظان إلى أن أشرق وجه الصباح ولاحت شمسه فنهض كل من فراشه وتأمل ابن العجوز فى محاسن كليلة جيدا فغاب صوابه وهام بها ولام نفسه كيف أنه لم يرذلك من الليل ولم ينتبه اليه الا انه قال لأمه احتفظى عليها وادفعى لى العقد لأبيعه وآتيك بالثمن لنصرفه فى ضيافة ضيفتنا الجديدة فقامت ودفعته اليه وقالت له احرص أن تذكرها لأحد فهى لا تريد ذلك وقد وعدتها فشتمها وخرج وهو يقول فى نفسه قتل الله من جاءك بدرهم من ثمن هذا العقد فلأحياك الله ثم اتجه إلى جهة الأسواق. وبعد ذهابه تقدمت كليلة من صاحبة البيت وقالت لها لما غششتنى ياسيدتى ألم تقولى لى أن لا رجل ولا امرأة عندك . قالت أن لا أحد عندى وهذا ابنى فقط وهو يغيب من الصباح إلى آخر الليل ولا يأتى إلا فيما ندر لأن أكثر الليالى يصرفها فى لهواته وشروره وأنا انصحه فلا يسمع لى يجاوبنى بالسب والشتم والضرب كانى عدوته قالت إنى اخاف من ان يطلع احد على امرى فيلقينى بوهدة الخطر والعذاب لأن امرى خطير مهم . قالت لا تخافى فهو يلتهى الآن بالسكر ولا يهمه امرك ولا يفكر فيك إذ لم يساله احد عنك على انى اوصيته ان لا يذكرك لأحد . فسكتت وقلبها لا يزال يحدثها بان الشر سيأتى على يده واخذت تفكر فماذا تفعل وقد خطر لها ان تصبر الى الليل فتذهب من البيت وتختفى فى غير مكان اوانها تذهب من المدينة مسلمة امرها لله الى ان تسمع بمجيء الفرس لأنهم لا بد من ان يثأروا بهمزارقيا ليخلصوه أينما كان .

قال فهذا ما كان من بعض امرها واما ما كان من الامير قطاع فانه بقى فى مع رجال كليلة كما تقدم معنا الكلام حتى تغلب عليهم وفرقهم عن القصر ودخل

وهو يهدر كالجمال وقد فاز غضبه وامتلأ قلبه من الغيظ وما صدق ان يصل اليها ليجازيها على فعلها بالاغتصاب والقهر . فلما صار فى القصر جعل يطوف ويسأل عنها فلا أحد يقدر أن يفيده عنها شيئا إلى أن دنا أخيرا من الغرفة التى كانت فيها ونظر إلى النافذة فوجد قماشا مربوطا بها ومدلى إلى الأسفل فعلم أنها هربت من هناك فزادغضبه وكدرته أعمالها كيف أنها تتحمل المصاعب والاخطار لتتخلص منه وتبعد عنه وتلقى بنفسها فى أيدى الغير وعندذلك رجع إلى قصره مأيوسا وأمر رجاله أن تتفرق فى المدينة للتفتيش عليها والسؤال عن رآها وأقام هو كل تلك الليلة فى هم ونكد وتفرق أيضا المدعوين إلى العرس وهم يضحكون من أمره ومن أمله بمن لا تقبله وقد عرفوا كلهم أنها لم تعده قط بزواجه منها . وفى الصباح حضر إلى مجلسه وعاد اليه رجاله وأخبروه أنهم لم يقفوا لها على خبر فنمت به الاكدار وكاد ينشق من الغيظ وخطر على باله الرجل الذى كان قد بعثه لمراضاتها ومعه الجواهر والحلى فلم يقف له على خبر وأخبر أنه سار بزوجته من المدينة ولم يره أحد منذ بضعة أيام فتأكد عنده غشه له وأنه أخذ الاموال والجواهر وسافر إلى غير بلد فزاده هذا الامر غضبا على غضب وتمنى أن يكون واصلا اليه لينتقم منه ثم دعا بالمنادين وأمرهم أن ينادوا فى المدينة أن كل من رأى كليلة أو جاء بخبرها دفع اليه عشرة آلاف دينار وخيره بكل ما يطلبه فأخذ المنادون ينادون فى الاسواق والشوارع عن ذلك وبينما كان أحدهم ينادى بهذه المناداة صادف مرور ابن العجوز التى عندها كليلة فسمعه وانعطف اليه وحدثته نفسه أن الصبية التى عند أمه هى المطلوبة وإلا لما كانت أوصته أن لا يخبر أحدا بها ولما ترجح عنده هذا الظن طمع بالمال وبكثرته فدنا من المنادى وقال له خذنى إلى الامير قطاع لاصف له هذه الصبية فان كانت صاحبته أتيته بها وقبضت منه المال . فلما سمع المنادى كلامه أخذه إلى ديوان الامير قطاع فسأله عنها فحكى له كل ما رأى عند والدته وأنه فى الصـــباح اخذ منها عقدا من الجواهر ثمينا وباعه فى سوق الجواهر بثمانين الف قرش ووصف له الصبية بملابسها وبهاها وجمالها وانها اوصته الا يظهر امرها لاحد . فلما سمع قطاع هذا الكلام تأكد عنده ان هذه هى كليلة بعينها وقد اختفت عند امه فلما ثبت عنده ذلك قال لابن العجوز خذ جماعة من اصحابى وائتى بها فانى اعطيك فوق ما وعدت . قال جزاك الله خيرا يا سيدى فانى لا ازال اتذكر التفاتك الى منذ كنت ارافقك قبل ان صرت ملكا وطالما دفعت عنى ثمن الخمر ورددت طلب اصحاب الحانات وانى اعرف انك تعطينى كل ما أطلبه فان مرادى افتح حانة للخمر فلا اعود أرى وجه امى

المشروم القبيح لأنها دائما تعنفنى عن شرب المسكرات ومرافقة اصحابى فقال له كن مطمئنا فسوف يكون لك كل ما تطلبه ففرح وأخذ جماعة الأمير قطاع وسار بهم إلى أن وصل إلى بيته فاقتلع الباب ودخل دون أن يطرقه واندفع من خلفه الجماعة إلى أن رأوا كايلة وكانت لا تزال على الحالة التى تقدم ذكرها وعقلها يتردد بقباحة عاجل وهو ابن العجوز وقلبها يؤكد لها أن الشر سيكون عن يده إلى أن دخل عليها الرجال فمسكوها بغتة وقالوا لها ان سيدنا يدعوك اليه . فبكت وناحت وتأكد عندها وقوعها فى يده ودعت الله إلى خلاصها وأرادت أن تتخلص منهم فلم تقدر وجعلت العجوز تشتم لدها وتسبه فلطمها على وجهها ألقاها إلى الأرض وقال للرجال خذوا كايلة بالرغم عنها ألم تسمعوا قول سيدكم فقبضوا عليها وساروا بها وهى غائبة عن الصواب إلى أن أدخلوها على الأمير قطاع فرآها وعرف أنها هى بنفسها . فطار من الفرح وزال ما بقلبه من الهم والترح وقال لها بتلطف لما فررت من قصرك وهربت منى بعد أن وعدت رسولى بقبولك لى زوجا حلالا قالت انى لم أقدر على هذا القول ولا قبلت قط وهل يخطر ببالك انى أوافق على زواجى وأبى غائب عنى وأنا غريبة فلو كنت ممن يعقل لصبرت إلى حين مجيء أبى فان أمرى بيده وليس بيدى ولا يمكن الآن أن تنتهى غايتك منى ولو فعلت ما فعلت قال ان أمرك الآن ليس بيدك ولا بيد أبيك بل هو بيدى وقد عولت على أن أتزوج بك بالرغم عنك . قالت انك لا تقدر أن تغصبنى أو تغتصبنى قبل أن ترانى قتيلة وما زلت قادرة على التحرك لا أطيعك قط على أمر وانى أرى من الآن نفسى سائرة إلى الموت ولا تفتكر انى كمن لاقيت من النساء والبنات اللواتى يطعنك اما تخلصا من شرك أو طمعا بمالك فانى أراك فى أعينى قبيحا ذريا تفعل غير ما يرضى الله والناس فارتجف من كلامها وقال لها ان اكرامى لك أوصلك إلى هذه الدرجة حتى تشامخت وتكبرت وانى الآن أذلك فتقبلين رغما عنك متى رأيت نفسك مسجونة محجورة متروكة من كل الناس ثم أمر أن توضع فى غرفة فى مكان قذر وان يقام عليها الخفر وان لا يكلمها أحد مطلقا ويقدم لها الطعام فى كل يوم مرة ويكون من الخبز الجاف فقط واوصى الحرس ان يسيئوا معاملتها وان يذلوها كل الاذلال واوصاهم كل الوصية ان لا يمسوا جسدها بسوء ولا يفعلوا غير ما يقهر نفسها وامرهم انهم متى رأوا منها انها قد لانت وقبلت بزواجه جاءوا بها اليه واعطوها كل ما من شأنه أن يريحها ففعلوا ما امرهم . وضعوها فى غرفة صغيرة قذرة لا فراش فيها سوى قطع من القماش الخشن واقفلوا عليها الباب فكانت لا ترى احدا ولا تسمع احدا سوى الشرطة القائمين على حراستها عندما

يأتونها بالخبز والماء ويسألونها إذا كانت قد قبلت ولانت ورجعت عن عنادها فتقول لهم انى لا أزال على عزمى وانى ارى هذه الحالة احب إلى كثيرا من ان اكون زوجة لرجل شرير كسيدكم وكانت ثابتة العزم والرأى لا ترجع عن قول قالته لا سيما وهى تعرف من نفسها انها وعدت بهمزار قباحبيبها بالخلاص وترى من ذاتها انها مضطرة ان تحفظ حالها له وان تتحمل العذاب لأجله وتفكر ايضا بأسره فيهون عليها امرها وما هى عليه . وكان املها قويا بالخلاص من هذا العذاب الجهنمى ومن معاملة الامير قطاع لها لانها كانت تفكر باتيان ابيها من دمشق او باتيان الملك ضاراب لخلاص بهمزار قبا فتنجو معه ولا يمكن ان يقبها إذا تسهل له الخلاص ويتقاعدعنها وبقيت على هذه الحالة اياما وقطاع يسأل عنها فيقال له انها باقية على قولها فيشغل بغيرها لأنه كما تقدم كان كثير الفسق والفساد إلى ان كان ذات يوم سأل الخمر عنها فاجابه بصلابة رأيها فتعجب وقال انى لا أرى هذا العناد فى محله وليس واقع بلا سبب ولا شك انها تحب هذا الأسير الايرانى الذى عندنا وتعلق الأمل بزواجه عند خلاصه ولذلك فكرت بقتله بحيث يقطع املها فلما سمع رجال ديوانه كلامه خالفوه جميعهم وقال له وزير ابيه هياش انك ان فعلت ذلك ارتكبت خطأ مبينا لأن الفرس على ما نسمع الآن انهم قريبون جدا من الشام ومتى وصلوا اليها لابدأن يفتحوها ومتى سألوا عن بهلوانهم فلابد ان يقال لهم انه عندنا فيسيرون الينا ونحن لا قدرة لنا على مقاومتهم مع ان الوليد وقوة سلطانه وعظمة شأنه وكثرة جنوده وقد اجتمع اليه كثيرون من الملوك والأمراء برجالهم واجنادهم فتبددوا وهلك كثير منهم مع رجال قيصر وبهلوانه فاذا جاء الملك ضاراب إلى بلادنا خرجنا اليه وعرضنا عليه حالنا وقلنا له ان لا ذنب علينا وان مسرور بن عتبة بعثه الينا فيأخذه ويسير فى طريقه ولا يتعرض لنا ولا نتعرض له ونمنع الشر عن بلادنا وليس من عداوة بيننا وبين الفرس . ووافق كل رجال الديوان على كلامه وراوه صوابا فتكدر هو منه ولما لم ير نفسه قادر على انفاذ مآربه احتدم به الغيظ واراد ان يقهر الوزير لأنه كان على زمن ابيه فأمر ان يسجن فى الحال مع بهمزار قبا وان يعامل بالاهانة والاحتقار . وبعد ان اخذ إلى السجن قال إلى الباقين انى ما فعلت معه ذلك إلا خوفا من انه إذا جاء الملك ضاراب يستعين به على ويخبره بأمرى وانى قتلت ابى فيجلب لى الويل والعذاب وينزع الملك منى ويجردكم من خططكم لعلمه انكم من اخصائى ولذلك قصدت منعه من عمله وقيامه فى السجن إلى حين يعود الفرس من بلادنا وانى اراكم قد أصبتم فى عملكم وقولكم فانى متى جاء الفرس دفعت اليهم

الاسير قيسيرون وتبقى كلية فى يدى فهى لا تفوتنى وبعد هذا أقام على المعاصى وهو لا يفتر عنها ليلة واحدة كانه لم يكن ملكا .

هذا ولابد للقارىء من أن يكون مشغل الفكر لجهة تركنا الملك ضاراب وولده فيروزشاه ورجال مملكته وفرسانه الذين خرجوا من مصر يقصدون الشام فانهم ساروا على الترتيب الذى تقدم معنا ذكره مرارا إلى أن وصلوا إلى قرب دمشق فجفلت بين أيديهم الوحوش من تلك البرارى والجبال وفرت الأهالى من القرى والضياع إلى المدينة خوفا من السبي والنهب وهم لا يعلمون بحلم الملك ضاراب وعدم رغبته بالتعدى على أحد وبلغ الخبر مسرور بن عتبة بقدومه فجمع اليه رجاله وقال لهم هوذا الفرس قد جاءوا بلادنا وإنى أعلم أن لا طاقة لنا على دفاعهم إنما أخاف إذا سلمناهم يغضب علينا الملك قيصر ويجازينا بالهلاك المبين وينزع البلاد منا ويسلمها إلى سوانا ولذلك عزمت على أن أدافع يوما واحدا فمتى رأيت الغلبة سلمت المدينة وهربت إلى أنطاكية وأبقيتها لهم فمتى دخلوها ولم يروا فيها أسيرهم ساروا عنها إما إلى جهة انطاكية وإما إلى جهة القيصر فان ساروا إلى انطاكية أخذت الأسير وبقى ومن يكون قد نبغى منكم إلى حلب ومنها إلى بلاد الرومان إلى حين ينتهى القتال بين الفرس والرومان فماذا تشيرون قالوا اننا نرى كلامك صوابا فاعمل على الدفاع يوما واحدا لأن المدينة ليست بحصينة ولا تقدر على أن تلقى هجمات الفرس أكثر من نهار وفى آخره نسلم الأبواب الاخر ونخرج منها ونبقى المدينة فى يد الفرس الى حين يخرجون منها فنعود اليها .

وبعد أن اتفقوا على هذا الامر أقاموا الجند عند الابواب متهيئة للطعن والضراب حاملة الاسنة والحراب تنتظر قدوم الملك ضاراب حتى أقبل على المدينة بجيوشه الجرارة وانتشرت فى تلك الجهات انتشار الكواكب فى السماء وهى مسرورة بما شاهدته فيها من الرياض الأنيقة الواسعة وما ينبعث عنها من الروائح الذكية العطرية وأنهرها تتدفق عذبة وتنساب جداولها فى رياضها وحياضها حتى أنعشت فؤاد كل رجل منهم وسر الملك ضاراب بما شاهد ورأى وقال لوزيره طيطلوس انى أرى هنا الجنة الفيحاء فما سكان هذه البلاد ممن يموتون قال نعم إن هذه البلاد هى أفضـــل البلاد وأثمارها أشهاها وأزهارها أزكاها ورجالها افضلها وأرقها ونساؤها اجملها والطفها وقد لقبها كثيرون بجنة الارض وفردوسه وسكانها يقيمون دائما على الحظ والانشراح لأنها روضة أنسهم ودوحة افكارهم فلا يقدرون على البعد منها ولسكانها فيها اوصاف عديدة والغائب عنها يردد فى فكره دائما .

هـذا الحى ابن الرفيق المنجد قد يمم الخيف الفريق المنجد
بانوا فلا دارى بخلق بعدهم دارى ولا عيشى لديها أرغد
وعلى الأكلة فتية لعبت بهم راح السرى والعيش فيهم تسجد
يتهافتـــون على الرجال كأنهم قضب على كثب النقا تتأود
واها على وادى النقـــا والملتقى لو لملتقى تجدى وآهى تسعد
كانت عروس الدهر ايام لنـا فيه ثلاث ليتهـــا لى عود
عهدى به مغنى الهوى تستامه عين مسهدة وقلب مكمد
ما باله بعد الثلاثة اقفرت منه معالمه واقوى المعهد
جسمى باكناف الشآم مخيم وهواى بالركب اليمانى مصعد
تالله هاتيك الليالى اسأرت فى مهجتى نارا تقوم وتقعد
وكان مرمى كل موقع جمرة فى القلب والاحشاء منى موقد
لله ايام بجرعاء الحى والدهر مصقول الحواشى املد
ايام ظل الدهر غـــير مقلص عنى وعيشى طاب فيه المورد
فى حيث ريحان الشبيبة باسق والخيف مغنى للحسان وموعد
إذ منتداه مراد كل خريدة يصغوا اليها الخاشعون العبد
مالى إذا برق تالق بالحى اودى بمهجتى المقيم المقعد
وإذا نسيم الروض هب تبادرت وفق الصبـــابة ادمع تتردد
ومتى ظفرت من الزمان بنـاصر اخذت تفنده على الحسد

وهى فوق ماتوصف ألم تر

كأنما شجرات الدوح خجل تبدوا فيبلغ اقصى الحسن مبلغها
ارواح در تبيت المزن فى بشر من الزمرد بالانواء تفرغها
ماجت بمدرجة الانفاس واطردت كأنما حولهـــا ايد تدغدغها

وإذا أرسلت الشمس شعاعها اليها البستها من البهاء حلة تبتهج بها الانظار وتشتغل فيها الافكار كما قال فيها .

كأن شعاع الشمس فى كل غدوة على ورق الاشجار اول طالع
دنانير فى كف الأشل يضمها لقبض تهوب من فروج الأصابع

وعليها اغصان تلاعب بالميلان فتجتمع وتفترق كأنها تتهيء للفراق وكلها قائمة فى عروشها تتلفت إلى الامام والوراء .

كأنما الاغصان لما انثنت امام البدر التم فى غيهبة

بنت مليك خلف شباكها تفرجت منه على موكبه
وإذا حركها الصبا طاعت له ومالت معه .

وكأنما الاغصان يثنيها الصبا والبدر من خلل يلوح ويحجب
حسناء قد قامت وأرخت شعرها في لجة والموج فيها يلعب

وبجمل القول فهى جامعة لكل معنى مبهج للعقل شارح للصدر ريعها لا يترك ولا يتخلى ذو العقل عن اقتطاف ثمار التفكه فى أدواحها فيه .

هذا الربيع وهذه ازهاره فالروض قد صدحت به أطياره
ومشى النسيم بكاس نفحته وقد دبت باعطاف الغصون عقاره
وتنبهت غيد الحمائم فى الربا والدوح قد جست لنا أوتاره
والبان صف على الغصون نوافجا منها تعطر للنسيم أزاره
حيث البنفسج بالشميم يهيجنا قد دب فى خد الرياض عذاره
والنرجس المثنى قوام زبرجد يرنو باحداق اللجين نضاره
وشذا القرنفل بددته يد الصبا والروض فاح شقيقه وبهاره
رقصت قيان غصونه طربا وقد غنى الحمام فصفقت انهاره
والسنبل الغض ارتوى من طله تسقى بكاس اللازورد عقاره
يتبسم الزهر المقطب ضاحكا ومن النسيم تفككت أزراره

ولا زال طيطاوس يصف للملك ضاراب الشام ونواحيها ويأتى له بذكر راحتها وهناءها وما وما أوجد الله فيها من الفاكهة التى ندرت فى غيرها حتى تعشقها وتمنى ان تكون بلاده مثلها وشكر الله على صنعه وكيف خلق لكل أرض خاصة وخص دمشق بما لم يخص به سواها وتعجب من سعة صدر وزيره ومعرفته بكل ماذكره له .

وبعد ذلك امر بضرب الخيام فى تلك الضواحي ليبعث إلى مسرور ابن عتبة بكتاب يدعوه به إلى طاعته والانقياد اليه . وبعد أن أخذ لنفسه الراحة امر وزيره بوس فكتب .

بسم الله الذى لا إله سواه ولا يعبد إلاه فهو الحى الباقى الجبار القدير القادر الواقى من الملك ضاراب ملك الفرس واليمن ومصر ونواحيها إلى مسرور بن عتبة صاحب الشام . أعلم أيها السيد الكريم أنى ما أتيت هذه البلاد إلا لأجل غاية واحدة وهى خلاصى لبهمزار قبا من امركم حتى احوجتنى الضرورة أن أدخل بلادكم فى حوزتى وانشر عليها سلطتى وقد كنت غنيا عن ذلك لولا لم تدعونى إلى ذلك الضرورة وأنى لأعجب انك مع علمك بعلو سلطانى المعطى لى من الله ومشاهدتك أعمالى وافعال

فرسانى عيانا فى مصر جسرت على أن تصحب معك أسيرا من رجالى فما ذلك إلا من نوع المكابرة والجهل . ولذلك قبل أن أبدأ معكم بحرب أو أوصل اليكم أذى بعثت اليك بكتابى هذا أدعوك أن تأتى لطاعتى وتحضر معك بهمزار قبا مكرما مبجلا وتنزل عن أسوارك الاعلام الرومانية وترفع الاعلام الفارسية وتنادى باسمى فى كل مملكتك وتدفع لى بالجزية وتصير من الآن وصاعدا من عمالى وولاتى وإياك من المخالفة فتندم حيث لا ينفعك الندم وانى سألتك بذلك نصحا لك كى يدوم ملكك بيدك وتحفظ أدمية رجالك من الاهراق وتصان أبنية هذه المدينة من الخراب ولا يبدل رونقها وبهجتها بالتلطخ بأدمية العباد وإنى أنذرك والسلام .

وبعد أن ختم الكتاب ناوله إلى شبرنك فأخذه ودخل المدينة وناوله إلى مسرور بن عتبة وهو فى ديوانه وبين أقرانه ففضه وعرف ما به ولذلك أجاب بما يأتى :

بسم الله العلى العظيم

من مسرور بن عتبة صاحب دمشق إلى الملك ضاراب سيد الفرس . اعلم انى أخذت كتابك وفهمت خطابك وعرفت بكل ما أشرت اليه وانى أجيبك أن بهمزار بهلوانك ليس هو عندى الآن بل بعثته إلى غير جهة ليقيم تحت عناية الملك قيصر سيد البلاد وآمر عمالها . وعليه فانى أجيبك أنى لا أقدر على ارجاع بهمزار اليك ولا يمكنى تسليم المدينة عن طوع مازلت حيا حفظا لمالك أمرى وهو الملك قيصر فاذا شئت أن تقاتلنا دافعنا عن المدينة بقدر جهدنا ولا نخون إرادة ولينا والسلام .

وبعد الفراغ من الكتاب دفعه إلى شبرنك فأخذه وعاد إلى الملك ضاراب فدفعه اليه فقرأه وعرف مكابرة مسرور بن عتبة ولذلك وطد العزم على تملك المدينة بقوة السلاح وبات على هذه النية ينتظر صباح اليوم الثانى إلى أن أقبل مستعجلا واشرقت شمسه بوضوح على تلك النواحى وبعث النسيم على القوم بوابعث العطر الناتج عن تفتح الازهار . وحينئذ نهض الملك ضاراب فركب بموكبه وركب من حوله ابطاله وفرسانه وكلهم يزدرون بحرب ذاك اليوم لانهم يعلمون ان لا قوة بالشام تلقى صدمة واحد منهم وكانت طبولهم انذرت اهل الشام بوقوع الحرب منذ الليل فنهضت عساكرهم وتقدمت من الابواب لتدافع عنها وهى محلولة العزائم لعلمها انها لا تقدر على الثبات طويلا كون الفرس اشد منهم بأسا واكثر عددا ولم يكن إلا القليل حتى هجم الايرانيون هجوم الاسود وفى مقدمتهم فيروزشاه وقد انقض على المدينة كأنه الصاعقة الساحقة وبدا بالصيحات والضربات وتفريق الجماعات وفعل رجاله كفعله

وكان صياح بهزاد يدوى كالرعود الشداد وهو ينثر الرؤوس بحسامه نثر ورق الشجر الجاف بزوابع الأرياح . فاشتبك القومان . واختلف الضرب والطعان . وعلا الصياح من كل ناحية ومكان . وقامت القيامة . ووقع بأهل الشام الندامة . ورأوا الموت عيانا . والهلاك بيانا . وعرفوا أن الثبات . يقود اليهم الفناء والممات . إذ لم يكونوا من أهله . وليس لهم صبر على الدفاع وثقله . فاتخذوا الهرب حصنا . والفرار مأمنا وركنا . فرجعوا عن الأبواب وتفرقوا فى الأسواق . يطلبون الخبايا ليقيموا فيها خوفا من القتال والمحاق . وتدفقت من ورائهم رجال الفرس كالسيول . وترجح عندهم نوال كل مقصود ومأمول . ودخلوا المحلات الرسمية فامتلكوها وأقاموا فيها . وسر الملك ضاراب بهذا النصر والظفر . وبتملكه مدينة كمدينة الشام وأمر أن يفتش على سرور بن عتبة فأخبر أنه هرب من أول النهار ونجا بنفسه وبعض أعيانه يقصدون أنطاكية حيث أنه كان قد بعث بهمزار قبا اليها لعلمه أن الشام لا تقدر على الثبات والدفاع فى وجوههم إذ ليس فيها من الحصون المنيعة مايمنع قوتهم! فقال لا بد لى من تأثره وتخليص أسيرى منه لأنه قد طغى على وتمرد عن التسليم وظن أن الملك قيصر سيدفع عنه ما أعددت له من الويل والعذاب .

وبعد ذلك أمر الملك ضاراب العساكر والقواد أن تسير فى المدينة وتدور فى رياضها وتتفكه بأثمارها مدة خمسة أيام إذ أنه فى اليوم السادس مزمع على الرحيل وأوصى بالمحافظة على الراحة والسكينة وأن لا أحد منهم يتعدى على أحد من الأهالى وأن كل شيء يشترونه يدفعون ثمنه حالا بثمنه الأصلى وبذلك سر أهالى الشام مزيد السرور لما رأوا من حلم الملك ضاراب وطاعة رجاله وآدابهم وقالوا بأنفسهم كيف أن الله لا يوفقه ويمد سلطانه وهو على تلك النية السليمة والأعمال الحليمة ورغبوا فى الدخول تحت طاعته فأقام عليهم حاكما من المدينة شريف الأصل والحسب وأوصاه بالعدل والاستقامة وأن يرسل اليه الجزية فى كل عام ويبعث اليه بالأخبار عن المدينة ومايقع عليها وصارت منذ ذلك اليوم مدينة دمشق تحت حماية الفرس ناشرة ألويتهم وأعلامهم . وكانت عساكرهم فى كل هذه المدة آخذة فى الحظ والانشراح متفرقة فى البساتين والرياض ومامنهم إلا من يسكر بخمر وقد صرفوا خمسة أيام لم يروا مثلها فى كل حياتهم وتمنوا أن يبقوا كل عمرهم فى ذلك الفردوس النعيمى ولم يشعروا كيف انقضت الأيام المطلوبة فقد كانت قصيرة عليهم كبقية أيام الفرح والنزهة . غير أن فيروزشاه صرف تلك الأيام بمروغ صبر ونكد حظ وكان يرى المدينة ورياضها فى عينيه سوداء كالقبر

ولم يكن يسر إلا بالتفكر فى عين الحياة والتشوق اليها وكلما فكر يبعدها عنه تزيد به ويلاته وأكداره وأعظم شيء كان يهيجه إلى الذكرى موافقة المناخ وأسباب الراحة الموجودة فى ذاك المكان فكان يتمنى أن تكون حاضرة معه ليصرف الوقت على أحب مايروم ويشتهى فى تلك الفسحات والأدواح وبين تلك الأزهار والأشجار .

وأما فرخوزاد فانه صرف هذه الأيام مع محبوبته أنوش بنت الشاه سليم بمسرة لا توصف وفرح لا يقدر وأقام معها كل الوقت بين شرب الخمور وقطف الزهور ومناشدة الأشعار ومواصلة الأفكار وبين تقبيل وعناق وشرح هيام وأشواق حتى لم يكدرهما من مكدرات الأيام لا رقيب ولا نمام ولما انقضت تلك المدة أمر الملك ضاراب بالتجمع والانضمام وفى نيته أن يبارح الشام وقد عزم على السفر إلى أنطاكية ليخلص منها بهمنزار ويسير من هناك إلى بلاد الرومان وبينما كان يفكر بذلك وقد عزم على الركوب فأمر كامل فرسانه وأبطاله أن تتهيأ على هذه النية وإذا بيهروز قد وصل اليه وهو بقلق واضطراب وكانت تدل حالته على قطعه مسافة الطريق بالسرعة العجيبة ولما وقف بين يدى الملك ضاراب جفل منه كل من حضر إلا فيروزشاه فانه انعطف خاطره اليه وتمنى أن يعرف ما وراءه من الأخبار ولذلك سأله فى الحال .

فقال له اعلم يا مولاى أنى سرت فى اثر سيف الدولة بحسب ما أمرتنى حتى وصلت إلى بلاده بعد وصوله اليها بأيام قليلة فوجدته قد رفع أعلامنا المظفرة على أسواره ونادى باسم ملكنا وعمل بكل ما وعد ولما لم أقف لعين الحياة على خبر فى تلك المدينة خطر لى أن أذهب إلى ملاطية وأسرق منها ما أنا ساع فى أثره وإذا بعساكر قيصر جاءت ملاطية مع تمرتاش أخى تمرتاس الذى قتلته الأميرة أنوش وسأل سيف الدولة أن يترك خدمتكم ويرجع إلى خدمة الملك قيصر وينزل الاعلام عن الاسوار فامتنع وحصن المدينة وفى نيته أن كل شيء فيها كاف للحصار إلى حين قدومكم اليها وخلاصها من أيديهم ولم يخطر له قط أن قهرا ومهرا سيخونانه ويفتحان المدينة فى وسط الليل ولهذا السبب دخل الرومان البلد وفعلوا أقبح الفعال وخربوا جدرانها وكسروا أشجارها وسبوا نساءها ولم يراعوا حرمة الانسانية والناموس وكان الامير قهر أخو فهر ومهر ولم يطاوعها على الخيانة فقبض عليه تمرتاش وحاول كثيرا إقناعه بأن يكفر بكم ويرجع عن خدمتكم فلم يقبل فرماه إلى الارض وأمر أن يضرب خمسين سوطا وكان يضرب الضرب الأليم وهو يصيح وينادى بمساعدة سيدى فيروزشاه فتأثرت لذلك وقلت لا بد لى من خلاصه فى المساء إلا أنى لم أكن أعرف كيف سار سيف الدولة حينئذ لأن لم يقف له أحد على خبر وعند المساء سطوت على خيمة

قهر فانتشلته منها وقطعت قيوده وسرت به إلى الفلا وقلت له حيث صرت الآن مطلق
[illegible]

إلى مغارة هناك فرأيت فيها سيف الدوله وزوجته وعين الحياة . فلما سمع فيروزشاه بذكر عين الحياة حبيبته جعل قلبه يخفق وانعطف بانشغاف إلى تتمة الحديث وهو يتعجب كيف انها وجدت فى تلك المغارة مع سيف الدولة وأعار مزيد انتباهه إلى أن وصل بهروز إلى تشكيها من الجوع وبكائها على كسرة خبز وانحلال قواها من الخوار والتعب فانفطرت مرارته مما لحق بها ولم يطرق ذهنه قط أن يلومها فى نفسه على تركها مصر وسفرها مع سيف الدولة بل كان يتوجع ويتألم من المصائب التى أصابتها وأخيرا امتلأ قلبه غيظا عندما وصل بهروز إلى عمل هلال العيار واغتنامه فرصة غيابه ورجوعه بعين الحياة إلى أبيها ويقوده سيف الدولة وقهرا إلى الملك قيصر

قال ولما فرغ بهروز من سرد القصة حرفيا وما وقع له فى سفرته وما سمعه من عين الحياة وما رآه من عمل تمرتاش فى ملاطية وكيف أسر وسبى ونهب حتى لم يبق فى المدينة بيتا عامر فحرك من الملك ضاراب غضبه وقال انه من الواجب أن لا نتخلى قط عن سيف الدولة ولا نترك بلاده بيد الأعداء اللئام يفعلون الفحشاء ويسرفون فى الأموال والأمتعة ولذلك عزمت على أن أسير من هنا إلى ملاطية ومن ثم أعود فأبعث أحد فرسانى من هناك إلى انطاكية إلى خلاص بهمنزار وأمر فى الحال أن تركب العساكر والفرسان على نية المسير إلى ملاطية ولم يكن إلا القليل حتى شوهد الملك ضارب خارج مدينة الشام وهو سائر بموكبه وجحفله العظيم وإلى جانبه ولده فيروز شاه سيف النقمة يعلو جواده الكمين الذى هو كالبرج الحصين وفى قلبه نار من الشوق تلتهب وتتسعر وقد خطر بباله كل ما جرى من على عين الحياة وما لاقت من العذاب بسبب إصراره على حبه وما لاقى من أجلها من الحروب وعمل أبيها به ومعه فامتلأت الدنيا فى عينيه هموما وغموما وأنشد يقول :

يا عين ما طلب الزمان عنادى	وأصر فى كيدى وفى إسعادى
ألا رآنى قائما مترصدا	أعماله بعزيمة وسداد
أسطوا عليه بهمتى فأذيقه	مر التـ[illegible] فى ثبات جلاد
دوخت أرض المشرقين وغربها	وسعيت نحوكم أسوق جوادى
أسقى الجيوش بكاس علقم صارم	ترك النفوس عدوة الأجساد

نظروا العذاب طليعة لهلاكهم ... ورأوا الممات غنيمة الصياد
طلبوا التبدد فى الفلا فجمعتهم ... بمهندى كرما على الاجهاد
ودعوت وحش البر وهو ينوشهم ... يدعو إلى بوفرة الاسعاد
عضوا النواجذ ناكثين إلى الوطا ... إذ أنهم سمعوا صرير حدادى
لا شيء ينجيهم سوى أن تشفعى ... فيهم بنظرة لطفك المعتاد
ملكتك النفس الآبية عن رضا ... ووقتك الجسم المطيع الفادى
انى لأذكرك وذكرك دائما ... أحلى لدى من لذيذ رقادى
لا تقطعى منى الرجاء فاننى ... ساع اليك بهمة الآساد
انى لأذكرك وذكرك لم يزل ... دون الخلائق بغيتى ومرادى
لا تقطعى منى الرجاء وقد سعت ... حولى جيوش الفرس مثل جرادى
انى لأذكرك وذكرك نافعى ... أبدا وفيك يلذ لى انشادى
لا تقطعى منى الرجاء وصارمى ... تخذ الصدور مآخذ الاغماد
انى لأذكرك وذكرك منعش ... قلبى وانك دائما بفؤادى

وما وصل فيروز شاه على آخر انشاده حتى شعر من نفسه بفروغ صبر وإلى الوصول إلى بلاد قيصر ليعرف ماذا جرى على محبوبته وكان ما يفكر به ويخافه هو سعى طيفور بكيده وقد يمكن أن يزفها على ابن قيصر ويحرمه منها إلى الأبد لأنه يؤكد أنها لا ترضى به ولذلك تميت نفسها وترمى بها إلى الهلاك بالرغم عنها وقد وطد عزمه فى هذه المرة أن يجعل جل اهتمامه الحصول عليها بأى طريقة كانت وانتشالها من بين أعدائه واخراجها إلى جيشه تقيم فيه إلى حين الفراغ من الحرب إذا كان قد تأخر زفافها ومانع أبوها من تسليمها كما مانع فى مصر

وكان بهراد أيضا سائرا فى مقدمة جيشه وهو كالأسد المتمرد فوق جواده الذى أخذه من مصر وقفز به السور وهو من خيول البحر كما تقدم الكلام عنه وهو يتمنى قرب الوصول إلى ملاطية لينتقم من جيوش الرومان ويريهم كيف تتفاوت الفرسان . ولا زالت فرسان الفرس سائرة فى ذاك الطريق تتقدم بسرعة غريبة يطلبون سرعة الوصول إلى بلاد سيف الدولة والافراج عن أهلها الذين لحق بهم بسبب طاعتهم للملك ضاراب الويل والخراب وأصبحوا فى حالة الذل والاكتئاب إلى أن وصلوا إلى واد بالقرب من ملاطية يقال له وادى الزهور فيه الرياض مفتحة والمياه بالجداول سارحة فاستحسنه الملك ضاراب وأمر أن تنزل العساكر فيه وقال لهم

حيث لم يبق بيننا وبين ملاطية إلا يوما واحدا وقد لاقينا من مشاق السفر ما يدعونا إلى الراحة ثلاثة أيام وفيها بعد نلحق بالمدينة ونقيم الحرب بعساكر تمرتاش القائمة عندها فنزل الجيش برمته وانبسط فى ذلك الوادى من يمينه وشماله وانطلق العيارون يجسون تلك النواحى ويرون ما ربما يحتاجون إلى معرفته . قال ولما وصلت العساكر إلى تلك النواحى جفلت منها سكان القرى والضياع وجاء كثير منهم إلى تمرتاش بهلوان تخت الملك قيصر وأخبروه بوصول الملك ضاراب ونزوله بوادى الزهو مع رجاله وفرسانه كافة فأظهر الفرح والاستبشار وقال لابد لى من أن أبعث فاخبر الملك قيصر غير انى أحتاج إلى تفصيل كاف بعدد فرسانهم وأبطالهم وكثرة جيشهم وقلته ولذلك دعا بعياره كودك وقال له أريدك أن تذهب هذه الساعة إلى بين جيوش الفرس وتنظر معدل قوتهم وكم يمكن أن يكون عددهم على التقريب والحاصل أريد منك أن تأتينى بكل ما يمكنك أن تنفعنا به فأجاب بالطاعة وانطلق من تلك الساعة بأسرع من البروق الساطعة حتى وصل قرب الوادى فعدل عن الطريق وتسلق أكمة عالية تكشف جوف الوادى وفيما هو فى صعوده كان بهروز يطوف فى تلك الجهة فرآه عن بعد فأسرع إلى عيارى الفرس فأحضرهم وقال لهم اعلموا أن كودك العيار يصعد الآن الأكمة وفى نيته إما ينحدر الينا فى أول الليل أو أنه يقصد أن يتحقق وجودنا ويريد أن يعرف معدل عددنا وعددنا ولذلك أريد منكم أن يتفرق كل واحد فى طريق فلا تدعوه يفر من جهة بل راقبوه أينما سار وأنا أسير وراءه إلى ظهر الأكمة فامسكه فأجابوه إلى طلبه وسار طارق وشعرنك وبدر فتات وشياغوس والأشوب كل إلى ناحية وتأثر بهروز كودك وانطلق خلفه وبينما كان واقفا فى ظهر الأكمة شاهد بهروز فلم تخف حالته . فقال فى نفسه لابد أن يكون هذا الرجل عيار من الفرس رآنى فأتى فى طلبى أو أنه يريد أن يعرف من أنا فمن الموافق أن أبعد من هذه الأكمة وأرجع من حيث أتيت إلى أن يتيسر لى ما أنا طالبه ولهذا انقلب راجعا يقصد الفرار وما كاد ينتهى من الطريق حتى شاهد عيارا فارسيا يربط الطريق فضاق صدره وتأكد خباثتهم وانهم راطون له ليقبضوا عليه فترك ذاك الطريق وعرج إلى سواها وما سار فيها إلا القليل حتى نظر عيارا ثانيا وجعل ينتقل من جهة إلى جهة وهو يركض أملا بالخلاص من يد بهروز الذى كان يطارده ويسعى خلفه ولا زالوا يتقربون منه وهو يفر الى أن أدركه بهروز فانقض عليه وقبضه من عنقه ودفع به إلى الأرض وأخرج حبلا من وسطه فربطه وقاده أمامه كالبعير وقد أحاطه بقية العيارين وساروا به إلى أن وهو على تلك الحالة فنظر اليه وقال له من أنت

ومن أين أتيت وماقصدك بصعودك إلى ظهر الأكمة قال أنا من سكان هذه النواحي وقد عرفت بقدومكم ونظرت إلى كثير من الفلاحين ساكني القرى مثلي قد فروا إلى الجيش فقصدت أن أراكم لأحقق صحة الخبر وأتيت المكان الذي رأوني به رجالك فأدركوني وكنت أظن أنهم يقصدون لي شرا فسعيت لأتخلص منهم فلم أقدر فأشكر الله حيث أوقفني بين يديك وجعلني أسألك الرحمة والعفو وكان كودك يعرف باللسان الفارسي حق المعرفة كعادة عيارى الملوك فانهم يتعلمون اللغات الأجنبية لحاجتهم اليها في مثل هذه الظروف فاعترضه بهروز وقال له أتكذب على حضرة الملك وتريد أن تتخلص من بين يديه وأنت كودك العيار وقد رأيتك مرارا أنسيت يوم أتيت سيف الدولة بكتاب تمرتاش حال وصوله إلى ملاطية وكنت إذذاك متخفيا في بلاده وقد عرفتك حق المعرفة ورأيتك بعد ذلك مرارا ولاسيما عندما خلصت قهرا من الاسر وفككته من الوثاق فاقصر عن كذبك واحذر لنفسك واعرف في حضرة من انت واقف فاذا ألنت كلامك وطلبت عفوه عفى عنك واجازك الجوائز الحسنة ثم قال له الملك ضاراب اعلم ياكودك ان حياتك الآن بيدي ولا تظن اني اصدق قولك اواصغي اليك فقد ثبت عندي كل الثبوت انك عيار رومانى ولااريد ان اهلكك فأعرض عليك طاعتي وخدمتي فان قبلتها عفوت عنك وألبستك ملابس عيارى الفرس وعينت لك العلوفات والجرايات وأقمت عندي معظما مكرما وإلا فالموت قريب منك جدا ولك أسوة بعيارى مصر فهم امامك الآن وقد تركوا خدمة أسيادهم ودخلوا في طاعتي ورأوا مالم يروه عندما كانوا في خدمة مواليهم الأول .

فلما سمع كودك كلام الملك خاف على نفسه من الموت وطمع في الحياة والخلاص ورأى عيارى الفرس حواليه كالمردة وعيونهم تقدح شرار النار وهم محدقون به من كل جهة فخاف منهم وحدثته نفسه أن ينتظم بينهم ويدخل في سلكهم وطمع لما رآهم مدبجون بالثياب المزركشة وبوسط كل واحد نطاق من الحرير المذهب يحمل فيه خنجرا مرصعا بالماس والياقوت ولهذا قال للملك ضاراب اني اقبل بكل ما اشرت به ياسيدي واني اعدك وعدا صادقا امينا ان ابقى على خدمتك واصرف كل ما في قوتي في سبيل طاعتك والسعي بانفاذ اوامرك ولا اخلف لك عهدا ولا ابوح بسر تحمله إلى واني اقول ذلك عن صدق نية وصفاء باطن واشهد على الله وسيدي المسيح صاحب الايمان الصحيح وهو شاهد على صدقي وعارف مافي ضميري وإذا كنت لاصدق قولي ولا تركن اليه فاقدم لك كفيلا يكفلني عندك . قال ومن يكفلك

لى قولك هذا ويضمن لى أنك لا تغش بى ولا تغدر برجالى ولا تفعل معى مافعله عملا العيار . قال أن كفيلى حاضر وهو معتبر عندك أعنى به بهروز العيار وانى أعتقد الاعتقاد التام أنه إذا وقع منى ما تكرهونه فهو قادر على أن يتأثرنى ويلحق بى ولو طرت إلى ما فوق السبع الطباق . قال بهروز لقد أصبت يا كودك فانى أضمنك بقوة قلب بعلمى أنك صادق بكل ما قلته ولا تحنث بيمينك ولا تخلف بقولك ثم قال للملك ضاراب مرنى ياسيدى باطلاقه فهو فى عهدتى وتحت مسئوليتى وأكد أنه تكلم عن صفاء باطن ولا يرجع عن طاعتك حتى الموت والفناء . قال الملك انى صدقته ولذلك أطلقت سبيله ففك وثاقه وأحضر له ثوبا من مثل ثيابك والبسه إياه وأمر أن يعين اسمه بين عياريه وأن يدفع له المرتب عن كل شهر سلفا . وبمدة قليلة تم كل ما أمر به الملك ولبس كودك ملابس الفرس وصار كواحد منهم وهو يكاد يطير من السرور والفرح وأراد أن يظهر خدمته للملك ضاراب ويقدم له برهانا على صدق قوله . فقال له أعلم ياسيدى أنى جئت من قبل تمرتاش وخرطوم فارسى الروم على أمل أن أجس لهما أخباركم وأتيهم بصدق اليقين عن مكان نزولكم وعددكم وعلى ماأظن أنهم يقصدون أن يكبسوكم فى الليل أينما وجدتم ولهذا خطر لى أن أنصب لهم مكيدة يهلكون بها عن آخرهم . قال على ماذا عولت . قال عولت على أن أذهب إلى تمرتاش وأقول له أن الفرس نازلون فى جوف الوادى وأنهم آمنون من طوارق الحدثان وأزين له وجه النجاح إذا سعى فى كبسكم وسط الليل بحيث تكونون آمنين من غدراته ووصوله وأخفى عليه كل ما جرى بينى وبينكم حتى إذا وافقنى وجاء معى سبقته وأعلمتكم فتنتحون عن الخيام وتتركونه إلى أن يدخل برجاله فتنقضون عليهم وتذبحونهم ذبح الغنم . قال الملك أن صح ذلك أنعمت عليك مزيد الانعام وأكرمتك وتكون قد وفيتنى حق خدمتك وقدمت لى برهانا كافيا وافيا لا أنساه لك أبداً . أجاب سوف ترى منى ما يسرك إنما أريد أن تكونوا فى الليلة الآتية على أتم التأهب والاستعداد حتى أى وقت وصلت اليكم يمكنكم أن تتفرقوا فى رءوس الوادى وتكمنوا إلى أن يدخلوا الخيام على ظن منهم أنكم داخلها .

وبعد ذلك نزع كودك ثياب الفرس ولبس الملابس التى جاء فيها وودع الملك ضاراب وخرج من بين يديه وسار فى طريق ملاطية حتى وصل من الجيش الرومانى فدخل على تمرتاش فى آخر الليل أى عند بزوغ نور الصباح فوجده قد استيقظ من نومه وجلس فى صيوانه وهو مرتبك الافكار من أجله . فلما رآه فرح به وقال ما وراءك من الأخبار . قال ورائى كل شيء ترغبه فقد سرت إلى أن وصلت وادى

الزهور وإذا بالقوم نازلون هناك يسرحون ويمرحون وقد وقفهم المناخ وسروا منه وعولوا أن يقيموا به ثلاثة أيام ريثما ترتاح عساكرهم من التعب الذى لا قوة فى سفرهم وبعد ذلك يأتون هذه الناحية على نية الحرب والقتال . وأما قوتهم فهى دون ما كان يظن لأنهم بعدد لا يبلغ الثلاثمائة ألف فارس وأن الغربة والتعب ومقاساة الأسفار قد انهكتهم ومزقت ثيابهم وأوقعتهم فى اليأس ولما رأيت ذلك خطر لى خاطر نقضى به أمرهم بليلة واحدة وهو قد فكرت أن نسير بجيوشنا فى أول هذا النهار إلى أن نصل إلى الوادى فى الليل فننتظر وقت دخولهم الخيام ونومهم ومن ثم تنحدر اليهم ونذبح فيهم ونفنيهم بليلة واحدة عن آخرهم فلا يشرق الصباح إلا وهم مبددون أى تبديد ولا رسم لهم فى تلك الناحية سوى من يقتل منهم ومن يداس بحوافر خيولكم وتكتفون شرهم وترضون الملك الأكبر بهذا العمل ولا يحتاج الأمر لأكثر من ذلك وربما وقعتم بالملك ضاراب وبولده فيروز شاه فتقودها إلى حضرة الملك قيصر فاعجب هذا الرأى تمرتاش واتفق مع خرطوم عليه وقال له لقد رأيت صوابا وأنى من هذه الساعة سأبادر اليه ثم أصدر امر بركوب العساكر الرومية فركبت على ظهور خيولهم وركب هو أيضا وإلى جانبه خرطوم الرومى كانهما برجان حصينان وسارت تلك العساكر وعددهم نحو مائتى ألف فارس وفى نية تمرتاش أنه سيعود فائزا منتصرا وأنه يقضى أربه من جيوش الفرس وهو مصدق كل التصديق كلام كودك عياره ولم يطرق ذهنه قط أن أعداءه قبضوا عليه وقادوه ذليلا وبعد ذلك ادخلوه فى طاعتهم واخلص لهم النية والود قال وداموا فى مسيرهم كل ذلك النهار إلى ان وصلوا إلى قرب وادى الزهور بعد غياب الشمس بساعة فطلب كودك من تمرتاش ان يستقروا فى مكانهم وقال له يجب ياسيدى ان تصبر هنا بالرجال إلى ان اسير امامكم إلى الفرس وأراقبهم حتى أراهم قد دخلوا فى خيامهم وناموا آمنين فتفاجئونهم وهم على تلك الحالة وبذلك تهون امرهم حالا ولا يقتل من رجالنا واحد قط . قال اذهب ولا تبطىء علينا فاننا بانتظارك هنا وحينئذ انطلق كودك نحو جيوش الفرس وهو أسرع من البرق عند لمعانه حتى جاء إلى معسكرهم فوجدهم عاملين على الرجوع عن الخيام إلى رءوس الآكام فدنا من الملك ضاراب وقبل يديه وخبره بقدوم تمرتاش بالعساكر والأجناد وانه مزمع على كبس عساكره فى وسط الليل . قال انى عرفت بقدومهم من بهروز لأنه كان يراقب الطريق حتى تبينهم وتأكدهم وعاد الى يخبرهم والآن ترانى مزمعا على القيام بعيدا عن الخيام من كل الجهات حتى توسطوا الوادى ودخلوا انحدر اليهم فرساننا فابلوهم بالويل والعمى .

قال وكان بهروز بعد مضى كودك ذهب إلى تلك الطريق يراقب من يقدم منها اختشاء من حادث يحدث فوق الحسبان وبقى على ذلك إلى حين تبين الرايات وعلم منها بقدوم تمرتاش فتأكد لديه صدق عمل كودك فكر راجعا إلى الملك ضاراب وأخبره بقدوم رجال الرومان وأنهم صاروا على مقربة من تلك الجهات فقسم الملك جيوشه إلى ثلاثة فرق فرقة تحت إمرة ولده فيروزشاه تقيم عند اليمين والثانية تحت إمرة بهزاد من جهة الشمال ومن الوراء انوش بنت الشاه سليم ومعها فرخوزاد وبقية الفرسان الشداد وعزم على اخلاء الخيام فوصل اليه كودك كما تقدم الكلام ولما رأى كودك تيقظهم وتحصرهم صبر نحو ساعتين إلى أن انقطعت مؤخرة العساكر عن مركزها وغابت بعيدة عن جوف الوادى وقد هدأ الحال وسكنت الضوضاء ولم يعد يسمع صوت شىء قط ورجع إلى تمرتاش ونادى مسرورا فرحا وقال بشراك ياسيدى فان القوم على غاية ما يكون من الراحة ولم يحسبوا قط حساب عمل مثل عملنا حتى أنهم دخلوا اخبيتهم وناموا آمنين ولم يخطر لهم بخاطر أن أحدا يقرب منهم فاسرع فى هذا الوقت فهذه فرصة لا يمكن أن نضيعها وإذا فزنا هذه المرة رفعنا عن بلادنا أثقال حرب طويلة اشغلت فكر الملك قيصر وحسب لها حسابا عظيما وكاتب لأجلها الملوك والانصار وعول على محاربة الفرس وفى نيتهم أنهم أصحاب بطش واقتدار قال لا بد لى ان أفنيهم فى هذه الليلة وأريهم أعمال رجال الرومان وانا لسنا كمن لاقوا من الفرسان ثم انه ركب وإلى جانبه خرطوم الرومى وحولها الجيوش كالجراد الزاحف إلى ان قربوا من الوادى فقال كودك يجب ياسيدى ان لا يبدى احد حراكا خوفا من انتباههم وتيقظهم فدخلوا سكوتا إلى ان صاروا حول الخيام فصاحوا صياح الفرح وانحطوا عليها بهمة وحمية وتحللوها وفى نيتهم أنهم نالوا ما تمنوا وظفروا بما طلبوا غير انهم ما استقروا إلا القليل حتى ارعدت تلك الجهات بأصوات الايرانيين وأدوت كالصواعق يسمع لها صدى قوى فى الوادى وغط رجال الفرس عليهم غط البواشق وقد أشهروا سيوفهم فى ايديهم وبربروا بألسنتهم حتى ارتبك الرومانيون ولم يعرفوا من أى جهة الصياح وأخذتهم الرعبة والمخافة ولم يشعروا إلا ورجال الفرس قد احتاطوا بهم من كل مكان وفى مقدمتهم من جهة اليمين فيروزشاه ابن الملك ضاراب مفرج الكروب وآفة الحروب وسيد الفرسان وسلطان الشجعان من عرفت البسالة قدره فخدمته . وتقربت منه وأطاعته ولما صار بين الأعداء صاح بصوته المعهود وتكنى بنفسه وأبيه وادار دولاب الحرب وجرد

باقدامه الطعن والضرب وبدد الأقران وأهلك الفرسان وأنزل عليهم المصائب من كل مكان وأعمى بصائرهم وحير خواطرهم وفعل مثل هذه الأفعال بهزاد الصارم الفصال ابن فيلزور البهلوان وأكثر من الضرب والطعان وخرق الصدور وأرسل سيفه إلى النحور فمدد الأبطال على الرمال وكلها من الآلام بأميال .

قال وفى تلك الساعة اختلطت الفرسان بعضها البعض أى اختلاط وارتفع منها الصياح والعياط وقامت القيامة وحلت الندامة ووقع على الرومان الويل والخسران ولم يعودوا يعرفوا طريقهم من أى مكان ولا رأوا خلاصا من الفنا. وشرب كاس العناء فصبروا وصلوا صلاة الممات واستغفروا ربهم عما جنته أيديهم من القبائح مدة الحياة ولازالت الفرس تفعل فيهم بالصارم البتار وترميهم من جهنم شجاعتها بشهب النار حتى جاء الصباح وبان بنوره ولاح وتبين لمن بقى من الرومان طريق الهرب والفرار فاركنوا اليها وساروا على الأعقاب ورجال الفرس تضرب فى أقفيتهم وتنزل بهم الويلات وفيروزشاه يصيح وينادى وينحدر انحدار الصواعق وبين يديه بهروز كأنه النجم عند انخطافه وقد ساربه ومن خلفهما الرجال والابطال وقاطع الرومان عن ملاطية ومنعهم من أن يركبوها فساروا على غير طريق أى على الطريق المؤدية إلى بلادهم وقد تقطعوا فرقا صغيرة وقتل منهم فى ذلك الليل نحوا من مائة الف فارس ما عدا الجاريح وللحال انحدر الملك ضاراب من المكان الذى كان مقيما به وأمر العساكر أن ترفع الخيام وتنقل الاحمال وتسير على أثر ولده فيروزشاه لانه تأكد أنه لم يقبل أن يعود إلى الوادى بل سار فى طريق ملاطية ليملكها قبل أن يتمكن أحد منها أو تدخل الرومان اليها وللحال أقلعت جيوش الفرس وسارت فى أثر فيروزشاه وفى المقدمة الملك ضاراب وهو فرحان بما حل بأعدائه حتى لحق بولده وانضم العسكر إلى بعضه البعض وساروا فى تلك الارض وكان قد نجا من الحرب تمرتاش وخرطوم وهما لا يصدقان بالنجاة والخلاص من هول تلك الليلة التى لم تمر عليهما مثلها ولما بعدا عن الوادى وأمنا لحاق الاعادى وقفا للراحة وأخذ النفس ونظرا إلى ما بقى معهما من الفرسان فوجداهم دون القليل فتأسفوا على ما حل بهم وقال خرطوم ان هذه الليلة مشؤومة علينا وما كنا نسعى خلفه لنرمى به أعداءنا وقعنا نحن فبالحقيقة ان رجال الفرس أبطال صناديد منتبهون لعملهم فلم تخف عليهم حالتنا وما نحن عليه وقد اطلعوا على دسيستنا وعرفوا باطن سرنا . قال تمرتاش ان صدق ظنى بكودك العيار قد عمل معنا هـــذا الملعوب ورمانا بهذ المصيبة الكبرى وإلا من أين لهم أن يعرفوا ذلك ثم افتقد كودك العيار

فلم يقف له على خبر فقال لابد لى من القبض عليه وإذا تحققت أنه حالف الاعداء أنزلت عليه عذابات الله بأجمعها ثم قال لمن بقى معه من المرافق أن لانسير إلى ملاطية لأن الاعداء يقصدونها والاهالى مخلفون علينا فنهلك أنفسنا بأيدينا فوافقوه على كلامه وساروا إلى جهة الملك قيصر ليخبروه بما وقع عليهم وما حل بهم وكيف أن الفرس أهلكت أكثر من نصفهم بدسيسة كردك

فهذا ما كان منهم وأما ما كان من أهل ملاطية فانهم لما عرفوا بقدوم الملك ضاراب وفيروز شاه فرحوا مزيد الفرح وأيقنوا بالنجاح وطمعوا بخلاص أموالهم وأسلابهم من رجال تمرتاش الذين نهبوها وارجاع بناتهم ونسائهم اللاتى سبوها وقد نظروا تمرتاش قد سار إلى جهة وادى الزهور فأيقنوا بوقوع الحرب هناك وباتوا ينتظرون النتيجة وهم يدعون الله إلى نصرة الفرس وقدومهم إلى المدينة وذلك تخلصا من ظلم الرومان وتكرها بعمل تمرتاش فيهم مما تقدم ذكره بوقته وفى اليوم الثانى بينما كان الاهالى ينظرون من أعالى الاسوار إلى البر على أمل أن يروا قادما من هناك تبينت لهم الرايات تخفق وتلوح عن بعد فصبروا إلى أن تأكدوها أنها رايات الملك ضاراب فهبطوا من على الاسوار وخرجوا من المدينة وثاروا على جماعة الرومان فقبضوا عليهم وخرج منهم جماعة إلى الخيام التى كان مقيم فيها تمرتاش برجاله فأوثقوا من تبقى هناك للمحافظة وأقرنوا الكل الى بعضهم وساروا إلى ملاقاة الملك ضاراب فوجدوه يسير كأنه الملاك عليه من الهيبة والوقار وإلى جانبه الاسد الكاسر والليث القادر ولده فيروزشاه فلما تحققوه نادوا له بالنصر والظفر وبكوا على حالتهم وحثوا التراب على رؤسهم وناحوا نواح المصائب والاحزان وشكوا له كل ماحل بهم ووقع عليهم من ظلم الرومان قال لهم انى أعرف ذلك حق المعرفة وقد وصلنى الخبر وأنا فى دمشق ولذلك أسرعت لأنقذكم من تمرتاش وظلمه وأعيد اليكم كل ماسلب منكم قالوا ان كل ما أخذه الرومان من مال وقماش وذهب وغيره باق الآن فى الخيام لأنه لم يأخذ معه شيئا وكان فى نيته أنه يعود إلى هذه الديار ولم يحسب حساب الفشل والانكسار فوعدهم بالخير وأن يعيدهم أحسن مما كانوا وأن يرجع اليهم ملكهم بأقرب آن فدعوا له وساروا فى ركابه وبين يديه حتى جاء الخيام وشاهد كل ماهو فيها من المسلوب والمنهوب ورأى أيضا كثيرات من النساء والبنات قائمات فيها فأمر أن يوضع على الخيام حراس من أهالى إيران لينما يدخل المدينة ويجمع لجنة تنظر فى حوائج الناس فتعيدها إلى أصحابها ثم قدم إلى جهة المدينة فدخلها والناس يتقدمون بين يديه ويدعون له ولولده بطول العمر والبقاء حتى جاءوا إلى قصر

الاحكام فدخلوه وجلس الملك ضاراب ومن حوله رجاله وفرسانه وورد عليه أعيان المدينة ومصابوها وطلبوا اليه ان ينظر فى أمرهم فوعدهم بالجميل والخير وقال لهم انى أعرف ان كل ماصار عليكم هو بسبب طاعتكم لى ولذلك لم يهن على ان أتقاعد عنكم أو أتركـكم عرضة لمظالم الظالمين ولابد ان ارجع اليكم مافقد منكم ففى الغد تأتون إلى وزيرى طيطلوس فهو عاقل حكيم يرجع اليكم مافقد منكم كل على قدر مفقوده ثم انه قال لوزيره طيطلوس أريد منك ان تنظر إلى أمر سكان المدينة وتعيد عليهم ما ذهب منهم وتحضر كل الأمتعة المسلوبة فى الخيام ومن عرفت انه صاحب شىء منها فادفعها له وزده من مالنا ماينا سب مقامه فأجاب بالسمع والطاعة وأخذ جماعة من الرجال إلى الخيام وحمل كل مافيها إلى المدينة وصرف الجهد فى تدبير ماهو لازم فيها وجعل يحضر كلا بمفرده فمن أثبت ماله أو ادعاه بمينه وأشار إلى اجناسه بحسب وجوده وهيئته دفعه له ومن تحقق انه فقد له شىء وهلك دفع له قيمته من الخزينة حتى ارتفعت أصوات الدعاء من كل جهة للملك ضاراب وشكروا الله على توليه عليهم وتمنوا ان يبقوا طول العمر تحت طاعته وهان عليهم بذل حياتهم فى سبيل خدمته لما رأوا فيه من فيضان الحلم والرقة ودفع طيطلوس أيضا الأموال الغزيرة إلى كامل عساكر إيران وأمرها ان تشترى من المدينة كل مايطيب لها وان لاتأخذ شيئا بغير ثمن وكان قصده بهذا ان يجعل رجال الفرس يكسبون المدينة الاموال ويعوضون عليهم ماقد خسر ليعرفوا ارقتهم وحلمهم

قال وبعد ان أخذ طيطلوس فى إجراء ماتقدم دعا الملك ضاراب اليه كرمان شاه وقال له أريد منك ان تذهب بمائة الف فارس من فرسانك الشداد مع بيلتا بهلوان تختك وتسير إلى انطاكية لخلاص بهمزار قبا فانى مضطرب الفكر لأجله ومن متوجبات الانسانية ان لا نغفل عنه ولا نتركه بيد الأعداء كل هذه المدة ومن الصعب ان أكون قادرا على انقاذ أضعف عساكرى وأرجع عن العمل أو أتأخر عن الخلاص . وانى اطلب اليك ان تستعمل كل الحكمة والدقة إلى خلاصه بحيث لا ترجع إلا به ومهما امكنك ان تستعجل لاتتأخر قط لأننا الآن نقيم فى ملاطية مدة أيام ولابد لقيصر من ان يسير الينا العساكر بعد قليل من الايام وينتشب بيننا القتال والنزال ونصبح فى حاجة إلى الرجال وخذ برفقتك بدر فتات العيار فهو ماهر فى صنعته يخدمك بامانة وكما انه سعى فى ادخالك إلى الاسكندرية بادراكه وتدبيره لا بد له من ان يدخلك إلى انطاكية بحيله وتدابيره فأجاب كرمان شاه بالسمع والطاعة وخرج من حضرة الملك ضاراب ودعا بيلتا فأمره أن يستعد إلى

الذهاب فى الصباح مع بقية الفرسان والابطال . ولما كان صباح اليوم التالى ركب كرمان شاه بجماعته وودع الملك ضاراب وسار عن ملاطية بقصد مدينة انطاكية وكان يسمع أنها حصينة جدا أسوارها من أمتن أسوار المدن الكبرى المشهورة وأبوابها من الحديد الذى يبلغ سمكه أكثر من عشرين قيراطا قطعة واحدة طولا وعرضا وبقى سائرا على ماتقدم إلى أن وصل انطاكية وقرب من جدرانها فانزل الجيوش فى الخارج ليأخذوا لأنفسهم الراحة فى اليوم الأول منتظرين الغد .

فهذا ما كان معنا من سياق الملك ضاراب وما وقع له فى سفره إلى أن وصل إلى ملاطية ولنرجع إلى إتمام ما كان حدث فى انطاكية فان الأمير قطاع سجن كليلة بنت ملك الشام كما تقدم وجعل كل مدة يرسل فيراجعها عن نفسها ويقول لها ان لاخلاص لك من هذا السجن إلا بقبولك باقترانى فان الناس أصبحت تلهج بى وبك ولم يعد يمكنى إلا أن أتخذك زوجة لأبين للناس انى قادر على كل ما أقوله . فتجيبه بالامتناع والنفور وانها مستعدة لأن تلاقى الموت الزؤام قبل ان يخطر على ذهنها قط أن تتزوج به أو ترى نفسها بالقرب منه فكان يغتاظ من أمرها ويكدره عملها غير أن حبه لها كان يبعث به على الأمل ويؤكد عنده أنها لابد من أن تلين وتصغى وتسمع إلى كل مايريده ويسعى فيه وبقيت هذه الحالة حالتها وهو باق على الأمل إلى أن جاء أبوها إلى المدينة فارا من الشام كما تقدم معنا الكلام ودخل المدينة منهزما ومعه بعض رجاله وأعيان مدينته فترحب به الأمير قطاع وظن أنه بواسطته يتزوج بها وأنزله بالقصر الذى كانت به بنته وجاء اليه ولم يرض اليوم الأول أن يفاتحه بمثل هذا الحديث بل صبر عليه وأتى ذلك إلى وقت آخر إلا أن الأمير نصر صاحب حلب

انتهى الجزء الحادى والعشرون ويليه الجزء الثانى والعشرون

الجزء الثاني والعشرون

من قصة فيروز شاه بن الملك ضاراب

اجتمع به وسلم عليه ثم شرح له كل ما كان من أمر بنته مع الأمير قطاع وكيف أ:
امتنعت كل الامتناع عن أن تقبل بقرانه فاحتاج إلى أن يذلها ويعذبها بعدأن هربت.
وأعاد عليه القصة من أولها من حين دخولهم انطاكية إلى حين مجيئه فاغتاظ مسرور
من هذا العمل وندم على إرسال بنته إلى انطاكية وتاثر من سجنها وما تلاقيه من
العذاب وصبر إلى اليوم الثاني فجاء إلى الأمير قطاع وساله فى أن يسلمه بنته كليلة
فقال له إنى أحب ذلك إنمابشرط أن تعدنى بزواجها وأن تقبل بى . قال اعلم أنها لم
تكن أدنى منك نسبا بل هى بنت ملك فكيف ترضى بعد إذلالها وعذابها أن تتزوج
بمن أوصل اليها الأذى ومع كل ذلك فانى أسالها فيه وأساعدك عليه فاذا قبلت به أنهينا
أمرها اليك والا فلا يمكن الاغتصاب فى مثل هذا الباب . وانك منذ الاول لم تعاملها
حق المعاملة وقد قصدت أن تقترن بها بغياب أبيها وبدون اطلاعه وهى طائعة لى
لاترضى ذلك مطلقا ولا تقبل بغير ماأقبله أنا . قال انى مافعلت الاصوابا وقدأخبرتها
أن تكون عندى عزيزة كريمة وأملكها بلادى فلم تصغ الى بل بقيت على الاصرار.
وانى الآن أطلب اليك أن تذهب الى سجنها بامرى وتسالها فى هاذا قبلت أحضرتها
وزففتها فى الحال وتركتسراحها ولاأصبرعليهايوماواحدا والافاتركها أشهراوأعواما
على هذه الحالة الى أن تلين وتصغى من نفسها وتسعى بطاعتى من تلقاء نفسها . فاغاظ
كلامه هذا مسرور ابن عتبة واحتار بمايجيبه وقد عجب من جهله وعناده وعدممراعاته
جانبه الا انه لم يكن قادرا على مقاومته ولذلك طلب ان يرى بنته فاجابه وبعث معه
رسولا يامرالسجان ان يسمح له بمواجهة بنته . ولما دخل عليها ونظرحالتها المرة تكدر
عليها مزيد الكدر ورمى بنفسه على عنقها يقبلها وهويبكى ويسكب الدموع على ما لحق
بهامن العذاب فقبلت يديه وعارضيه وبكت وسالته عن حالته فاخبرها بما كان من امر
الفرس واستيلائهم على بلاده وهربه منهافلامته على عمله وقالت له كان من الواجب ان
تنقاد الى امرهم وتعاملهم وتبقى فى بلادك ولا تلاقى هذا الذل والعذاب . قال ان بلادى
لاتخرج من يدى فلا بد لى من العود اليها وقد عولت ان ابعث بكتاب الى الملك قيصر
اطلعه على كل ما جرى واخبره بامر الأمير قطاع وفعله معك فلا بد للملك قيصر من

أن يجبره على إعادتك إلى وإعادة بلادى أيضا بعد انتصاره على الفرس . قالت إنى لا أرى للرومان نصرة عليهم ولا بد من أن يقتلوا قيصر ويتولوا على بلاده ولا يبق فى وجههم من معارض إنما هذا ليس من همنا الآن إنما الهم الأكبر أن تمنع عنى قطاعا الخبيث الغادر فهو يريد أن يرغمنى على القران به وأنا أكره ذلك غاية الاكراه لأمرين خطيرين أولا لجهله وقبائحه وشروره الكثيرة وقتله أمه وأباه وإغضاب الله عليه . وثانيا لكره قلبى له وبغضه فانى أفضل الموت ألف مرة من أن أرى وجهه مرة واحدة فلهذا أريد منك أن لا تمده بى قط ولا تغيظك حالتى الآن فانى متيقنة أنى لا أبقى على هذه الحالة زمانا ولابد للملك ضاراب من أن يأتى أنطاكية لخلاص فارسه المسجون الذى كان عندنا وبسببه يشفق على ويتركنى وبدون شك هو لا يبقى على الأمير قطاع قال إن كلا الأمرين عندى خطيرين ولم أر من الموافق إلا أن أبعث فأعلم قيصر بك وبأمرى فهو يسعى فى خلاصك ومتى تخلصت سرت بك اليه وأبقى هناك إلى حين انتهاء الحرب . قالت إنى أسلم أمرى اليه تعالى فهو يدبرنى بحكمته . ولم تقبل أن تطلع أباها على أمرها وحبها لبهمنزارقبا إذ لم تر فى ذلك فائدة .

قال وبعد أن صرف أبوها نحوا من نصف ساعة عندها ودعها وخرج باكى العين شاك من حالتها وكيف تقدر أن تحتمل مثل هذه الآلام والأوجاع التى يصعب على أشد الرجال حملها بعد أن كانت تتنعم فى قصرها بكل أسباب التنعمات ولما رجع رسول قطاع اليه سأله عما سمع من الكلام الذى وقع بين مسرور وكليلة فحكى له وأنه سمعه يقول لها أن مراده يرسل كتابا إلى الملك قيصر . فنما به الغيظ وكدره مزيد الكدر وصبر إلى الليل وغيظه ينمو فى صدره حتى لم يعد فى وسعه أن يكدمه بل حركه إلى الانتقام من مسرور فدعا فى الحال بعض أتباعه وقال له أريد منك أن تأخذ الآن ألف فارس وتفاجىء القصر القائم فيه مسرور بن عتبة فاقتله واقتل جميع أتباعه الذين معه ولا تبق على أحد منهم فما فيهم من خير لنا لأن كليلة تتأمل بهم الخلاص وتزيد عتوا وعنادا فأجاب الرجل أمره وسار إلى القصر المقيم فيه مسرور فدخله بالرجال الذين معه وأخذ فى أن يذبح أعيان الشام الذين جاءوا مع مسرور وذبح مسرورا ولم يترك فى القصر نفسا حية إلا وأماتها . وبعد أن اتم أمر سيده خرج مسرورا حتى وصل اليه وأخبره بانقراض الجميع ففرح مزيد الفرح وقال عملت خيرا فانى كنت أؤمل بواسطة أبيها زواجها وإقناعها فكان منه أن حركها إلى البقاء على العناد وقصد أن يشكونى إلى قيصر فقصم الله الاثنين معا

وأمر بالتشديد والتحفظ على كليلة وأن يقللوا لها من الطعام والماء وان يهينوها كل الاهانة وان يمنعوا عنها خبر ابيها وما حل به بل أمر السجان ان يقول لها ان لم تتزوج به لا يمكن ان تخرج من جهنم عذابها . فكانت تكابر وتصر على قولها ومما زاد فى اصرارها علمها بأن الايرانيين وصلوا الى دمشق واستلموها وانهم لا بد أن يأتوا إلى خلاص حبيبها فتتخلص بسببه وواسطته وانه لا يتركها قط دقيقة واحدة بعد خلاصه .

وبعد ان مضى على ذلك عدة ايام وصل كرمان شاه إلى انطاكية برجال الفرس وفى نيته ان ينقذ بهمزار كما تقدم الكلام . فلما وصل إلى تلك الأرض وشاهد ان الابواب مقفلة والاسوار منيعة نزل برجاله إلى حول المدينة وعزم على ان يبعث بكتاب الى الامير قطاع يأمره بالطاعة والانقياد وان يسلم اليه بهمزار قبا فاخذ وكتب من كرمان شاه ابن عم الملك ضاراب ملك بلاد الفرس إلى الأمير قطاع صاحب انطاكية .

بعد ذكر الله والحمد لله له اخبرك ايها الامير انه بلغ سيدى وابن عمى الملك ضاراب ان احد بهلوانى بلاده وهو بهمزار قبا الموجود فى السجن عندك وقد بعثه مسرور بن عتبة صاحب الشام ليبقى امانة عندك ولذلك بعثنى بمائة الف فارس من الفرسان الشداد رجاء ان آتيه به لأنه عزيز عنده ومن خواص رجاله . فاطلب اليك الآن بأمر الملك ضاراب ان تسلم الى البهلوان المذكور بعد ان تطلق سبيله وتكرمه مزيد الاكرام . وبعد ذلك تدخل فى طاعتنا وتصير من عمالنا فانزل عن أسوار مدينتك أعلام الرومان وارفع اعلام الفرس وناد باسم الملك ضاراب وانشر سلطته على بلادك فهو خير لك من الملك قيصر ولا تمنع بنفسك وتكابر قط فانى قادر على ان ادك هذه الحصون وادخل اليك واجازيك المجازاة الصارمة والسلام ختام .

وبعد أن طوى الكتاب سلمه الى بدر فتـات وقال له اريد منك ان تأتينى بالجواب حالا قال انى اخبرك ياسيدى بأن خطر فى ذهنى خاطر لما نظرت الى هذه الاسوار فوجدتها منيعة جدا ولذلك اخاف ان يطول امرنا حولها فنصرف وقتا طويلا دون جدوى ولهذا اخبرك انه إذا أجاب صاحب هذه المدينة بالايجـــاب رجعت اليك حالا بالجواب وإذا امتنع بقيت فى المدينة الى ان يسهل لى منها طرق النصر أى إلى حين اتوصل إلى طريقة اقدر بها ان ادخلكم المدينة فتملكونها وتدخلونها وإلا ما النتيجة من اقامتنا حول الاسوار ومهاجمتنا الاحجار فهم يقفلون الابواب ويبقون داخلها على عملهم وشغلهم ونبقى نحن اشهرا واياما عرضة للشمس والبرد

فارجوك أذا أبطئت عليك لا يشغل بالك ولا تظن أنه لحق بى سوء فانى مزمع على البقاء كما قلت لك. قال أفعل ما بدالك وفقك الله إلى ما فيه الصواب وأعادك الى سالما نائلا ما تتمناه. ثم ودع بدر فتات كرمان شاه وسار لجهة المدينة وطرق الباب وأخبر البواب أنه رسول آت بكتاب من سيده ففتح له وادخله واقفل من ورائه فنحا إلى جهة قصر الأمير قطاع ودفع اليه الكتاب فأخذه وقرأه وعرف معناه وتحقق أن الملك ضاراب لم يحضر بكل جيوشه كما كان يظن بل قسم منها ولذلك استشار رجال ديوانه فيماذا يجيب وقال لهم أن كرمان شاه يتهددنى ويطلب الى ليس فقط تسليم الأسير بل تسليم المدينة أيضا إذ أنه يريد أن نجعلها مدينة فارسية فندخل فى طاعتهم ونصير عبيدا لهم. وهم دون المائة الف فارس. فقالوا له انه كان يخطر لنا أن نسلمهم إياه ونعمل على محاربتهم لأن المدينة حصينة جدا ولا يمكن أن يتمكنوا منها ولو صرفوا العمر والأدهار وعندنا من المأكل والمؤن ما يكفينا لأشهر وسنين ولا نغضب الملك قيصر وندعه يعادينا وقد يترجح لنا انه لابد أن يفوز على الفرس فاذا عرف بعد فوزه بخروجنا عن طاعته ودخولنا فى يد الفرس أرسل الينا جيوشه وجازانا على فعلنا. ولذلك نرى من الموافق ان ترسل جواب كرمان شاه بالامتناع وتطلب اليه أن يرحل من هذه البلاد وإلا لاقى منا ملاقاة الويل والعذاب فلا يستفيد من حصارنا شيئا فاجاب الامير قطاع على كتاب كرمان شاه كما قالوا له وزاد من عنده بأنه تهدده وحكى له كلاما غير لائق ثم دفع الكتاب إلى بدر فتات فأخذه ووضعه فى جيبه وخرج من ديوانه مظهرا أنه يريد المسير إلى سيده حتى تغلغل فى المدينة واختبأ فى خرابة من خرباتها فنزع ثيابه الظاهرة فاخفاها وكان يلبس تحتها ثوبا ممزقا وسخا ووضع على رأسه قبعا مشرما مثقب ونزع حذاءه من رجله حتى أصبح من الفقراء الشحاذين وأخذ عصاه فى يده وجعل يطوف فى المدينة من جهة إلى ثانية يسأل الاحسان ويبحث عن مكان السجن الذى فيه بهمنزار وبقى بقية ذلك اليوم إلى المساء حتى عرف المكان فاطمأن باله وأخذ يفكر فى طريقة الدخول اليه حتى ترجح له وجه الصواب فدنا من الباب وطرقه فخرج اليه السجان فرمى نفسه على أقدامه وهو يقبلها ويبكى بحرارة ويضرب على صدره ويرفع رأسه إلى السماء يدعو له بطول العمر والسعادة ويطلب اليه أن يرحمه ويساعده فانه يريد أن يدخل على المسجونين يسألهم الاحسان والعطاء فلا بد من أن يحصل على ما يكفيه لقوت يوم ويومين. فقال له الرجل انى اجيبك إلى سؤالك فما من خوف منك انما لا تقم كثيرا فى الداخل لأن الآن وقت الليل

ولا يراك أحد وانى سأقفل الباب عليك من الخارج فلا تخرج إلا بأمرى وأذنى ثم أدخله وهو حزين من حالته ومتأثر من فقرة فما صدق بدر فتات أن صار داخل السجن حتى هرول يسعى وسمع السجان قد أقفل الباب فاطمأن باله أيضا وقال بعد أو أمضى غرضى لا بد له أن يفتح لى فاخرج . ثم أخذ يدور فى غرف المسجونين ويدعو لهم بالخلاص ويسألهم العطاء فيدفعون اليه ماعندهم من كسر الخبز وغيرها ولا زال حتى جاء إلى الغرفة التى فيها بهمنزار قبا وهياش وزير الأمير قطاع الذى أمر بحبسه هناك فلما دخل عليهما عرف بهمنزار فدنا منه وجلس إلى جانبه وجعل يدعو له بالخلاص وسأله الاحسان فلم يعرفه فاعطاه بعضا من الدراهم فنظر اليها بازدراء وقال له ماهذا العطاء فهو قليل من رجل مثلك فى طبقة الملوك غير أنه يقال عنكم أنكم بخلاء وهذا مصدق عن الفرس . فقال له ان هذا مكذوب عن الفرس فلسنا كما زعمتم ولو أتيتنى وأنا غير محبوس وفى جيشى لما لقيت منى إلا الاحسان والعطاء الغزير فارجوك تعذرنى فما بيدى غير ما أعطيتك . قال هذا العطاء لايكفى فى مقابلة اهتمامى بخلاصك واخرجك من هذا السجن فضحك منه وقال له أراك فضوليا فمن أى البلاد أنت قال أنا من مصر وقد خرجت منها فى هذه الأيام مع جيوش الفرس على أمل أن أشحذ فى الجيش فاعيش فما كنت الاقى الا خلاف ما ظننت ولا أحصل على كسرة خبز إلا بعد التعب والجهد العظيم . فلما سمع بهمنزار بذكر جيوش الفرس انعطف خاطره إلى معرفة ما جرى على الملك ضاراب من بعد أسره وهل هو ساع فى خلاصه وقد طال عليه المطال فقال لبدر فتات أنى لاأصدق منك ذلك فهم يطعمون الفقير ولا يتقاعدون عن المسكين وانى أعطيك الآن كل مافى وسعى أن أعطيكم إنما أريد منك أن تخبرنى بخبر جيش فارس بعد حصارهم المدينة ماذا صار بهم وأين هم الآن . فجعل يحكى كل ما كان من البداية إلى النهاية وقال له وأنى أتعجب من قلة عقل الملك ضاراب فانه لأجل رجل واحد من رجاله سار إلى الشام فملكها وسار منها إلى ملاطيه وطرد جيوش قيصر عنها وأقام فيها ومنها أرسل كرمانشاه لخلاص رجاله فجاءوا هذه المدينة وأنا معهم وأقاموا فى خارجها . ففرح بهمنزار وكاد يطير من الفرح وثبت لديه أن قومه ساعون فى خلاصه فانهم خارج البلد . ثم قال وماذا فعل كرمان شاه عند وصوله إلى هذه المدينة وهل بدأ بالحرب . قال انه لم يبدا بحرب ولكنه كتب كتابا وبعثه مع بدر فتات العيار إلى الأمير قطاع فاخذه اليه وطلب منه أن يسلمه أياك فلم يقبل فرجع بدر فتات وفى نيته أن يتوصل اليك فاختفى عن الاعيان

إلى بعد الغروب فنزع ثيابه ولبس ثياب الشحاذين الفقراء وجاء إلى هذا السجن فاحتال على حارسه ودخل اليه .

قال فلما سمع بهمزار كلامه تحقق أنه بدر فتات فطار فؤاده فرحا واستبشارا وجعل يقبل بدر فتات وقال له انى لم اعرفك فى الأول فاخبرنى الان على ماذا عولت على أن أبقى داخل المدينة أسعى للوقوف على منفذ لها أدخل به أصحابى لنملكها بوقت قريب لأنى ارى حصونها منيعة لا يمكن أن تفتح بالحصار . فقال له الوزير هياش وكان يسمع الكلام وعرف أنه قد آن وقت خلاصه أنكم لو بقيتم الدهر خلف الاسوار لما بلغتم غاية من المدينة وعندى أن تسعوا أولا بالوصول إلى دهليز يبتدى من قصر الامير قطاع وينتهى إلى حفرة خارج المدينة على بابها حجر يبلغ تربيعه ذراعا لا يمكن أن تهتدوا اليه قط ولا يصل اليه إلا الذى يعرفه . قال من أين يمكننا أن نصل إلى هذا الدهليز وفى أى مكان من قصر الامير قطاع يبتدى . قال هو يبتدى من غرفة منامته من قافمة تحت سريره فاذا قدرت أن تصل إلى هناك سرت إلى داخل الدهليز إلى ان تنتهى إلى بابه الخارجى فترفع الحجر وتصعد منه قال انى استعين بالله على قضاء هـــذه المهمة ولا بد لى من أن اهتدى إلى هذا الدهليز وأدخل فرسان الفرس منه ثم ودع بهمزار قبا ووعده بقرب الخلاص وسار إلى البواب فدعاه ليفتح له الباب فاجابه اليه وقال هل حصل مايكفيك . قال حصلَ ما يكفى لى ولعائلتى هذه الليلة فقط . وبعد أن بعد عن السجن سار إلى المكان الذى كان قد ترك فيه ثيابه فاخذ منه مااحتاج اليه واخفى الباقى وتزى بزى شاب بسيط الحال طباخ وسار إلى أن وقف بباب قصر الامير قطاع فاعترضه الحاجب فقال له انى أريد طباخ الامير قطاع فان لى كلاما أحب أن أقوله له . فادخله اليه فلما وصل بين يديه قال له أعلم ياسيدى أنى كنت طباخ الوليد حاكم مصر قبل أن تملك الفرس المغتصبون بلاده فلما نزعوه عنها تركت المطبخ وسرت من مكان إلى مكان إلى أن قادتنى الصدف إلى هذه الناحية فطفت المدينة فلم يتيسر لى مكانا يوافقنى اخدم فيه إلى أن مدح لى بعض المحسنين منك وقال لى أذهب الى وكيل مطبخ الامير قطاع فانه فى حاجة الى خادم لمائدة الطعام فسعيت مهرولا ولى رجاء أن تساعدنى وتقبلنى ولست أريد منك شيئا الا أن تطعمنى مما يبقى من فضلات الطعام وفى كل سنة تشترى لى ثوبا من الخام الازرق وحذاء من الجلد الأحمر وغير هذا لا أريد منك شيئا فارحمنى ومتى شاهدت عملى وخدمتى تسر جدا .

وكان اسم الرجل طارف وهو من أمناء الامير قطـــاع وكان فى حاجة

إلى خادم الطعام فقال له إنى قبلتك فى خدمتى وأنك تقيم فى هذا القصر دائما وتنام فى المطبخ لأنى صاحب بيت وأحب أن أنام عند عيالى فاذا خرجت ماهرا وأعجب طعامك الأمير جعلته أن يقيمك مكانى لأنى مزمع أن أترك هذه الخدمة كونى أمسيت مسنا. قال جزاك الله عنى خيرا وإنى أخدمك بكل جهدى وأخدم الأمير خدمة ترضيه ليعلم أنك نظرت فى أمر مصلحته موضع النظر.

ثم ان طارما بعد أن أدخله الى غرفة الطعام أطلعه على كل شىء ودله على خبايا المطبخ وزواياه ودربه على الحوائج اللازم له معرفتها والطرق الواجب عليه اتخاذها فى خدمته هذه. وأقام فى مهنته هذه يجريها بكل همة ونشاط وعيافة فائقة الحد حتى سر منه طارف وصار يتكل عليه فى كل الأعمال وكذلك الأمير قطاع فانه شاهد منه نباهة وذكاء ونشاطا فأحب أن يقدم له الطعام دائما على يده وقد أعجبه جدا ولم يخطر له قط أن هذا بدر فتات.

وبعد أن مضى عليه خمسة أيام وهو على تلك الحالة لام نفسه وقال الى متى هذا التماهل والتغاضى وقومى قائمون فى الخارج بانتظارى فلا بد من قضاء مصلحتى فى هذه الليلة وصبر الى أن كان الليل. ومن عادة الأمير قطاع أن يجمع عنده فى كل ليـــلة بعضا من جماعته المتفق معهم على الفسق والسكر فيخمرون ويأتون بالنساء ويصرفون الليل على حسب مشتهاهم وذوقهم ففى تلك الليلة اجتمع فى القصر بعض الذين ذكروا فقدم لهم بدر فتات مائدة الطعام وصبر عليهم الى آخر الليل بحيث يكون قد نام كل خدام القصر وأخذ قطاع وجماعته يهرجون ويسكرون ويغنون وما منهم من يعى على نفسه الى أن كان آخر الليل نعس طارف فطلب الذهاب الى بيته وقال لبدر فتات انى ذاهب لأنام فانتبه لنفسك وقد هيئت مائدة الحلوى وكل ما يلزم معها فمتى دعاك الأمير قطاع أسرع أنت وقدم المائدة وصف الصحون ورتبها كالعادة قال كن براحة فانى أعرف ما هو مطلوب منى وفى الغد ترى ما يسرك. فتركه وذهب فأقام بعد ذهابه قليلا فى غرفة الطعام يهيء شغله وقد وضع البنج فى الحلوى وزاد منه.

ولم يكن الا القليل حتى دعاه قطاع وسأله تقديم مائدة الحلوى فاجابه وقدمها له لرفاقه فتقدموا يأكلون وهم من السكر فى تيهان لا يعى أحدهم على الآخر وما فرغوا من م حتى رمتهم الى الارض مفاعيل البنج وغابوا عن هداهم وكان بدر فتات يراقبهم فلما شاهد منهم ذلك فرح غاية الفرح وأسرع الى سرير الامير قطاع فرفعه فوجد داخله باب الدهليز بحسب ما دله عليه الوزير هياش فثبت عنده النجاح ونوال مراده فاخذ بيده مصباحا ونزل الدهليز وسار فيه الى أن انتهى الى آخره فوجد بابه من الاخير

مسدودا فى حجر فسحبها الى الداخل فقشع الخلاء فخرج اليه وفرح غاية الفرح ثم نظر الى ما حواليه فلم ير بدا من وضع المصباح فى باب الدهليز خوفا من أن يضيعه فلا يعود يهتدى اليه و نطلق حتى وصل الى الجيش فاعترضه الحارس فعرفه بنفسه ودخل الى أن وصل الى صيوان كرمان شاه فايقظه من نومه وحكى له ما توقعله من أمر المدخل وقال له أريد منك أن تبعث معى من يدخل الدهليز فيقتل الامير قطاع ونسير الى الابواب فنفتحها ونتملك المدينة قبل وصول النهار . قال خذ معك خمسين فارسا ومنهم بيلتا بن فيلزور وأنا انتظرك عند الابواب فاذا فتحتموها دخلت بكل العسكر ثم دعا ببيلتا وبقية الفرسان وأمرهم ان يلحقوا ببدر فتات فاخذوا اسلحتهم وعددهم وساروا الى ان وصلوا الى المدخل فدخلوه وساروا منه الى قصر الامير قطاع فدخلوا عليه فوجدوه على حالته مع رفاقه فتركوهم وخرجوا من القصر بعد ان قفلوا بابه واخذ مفتاحه بدر فتات وسار امامهم الى ان وصل الباب الكبير فهجم بيلتا وجماعته على الحراس فقتلوهم وفتحوا الباب واذا بكرمان شاه قد اندفع اندفاع الماء من فوه الانابيب ودخل برجاله المدينة وكان قد تبين نور الصباح فاسرعوا الى الاسوار وهجموا على العساكر واعملوا فيهم الطعن والضرب وانتشب القتال فيما بينهم وكان بدر فتات قد عاد مسرعا الى القصر فدخل اليه وشد الامير قطاع وجماعته بالحبال وتركهم فيه واقفل عليهم وعاد اسرع من السهم عند انطلاقه حتى وصل الى السجن وبيده خنجره فصاح فى السجان فخرج اليه فقبض عليه وقال له ابعد عن الباب والا اعدمتك الحياة فقد دخلنا المدينة وتملكناها لاجل خلاص بهمنزار قبا وكان السجان قد سمع اصوات المتقاتلين وعرف من ارتباك الاهالى ان الاعداء دخلوا البلد فلم ير بدا من التسليم فقال لبدر فتات انى لا امانع فى شىء فاخرج اسيركم وخذه فدخل بدر فتات السجن وتقدم من بهمنزار وطمنه بالخلاص والنجاة واخذ المبرد فقطع قيوده وقيود الوزير هياش وخرج بهما من السجن واندفع المحابيس من ورائهم يسعون الى الفرار دون مانع ولا حاجز . قال ولما تخلص بهمنزار قبا فرح غاية الفرح فتناول سلاحا من بعض الفرسان وكر الى مساعدة المتقاتلين عند الاسوار فخاض المعركة وهو بقلب اشد من الصوان وقد اشفى قلبه من الاعداء ولم يتعال النهار جيدا الا وتملكوا الاسوار واطاعهم كل من فى المدينة لانهم كانوا يطلبون التخلص من ظلم الامير قطاع وسأل بهمنزار عن مكان كليلة فدلوه عليه فاسرع وهو كالاسد الزائر حتى دخل الى سجنها فوجدها على تلك الحالة وكانت فى بأس وكدر وقد ذبلت وتغير جمالها واصفر وجهها ولحق بها من معاملة السجان لها

بكل أنواع العذاب النحول والاضمار فلما شاهدها كاد يغمى عليه وبعد ان قتل الحارس تقدم منها وعرفها بنفسه وبشرها بالخلاص واتيان عساكر الأعجام ففرحت غاية الفرح وثبت عندها الفرج وتقدمت من بهمنزار فقبلته وشكرته على اهتمامه وحكت له كل ما كان من أمر الأمير قطاع ومعاملته لها بالقساوة والعذاب فتكدر منه وقال لابدلي من ان اقتله بيدي ثم جاء إلى القصر الذي كانت به قبلا فأدخلها اليه وأمرها ان تغير ملابسها وتغسل جسدها من الاقذار وعاد عنها بعد ان أقفل عليها الباب ورجع إلى قصر الاحكام فوجد كرمان شاه قد دخله وجلس فيه وحوله الرجال والابطال والعساكر الفارسية محيطة به من كل جانب فتقدم منه وسلم عليه وسأله عن الملك ضاراب فحكى له حالته واهتمامه به فشكر معروفه وجلس إلى جانبه ثم ان كرمان شاه بعث المنادين ينادون في المدينة ان يخرج كل إلى عمله فأمن خوف على المدينة وان لا أحد من العسكر يتعرض لأحد من الأهالي ومن عليه من أحد يكدره جازاه بالقتل فأمن رجال المدينه وخرجوا إلى الأسواق ودارت الأعمال والاشغال كالعادة .

وبعد ذلك أحضر كرمان شاه الامير قطاع بين يديه وقال لما هذا العصيان والتكبر ألا تعلم ان في وسعنا التسلط عليك وقتلك قال انى كنت أجهل قدرتكم وكنت أخاف ان يغضب على قيصر وأما الآن حيث قد ملكتم البلاد بالرغم عني فانى معذور فها أنا بين أيديكم وذنبي لا يستوجب القتل فعمد كرمان شاه إلى اطلاقه والعفو عنه فاعترض عليه بهمنزار قبا وقال له لا تفعل يا سيدي فان لى دعوى عليه استحق لأجلها القتل والعذاب قال وما هي دعواك قال سوف تراها وتسمعها ثم انه سار إلى كليلة فأحضرها وكانت قد لبست الملابس الفاخرة وتطيبت وتزينت حتى رجع اليها بعض رونقها وكان فرحها عظيما جدا حيث ثبت لديها ان الفرس تملكوا البلاد وصارت بيدهم وانها منذ تلك الساعة تكون مع حبيبها فلا تفارقه وقد تملك نفسه وعادت اليه حريته ولما جاء اليها بهمنزار أخذها إلى مجلس كرمان شاه وقال له اعلم يا سيدى ان هذه صاحبة الدعوى وهي التى تطلب قتل الامير قطاع وهذه هي كليلة بنت مسرور بن عتبة صاحب الشام فتعجب كرمان شاه من حسنها وجمالها وسألها عن قصتها فحكت له كل ما توقع لها من البداية مع بهمنزار وكيف عاهدته ان تكون زوجة له حلالا وكيف ان أباها بعثها لتقيم في انطاكية تأمينا عليها من سطوة الفرس وكيف ان الامير قطاع قتل اباه وأمه لأجلها وكيف عاملها بعد ذلك بالعذاب وقد حافظت على نفسها كل المحافظة واحتملت منه الاهانة

بعد أن هربت واختفت عند العجوز أم عاجل وأن ابنها أخذ منها العقد وباعه أيضا وكانت تتكلم وبهمنزار يتحرق وكرمان شاه يتعجب من مودتها وعفتها ومحافظتها على نفسها وكرامتها وثباتها . وبعد أن انتهت من شرح قصتها لم يقدر الأمير قطاع أن يجيب عليها بشيء وفى الحال قال بهمنزار لكرمان شاه أهل لا يستحق القتل لأجل كل هذه الأعمال . قال لا ريب أنه خبيث مرتكب قتل أباه وأمه لأجل شهوته وقتل كثيرين ومراده يتعدى على بنات الملوك وانى أحكم بقتله . فلما سمع بهمنزار هذا الكلام قبض على الأمير قطاع وضربه بسيفه القاه إلى الأرض قطعتين وامر بدر فتات أن يرفعه إلى الخارج ثم سأل كرمان شاه أن يحضر له عاجل بن العجوز فبعث من أحضره فلما حضر كان سكرانا غير واع على نفسه فتقدم منه بهمنزار وفعل به مافعل بالأمير قطاع حتى اشتفى قلب كليلة وتهللت من الفرح وسرت بعمل حبيبها وأيقنت بدوام الهناء بعد ذاك العناء وكانت قد انبهرت من جمال كرمان شاه وتعجبت كثيرا وقالت فى نفسها انى كنت أظن أن حبيبى هو أجمل رجل فى الدنيا حتى رأيت له قرينا فلا ريب أن رجال الفرس أعطيوا الجمال كما أعطيوا الشجاعة والاقبال . ثم طلبت الخروج من المجلس فسار بها بهمنزار إلى القصر ودخل بها وجعل يشكو لها ما لاقى من اجلها وتشكو له ما لاقت واحضر الطعام فأكلت واكل معها وصرفا الوقت على احب ما يكون من موجبات الحب والغرام . وبعد ذلك سارا إلى غرفة المدام فأحضرا ما يحتاجان اليه منه وجلسا يتعاطيان الكؤوس على الصفاء والهناء وقد تذكروا ايام كانا يصرفانها فى دمشق على مثل هذه الحالة فى الروضة فهاجت من بهمنزار الذكرى وحسب نفسه سعيدا بما لاقى بعد العذاب فانشد :

بسمت فأذرت باللآلى ورنت بألحاظ الغزال
وتقلدت بكواكب الجوزاء فى فلك الجمال
وأتت تميس بقامة خضعت لها السمر العوالى
هيفاء لم يثن معا طفها سوى خمر الدلال
فتانة تسمو النهى لطفا وتذرى بالشمال
قد كحلت تلك العيو ن النجل بالسحر الحلال
يا خل صبرى قد عفا وربوعه امست خوالى
قسما بطلعتها التى ابدا تجل عن المثال
وبطرفها ذاك الذى يرمى المتيم بالنبال
وبمبسم يفتر عن كنز الجواهر واللآلى

وبطيب أيامى التى ولت كطيف فى الخيال
وبصدق ود فى الهوى لم يثنه جور الليالى
ما أسفرت إلا وعا د البدر فى شكل الهلال

ثم شرب مهتزا من الطرب وفعلت هى كفعله وقالت له انى وان كنت لا أنسى تلك الأيام التى سلفت لنا فى روضتى والهناء الذى صرفناه إنما لا أقيس تلك بساعة من ساعاتنا هذه لأن ذاك الوقت كان مشوبا بالخوف فكنت لا أرتاح من جهتك وأخاف من جهة أبى وأما الآن فلم يعد من مانع يحول دون اجتماعنا وقد ملكت أنت نفسك وخرجت من سجنك وصرت المالك والقاضى ولهذ أرى نفسى سعيدة جدا وانى لا أفارقك حتى الموت وسنصرف الوقت على الهناء مع بعضنا ويكون جنبك لجنبى دائما فما نحن إلا أحرار . ثم أخذت كاسا وأنشدت فرحة

كوكب السعد بالنجاح أنار وجلى عن صدورنا الأكدارا
ردد الطرف فى وجوه تراها حسنات تكفر الأوزارا
وغصون تسقى بماء نعيم قد أرتنا الشموس والأقمارا
وعلى الدوح للنسيم أياد عن غصون تفكك الأزرارا
تجتلى عرائسا وعليها من جيوب الغمام تلقى نثارا
وترى الروض فى شباب وحسن جعل النور برده المعطارا
نفحات للعندليب تنادى هاجمات الهوى البدار البدارا
فتنشق من الربا نفحات مهديات ما يدهش العطارا

وشربت عند إنشادها وملأت كاسا أخرى وناولته وأنشدت

يا لهف نفسى على دهر مضى وأنا فيه بنار غرامى عدت محترقا
أشكو وأشكر خوف اللوم ما صنعت يداه لى وغراب البين قد نعقا
أذهبت عمرى لهوا فى هوى رشاء حلو الشمائل منه المسك قد عبقا
يا عازلى فى هواه لو رديت به لكنت لى عاذرا فيما ترى شفقا
مذهب الخد فى أحداقه غنج لى مذهب بالتجرى فى هواه رقا
ساومته الوصل قال البعد من شيمى خذ فى السما سلما أو فاتخذ نفقا
حتى إذا كاد يثنى السكر معطفه وخيل أفراحه قد أرسلت طلقا
سرقت فى الحال وصلا عند غفلته والطف الوصل فى الأيام ما سرقا

ونشر الهناء رواقه فوقهما وأخذتهما دواعى المسرة تحت حمايتها فلم يعد الملك الأكدار عليهما من سبيل ولا لجيش المصائب اليهما من وصول وقد صرفا الوقت

وما بعده كحبيبين حقيقين مخلصين الود . واخذ أيضا كرمان شاه قصرا خاصا بنفسه أقام فيه مدة عشرة أيام أى مدة اقامته وفى اثناء هذه المدة أعهد برئاسة الاحكام إلى الوزير هياش فألبسه الوسام الفارسى وقال له انك منذ الآن الحاكم على هذه المدينة بدلاً من الامير قطاع الذى لقى شر عمله وبما انك أمين وطائع وعندك من العقل والحكمة مالايوجد عند غيرك لاالزوم لأن أوصيك باجراء الحلم والعدل والمساواة بين الرعية انما اطلب اليك أن تبعث فى كل عام الأموال المضروبة الى الملك ضاراب بقدر ما يمكن ان تحمل هذه المدينة واذا احتجتم الى مدافعة أو فاجئكم عدو فابعثوا اليه برسل فهو يفرج عنكم كل مايقع عليكم وأكرر طلبى بأن تبقى على اسواركم الأعلام الفارسية بحيث تبقون تحت حمايتنا فلايجسر أحد على الدنو منكم بسوء . فاجابه الوزير الى كل ما طلب ووعده بالطاعة والانقياد الدائم وبعد مضى عشره ايام راقت الاحوال وتدبرت أمور المدينة ولم يعد من مانع يمنع الايرانيين عن السفر فودعوا هياش الحاكم وركبوا راجعين على الطريق الذى جاءوا منه وهم تحت ألوية النصر والظفر وفى مقدمتهم كرمان شاه والى جانبه بيلتا وهو كالبدر الحردان وعلى جانبه الآخر بهمنزار قبا وهو فوق الجواد كأنه طود من الاعواد وقد أركبوا كليلة بنت ملك الشام على هودج مخصوص وهى سائرة الى جانب محبوبها تراه ويراها من عن ناقتها وداموا على مسيرهم نحو ثلاثة أيام يسيرون فى النهار أو يرتاحون فى الليل وفى اليوم الرابع دخلوا ارضا واسعة فسيحة مملوءة من الغدران والاحراش والادغال فخطر لهم ان ينزلوا فى تلك الارض ليرتاحوا ربثما يرتاحون ويأكلون الطعام ويعودون الى المسير ولذلك حولوا عن خيولهم وتفرقوا فى تلك السهول وجلس كل الى الغذاء . فتقدموا وسقوا خيولهم واقام بهمنزار مع كليلة وارتاحت واكلت وقامت تتمشى فتبعها بهمنزار برافقها اينما قصدت حتى رأت فى اطراف المعسكر بئر عميقة ضيقة الباب فمدت رأسها منه فلم تر اسفله بل رأته اسودا مظلما لا يبان له قرار . فلاح لها ان ترمى حجرا فيه واخذت حصاة صغيرة وقذفتها إلى قعر البئر فما لبثت ان افلتت الحصاة من يدها حتى نظرت إلى دخان كثيف تصاعد بسرعة منها فارتاعت ودوات ان ترجع إلى الوراء فلم تقدر لأنها نظرت باسرع من لمح البصر إلى يد قوية مدت من وسط الدخان المتكاثف فقبضت عليها وانتشلتها من على الارض وغارت بها فى اعماق البئر فصاحت واستجارت ببهمنزار فاندفع ليخلصها الا انها غابت عن ابصاره ولم يرها فاخذ يصفق بيديه كالمجنون فاسرعت الفرسان على نداءه وقد شاهدوا كليلة سقطت إلى البئر فنظروا اليها فرأوها غير عميقة وفى اسفلها

حجارة وحصى وأتربة ونحوها وليس فيها شيء آخر فاندهلوا ونزلوا البئر ونزل بهمنزار وفتش فلم ير سوى جدران البئر وهى من الصخر وليس من انس ولا من جان داخلها فزادت عليه الأكدار وجعل يلطم خدوده ويعض على بنوده ويتحسر كيف غابت عنه واختطفت منه وهو لا يقدر أن يخلصها من خاطفها . فأخرجه كرمان شاه إلى الخارج وقد حزن على حالته وقال له غياب كليلة لم يكن بارادتها ولا بد من أن يكون أمر خفى اعد لها ولا نقدر أن نعرف بعالم الغيب ولا أظن إلا أن هذه البئر يسكنها جماعة من الجان ولا قدرة لنا على محاربتهم واغتصابها منهم فمن الموافق أن نرحل إلى الملك ضاراب ونعرض أمر كليلة عليه وعلى طيطلوس الحكيم فلا بد أنهما يرشداننا إلى ما به الصواب . فاذا كان الذى اختطفها من جماعة الجان جاء فيروز شاه بالسيف الذى أحضره من الاسكندرية المعد لقتل الجان وخلصها لك . فبكى بهمنزار قبا البكاء الغزير وقال دعنى يا سيدى وحدى هنا وسر فرجلاى لا تطاوعنى على المشى فى أرض اختفت بها خطيبتى وأخاف إذا غبت أنا عن هذه الديار أعادها الذى أخذها إلى الأرض فتصبح وحيدة فريدة لا مؤنس ولا مساعد فتموت لا محالة قال لا يمكنى أن أتركك لانى ما أتيت إلا لاجلك فكيف أبقيك وأسير ومع ذلك فانى اكراما لك أقيم هنا ثلاثة أيام فاذا حضرت أخذناها وسرنا وإذا لم تحضر ولم يعد الذى أخذها لا سبيل إلى العودة بعد فنقطع الأمل منها وننتظر الفرص المؤدية إلى خلاصها من طريق آخر لا علمه الآن فاتكل على الله واطلب اليه أن يساعدك ويرجعها اليك

فلما سمع كلامه جعل يبكى ويصلى اليه تعالى بقلب مقروح ومحروق ويرجو منه المساعدة والاغاثة . وأقاموا فى تلك الأرض ثلاثة أيام وبهمنزار لا يفارق باب البئر ظنا منه أنها تعاد أو يسمع لها صوت أو حركة فلم يظهر له شيء من ذلك ولا يرى بالبئر سوى الحجارة والأتربة وزاد به الشوق وعظم عليه الكدر واحتار فى أمره ماذا يفعل فجاء اليه كرمان شاه وقال له أريد منك أن تركب الآن فلم يعد فى وسعنا التأخير ألا تعلم أن الملك ضاراب على مقالى الجمر من أجلنا وهو يخاف أن يلحق بنا أذى فاذا أبطأنا القيناه فى حفرة اليأس والاضطراب فاذهب بنا إلى طيطلوس فهو يعرف ويظهر من رمله أين راحت ومن الذى أخذها . فانقاد بهمنزار قبا عند سماعه هذا الكلام وقال بنفسه لقد صدق كرمان شاه فما من وسيلة هنا للوقوف على أخبارها ومن الموافق أن أسعى فى إيجاد الطرق القائدة إلى الاستحصال عليها ولا بد من أن يساعدنى سيدى فيروز شاه ثم أنه نهض فركب جواده وهو

منكسر القلب والخاطر حزين للغاية وسارت العساكر عن تلك الأرض وهو في مؤخرتها
يسير وعيناه تضرب [illegible] بها أملا أن يوقع نظره
عليها فيرجع إلى خا [illegible] مدوا كثير ما كمد قلبه
جدا واسودت الد [illegible] إلى رفاقه وداموا هكذا
حتى قاربوا ملاطية فبعثوا بالأخبار إلى الملك ضاراب بفوزهم وامتلاكهم المدينة وخلاص
بهمنزار ففرح جدا وبعث مصفر شاه ووزيره دوش الراى أن يخرجا مع من يريد من
الفرسان لملاقاة القادمين فخرج جمع غفير من سائر الجيوش وسار جيش بهمنزار
الخاص برمته وعدده ثلاثون الفا وبقي سائرا إلى أن التقى القادم بالخارج فترجلوا
وسلموا على بعضهم البعض وهم فرحون كل الفرح وسلم الجميع على بهمنزار وهنأوه
بالسلامة وهو عابس قاطب غير مسرور من هذه الملاقاة متكدر من غياب محبوبته
وقد كان يتمنى أن تكون حاضرة فترى عظيم اعتباره واعتبارها عند قومه وتشاهد
عظمة رجال الفرس وعادوا جميعا راجعين إلى حضرة الملك ضاراب حتى وصلوا اليه
ودخلوا عليه فترحب بهم وهنأهم بالسلامة والنصر وشكر كرمان شاه واهتمامه ومدح
من بينها غاية المدح على بسالته واقدامه وحكى له كرمان شاه عما فعله بدر فتات من
تسهيل دخولهم إلى المدينة مع أن أسوارها أعظم من أسوار الاسكندرية لا يقدر على
هدمها وخرقها أحد وهي تكاد تكون قطعة واحدة وأبوابها من الحديد السميك

فلما سمع الملك ضاراب وفيروز شاه وبقية الفرسان صدق خدمة بدر فتات
سروا منه وعجبوا من تفننه في مهنته وأراد فيروز شاه أن لا يضيع له تعبا على مثل
هذه الخدمة فقال له لقد فعلت حسنا يا بدر فتات واشتريت دم رجالنا بسعيك
واجتهادك وقد أدخلتهم قبل الآن الاسكندرية ودفعت عنهم ثقلة عظيمة والآن قد
أدخلتهم انطاكية وملكتهم إياها ولهذا لا أرغب لا أنا ولا أبي أن نحرمك من
المكافأة ثم دفع اليه عشرة آلاف دينار ومثل ذلك الملك ضاراب وقال له هذا مكافأة
لفعلك وسعيك بالجد والأمانة وانى آمر كلا من فرساني أيضا أن ينعم عليك بما
يروق في عينيه . وكان جميع الحاضرين معجبين من عمله مسرورين منه يحبون أن
يكافئوه عليه قدوة لغيره من العيارين الذين دخلوا في خدمتهم مع أنهم كانوا من
الأعداء ليسعوا ويجتهدوا مثله فأفرغ عليه كل من إنعامه على قدره حتى أصبح بدر
فتات من أكبر أغنياء ذلك الزمان يقابل الملوك بكثرة ماله وتقدم في الأخير بهروز
كبير عياري إيران رشد وسط بدر فتات بنطاق عريض مزركش بالحرير المنسوج
ومرصع ببعض حجارة كريمة عند ربطته وبصدرية خضراء مصفحة بالذهب من

كل صدرها مشبكة بالحرير من ظهرها وأعطاه خنجرا مرصعا بالحجارة الكريمة وقال انى بأمر سيدى فيروز شاه أرفعه إلى رتبة أستاذ فى هذا الفن كسيده طارق فهو مثله فى النشاط والخدمة . فسر بدر فتات مزيد السرور ورأى نفسه غنيا وصار فى الدرجة الأولى بين عيارى إيران ولم يعد أعلى منه درجة ورتبة إلا بهروز عيار فيروزشاه لأنه سيدهم وأميرهم ومجبورون إلى طاعته إذ لا بد لهم من رئيس وأقدرهم قوة وأشدهم قلبا كون أباه كان غولا . وأقام الملك ضاراب بعد ذلك يتهيء للسير إلى عاصمة قيصر لمحاربة الرومان لأنه كان هناك بانتظار كرمان شاه وعودته من انطاكية . وبعد أن تهيأ وتم له كل شيء ركب وسار يقصد الملك قيصر ومن خلفه الجيوش والفرسان وكانه لما كسر الملك ضاراب تمرتاش وجاء ملاطيه واستولى على الخيام والمؤن وكل ماهناك كما تقدم الكلام وجد فى صيوان تمرتاش صنية رومانية ذات حسن باهر وجمال فائق فسألوها عن نفسها فقالت انى خليلة تمرتاش فالقاها عنده فلما سافر من ملاطية أحضرها معه كأسيرة كيدا لصديقها بهلوان الرومان غير أنه لم يكن محجور عليها كل الحجر ولا مقيدة بل كان يحرسها ويخدمها فارس واحد وكله بها الملك ضاراب وكان اسمها انس الصفا

قال فهذا ما كان من الملك ضاراب وأما الملك قيصر فانه لما وصل اليه تمرتاش مهزوما من أمام الفرس وليس وراءه من الفرسان إلا القليل كاد يغمى عليه ودخل قصره وبقى عدة أيام كالمجنون لأنه تكدر مزيد الكدر وثبت عنده نجاح الايرانيين لأنهم أخذوا مقدمة النجاح وبعد ذلك دخل عليه ولده وتمرتاش ووزيره بيداخطل وقال له تمرتاش ان نصر الايرانيين كان بالحيلة والخداع والمكر ولم يلتق عسكرنا وعسكرهم دفعة واحدة وجها لوجه بل كان ذلك فى الليل وما منا من يعرف رفيقه ولا عدوه من صديقه وقد وضعونا فى الوسط واحتاطوا بنا من كل جهة ولو لم نكن من الأشداء لما خلص منا ولا فارس ولا يجب أن نتقاعد عنهم ونتركهم يعيثون فى بلادنا ويدهموننا ونحن فى غفلة عنهم . قال انى مكدر من ضياع رجالى بيوم واحد وانى أعرف انى فى النهاية لا بد أن أفوز عليهم إنما لا أحب أن أخسر رجالا من رجالى بهكذا مقدار قال تمرتاش اننا نفوز عليهم إذا حاولناهم فى القتال وطاولناهم وانى مؤكد أن لا فارس فيهم يلقانى فى الميدان ولذلك سأحصر القتال فى فأبارزهم وأصطادهم واحدا بعد واحد إلى أن أسحب فرسانهم بأجمعهم ثم نهجم على بقية العسكر فنبددهم عن آخرهم . فسر هذا الكلام الملك قيصر وقال انى بعثت بالرسل إلى العساكر لتحضر إلى معونتى وعليه فانى أحب المطاولة إذا قصد الفرس القدوم إلى بلادنا

والهجوم علينا ولذلك أرغب أن تبعثوا بالعيارين والأرصاد حتى إذا رأوهم قد خرجوا من ملاطية وجاءوا نحونا يأتون الينا بخبرهم فنستعد لهم ونلاقيهم بعيدا عن بلادنا أى فى نصف الطريق . وخرج الملك قيصر إلى ديوانه وأخذ فى عمله وتهيئة العساكر وتذخير الذخائر والمؤن وتعديد العدد حتى كانت المدينة فى قيام وقعود

ودامت الحال على هذا المنوال مدة أيام وقد وضعت العيون والأرصاد على ملاطية يراقبون جيوش الفرس وحركاتهم وينتظرون خروجهم منها وكانت عين الحياة كل هذه المدة قائمة فى القلعة على حالتها من الكدر والغم وليس لديها سوى امرأة اسيف الدولة وفى وقت الطعام يحضر اليهما محمولا على الموائد فتأكلان إلى أن تكتفيا فترتفع الموائد وتبقيان على حالتهما وفى كل يوم يحضر اليهما الأمير فهد حاكم القلعة ويسأل عين الحياة عن احتياجها وما ترغب فيه وإذا كان لها من غرض فتخبره عنه وكانت فى أكثر الأيام تسأله إذا كان عرف أن الحرب قد انتشبت بين الفرس والرومان فيجيبها بما يعرف إلى أن كان ذات يوم جاء اليها وسألها عن احتياجها كالعادة فقالت له لا أريد شيئا سوى انى أحب أن أتخلص من هذا الحبس ولذلك أريد أن أعرف إذا كان الفرس وصلوا هذه البلاد أم لا لأنى مؤكدة انى لا أخرج من هذه القلعة إلا بعد نهاية الحرب واجلاء الفرس عن هذه البلاد وكانت ترغب فى أن تصيره مركنا اليها ولا يظن أنها ميالة للفرس فقال لها ان كامل احتياجاتنا تصل الينا فى الأسبوع مرة من المدينة ولا سيما فى هذه الأيام فان انبوش ابن ملكنا يبعث إلى دائما بالأخبار والهدايا لكى يوصينى بمداراتك وقد عرفت ممن جاء من قبله بالأمس أن الفرس جاءوا بلادنا وقربوا منها وطردوا تمرتاش من ملاطية بعد أن كسروه شر كسرة حتى تكدر ملكنا من عملهم ولازم القصر منفردا مدة أيام . فلما سمعت عين الحياة هذا الكلام امتلأت الدنيا فى عينيها سرورا وأوعب قلبها فرحا وثبت عندها قرب خلاصها من الحبس واستنشقت رائحة الحبيب بالقرب منها . وقالت للأمير فهد انى أريد منك أن تستخبر لى دائما ممن يأتى اليك من المدينة عن أحوال المتحاربين وما يكون من أمرهم ومن الفائز ومن المتأخر منهم وتفصيل ما يقع دائما وانى لا أنسى لك هذا المعروف وسأكافئك عليه عند ما أكون قادرة على مكافأتك أى بعد نهاية هذه الحرب فوعدها بكل جميل وسار عنها وهو يعد نفسه بالخير منها ويقول فى نفسه لابد من أنها تتزوج بملكنا وابن ملكنا الأمير انبوش فاذا كانت مسرورة منى رفعت رتبتى وطلبت من زوجها أن يستوزرنى أو يقيمنى حاكما فى إحدى جهات المملكة ولابد من بذل الجهد فى خدمتها وعمل كل ما يرضيها

ولذلك صار يتردد اليها أكثر من اللازم وقد طلبت اليه أن يترك سيف الدولة لمواجهة زوجته وأن لا يزيد فى التضييق عليه . وقالت له انى أطلب اليك ذلك إكراما لزوجته لأنها تسليني فى وحدتى ولولاها لمت من الوحدة والانفراد فقال لها إكراما لخاطرك سأمنع المحافظة عنه وعن الأمير قهرولا أترك احدا يعترضهما لانى أمين من خروجهما كون القلعة حصينة الأبواب فلا يتمكنان من الخروج قط . وصار سيف الدولة مطلق السراح من ذلك الحين يدخل ويخرج على عين الحياة وزوجته دون مانع ولا حاجز وقد عرف من عين الحياة بوصول الملك ضاراب إلى ملاطية وطرد تمرتاش منها وإقامته فيها ففرح غاية الفرح وقال لها لابد من استيلاء الملك ضاراب على كل بلاد قيصر ونشر أعلامه عليها بسيف ولده السعيد فيروزشاه ولذلك صار من المؤكد خلاصنا من هذه القلعة بقريب من الأيام فلا نلبث أن نصير أحرارا وتملك بالأعداء كما تملكوا بنا وحجروا علينا

مضت كل هذه المدة وانبوش ابن الملك قيصر يقاسى الوجد والغرام ويلاقى مصائب الشوق والهيام وهو لا يرى طريقة للوصول إلى عين الحياة ولا الاجتماع بها وقد زادت عليه الحال مع تزايد الأيام حتى أصبح فى قلق واضطراب فلم يربدا من شرح حاله إلى تمرتاش واطلاعه على أمره وطلب معونته عله يرى له مخرجا من هذا الضيق قال ولما قوى برأسه هذا الظن ذهب اليه وعرض حاله عليه وقال له انى مؤكد أنك قادر على اغاثتى ومعونتى فأسألك بحق تربة أبيك وأجدادك أن ترى لى طريقة تنقذنى بها من هذه الورطة فانه لم يعد لى صبر قط عن عين الحياة وأخاف من أن تذهب من يدى لأن أباها يمتنع عن تزويجها منى قال انى سأذهب بك إلى أبيها واسأله فيك وأرى ماذا يقول لأنى أساعدك بقدر جهدى ثم سار الاثنان إلى الشاه سرور ووزيره طيفور وأولاده فى القصر الذى كان يقيمون فيه فلاقوهما وترحبوا بهما ولما اجتمعوا مع بعضهم البعض ودار الحديث فيما بينهم طلب تمرتاش من الشاه سرور أن يرحم انبوش ويرق لحالته ويساعده بزواج بنته والسماح له بها وقال له أيضا فى آخر الحديث انه قادر على حمايتها لأنه ابن ملك من أكبر ملوك هذا العالم وكلنا بخدمته وتحت طاعته فقال طيفور انى سألت سيدى مرارا فى ذلك فأظهر لى انه مقسم بالايمان العظيم أن لا يزف عين الحياة إلا إلى الذى يقتل فيروز شاه ويريحه منه وهو فى قلق من اجل ذلك لأنه يرغب فى الأمير انبوش ويشتاق إلى تزويجه بيلته كل الشوق وقد صار طلبه قريب الانجاز لأنى أعلم أن الفرس لا يفلحون فى هذه البلاد ولا تقام لهم قائمة ولا بد من قتل فيروز شاه وانى

لاعجب منهم لأن لهم أكثر من شهرين مقيمين فى ملاطية ولم يتقدموا إلى جهتنا واظن كل ذلك خوفاً منكم وفى ظنهم انكم تقصدون حربهم هناك فلما سمع انبوش هذا الكلام لعبت به نار المروءة وحركه غرامه إلى التهور بنفسه والمخاطرة بها فقال للشاه سرور انى اقسم بالسيد المسيح وبالعذراء وكافة القديسين انى اقتل فيروزشاه وانى اسير اليه منذ الغد بالعساكر والابطال وآخذ معى تمرتاش وخرطوم ولا أعود إلا برأس فيروز شاه ليرتاح ضميرك منه لأن ماجعلك ان تقسم هذه الاقسام إلا خوفك على بنتك من سطوته وعلى نفسك بل وانى اتعهد لك كل التعهد فيما قلته . فلما سمع طيفور منه ذلك شكره عليه ومثل ذلك فعل الشاه سرور وتعهدا له انه بأول يوم يقتل فيروزشاه يسلمانه عين الحياة ولا يمانعانه فيها فهون غرامه ارتكاب هذه الأخطار وودع الجميع وخرج مع تمرتاش وقد قال له انى ماوعدت هذا الوعد إلا اتكالا عليك وعلى أقوالك واريد منك ان ترافقنى فى الغد إلى ملاطية فنأخذ العساكر وتقيم الحرب هناك ولا بد لفيروزشاه من الخروج إلى الميدان فنقتله ومن ثم لم يعد من مانع . فوعده بكل جميل قال وفى نفس ذلك الليل جاء الخبر إلى الملك قيصر بنهوض عساكر الفرس من ملاطية يقصدونه بالرجال والابطال فدعا اليه تمرتاش وقال سر مع ولدى انبوش بثمانمائة الف فارس لملاقاة الفرس بعيدا من هذه البلاد وانى سأبعث اليك بالعساكر التى ترد إلى دائما وسأكاتب اذا اقتضى الحال كل الملوك المجاورين واطلب منهم المساعدات من بدو وحاضر حتى انى ازمعت إذا طال امركم مع الأعداء ان استدعى المساعدة من الصين واطلب من ملكها امدادى بالعساكر حتى لا ابقى احد إلا وارمى العداوة بينه وبين الفرس حتى ترتكب عليهم الدنيا باسرها فيصل الملك ضاراب أيا منا اقدر على العناد والخصام فاجابه بالسمع والطاعة وبات متهيأ فى تلك الليلة على نية السفر فى الصباح وقد أمر العساكر بالاستعداد

قال ولما كان صباح اليوم الثانى خرج انبوش بن الملك قيصر وقد تقلد بسلاحه واعتد بعدته وخرج تحت الرايات والاعلام وهو معتد بسلطانه وقد نفخه سلطان الكبر والعظمة حتى كان يراه يناديه بالخضوع ويعده بنوال المراد وركب بين يديه تمرتاش وخرطوم الرومى وانتشرت العساكر حاملة اسلحتها ورافعة الرايات والاعلام فوق رؤوس قوادها والموسيقات تعزف باصوات حربية بلحن رومانى ولم ير انبوش نفسه فى مثل هذه الحالة قبل ذلك اليوم ولذلك كان يبان امام وجهه الامل الكبير مشعوعا بنواله كل ما يطلبه وصور له الكبر انه سيقتل فيروزشاه وبعد قتله يعود الى

أبي عين الحياة برأسه فيدفعه اليه ويأخذ منه بنته زوجة له .

قال وبعد خروج انبوش بالعساكر من المدينة اجتمع طيفور بسيده الشاه سرور وقال بشراك ياسيدى فهوذا السعادة قد وفدت والاقبال قد تدرج آتيا نحونا وبعد أيام قليلة ترى أعداءك قد قبض عليهم وسيقوا إلى مابين يديك وترى فيروزشاه قتيلا بسيف انبوش الذى أخذ على نفسه العهدة بقتله ولابد ان ينصب له شرك المهالك ويبيده مع فرسانه وانى نادم كل الندامة على ماتوقع منامن القصور فى البداية وكيف قصدنا الوليد وتركنا مثل هذا الملك النصرانى صاحب الجنود والأعوان المسموع الكلمة بين ملوك الافرنج والعرب وعبدة الاوثان فكدر هذا الكلام الشاه سرور واغتاظ منه وقال له لازلت تطمع نفسك بالمحال وترجو مالا ينال أنظن ان أحدا فى الدنيا يقدر على ان يصل إلى فيروزشاه بسوء وينال منه مرادا وسوف ترى انبوس وتمرتاش وغيرهما ممن يعتمد عليهم فريسة لسيف ابن الملك ضاراب ولا تمضى أيام قليلة حتى تراه بقومه متسلطا على كل هذا البلاد وجالسا على تختها يسوقنى اليه كالعبد وقد بين لى الزمان عين الحقيقة وأرانى ما كنت أجهله ففيروزشاه هو الرجل الوحيد فى الدنيا وأنت مازلت تحطه من قلبى وتدريه من أمام أعينى فهل رأينا مثله فى كل البلدان والعواصم التى مررنا بها وزرناها فقبح من يعرف الحق ويتغاضى عنه ولا يلتفت اليه وانى لوكنت أقدر على أن أتخلص من يد الملك قيصر بنتى لفعلت وسرت بها إلى الملك ضاراب وألقيت نفسى على أقدامه وكنت تراه يقابلنى بالاعزاز والاكرام ويعفو عنى ويرجع عن اضراره بالانتقام منى ويقابلنى بأطواره الحسنة ولاسيما ان ابنه سيكون صهرا لى وبنتى لا ترضى معهم باهانتى فيدافع عنى فيروزشاه ويردإلى ملكى وبلادى أو بالحرى يسلطنى على بلاد غيرها وارتاح من كل هذا العذاب . فلما سمع طيفور كلام سيده جرحه فى وسط قلبه من الألم والكدر وعرف ان سيده قد أصاب بنظره إلا أنه كان يتيقن كل اليقين ان الملك ضاراب إذا وقع بالشاه سرور يعفو عنه ولا يقتله وإذا أراد قتله لايوافقه عليه ولده فيروزشاه ولايهون عليه ان يغيظ بنته عين الحياة بقتله مع أنه يعلم انها لاترضى باهانة أبيها وتحب ان تتزوج به مع المحافظة على راحة أبيها إلا انه إذا وقع هو بيد الملك ضاراب قتله لامحالة وإذا أراد ان يعفو عنه سألته عين الحياة بهلاكه لأنه كان السبب فى كل هذه الويلات والحروب ولهذا وطد العزم على التحيل على سيده ورجوعه عن هذا الفكر فتنهد وبكى وقال أنسيت ياسيدى صدق خدمتى لك فى كل الايام السالفة ومحافظتى على صالحك وخيرك وهل تظن انى كنت اقصد

لك شرا أو أرغب لك بسوء مع انك تتحقق انى صدوق صادق أمين وكلما سألت نفسى ان تطيعنى على موافقة فيروزشاه تأبى وتظهر لى انه تعدى علينا وخرق حرمتنا وأذلنا ولولا اهتمامى بشرفك وناموسك لما رضيت لذاتى التشتت والعذاب والركض من بلد إلى بلد تخلصا من العار بل كنت وافقتك على زواجها من اليمن وارتحنا من كل هذه العذابات . وأنت تعلم ان لاعداوة بينى وبين الفرس وانى لاأكره فيروزشاه لولا هذه الغاية التى قدمتها وتعرفها أنت منذ القديم قال انى اعرف ان العداوة لم تكن فى الاصل انما نمت بقلبك مع تكرار الحوادث وازدياد الايام وتداولها وانى أسألك سؤالا أحب ان أعرف فكرك من جهته وهو أريد ان تفيدنى إلى أى جهة ياترى يلوح فى ذهنك ان تقصد ان فاز الفرس وقهر الرومان ولابد ان تكون قد سهلت بعسك طريقا نسير به فلما سمع طيفور كلام الشاه سرور تأكد انه من باب التهكم وانه يريد ان يرجع عزمه وينضم إلى الأعداء إذا سنحت له الفرصة وقال له انى أقصد أبواب الفرج ولاأخاف الموت فى سبيل نوال الغاية فافعل ماأنت فاعل وانى اتكل من الآن وصاعدا على افكارى ولا أبدى شيئا لك وسوف تتذكر ماتكون النتيجة ثم أعرض طيمور عن الشاه سرور وأضمر فى نيته الشر وانه يتفق مع الملك قيصر على زواج ابنه بين الحياة رغما عنها قبل انتهاء الحرب ودون إرادة أبيها ولذلك يصبح أبيها عرضة لغضب الفرس أو لغضب الرومان ويرى من نفسه سوء عمله وأقام على هـذه النية ينتظر الفرصة المناسبة لينفذ غايته ويجبر سيده على تتبع أقواله وآرائه فى كل زمان ومكان وكذلك الشاه سرور بات صافى السريرة من جهة فيروز شاه وقد نوى كل النية انه إذا فاز الفرس زوجها به وإذا فاز الرومان زوجها بانبوش وجعل هذه الواقعة هى الاخيرة لعذابه ومصائبه فلا تمضى عليه مصائب كالمصائب التى كان يلاقيها بانقياده لوزيره

قال ولازال انبوش سائرا بالعساكر كل ذلك النهار حتى أمسى المساء فوصل إلى ارض واسعة جدا محاطة بالآكام يقال له أم الروض وإلى جانبها نهر يجرى من الماء العذب فبات تلك الليلة فى ذلك المكان ونزل بعسكره ورجاله إلى أن كان الصباح نهض ودعا تمرتاش وقال له لقد ثبت عنـــدى الآن ان الفرس آتون الينا ولذلك لا بد لهم من أن يصلوا إلى هذة النـاحية وعليه فقد اعتمدت ان لا يتقدم أكثر من اللازم وان نبقى هنا كون هـذه الأرض أوفق للقتال وهى قريبة من المدينة ولا أحب البعد عنها أكثر من يوم واحد . قال لقد أصبت فافعل مايبدو لك ويطيب بخاطرك ولذلك صرف كل ذلك النهار فى أرض أم الروض إلى ان كان

العصر وإذا باحد عياريه دخل عليه وأخبره بأنه شاهد طلائع الفرس تتقدم وتبين عن بعد راياتهم فقال إلى تمرتاش اذهب بنا إلى أكمة عالية نرى جيوش الفرس وما يكون منها ومن ترتيبها ونقدر بفكرنا مقدار عددها . قال إليك ماشئت . وفى الحال ذهب أنبوش وتمرتاش وخرطوم وعلوا أكمة عالية إلى جنب جيوشهم فشاهدوا عساكر الفرس قادمة كالغمامة السوداء وهي تتقدم إلى الأمام وفى مقدمتها سيامك سياقيا برجاله وأبطاله ومن خلفه أنوش بنت الشاه سليم برجال اليمن ومن بعده طهمور البهلوان ومرادخت الطير ستانى وعساكر مصر وإيران والراية الفارسية تخفق بالهواء ولمعان البيضة تتوقد كالكوكب وتحتها الملك ضاراب وإلى جانبه ولده فيروزشاه كانه الأسد الغضوب فوق كمينه وفؤاده ملهوف إلى انتشاب نار الوغى ليروى حسامه من الأعداء. وخلف الجيش أى فى مؤخرته بهزاد الايرانى ابن فيلزور البهلوان ابن رستم زاد وهو يعلو جواده ويعتز بنفسه وكان يلوح له أنه سيفعل بالرومان العجائب ويظهر عظيم قوته وسطوته . ولما شاهد أنبوش هذه العساكر واختلاطها من بلدان كثيرة قال لتمرتاش أنه يسرنى نظام الفرس وهم مرتبون أحسن ترتيب . قال له لا تؤخذ بالظواهر فالنظام لا يزيد فى الأقدام ومتى قامت الحرب تراهم على غير هذا الانتظام ثم نزلوا إلى معسكرهم على نية ملاقاتهم فى الصباح .

ولما وصل الملك ضاراب إلى تلك الأرض ونظر إلى جيوش الرومان نازلة على استعداد للحرب والقتال وقد اتخذوا لهم مراكز ومعاقل استحسن لنفسه مقاما يقابل مقامهم وفرق جيوشه كلا إلى ناحية بحيث يقابل الجيشان بعضهما البعض . وأمر عساكره أن تضرب أطنابها فى تلك النواحى وكانت قد أعجبته جدا موقعها واستنسبها لوقوع المعارك حيث يتمكن منها فرسانه بالجولان والصول . فباتت تلك العساكر كل الليل تنتظر قدوم الصباح وقبل حلوله أمر الملك ضاراب أن تضرب طبول الحرب تنبيها وانذارا للرومان ليستعدوا لأنفسهم ولا يفكرون أن الفرس غدروا بهم وعندما وقعت أشعة الشمس على تلك المواقع وانتشرت على أولئك القوم فاسرعوا إلى خيولهم فشدوها وتقلدوا بسلاحهم واعتلوا فوق ظهورها وتقدموا إلى ساحة القتال صفوفا صفوفا وعلى كل صف قائد من القواد مرأس عليه . ووقف الملك ضاراب فى مركزه فى مكان عال بحيث ينظر إلى ساحة القتال ويبعث بأوامره إلى جيوشه وقد رفعت فوق رأسه الرايات والاعلام ووقفت بين أيديه الحراس والمحافظون . وما استوى على جواده حتى تقدم ولده فقبل يديه وسأله أن يسمح له بالقتال ويهبه الرضا والبركة ويدعو له فاجابه إلى طلبه وأعطاه البركة فعاد إلى جواده فرحا وتقدم من بعده بهزاد

وسأله السياح فاجابه فاندفع من أمامه كالبحر الزاخر ونظر إلى فيروز شاه فوجده أمامه ينخطف كالسنونو حتى وصل إلى أطراف الجيش المصفوف وهناك أشار فيروزشاه إلى جيوشه بالحملة فحملت لما رأى عساكر الرومان وقد تهيئت وتعدلت وفى مقدمتها تمرتاش فارسها وخرطوم الرومى قائدها وواليها . فاجابت عساكر الرومان بالحمل إلى الحرب والطعان واطلقت لخيولها الاعنة . وقومت بايديها الاسنة . ولم يكن إلا قليل من الزمان . حتى اختلطت تلك الطوائف . مابين مأمون وخائف وشجاع وجبان . ومعزوز ومهان . واشتبكت العساكر أى اشتباك . واجهدت النفس إلى المصادمة والعراك . ووطدت نفسها على الموت والهلاك . عندما رأت أن لا رجوع لها ولا انفكاك . وسعت الأبطال إلى الدام . واضرمت نيران الوغى أى اضرام وتقدم كل فارس ضرغام وبطل همام وتأخر كل جبان قليل الاهتمام . إضعيف العزم قوى الأوهام . وطلب الاختفاء بين تلك الا كام خوفا من الموت وشرب كاس الحمام ولم يعد يسمع إلا صوت الحسام عند وقوعه على الجنات وقرقعة اللجم فى رؤوس الجياد الصافنات وقد رفع الغبار إلى فوق الرووس وزهقت من تكاثفه النفوس ومال كل وجه ضحوك إلى العبوس وعلا أنين الابطال واشتكى الفرسان من ثقل القتال لما شاهدت عظم تلك الاهوال التى لم يسبق أن رأت مثلها من عابر الاجيال ولا سمعت بشبهها لا بزمن الاسكندر ولا بزمن ملوك بنى الاصفر وكان مسعر نار تلك الحرب وموقدها الفارس الاروع والليث الصميدع فخر بنى فارس وسيدها ومشرفها ومنجدها من لم يعلق السيف إلا ليدبه ولا طلب الظفر إلا أن يحل عليه كوكب السعادة ومعطى السيادة رب البسالة ووالدها ومحى الشجاعة وعاضدها فيروزشاه ابن الملك ضاراب نجمة الاقبال وكاشف الاوصاب كيف لا وقد خرق تلك الجيوش بحملاته ومزق منها الصدور بصولاته وانزل عليها الوبل نزول الامطار واعمى منها الاحداق والابصار والبسا ثوب الذل والشنار بعد العز والفخار . واكتسى من دماء ا طالها الاشرار . ثياب الارجوان والجلنار . وهو لا يهدو بمكان ولا يقر له قرار . ولا يترك لمن يقع بين يديه هدوءا ولا اصطبار . بل كان يضربه بسيفه البتار فيلقيه إلى الارض بعض الرمال والحجار . وتنهشه الوحوش والاطيار وكان ينظر إلى كل جهة تجمعت بها فرق الاعداء فينقض عليها كالسهم الطيار ويشتتها بين الروابى والقفار . ولم يكن فعل بهزاد ادنى من فعله . ولا شغله أخف من شغله إذ أنه كان قد فتح فاه وابتلع تلك الجموع ولم يترك الا كل ملسوع ومو جوع وخطف أرواح الرومان وبعث بها إلى وادى الهلاك والقلمان . وكذلك فرخوزاد

ليث الطراد . وانوش بنت الشاه سليم . وبهمزار قبا البطل العظيم وطهمور البهلوان ومرادخت الطبرستانى . وشيرين الشبلى الطالقانى . ويلتا وكرمان شاه . وسيامك ومصفرشاه . فانهم مالوا رأى ميلان . وجالوا وأى جولان . وأظهروا بفنون الحرب أشكالا بألوان . وأودعوا لهم بين قبائل الرومان . موادع الخوف بمواقع الهوان حتى كادت تنشت فى البرارى والقيعان . لولا ثبات تمرتاش البهلوان . فانه اخترق أيضا صفوف الفرس وفعل فيها فعلا يذكر . ويحمد ويشكر . ومثله خرطوم الرومى الذى تقدم ذكره فى غير هذا المكان . بما هو عليه من رفيع المنزلة بين الفرسان . حتى انه كان وهو على تلك الحالة التقى بطهمور فاخذ معه فى المحاولة والمطاولة والمجاولة ولم يقبل أن يترك أحدهما الآخر ويلتهى عنه . دون أن ينال غايته منه . ودامت جهنم الحرب تتسعر وتزيد بالاتقاد . وفيروزشاه يقلبها بمقلب الأوصاب الشداد ويصب عليها صيب البلايا . ويحيطها من كل الجهات بالرزايا . حتى تمنت النفوس أن لا تكون . وتسترت عن عيون السلامة باصداف المنون . وارتاحت ضمائرها إلى الهلاك تخلصا من عذابات ما نصب لها من الاشراك . وماصدقت عساكر الرومان أن رأت الشمس مالت إلى جهة الغروب . حتى أملت بالافراج والتخلص من الكروب . والرجوع عن الحرب إلى الخيام . والعود بعد اليأس الى حضن السلام . وفى تلك الساعة دقت طبول الانفصال . وعادت العساكر الى الوراء طالبة الخيام . وهى غير مصدقة أنها تعود سالمة من ساحة القتال . وبعد أن نزلت عن خيولها وأخذت لنفسها الراحة شغلت فى تعداد من فقد منها ومن جرح فكان قد قتل من الرومان نحو مائتى ألف فارس ومن الفرس نحو خمسين ألفا وأسر طهمور أحد بهلوانى الملك ضاراب لأنه كما تقدم كان قد التقى فى خرطوم وتصادما صدام الأبطال وتضاربا ضربا أحر من لهيب النار فى الاشتعال إلى أن قرب المساء فرأى طهمور من نفسه التقصير وعلم أنه غير قادر على الثبات فعول على التأخر إلى الوراء الى أن يأتيه الله بالفرج فعلم منه خرطوم ذلك فانقض عليه وضايقه كل المضايقة وهو يحامى عن نفسه ويدافع ولا يريد أن يسلم نفسه حتى أصابت ضربة من خرطوم كتفه فتمتمه وكاد يقع إلى الأرض فادركه وقبض عليه من صدره واقتلعه وسلمه إلى أحد الفرسان وأمره أن يشد كتافه ففعل وأخذ اسيرا الى جيوش الرومان

قال فلما بلغ ضاراب فقدان تلك العساكر من رجاله وأسر طهمور كاد يغيب عن الصواب وتكدر مزيد الكدر وقال أيفقد من رجالى هذا المقدار ويأسر قائد من أكابر قوادى بمعركة مثل هذه المعركة وفرسانى بها كاملة ورجالى مجتمعة إلى بعضها

على أنى أعلم أن الأعداء قد هلك منهم أكثر من رجالنا باضعاف الاضعاف وقد شاهدت ولدى وبهزاد وغيرهم من الفرسان وهم يزدرون عساكرهم ويهلكونهم إلا انى رأيت أفعال تمرتاش فارس بلاد الرومان وما فعل فهو بالحقيقة آفة من آفات الزمان وبطل من الأبطال الموصوفين عند الحرب والطعان وأظن أن عينى لم تر مثله فى كل معاركنا غير طومار الزنجى واسأل ربى أن يساعدنا عليه فنقتله ونقتل فارسهم الآخر وهو خرطوم الرومى ومتى قتلنا هذين الفارسين حفظنا دم كثير من رجالنا الذين يعز علينا فقدهم كونهم تغربوا معنا إلى هذه البلاد وقاسوا لأجلنا الصعوبات الشداد . فقال بهزاد إذا كان الغد قتلت الاثنين معاً أينما كانا وفى أى مكان فاهما ممن يذكر لدى فرساننا الشداد . وفى الحال نهض إلى بين يدى الملك ضاراب وقال له أنت تعلم ياسيدى أن لنا من الحقوق على دولتكم مالا تنكرونه منذ عهد جدى رستم زاد وأبى فيلزور البهلوان وهو أن مبارزة الفرسان مخصوصة بنا معهودة الينا لا ينزعها أحد منا لأننا نحن خدامها . قال صدقت ويشهد به أيضا طيطلوس وكل من كان يعرف ذاك الزمان ويتصل علمه إلى هذه الأيام وماذا تقصد بهذا الآن . قال انى أطلب اليك أمرا لا تحرمنى منه وهو ان آخذ لنفسى عهدة البراز فى هذا القتال فمن برز من الفرسان كنت له خصما وسوف ترى ما يحل باعدائك وبتمرتاش وخرطوم قال لك كل ما تطلبه فلست أنا ممن يحرم رجالى حقوقهم وسوف أجزيك بالجزاء الذى تستحقه ويكون لك كل ما أنت ساع فى طلبه قال ففرح بهزاد غاية الفرح وسر غاية السرور وأيقن بنوال مراده وعاد الى مكانه مسرورا فرحا . وكان فرخزاد حاضرا فخاف من أن يعهد إلى أخيه بوظيفة أبيه وان يكون البهلوان الأول فى مملكة إيران مع انه هو الأكبر والأحق بها واخذ الحسد يلعب بعقله وبقلبه وصبر ليرى مايكون من امره وبعد ان صرفوا تلك السهرة تفرقوا للمبيت فى الخيام

فهذا ما كان منهم واما انبوش بن الملك قيصر فانه عندما عاد الى خيامه واجتمع من حوله فرسانه واعلموه أن ربع جيشه قد فقد تكدر واغتاظ . وقال ان دام الحال على هذا المنوال ومضى علينا يومان مثل هذا اليوم هلكنا عن آخرنا ولحق بنا المحاق ثم التفت الى تمرتاش وخرطوم وقال لهما ان جل اتكالى فى هذه الحرب عليكما وليس لى من يحمى الجيش غيركما ولولاكما لما تعهدت بقتل فيروزشاه للشاه سرور واجلاء الفرس عن بلادنا وأراكما قد قصرتما كل التقصير فمتى بلغ ابى انقراض هذه العساكر يحل به الويل والحزن ولاريب انه يتوجع ويتألم . فاجاب تمرتاش ان فرسان إيران

كثيرة العدد وليس فينا نحن إلا خرطوم وأنا ولهذا أرى أن الحمل على بعضنا البعض يوافقهم أكثر مما يوافقنا على أننا لم نقتصر في هذا النهار بل بذلنا الجهد في القتال وأهلكنا قسما ليس بقليل وفوق كل ذلك فقد أسر خرطوم أحد قواد الفرس العظام وهو طهمور البهلوان . وفي الغد إن شاء الله نأخذ عهدة القتال على أنفسنا فاما أبرز أنا وإما خرطوم وبهذه الطريقة نصطاد قواد الفرس واحدا بعد واحد حتى لا يبقى فيهم من يحمى قومهم وعند ذلك نحمل عليهم حملة واحدة فنبيدهم عن آخرهم . فلما سمع أنبوش كلامه ارتاح ضميره وأيقن بالنصر والظفر وفرح بهذا التدبير مزيد الفرح لما يعلم من شجاعة تمرتاش وإقدامه وهو يظن أن لا أحد من الفرسان يقدر أن يثبت أمامه ثم أمر أن يحضر طهمور إلى ما بين يديه فأحضر وهو في وثاقه . فعنفه ووبخه . فقال له ليس نحن ممن يعنفون وإننا لا نقبل بالذل والعار وإذا ظهر لك الآن أن أحد رجالك أسرني فسوف ترى كل فرسانك بأيدي الفرس ولي رجاء أن سيدي الملك ضاراب لا يتقاعد عني ولا بد أن يخلصني أينما كنت . قال لا تطمع بعد بالخلاص فإنحن ممن يتهاملون وإني مرسلك من هذه الساعة إلى أبي يفعل بك ما يختاره فاما أن يبقيك وإما أن يقتلك . ثم دعا ببعض فرسانه الأشداء وقال له خذ معك مائتي فارس وسر إلى حضرة أبي وطمنه بالنصر والظفر وأخبره تعهد تمرتاش بقهر كل فرسان الفرس وأسرهم . ثم سلمه طهمور فأخذه وسار وأقام مع فرسانه إلى آخر السهرة ومن بعد ذلك تفرقوا إلى المنام وسار تمرتاش إلى خيامه وكان بانتظار بعض خدامه لأنه في صباح يوم القتال دعا بأحد خدمه وقال له أريد منك أن تنسل إلى بين خيام الأعداء عند انشغالهم بالقتال وتنتظر إن كانت أنس الصفا في الجيش فإذا وجدتها وقدرت على خلاصها فلا تتأخر إذا لم تقدر فاسألها هل هي باقية على عهدي أو اتخذت لها من رجال الفرس بديلا . فلما عاد إلى خيامه لم يكن بعد قد رجع الخادم فصبر نحوا من ساعتين وهو مشغل الفكر من جهته وقد حركه حب محبوبته وهاج عليه غرامه بسبب بعدها عنه وفي ذاك الوقت حضر الخادم ودخل عليه فوجده في قلق وهاجس وقد طار النوم من عينيه ولما رآه انعطف اليه وقال له ما وراءك من الأخبار وهل رأيت أنس الصفا وهل هي في جيش الأعداء أو أنهم أبقوها في ملاطية . قال كلا يا سيدي فهي بين جيوشهم وفي معسكرهم وكنت لما اختلط الجيشان اغتنمت الفرصة فطرت في السهر ودخلت بين الخيام إلى أن أوصلتني الصدف إلى الصيوان التي فيه أنس الصفا وكان عليه حارسا واحدا فقط فوقفت على بابه وأنا بصفة شحاذ أسأل الاحسان ولم يعرفني الحارس فقامت لتناولني

كسرة من الخبز فقربت منها وقلت لها إنى لست بشحاذ وقد بعثنى سيدى تمرتاش لأراك اذا كنت بين الأعداء وأسألك إن كنت لا تزالين باقية على حبه ولم تعلقى بسواه . فقالت لى انى لست مثله ضعيفة الحب فقد اتخذته خليلا منذ القدم ولا أرجع عن عزمى انما قل له انه من أكبر العار عليه أن يكون تمرتاش فارس بلاد الرومان وسيد أبطالها وصديقته أسيرة عند أعدائه يتحكمون بها ولا يقدر على خلاصها من أيديهم .

قال فلما سمع تمرتاش هذا الكلام اضطرم به نار الكدر ورأى من نفسه أنه قاصر عن خلاصها وأنه لا يقدر أن يخترق جيوش الفرس ويسحبها من بينهم ويعيدها اليه . ولذلك كان يزيد قلقه ويضطرب ولا يعرف ماذا يصنع وقد فكر أنه فى الغد اذا اشتبك القتال يبارز الأبطال ويأخذ لنفسه السيادة ويبذل الجهد فى قضاء مصلحته ونوال مراده ونام تلك الليلة وفى قلبه ما ليس يطيب الى أن كان الصباح نهضت الرجال من خيامها عندما سمعت الطبول تخفق طالبة الحرب والقتال والصدام والبراز . ولم يكن الا القليل حتى اصطفت الصفان . وترتب الفريقان . وتقدمت الأبطال والشجعان . فأسرعت الى السباق فى ساحة الميدان . وتأخر الذليل الجبان . الى المؤخرة طمعا بالحياة وخوفا من القلمان .

وأخذ كل فارس فى أن يستعد للدفاع والعراك . واذا بجيش الرومان قد اضطرب وانشق الى شطرين وخرج من وسطه فارس طويل القامة عريض الهامة كأنه البرج الحصين وهو غائص بسلاحه الى حد رقبته وعلى رأسه خوذة من الفولاذ كأنها القبة العالية وبين يديه الخدم والعبيد حتى وصل الى نصف الميدان فامر خدمه بالرجوع وأطلق لجواده العنان الى جهة الشمال فأسرع به كالبرق حتى كادت لا تراه العينان . ثم كر راجعا الى جهة الجنوب وهو كالسرحان . والجواد من تحته فى هياج وغليان وبعد ذلك عاد الى نصف الميدان ونادى بافصح لسان بما يعرفه من لغة الرومان وسال من عساكر الفرس البراز والطعان وفى يده عمده وثقله نحو خمسمائة من تكاد لاتحمله الجبال وهو من الحديد الثقيل . قال وكان ذلك الفارس هو خرطوم الرومى الذى أسر طهمورس. وما استقر فى نصف الميدان حتى سمع من بين جيوش الفرس صوت كانه الرعد القاصف أدوت له البرارى والقيعان . وارتج له ذلك المكان . وفارس خرج كالنجم فى اللمعان وقاجأ خرطوم بقلب أشد من الصوان . وكان هذا الفارس بهزاد ابن فيلزور البهلوان . صاحب الفعل المحمود بين الأخدان والأقران . وحامى حومة الطعان . ولم يكن الا القليل حتى اصطدما اصطدام أسود الدحال . والتطما التطام أمواج البحر عند هبوب

ريح الشمال وارتفع فوقهما الغبار . حتى سترهما عن الابصار . وأكثرا من الاشتباك . والمصادمة والعراك . ولم يعد يسمع من بينهما الا صوت وقوع السيوف على الدرق . ولا يرى من تحتهما الا ميازيب ومجارى تتدفق من فيضان العرق . وهما يهمهمان ويدمدمان . ويناديان ويصيحان . وكل منهما يزيد فى اظهار ماعنده وما تعلمه من فنون القتال لينال من خصمه المنال وقد أحدقت بهما كل عين وشخصت نحوهما شواخص الفريقين تنتظر ما يكون من مصادمتهما ومحاربتهما ومخاصمتهما وكل معلق الامل بفوز فارسه ونصره وكيد خصمه وقهره .

قال وما جاء عصر ذاك النهار حتى وقع بخرطوم الملل والضجر وتضايق مع بهزاد كل المضايقة وعرف أنه من الابطال الشداد وأنه لاينال منه المراد بغير ضرب العمد لان عمده كما تقدم كان ثقيلا وعمد بهزاد كان لا يذكر لانه كان كفيروزشاه لا يحب القتال الا بالمهند المصقال ولما رأى خرطوم نفسه فى هذه الحال تاخر الى الوراء وصاح ببهزاد وقال له انما هذه الحالة لا تفصل بيننا ولو أننا نصرف كل الايام بالصدام والافتراق والالتحام وقد جعل من فنون الحرب الانصاف بضرب العمد فان كنت من الابطال الشداد التى لضربى فانى أضربك ثلاث ضربات على نصف طارقتك فاذا كنت تقدر على حملها ولم يصبك أذى منها عدت فضربتنى أنت مقابلها وبهذه الافعال يظهر من منا القادر ومن الضعيف ومن الفائز ومن العاجز .

فاجابه بهزاد على طلبه وقال له ويلك أتظننى أعجز عن حمل ضرباتك وهى عندى كوقوع النور على أعينى فى وقت الظلام فاضرب ثلاثا فى ثلاثين . فما أنا كما تظن أو كما لاقيت من الفرسان ففرح خرطوم بكلامه وأمل الفوز لانه كان يركن الى ثقل عمده والى قوة ساعده وكان يطمعه نظره الى صغر بهزاد وصغر جسمه ولذلك لعب بجواده ورفع العمد بيده وطوحه فى الهواء حتى صار يسمع له دوى ورعيد وقرب من بهزاد وفاجأه ورفع يده الى السحاب وأرسلها تهوى بالعمد بكل ما أعطاه الله من القوة والقدرة وثبت فى ذهنه أن هذه الضربة ما تصل الى بهزاد الا وتسحقه هو والجواد وما لبث أن شعر بعمده وقد صدم بقوة ساعد متين وارتد مندفعا الى العلاء حتى تالم من عندابطه ولم يعد يقدر على رفعه ثانيا بقوة أو مقدرة وانبهر عقله وارتعب قلبه وأصبح فى انشغال بال لايعى على نفسه وبهزاد ينظر اليه ويضحك منه وليس عند باله خبر منه بل انه صاح فيه وقال له لما لا تضرب ضرباتك فأتى بضربتك الاولى فزاد هذا الكلام فى غيظه وكادت تنشق مرارته لما رآه يتهكم عليه ويظهر له أن تلك الضربة غير محسوبة لانها ليست كالواجب ولا جاءت بالمطلوب الا أنه رأى نفسه

مضطرا إلى اتمام عمله فاعاد الضرب ثانيا وثالثا دون أن يقضى بالغرض . ثم انه أنزل العمد وأخذ بيده الطارقة وقال لبهزاد افعل بدورك ما أنت فاعل فما عمدك مما يأتى بالغرض . قال أنى لا أرفع عمدا على من مثلك وانى اضربك ضربة واحدة بسيفى فهو يأتى بالمقصود ففرح خرطوم وقال فى نفسه أن السيف خفيف فلا يؤثر فى طارقتى وأخذ الطارقة إلى فوق رأسه وانتظر عمل خصمه .

قال وأما بهزاد فانه اخترط سيفه من وسطه ولعب به اشكالا وألوانا وأطلق لجواده العنان ذهابا وإيابا وأعين الفريقين تنظر اليه وهى تعلم ما يكون منه بل تنتظر نهاية هذه الحال وهى تتعجب من عمله حتى فاجأ خرطوم وصاح بصوت كالرعد القاصف وقال . أما بهزاد. أنا بهزاد . انا خليفة فيلزور البهلوان ابن رستم زاد ورفع بيده الحسام حتى بان ابطه وبعثه على مداه يدفعه بقوة زنده فوقع على طارقة خرطوم وقد جمد يده بها وفى نيته انها لا تؤثر به حتى رأى بأسرع من البرق أن الطارقة تطايرت إلى قطعتين ووصل السيف باسرع من لمح البصر إلى خوذته فقطعها ولم يكتف بل بقى منبعثا إلى رأسه فشقه وهوى من هناك يأخذ حده فى المسير حتى اخترط الجواد وما فعل السيف هذا الفعل إلا وقد صفقت له فرسان ايران تصفيق الافراح وعلا من بينها صوت فيروز شاه سيد فرسان العراك . وهو يقول له لاشلت يداك ولا كان من يمدح سواك ونزلت الحلة على فرسان الرومان ووقعوا بالذل والخسران ولم يبدوا قط حركة ولا أبدوا قولا . وكانت الشمس قد اخذت فى الاختباء فضربت طبول الانفصال ورجعت الفرسان عن الحرب والطعان وتقدم فيروزشاه على مرأى من الجميع ولاقى بهزاد وفرح به غاية الفرح وقبله مابين عينيه وقال له مثلك تكون الفرسان وإلا فلا . وأمر الملك ضاراب ان يحمل بهزاد على الأيدى لأنه امتلأ صدره فرحا من عمله ولا سيما لما رأى تلك الضربة التى لم ير مثلها إلا ضربة ولده فيروزشاه لطومار الزنجى . وقال ان الله اعطانا مالم يعطه لغيرنا وقد قصر كل من يدعى أنه يقطع بسيفه طارقة كهذه اسمك من حائط بنيان ودخل بهزاد والفرسان محيطة به من كل مكان وهى فرحة بعمله مسرورة من اقدامه ولاقاه الملك ضاراب الى الباب وقبله بين الاعيان ومدحه المدح الكثير وأمر له أن يجلس فجلس وجىء بالطعام فأكل معه وهو يثنى عليه ويشكره ويظهر سروره من عمله . وبعد ان رفعت موائد الطعام جلس كل إلى مقامه وجعلت تلقى الفرسان واحدا بعد واحد حتى غاص الصيوان بالفرسان وانتظم الجميع كالسبحة وفى تلك الساعة قال الملك ضاراب ان كل من حضر فى هذا

الديوان يعلم ما الفيلزور بهلوان بلادى المرحوم الذى قتل فى الدفاع عن مملكتى من الجاه وعلو المنزلة وكنت أفضله على كل انسان وقد كان ابوه أيضا رستمزاد عند أبى بهمن ولذلك قد خطر لى أن أرفع بهزاد الى رتبة أبيه وأشده سيدا على فرسانى وأبطالى واستاذا لبهلوانى بلادى والقبه بفارس فارس وحاميها واعقد له على سبعين الف فارس كما كان لابيه وألبسه القباء الأخضر والثوب المزركش المعد لمن هم فى مثل هذه الوظيفة وكان بودى أبقى ذلك إلى حين إيابى إلى إيران غير أن اعترافى بالجميل وحبي لمكافأته لم يدعنى أن اتغاضى ولا يطاوعنى أن أبقى ذلك إلى وقته . ثم التفت إلى طيطلوس وأمره أن يتقدم إلى بهزاد ويشد وسطه بنطاق البهلوانية ففعل وشده واحضر له بدلة خضراء مزركشة بالذهب وقباء من الحرير الأخضر فالبسه إياها الملك ضاراب وناداه بحامى بلاد فارس وركنها . وبعد أن فرغ الملك ضاراب من عمله هنا بالوظيفة فقبل يديه وقال له أنى لا أستحق ياسيدى لهذا الانعام فما أنا إلا خادمكم وعبدكم ودمى معد لأن يجرى على أقدامكم فى سبيل طاعتكم فاجلسه الملك وتقدم كل من الفرسان وهنأه بدوره

قال وكان فرخوزاد حاضرا فى الصيوان وشاهد ما وصل إلى أخيه من انعام الملك ضاراب وأنه أخذ منصب أبيه وتقلد خطته مع أنه هو أحق منه كونه كبير أخوته فغاظه عمل الملك ضاراب ولم تعد الدنيا تسعه ولعب به الحسد الخبيث من أخيه وقال فى نفسه أن تقاعدى قد أوصلنى إلى هـــذه الدرجة من الانحطاط ونفع أخى إلى أن صار له هذا المقام والاعتبار العظيمين . ثم خطر فى ذهنه أن يبرز هو فى

انتهى الجزء الثانى والعشرون وسيليه الجزء الثالث والعشرون

الجزء الثالث والعشرون

من قصة فيروز شاه بن الملك ضاراب

الغد ويسبق اخاه الى مواقف القتال ويأخذ المجد لنفسه ولاسيما اذا برز تمرتاش فانه أقدر من خرطوم فيستحق لأجله أكثر مما استحق أخوه . وبعد ذلك يعود فيطالب الملك ضاراب بحقوقه وبما هو أهل له ولما قوى هذا الظن برأسه وترجح عنده نوال المراد وطد العزم عليه وصبر إلى اليوم الثانى . ولما انقضت السهرة خرج كل إلى صيوانه وهم يتحدثون بشجاعة بهزاد وما أعطاه الله من القوة والبسالة والاقدام .

قال وكان لما رجع جيش الرومان إلى الخيام أقام عزاء خرطوم وناحوا عليه مناحة كبيرة وحزنوا عليه حزنا شديدا ولاسيما أنبوش فانه لاح له وجه التأخر وثبت عنده إحباط مساعيه وأن لاسبيل له بالنجاح إلا بتمرتاش فاذا أصاب الآخر شيء وقع به الفشل وحل برجاله العدم وانفرطوا مشتتين وتملك الفرس بلادهم وخرجت عين الحياة من يده فيموت حسرة فى حبها هذا إذا أبقى عليه الايرانيين وبعد أن اجتمع القواد إلى ديوانه . قال لتمرتاش إنى غير مؤمل بعد قتل خرطوم بالنجاح فما هذه إلا دلائل التأخير والانكسار والحق يقال ان رجال الفرس أبطال صناديد ما منهم فارس الا ويلقى جيشا برمته فقال له تمرتاش انى كنت فى هذا النهار لاأترك خرطوم يبرز الى الميدان فلم يقبل منى ولا طاعنى وقد أطمعته لما كنت أعهد فيه البسالة الكافية لحل مثل هذه المشاق ورفع مثل هذه الأثقال وما ظنت نفسى الا أنه يقتل على الأقل خمسين فارسا من فرسان الفرس ثم أبرز أنا فأكمل على الباقين حتى رأيته قدار تبك فى قتال بهزاد وهو ولد لانبات بعارضيه ولم يصلح أن يذكر بين الفرسان ولم يخطر لى قط أنه يثبت أمامه أو يقدر على قتاله ولما تضاربا بالعمد وحط مسماه عند ماضرب ثلاث ضربات خطر لى أن أقتحم الميدان أو أسألك أن تضرب طبول الانفصال فيرجع من الميدان ولا يبقى عليه من خوف غير أنى خفت من الفضيحة والعار قال أنبوش يا ليتك فعلت ما فعلت فما العار يحسب بشيء بالنسبة لهذه الخسارة العظيمة وانى اريد منك فى الغد ان تبرز انت الى الميدان وتحمل عن الفرسان ثقلة هذا البراز وترمى الأعداء ببوار حربك والا طمعوا فينا كل الطمع ووقعنا بمصيبة لا خلاص لنا منها وخرجت البلاد من ايدينا وسرنا الى

الخراب والدمار قال كن براحة فما أنا بجبان فسوف ترى منى ما يسرك وتعلم ان فرسان الفرس عندى كالأغنام كيف لا وقد لقبنى أبوك بفارس الأرض بالطول والعرض فلو لم أكن كفؤا لكل هذه الجيوش التى تجمعت ولأضعافها لما استحقيت مثل هذا اللقب . فاطمأن خاطر انبوش وقال له ساعدك الله على الأعداء فانى اعرف ما أوصله الله اليك من الاقدام والبسالة وأرجو من سيدى المسيح ان يكون النصر لنا وان لا تكون العذراء غضبة علينا .

وفى الصباح التابع لتلك الليلة هبت الفرسان من مراقدها واشتغلت بالاستعداد فكان بعضها يشد حزام خيله وبعضها يتقلد بسلاحه وبعضها قد بكر فاستوى على ظهر جواده حتى كان يتصور للرائى ان القيامة قائمة فى ذلك المكان وان يوم النشور قد آن لتؤدى النفوس الحسان وركب تمرتاش على ظهر جواده وقلبه يشتغل عند محبوبته انس الصفا وحتم على نفسه انه لا يعود فى ذلك النهار إلا ليفعل العجائب فى عساكر الأعداء . وينزل بهم الهلاك والدمار وإذا ساعدته الظروف يخلص محبوبته من يديهم وهو يفكر كيف انها بعيدة عنه تلاقى عذاب الأسر وفكر ايضا كيف يكون تمرتاش ويحتمل على نفسه العار ويبقى خليلته فى يد مغتصبيها فهذا زاد فى هيجانه واختطف إلى وسط الميدان وقد سبق الجميع إلى الجولان فصال وجال ولعب على ظهر الجواد وقلب الميدان على أشكال وألوان بينما كانت الصفوف تصطف والجموع تترتب وتستعد وكان بهزاد قد أسرع إلى جواده فركبه وقصد أن يتبع تمرتاش ذلك النهار فى خرطوم وما أنهى استعداده حتى نظر إلى أخيه فرخوزاد قد انحدر من بين العساكر وصدم تمرتاش فاغتاظ من ذلك وخاف على أخيه لانه يعلم أنه ليس من رجاله . وكان فرخوزاد كما تقدم معنا من الفرسان الأشداء وقد حسد أخاه على نعمته واعتباره فقصد أن يأخذ لنفسه المقام الذى أخذه أخوه ولذلك سبقه إلى البراز وفاجأ تمرتاش وهو فى الميدان وأخذ معه فى الحرب والطعان والصياح والجولان حتى نظرت اليهما الفرسان أى نظر بقلة الصبر والضجر وهما فى عراك وصدام وافتراق والتحام وضرب أحر من لهيب النار عند الاضطرام وتمرتاش فيضرف فى حربه وطعانه كما يفيض البحر عند هيجانه وفرخوزاد يلتقى ضرباته ويصبر على حملاته وهجماته ونظر نفسه أنه مغلوب وأنه ليس من رجاله ولا يقدر أن يثبت فى قتاله . ولذلك ندم غاية الندم . وخاف من الهلاك والعدم . وصار يطلب من الله خلاص ذاك النهار . وأن يسرع الليل بالاعتكار ليعود عن حرب خصمه بالسلامة ولا يظهر على نفسه الخوف والندامة . ويتخلص من التعنيف والملامة قال ولما رأى تمرتاش أن العصر قد قرب وما نال من خصمه مرادا خاف أن يمضى النهار دون الحصول على

نتيجة ولا جدوى فصاح فيه وقال انى لاأحب ان أظلمك ولا أريد ان أجور عليك فاثبت لضربى وطعانى فانى أضربك ثلاث ضربات ثم تعود فتضربنى عوضها ومن منا كان أثبت وأقدر نال من الآخر مراده قال افعل مابدا لك فانى مطيع لك فعاد تمرتاش إلى الوراء ورفع العمد بيده واطلق لجواده العنان حتى قرب من فرخوزاد فضربه به ضربة شديدة من زند متين فالتقاها بطارقته حتى سمع لها صوت ودوى وقرقعة أدوى لها ذاك المكان وشعر فرخوزاد بألم فى كتفه وتخدر فى زنده لأن العمد كان ثقيلا وزنه ستمائة من إلا أنه صبر وطلب من الله المعونة على ضربتيه الباقيتين وفعلت به الثانية أكثر مما فعلت الأولى وكاد يغيب صوابه إلا انه تجلد وصبر عليها بما أعطاه الله من القوة والجلد ثم ان تمرتاش صاح به وقال له هاك الثالثة فهى القاضية ورفع العمد بيده ولاحه بالهواء وأرسله يهوى على درقته فقدم زنده وشد بنفسه على ظهر الجواد وطلب من الله ان يحفظه من ثقل هذه الضربة فوقعت على الدرقة وبالرغم عن قوة زنده وتصلبه وقعت الطارقة باندفاع العمد على الخوذة فشعر بانصداع فى رأسه حتى ضاع عقله ولم يعد يعرف ماذا حل به وعول تمرتاش ان يدركه ويفاجئه لما رأى بهزاد قد استعد وعزم على الانقضاض عليه إلاان انبوش بن الملك قيصر أسرع فأمر بأن تضرب طبول الانفصال وان يرجع تمرتاش من ساحة القتال فلعب به الغضب من فوات خصمه وتحير من هذا العمل كيف ان سيده أمره بالرجوع عن الحرب بعد ان ثبت لديه فوزه ونجاحه وحسب لذلك حسابا عظيما وعاد راجعا وعادت معه رجال الرومان الذين كانوا بخدمته وحواليه ولما وصل إلى الامير انبوس سأله عن السبب الذى دعاه إلى أن يأمر بضرب طبول الانفصال . فقال له انى خفت عليك ان يصير بك مثل ما صار بخرطوم لأنه بعد ان ضرب بهزاد ضربات ولم يرمه عن ظهر الجواد عاد هو فضربه بسيفه وقطعه وقد خفت أن يفعل معك خصمك اليوم مثل ما فعل ذاك لأن ضرباتك قد فرغت ولم يعد لك الحق إلا بالدفاع عن نفسك فلطم تمرتاش على يديه تأسفا وقال له لقد أضعت منا فارسا عظيما وسيدا كريما كنا نقهر به الأعداء ونرمى بقلوبهم جمرة لاتطفى أحر من جمرة خرطوم التى ارموها بقلوبنا ألم ترى ماحل بفرخوزاد عند وقوع الضربة الأخيرة فان يداه لم تعد تقدر على الحراك ولو نفخت عليه نفخة واحدة لألقيته إلى الأرض وكنت هممت ان اسأله ان يضربنى بدوره ولاشك انه لايقدر على حمل العمد ورفع السيف وانى اوصيك يا سيدى ان لا تعود إلى مثل هذا العمل مرة ثانية ولاتخف على من فارس ولا من معسكر برمته فما انا نظير خرطوم ولا غيره حتى ولو نظرتنى باضيق شيدة واشد ضيق وكنت ترانى قادرا عن التخلص

والرجوع اليك فلا تطلبنى ولا تدعونى قال انى لم احسب هذا الحساب قط وجل ماحسبته أنك ستقع يد خصمك وأعاهدك أن لا أدعوك مرة ثانية من وسط المجال حتى تعود من نفسك ثم انهما عادا إلى الصيوان فنزلا فيه وصرفا ذاك الليل ينتظران الصباح

قال وأما فرخوزاد فانه ماصدق أن سمع بضرب طبول الانفصال وشاهد تمرتاش عائدا عنه بعد أن رماه بالألم والوجع وأضاع منه كل قوته ولذلك كر راجعا حتى وصل إلى الجيش فلاقاه أخوه بهزاد ولم يقبل أن يلومه بكلمة بل مدحه على فعله وشكره على ثباته أمام فارس ندر الزمان أن يأتى بمثله وعاد إلى صيوان الملك ضاراب فوجده قد نزل فيه وعنده وزيراه طيطلوس ودوش الراى وولده فيروز شاه ولما رأى الملك ضاراب فرخوزاد أمره أن يجلس فى مكانه وبعد أن جلس أخذ فى أن يلومه ويعنفه وقال له انه من الأمور الخارقة لهيبتى أن يبرز فارس دون استئذان منى وماذلك إلا تعديا على غاياتى ومقاصدى لأنى أعرف قوة الفارس ومعدل بسالته فأرسل له فارسا يفوقه ولو سألتنى قبل أن تبرز لمنعتك لعلمى أنك لست من رجال تمرتاش وان لا أحد من فرساننا يقدر عليه إلا أخوك بهزاد وولدى فيروزشاه ولولا وجودهما فى جيشى لثبت عندى أننا نغلب لامحالة وأنه يفعل بنا كل ما أراد فزاد هذا الكلام فى غيظ فرخوزاد وكادت تنشق مرارته كيف أن الملك يفضل أخاه عليه وتمنى أنه لم يخلق فخير له من أن يكون أضعف بنانا من أخيه الآخر وصبر على كيد الزمان وقال فى نفسه مازال أخى حيا لامقام لى بين فرسان إيران ولا أحد منهم يعتبرنى ثم تقدم فيروز شاه منه وأوصاه أن لا يعود إلى المخاطرة بنفسه وقال له اعلم ياأخى أن أبى لايقبل أن يقتل من رجاله أضعفهم وأدناهم فكيف يقبل بفقدان من هو مثلك من أركان الجيش الفارسى على انى أعلم لو طلبت منه أن أبارز تمرتاش لمنعنى مع علمه بأنه لايثبت أمامى ساعة واحدة ولاسيما فقد أعهد بأمر قتاله إلى أخيك فلم يبد فرخوزاد كلمة بل صبر إلى أن مضى وقت السهرة فقام مع من قام وتفرق كل إلى مكانه ونام تلك الليلة ينتظر الصباح وهو مصر فى نفسه على البراز وقد هان عليه أن يقتله تمرتاش ولايسمع هذا اللوم والتعنيف أو أن يقتل تمرتاش وينال الشرف ويعرف كل من الفرسان مقدرته رضى الملك ضاراب أم لم يرض

ولما أشرقت شمس الصباح تقدم الفريقان إلى ساحة القتال صفوفا صفوفا البعض وراء البعض وبأيديهم السيوف وعلى كل فرقة قائدها فسقط إلى ساحة المجال تمرتاش وهو كالنمر الحردان وأخذ فى أن يصول ويجول فقصد بهزاد ان ينحدر اليه ويصدمه

وإذا به قد رأى أخاه فرخوزاد يستعد لسباقه . فاعترضه ووقف فى طريقه وقال له ارجع ياأخى فهذا اليوم يومى وقد حاربت أمس بدورك ولا تغضب الملك ضاراب ولا ترمى بنفسك الى المهالك فما أنت من رجال تمرتاش . قال انى أعلم أن ببرازه أهلك ولذلك سعيت وراءه فما أنا ممن يرغب بعد بالحياة . قال لا تطمع انك تصل اليه فانى أمنعك . قال لا تقدر على أن تمنعنى وكما أنك من أولاد فيلزور ولك الحق فى السيادة فانا ايضا ونظر الملك ضاراب الى عمل فرخوزاد فاغتاظ منه وخاف من أنه يسبق أخاه إلى قتال تمرتاش فدعا ولده وقال له سر إلى فرخوزاد ودعه يرجع عن عناده وإلا قيدته وألقيته فى العذاب وكان فيروزشاه يحب فرخوزاد لأنه أخوه ورفيقه منذ البداية فلم يهن عليه بعمله ولذلك أطلق كميته نحو الميدان لفصل ما هو واقع بين الاخوين إلا أنه قبل أن يصل كان بهزاد قد تكدر من أخيه لما رأى كثرة عنادة واصراره وسمع قباحة لفظه وسواد قلبه فدنا منه ولطمه بقمايده فألقاه إلى الأرض بعيدا عن الجواد فتركه يلملم نفسه وأشار إلى فيروز شاه أن يأخذه من الميدان وانقض هو على تمرتاش كانقضاض الصواعق وقال له ويلك لقد فرقت بين الاخوين فكل منا يحب أن يفوز بقتلك وينال المجد والشرف . قال انى بانتظاركما فلما عاد أخوك رأنا كفؤلك وله والتقيكما بوقت واحد فدعه يأتى لقتالى معك . قال لقد اخمقت واقه مساعيك ودنا يوم أجلك فلا تعاظم بنفسك ولا تظن أن بهزاد له نظير بين العباد وسوف ترى منى الأهوال فودع الدنيا واستعد للارتحال فانك راكض خلف خرطوم بقدم الاستعجال . ثم انهما مدا أيديهما إلى السيوف التى هى أقرب لشرب كاس الحتوف وجرداها من الاغماد . وعملا بها على الحرب والطراد . وأكثرا من الصياح . والمجيء والرواح . وكانا ككفتى ميزان . يستويان فى الرجحان . وهما يهدران كالفيلان ويزأران كاسود خفان . حتى سبح من تحتهما بالعرق الجوادان . ونظرت اليهما الأبطال والشجعان تنتظر نتيجة ذاك الحرب والطعان . وقد تعلموا منهما من فنون القتال . ما لم يتعلموه من غيرهما من الأبطال . وكان تمرتاش يرى بهزاد فى الابتداء بعين الاستخفاف والازدراء . لأنه صغير السن والجسم بالنسبة اليه فلما رآه وشاهد فعله علم أنه من الأبطال المغاوير . وأن ليس له بين الناس من نظير إذ كان يدور من حواليه كالدولاب . ويسد فى وجهه كل باب . وينزل عليه ضربات حسامه باسرع من سقوط الشهاب . حتى حاربه وتعجب كل العجب وكاد يقع به الملل والتعب . ولم يترك له فى ساحة الكفاح . طريقا للسرح والمراح . ولم ترى الطائفتان منهما غير شرار النار . تتطاير من وقع السيوف على الدرق من خلال ذاك الغبار . وكان بهزاد . وهو مع خصمه فى طعان وطراد . قد رأى إلى القبيلتين

وهما على غاية الاستعداد . ولاحت منه التفاتة إلى فيروزشاه فوجده واقف فى المقدمة مع أخيه فرخزاد . وبين أيديه بهروز العيار كأنه شهاب نار . فلعبت به النخوة والمروءة وزادت به الشجاعة والقوة . وأراد أن يرى أخاه فعله . ويعلم بقية الفرسان فضله . فزاد على تمرتاش العيار . وصدمه صدمة ليث جبار فالتقاه بقوة عزم واصطبار . حتى كاد يحجبهما الغبار . عن أعين النظار . وداما تحت سواده يطلبان الاستتار . إلى أن ينقضى ذاك النهار . إلا أن بهزاد الأسد الكرار . والبطل المغوار . أتعب خصمه ورماه بالارتباك ولم يتركه يعرف من أين يأتيه . ومن أى ناحية يفاجئه . حتى تضايق غاية الضيق وثبت عنده الهلاك فى موقف العراك . وندم كيف انه أوصى انبوش أن لا يضرب طبول الانفصال . علّه يتخلص من تلك الحال وبينا هما فى أشد قتال . وأحر نزال . وكل من الابطال ينظر إلى نحوهما بفروغ صبر . ينتظر نهاية هذا الأمر . وإذا ببهزاد قد رمى بسيفه إلى الهواء وانقض بأسرع من لمح البصر على تمرتاش وقبض على وسطه وصاح صيحة أدوت لها السهول والوديان . وقال هكذا تدوم أعداؤك ياسيدى فيروزشاه وتمطى بكل قوته فاقتلعه من بحر السرج كأنه العصفور بين يديه وحذفه إلى الوراء فوقع على بضعة أذرع من فيروزشاه فأسرع بهروز أن يقبض عليه ويشد كتافه وهو متعجب من عمل بهزاد وقد رأى عساكر الرومان اهتزت من الغضب واندفعت تطلبه من كل ناحية فخاف عليه من الجيوش وأشار إلى الفرسان أن تحمل حملة واحدة وجرد بيده الحسام واقتحم ذاك العباب بقلب لا يخاف الموت ولا يهاب. وأشغل فيهم ضرب الحسام ورماهم بضرب أحر من لهيب النار عند الاضطرام . وفعلت بقية الفرسان كفعله فى حربه . وعملوا كعمله واقتدوا به ولم يكن إلا القليل حتى اختلط القومان . يبيعان بسوق الحرب ويشتريان . وقد اشتد بينهما الحرب والطعان . من كل ناحية ومكان وأجهدت أنفسها عساكر الرومان أملا بخلاص فارسها من أيدى أعالى إيران . فلم تر أمامها إلا السيوف والعمدان . والموت ينقلب عليهما بأسرع مما كان . ويبيعت النفوس بأبخس الأثمان . وانتشرت الأجساد على بساط الصحصحان فداستها حوافر الخيل وذهبت كالهباء المنثور وجعتها فلم ترسم إلى يوم النشور . وذاقت من العذاب مرارة الطعان والضراب وفعل فيروزشاه أفعاله المعتادة فبدد الجموع وأنزل عليهم البلايا . وأذاقهم أشد الرزايا . وكان ينخطف كالبرق من مكان إلى مكان . ويقبض أرواح الفرسان . ويسلمها إلى عزرائيل رفيق ركابه . ليبعث بها إلى مقر عذابه حتى كادت تتفرق أولئك الفرسان . مما لحق بها من التشتيت والهوان . غير أن الليل كان قريب الاتيان . فرف بأجنحته على ذاك المكان وفى الحال دقت

طبول الانفصال . ورجع الفريقان عن الحرب والقتال . وقد أشفت الفرس غليلها وفعلت أفعالا لم يسبق لها أن فعلتها فى عهد تلك الحرب ولو طال ذاك النهار لكانت نالت كل ما تمنت وبددت شمل رجال قيصر وأنزلت بهم العبر إلا أنها صبرت تؤمل بالصباح نهاية الحرب والكفاح وتفريق مابقى من العساكر وتتقدم من هناك إلى المدينة فتستلمها

وكان الملك ضاراب واقفا تحت الرايات والأعلام يشاهد أفعال بهزاد ومافعل بسوق الحرب والطعان فزاد موقعه من قلبه لا سيما عند ما رآه قد حمل تمرتاش بين يديه ورماه بالهواء على مسافة غير قريبة وتمنى أن يصل اليه ليكافئه على أفعاله . وقال لوزيره طيطلوس وهو الى جانبه انى أرى بهزاد قد فاق على أبيه وأجداده ولم يخلق أفرس منه إنسان إلا ان كان ابنى فيروزشاه . وقد تبين لى من أفعاله أنه لا يمكن أن يغلب قط من فارس أو جبار فلا زالت هذه العائلة تخدم دولتى بأمانة واجتهاد ولذلك أحب أن أرفعها من رتبة البهلوانية إلى رتبة الملوك فهم أحق من غيرهم بالسيادة ومن يكون كبهزاد لا يقل به أن يكون مالكا على الدنيا بأسرها فأى فارس يقدر أن يقارنه فى طعان أو ضراب فقال لقد أصبت ياسيدى فهم يحملون عنا الأثقال . ويدفعون الأهوال ولم نر منهم إلا كل جميلا نذكره جيلا فجيلا . ولما رجع بهزاد من ساحة القتال أمر الملك ضاراب أن تلاقيه الفرسان بالترحيب والاكرام وتضرب أمامه الموسيقات وتفرش له الأرض بالحرير والديباج وبقى على هذا الاحتفال حتى دخل صيوان الملك ضاراب فلاقاه وترحب به وأكرمه وأجلسه فى مقامه وشكره على فعله ومدحه على بسالته وأمر أن يبسط الطعام فبسطت الموائد وجلس كل من الحاضرين للأكل حتى اكتفوا ثم رفعت الموائد وقدمت الأشربة وإذ ذاك أمر الملك ضاراب بوضع تمرتاش تحت الحفظ والترسيم وأن يقام على باب صيوانه الخفر وأن يحضر له الطعام والشراب وأن لا يهان ليرى ماذا يصنع به بعد انقضاء الحرب ففعلوا ومن ثم أمر أيضا وزيره طيطلوس أن يأتى بثياب ملكية مزركشة بالذهب وبقباء مزركش مرصع بالجواهر فأتى بما طلب فنهض الملك وأخذ الثياب فأفرغها على بهزاد واحدة فواحدة وألبسه القباء المذكور حتى حسده كل من حضر ثم قال له الملك انك أنت الآن لست بأوطى من أبناء عمى خورشيد شاه وكرمان شاه ومصفرشاه فقد ساويتك بهم وجعلتك فى مصافهم وليكن اسمك من الآن وصاعدا بهزاد شاه حامى بلاد إيران وتكون الثانى فى مملكتى بعد ولدى فيروزشاه فى الرتبة والمنصب ويكون لك الرأى الثانى والقول الثانى بعد قول وزيرى طيطلوس ودوش الراى . فما ذلك إلا باستحقاقك وقد حصلته بأقدامك وبسالتك وإنى لست ممن ينكرون الجميل ولا

يجازون عليه . وبعد ذلك تقدمت كل الفرسان فهنأته على ما وصل اليه وتقدم منه فيروزشاه وقال له لا ريب أن أبى قد أصاب بعمله فانت عمادملكنا ودعائمه لمارأى بهزاد نفسه فى هذه الحالة انبهر وتعجب وشكر الله على هذه النعمة التى لم تسبق لغيره وتقدم من الملك وقبل يديه وقال له أوليتنى ياسيدى جميلا لا أستحقه فما أنا إلا من بعض عبيد دولتكم وخدامها وكنت أحب أن أعيش برتبة بهلوان كأبى إذ ليس من حقوقنا أن نساويكم فى العظمة والكرامة ولولا أن يقال عنى أنى جحدت انعامك ورفضت اكرامك لنزعت عنى هذا الثوب ملتمسا بقائى على ما أنا وذلك كثير على عبد مثلى أن يقارن مولاه . فقال له الملك ضاراب أنى ما أوصلت اليك إكرامى إلا لما وجدت أنك تستحق ما فوقه وسوف ترى عند رجوعنا إلى بلادنا ما يكون لك فوق ما وصل اليك الآن . ولو فعلت دون ذلك لحط من قدرى ولامنى الناس على عدم مكافأتك وطالبنى به الله سبحانه وتعالى لأنه ماخصبك هذه الشجاعة إلا لتخدم وتكون السعادة دائما بين يديك .

كل هذا وفرخوزاد جالس فى مكانه وقلبه كاد ينشق من الغيظ والحنق وقد نظر إلى نفسه بعين الازدراء لما رأى أن الملك قد اهمله ولم يلتفت اليه ووجه بكل اعتنائه إلى اخيه وصبر على أمره وقد نوى الشر وأن لا يصبر على هذه الأهانه التى لحقت به وعدم التفات أخيه اليه ومقاسمته فى نعمته كما هو الواجب عليه ولما انقضت السهره انفرطت سبحة ذلك الاجتماع وسار كل فى ناحية وسار بهزاد الى صيوانه وهو مسرور الفؤاد فرحان غاية الفرح بما ناله من السعادة والاقبال ولما نزع عنه ثيابه ونزل فى فراشه جعل يتصور كل ما كان من خرطوم وتمرتاش حتى طرق ذهنه عمل أخيه فرخوزاد وعناده له وكيف أنه حسده على نعمته ثم خطر له أنه مهمل من الملك وان الملك لم يوجه اليه بانعامه مع أنه ابن فيلزور الاكبر وانفطر قلبه من أجل أخيه وقال فى نفسه انه كان أحب إلى أن رأى كل هذه الانعامات واصلة إلى أخى من أن أراها على ويكون هو فى غيظ منى متروكا من عناية الملك واشتد به حبه لأخيه حتى ضاق صدره وعيل صبره كيف لم يسأل الملك أن يقسم الانعام بينهما ولذلك نهض من الفراش وقصد الخلاء ليشرح صدره ويستنشق النسيم وبينما هو كذلك وليس عليه من الثياب إلا ثياب النوم البسيطة إذ سمع صوت حوافر خيل على مقربة منه ورأى فارسا فوق جواده يتقدم إلى نحوه وقد ظهر منه بنور النجوم التى تنبعث إلى الأرض انه ملثم إلى عينيه فصاح به بهزاد وقال له من أنت وماذا تريد وكان أمينا من جهة لعلمه ان لاعدو بين عساكره يقصده فلم يجبه ذلك الفارس بكلمة بل تقدم منه حتى لصق به ورفع بيده العمد وضربه به وهو على تلك الحالة فلما رأى بهزاد ان العمد وجهه

اليه ولا مناص له منه لصق بالجواد وانتشل الفارس إلى الارض غير أن العمد كان قد وقع على ظهره من بين أكتافه إلى قدميه فرماه إلى الارض على وجهه وصاح من الألم لقد قتلتني يا أخي وكان الضارب فرخوزاد لأنه كما تقدم موجوعا من إكرام أخيه عند الملك وقد حسده كل الحسد وظن بنفسه أنه راض بهذا العمل وباذلال أخيه فذهب إلى صيوانه وأخذ كل ما يحتاجه وقال لم يبق لى اقامة بين الايرانيين ولا بد من أن أبعد عنهم ولو تحملت ثقل العار وبعاد الأميرة أنوش بنت الشاه سليم ولما اعتلى بظهر جواده قصد أن يدخل عليها فمنعه غيظه من أخيه وقال لا بد أنها تلومني وتعنفني وترجعني عن عزمي على أني لا أقبل أن تراني ذليلا مهانا إلى حد أن لا يفكر بي الملك فسار إلى جهة صيوان أخيه وهو يقصد أن يوقع به إذا تسهل له ذلك قبل أن يبارح الجيش وإلا سار وبعد ولا يرجع إلا أن يبعث الملك فيترضاه ولما وصل إلى صيوان أخيه كما تقدم الكلام وعرفه من صوته ففرح غاية الفرح ودنا منه وضربه تلك الضربة ووقع على الارض إلا أنه نهض خائفا عند سماعه صوت أخيه قتلتني يا أخي وعاد إلى جواده باسرع من لمح البصر وتيقن عنده أن أخاه قد مات فاطلق لجواده العنان وكان عند باب صيوان بهزاد بدر فتات العيار وهو فى راحة ليس عند باله خبر من كل ما ذكر إلى أن سمع صوت بهزاد وقوله قتلتني يا أخي فنهض وأسرع اليه بينما كان فرخوزاد يستعد للركوب والهرب ورفعه بين يديه فوجده كالخشبة يابسا فخاف أن يكون قضى نحبه فصاح ونادى بالفرسان القريبين منه فجاءوا اليه فاعلمهم بالواقعة وانتشر الخبر من واحد الى آخر بأسرع من نصف ساعة حتى ارتبك الجميع وخافوا على بهزاد وما منهم إلا من ركض حافي الأقدام مكشوف الرأس ضائع الحواس مما سمع عن بهزاد وعلا الصياح من كل ناح ولطمت الفرسان على خدودها وعضت الأمراء على نودها وبلغ الخبر الملك ضاراب وولده فيروزشاه ووزراءه فاضطربوا وارتاعوا وأسرع فيروزشاه إلى نحو بهزاد فوجده ملقى على أحضان بدرفتات والناس تزدحم من حواليه وهي فى بكاء ونواح فأمر فى الحال ان يحمل إلى صيوان أبيه علّه أن يكون باق فى جسمه بقية رمق فرفع وسارت الناس من حواليه وأمامه وخلفه ما بين عبيد وخدام واسياد وأنفار ولم يبق بين معسكر ايران واحد إلا وتأسف ولحق به الغيظ والحزن وركض ليطمأن عن بهزاد حتى كان الصياح اخذا بالارتفاع من كل ناح .

قال ولما وصلوا ببهزاد الى بين أيدى الملك ضاراب ورآه على تلك الحالة حزن جدا ونزل عن سريره وبكى عليه وأمر طيطلوس أن ينظر فيه . فلما رآه طيطلوس

قال لا تخف ياسيدى فان الضربة عظيمة جدا إلا ان الامل بحياته وطيد لأنها واقعة فى ظهره ولم تصل إلى جوفه وإنما هو الآن ضائع من الألم والوجع فارتاح بال الجميع وتيقنوا عدم موته . وأخذ طيطلوس فى الحال أن يسكب فى فيه الأدوية النافعة ويدهن جرحه بالمراهم ويضمده بالضمادات وقد صرف غاية الجهد ووضع فى أنفه الروائح المنبهة وأمر أن يفرك بدنه بالدهون لتعود حركات جسمه إلى أصلها وأخذ الدم فى أن يجرى وتعود الأعضاء إلى وظائفها الاصلية وتتحرك منه القوى حتى انه بنحو ساعات قليلة قدر أن يفتح عينيه وينظر ما حواليه ففرح الملك ضاراب وكل من حضر فى ذلك المحضر ولا سيما فيروزشاه وطيطلوس ثم أن بهزاد تكلم من حلاوة الروح بعد أن أجهد نفسه وساق قواة بالرغم إلى التكلم . فقال للملك ضاراب بالله عليك ياسيدى أن تبحث وتفتش على أخى ولا تدعه يغيب عن المعسكر وإلا مت من جرى بعده وانى مسامحه بكل ماجرى منه فانه وإلا أخى وليس للعدوا الحسود الشامت دخل بيننا . ثم غاب عن هداه وطيطلوس صارف الجهد إلى مداراته ومداواته وأمر الملك أن يرفع إلى صيوان طيطلوس بتأن ومداراة وأرصى وزيره بصرف الجهد فى مداراته وملازمته ليلا ونهارا وقد تعجب الجميع من كرامة أخلاق بهزاد وحبه لأخيه الحب المفرط حتى أنه وهو فى أشد حالة من الاوجاع والآلام تذكره وسامحه بعد ان فعل معه ما فعل وسبب له كل هذه المصائب الخطيرة من يده وصار كل واحد منهم يلزم فرخوزاد ويتكلم بحقه القبيح وفيروزشاه يتألم لأن فرخوزاد كان رفيقه واخوه منذ بداية القصة ومع أنه كان قد استقبح عمله كل الاستقباح لم يهن عليه أن يسمع به لوما وقال مافعل هذا الفعل إلا وعيناه تطمح إلى ركوب المعالى وقد غلط هذه المرة واتكل على نفسه ولو اتكل على وعلى أبى وسألنا شيئا لما منعناه عنه ما عدا رتبة أبيه فقد استحقها أخوه غير أن الباعث الذى بعثه إلى التطرف بالعداوة هو احتقار أخيه به عن غير قصد فانه رماه إلى الأرض هذه المرة فى نصف الميدان على مرأى من جميع الفرسان وفى مصر أيضا فانه رماه عن جواده إلى الأرض وأوقع بقلبه النفور منه ومع كل ذلك فانى سابعث خلف فرخوزاد واصلح بينهما واجعله يعتذر عن عمله ويقلع من قلبه عداوته لأخيه .

قال وكانت أنوش بنت الشاه سليم منذ بداية الحال وهى تشاهد وتتألم وقد انطبقت عليها الدنيا من جهاتها الاربع ولم تعد تعرف يمينها من شمالها لأنها كانت من داخل قلبها تلوم فرخوزاد على عمله هذا القبيح إلا أن محبتها له وميلها إلى زواجه وعهدها به لم تقبل أن تنزله مكانه من قلبها أو تقلل من مقامه أو تطيعها أذناها على أن تسمع بحقه لوما ولذلك كانت أحشاؤها تتقطع عند جريان هـــذه الاحوال والتفكر بها

وبغياب فرخوزاد عنها ولا نعلم مدة غيابه وهل فى نيته العودة الى قومه أو قصده البعد والرحيل الى بلاد بعيدة على أمل أن لا يعود اليهم فى المستقبل ولما سمعت كلام فيروزشاه وأنه سيصرف الجهد إلى السؤال عنه وارجاعه إلى أخيه وقلع جرثومة العداوة من بينهما فرحت غاية الفرح واطمأن بالها وكان حملها لاثقال الامور واقدامها على المصائب وبسالتها النادرة فى غيرها من النساء والرجال تحملها على الصبر والتأنى فى عظائم الامور .

وما أخذ بهزاد من حضرة الملك حتى كاد نور الصباح يبزغ وإذا بأحد الرجال قد دخل عليه وقال له أعلم ياسيدى أن تمرتاش قد فر وهرب ولم يره أحد فاضطرب الملك ضاراب وغضب مزيد الغضب وسأل عن سبب فراره وكيف قدر أن يتخلص ويفك قيوده . قال لا نعلم وجل ماناعلمه أنه هرب بينما كان القوم مشغولون ببهزاد وأن التى جاءت وخلصته أنس الصفا خليلته التى كانت فى الجيش معنا فتكدر الملك ضاراب وقال أنه يغيظنى مثل هذا التهامل اكثر مما يغيظنى فوات فارس مثل هذا الفارس وضياعه من يدنا . ثم أحضر الحارس عليه والحارس على أنس الصفا وسألها عن سبب فرارهما فقالا له أننا عند ارتباك القوم وانشغالهم ببهزاد ركضنا مع من ركض لننظر حالته ويطمأن قلبنا ونرجع حالا ولم يخطر لنا قط أن أحدا يقدم على تهريب ما يبسنا وأسرانا ولم نفكر أن أنس الصفا تذهب إلى الصيوان المحفوظ فيه تمرتاش وتفك وثاقه وتذهب به وقد فتشنا إلى أطراف المعسكر أملا أن نقع عليهما فنصيدهما إلى الأسر فلم نرهما واننا نعلم من انفسنا أننا نستحق القصاص والمجازاة على هذا التهامل والتهاون ولذلك نطلب اليك ان تعاملنا بما نستحقه فلو امرت بقتلنا لكان ذلك قليل علينا فقال الملك ضاراب عند سماعه كلامهما نعم انكما تستحقان المجازاة بالقتل على ضياع مثل تمرتاش من أيدينا غير أنه لما كان لم يسبق منكم قبل الآن عمل مثل هذا وكان سبب فراره هو انشغالكم ببهزاد وكدركم من اجله فاعفو عنكم إكراما لحبه وأوصيكما بأن لا تعودا مرة ثانية الى مثل هذا التهاون فلما سمعا كلامه لم يصدقاه وقبلا يديه وخرج بفرح وسرور وفى الصباح نهض الملك ضاراب فلم ير لعساكر الرومان من اثر فى ذلك المكان فعلم انهم رحلوا فى الليل من ام الروض وقصدوا المدينة ليطلعوا الملك قيصر على ما حل بهم ولذلك قال يجب ان نبقى هنا كل هذه المدة الى ان يشفى بهزاد غاية الشفاء ويقدر على ركوب الجواد والرجوع الى الحرب والطراد ويرتاح فكرنا من قبله وبذلك يكون ايضا قد ارتاح الجيش من الحروب مدة وعاد اليه نشاطه

قال وكان سبب غياب تمرتاش وفراره هو انه لما اخـــذ اسير وقيد إلى خيام

الفرس وضع تحت الحفظ والترسيم وأقيم عليه الحرس ويفكر الملك ضاراب أن يرسله في اليوم التالي إلى ملاطية وشغل عنه بانعامه على بهزاد كما تقدم معنا الايراد ثم بما أصابه من أخيه وقد قلنا أن عموم عساكر الفرس أخبرت بموته فأسرعت حزينة تبكي عليه ومن الجملة الحراس الذين على صيوان تمرتاس فانهم أغلقوا باب الصيوان وركضوا على أمل أن يرجعوا حالا بينما يكونوا قد وقفوا على الخبر الأكيد وكانت أنس الصفا مقيمة بالقرب منه وقد عرفت من أول الليل بأسره فتكدرت جدا وقطعت الرجاء من الخلاص لأنها كانت تؤمل أنه ينقذها مما هي به وصبرت تنظر ما يكون من أمره فلما قامت الغوغاء وارتفعت الضوضاء خرجت من الصيوان فلم ترى أحدا عند بابه فسارت وقلبها يرجف خوفا وخطر لها أن تصل اليه إذا ساعدتها الصدف وأوصلتها التقادير . فوصلت إلى صيوان بالقرب منها فلم تر عنده أحدا ولاداخله أحدا فسارت إلى غيره وما قطعت نحو خمس خيام حتى وصلت إلى الصيوان المسجون به تمرتاش فوجدت بابه مسدولا إلى الأرض فعرفته وإذا به داخله ففرحت غاية الفرح واندفعت عليه بلهفة وأخذت تحل كتافه حتى صار يقدر على الهرب فأمرها أن تتبعه وخرج راكضا وهي معه والقوم في اضطراب لا يعي الواحد على الآخر وكل من رآهما يظن أنهما من الايرانيين أومن أتباعهم ولا يخطر لهم أنهما تمرتاش وصاحبته حتى خرجا من المعسكر وهما بفرح لا يوصف ووصلا إلى جيش الرومان فوجداه على أهبة الرحيل لأن أنبوش عندرجوع العساكر من القتال دخل خيمته حزينا على تمرتاش وثبت لديه أنه إذا بقي إلى الغد أسر هو أيضا أوقتل وتبدد الجيش الباقي معه ولذلك أقام بانتظار غفلة الأعداء ودخولهم إلى النوم ليذهب وأمرقواده أن بعد نصف الليل بساعة يقلعون عن تلك الأراضي ويتقهقرون إلى الوراء راجعين الى المدينة لأنهم قريبون منها ولما كان الوقت المعين أخذوا في أن يحملوا الأحمال ويقلعوا أوتاد الخيام ويرفعونها على ظهور البغال وهم من أجل فارسهم وبما حل بهم في قلق واضطراب واذا به قدوصل اليهم وعرفهم بنفسه ففرحوا به غاية الفرح ولاسيما أنبوش فهنأه بالسلامة وسأله عن سبب خلاصه فحكى له وقال أريد منك أن تديم العمل الآن ونرحل من هذه الارض والاهلكنا عن آخرنا والحق يقال أننا لسنا من رجال الفرس فانهم من مصاف البشر بل أسود كواسر وان لم نستعن عليهم بالكثرة والا أهلكوناعن آخرنا واحدا بعد واحد فقال له اني عرفت ذلك وعليه فقدهيأت نفسي للرحيل . فركب تمرتاش وأركب أنس الصفا وسارت العساكر راجعة الى الوراء دون أن يبدي أحدمنهم حركة أويرفع صوتا وداوموا في مسيرهم كل بقية تلك الليلة وأكثر النهار التالي حتى وصلوا الى المدينة ودخلوا بحالة يرثى لها

وهم مفشولون ودخلوا على الملك قيصر وشكوا اليه حالهم وما لاقوه من الملك ضاراب ورجاله وحكوا له مفصلا كل ما كان من أمرهم فاضطرب وحل به الخوف والوجل وشعر بانقراض دولته إذا لم يستدرك أمره ويدبر طريقة لارجاع الايرانيين عن بلاده فعقد فى الحال مجلسا وأخبر قومه بكل ماجرى وكان من جملتهم الشاه سرور ووزيره طيفور فتكدر الجميع ولم يبد أحد منهم قولا إلا وزيره بيداخطل فانه قال إن الرأى عندى أن نستدعى بالعساكر من كل الجهات ونطلب اليها المعونة والمعاضدة ونطلب أيضا من جهان ملك الصين أن يمدنا بالرجال والأبطال وأن يبعث الينا بيهلوان بلاده ومدبر دولته وسيد فرسانها منكوخان ابن هلكوخان وبأولاده السبعة فرسان هذا الزمان وإذا لم نفعل ذلك وإلا تملكت الفرس بلادنا وأفنونا عن آخرنا وأذلوا نساءنا وسبوها . فقال الملك قيصر هذا لابد منه ثم أمر بيداخطل أن يكتب الكتب ويبعثها ويكتب كتابا إلى جهان صاحب الصين يعرض عليه حاله ويطلعه على كل ما كان من الايرانيين . فأخذ الوزير يكتب الكتب المذكورة ويبعثها وكتب كتابا إلى جهان يقول له فيه :

من الملك قيصر ملك البلاد الرومانية وسلطان الطوائف النصرانية إلى صديقه جهان ملك الصين وعبى عبادة النارمابين العالمين .

اعلم أيها الأخ الصديق والصاحب والرفيق وحاكم بلاد الصين من مشرقها إلى مغربها أنه خرج فى بلاد الفرس ملك اسمه ضاراب بن بهمن وهو جبار عنيد وله ولد اسمه فيروزشاه لم يبلغ أشده بل هو بدرجة التراهق أحب فتاة من أحسن نساء العالم وأجملهن اسمها عين الحياة بنت الشاه سرور وصاحب تعزاء اليمن ونواحيها وطلبه أن يأخذها من أبيها بالرغم فامتنع عليه ومسكه بعد ان أجرى فى بلاده وقائع عديدة وقتل بيروز وميسرة إخوة طومار الزنجى وبعد أن قبض عليه ومسكه سلمه إلى هورنك ملك جزائر الزنوج لأنه كان قد قتل ولده وبالاختصار فانه تخلص منه وقتله وتملك بلاده وسطا عليها ورجع منها إلى اليمن ليأخذ عين الحياة بالرغم عن أبيها فوجد أباه الملك ضاراب قد نزل على تلك البلاد ليأخذ له بالثأر ووقع بضيق عظيم من طومار الزنجى المشهور راكب الأفيال فقتله فيروزشاه أيضا وسطا على المدينة فهرب أبو عين الحياة إلى مصر إلى الوليد حاكمها وزوج بنته من ابنه فتتبعه الايرانيون وبعد وقائع عديدة وحروب يطول شرحها تشيب من هولها الأطفال فاز فيروزشاه على تلك البلاد وملكها وقتل كل بطل فيها فهرب أبو عين الحياة عند ذلك إلى مستجيرا بى فأجرته (وحكى كل ما توقع له مع الايرانيين من البداية إلى النهاية) فحسبته لهم حسابا وبت بانتظارهم ولا سيما عند ما عرفت بأنهم قصدوا بلادى وقد ملكوا

الاسكندرية وسورية وكل بر الشام وجاءوا ملاطية وكانت عساكرى فيها فشردت منهم القبائل وسكان الضياع وأخرجوا منها عسكرى ومن ثم قتلوا خرطوم الروى حامى بلادى وفارسها وأسروا بهلوان تخى تمرتاش ولذلك ثبت لدى أنى لا أتغلب عليهم إلا بكثرة العساكر والأبطال فكتبت إلى كل عمالى من داخل البلاد واستنهضت همم أصحابى وأصدقائى أن يعجلوا إلى بالمسير لنبيد هذه الأمة التى طغت وبغت وداست هذه البلاد ولم تراع قط حرمة الملوك وحق السيادة وعليه فانى أسألك بالحب القديم الثابت فيما بيننا أن تسارع إلى نجدتى برجالك وأبطالك وأن تبعث إلى بقائد عساكرك منكوخان جبار هذا الزمان ليقهر لنا فرسان إيران ويقتل فيروزشاه ويريحنا من شره ولا تتخل عنى فى مثل هذه الضيقة ولا تترك العدو يتمكن فينا ويسطو علينا وأنت تتغاضى عنا وإنى أخبرك أن معهم من الأموال مالا يحسب بقلم ولا قرطاس لأنهم نهبوا أموال كل البلاد التى تملكوها ونهبوا أموال صفراء الساحرة وأخرجوا من الكنز الذى فى مصر أحمالا كثيرة من الذهب والجواهر ونحوها فاذا بددتم هذه القبيلة كانت هذه لكم غنيمة وربحا والآن رجال الفرس قائمون حول مدينتى يطاردون عساكرى وإنى سأحاول فى القتال إلى حين مجىء رجالكم إلى والسلام لكم والتحيات منى والاكرام

وبعد أن انتهى بيداخطل من كتابة هذا الكتاب سلمه لأحد فرسانه وقال له أريد منك ان تسرع بهذا الكتاب الى تنكين عاصمة بلاد الصين وتأتينى من ملكها بالجواب ولك منى كل ماطلبت اذا جاءت الى عساكره قبل ان ينتشب القتال بيننا وبين الايرانيين قال سوف ترى منى مايسرك وسار يقطع البرارى والقفار مدة ايام لا ينام لا فى ليل ولا فى نهار الى ان دخل على الملك جهان صاحب بلاد الصين وقبل الارض بين اعتاب سمائه لانه كان يسكن فى قصر كبير متسع فى وسطه قاعة فسيحة مفروشة بالبسط والحرير وحيطانها مرصعة بالجواهر والياقوت وبين سقفها قبة زرقاء مجللة من المرمر من ظهرها بالسرر الحريرية المحشوة من ريش النعام كان يقيم فيها الملك وفى وسط هذه القبة التى يلقبونها بالسماء نافذة صغيرة عندما يحتاج الملك الى شىء دعا اثنين من حجابه يقومان ابدا بخدمته من تلك النافذة وليس لاحد غيرهما ان ينظر وجه الملك لانه كان عندهم كاله الا فى السنة مرة فانه ينزل من سمائه ويذهب الى بيت الاصنام ليقدموا لها الذبائح امامه واذا وقعت حرب بينه وبين عدوله واحتاج الامر الى قهر العدو ولم يروا بدا من نزول الملك خرج من سمائه وقهر ذاك العدو لان رجاله متى رأوه انه فى القتال رموا بأنفسهم الى ايدى نيرانه فلا يعودون الا بالانتصار وكان لا يعرف شيئا من احوال مملكته

وأمورها لكبرها واتساعها ولا يطلع على أوراقها ورسائلها وما هو جار فيها ولا تقدم اليه إلا رسائل الملوك فقط وإذا حدث فى المملكة أمر مهم جدا جاء اليه هذان الحاجبان وأطلعاه عليه وإذا أراد أحد أن يتشرف باعراض أمر لديه سأل عن ذلك فان أجابه دخل ذلك الرجل ورأسه إلى الأرض اختشاء من أن تقع عينه على بهاء الملك فى علائه فيلحق به الأذى وكانت أعمال المملكة بيد اثنين أحدهما لتدبير الداخلية واسمه مهريار والآخر لقيادة الجيوش وحماية البلاد يقال له منكوخان بن هلكوخان وكان هذا الكبير بطل صنديد وفارس شديد وله سبعة أولاد ذكور معه فى الرتبة والوظيفة وأسماؤهم الغضبان والعاصى والمنجد وأبو القنابر وقتير وسعدان وحامى الحى وهم أبطال جبابرة

فلما وصل رسول قيصر وقف بين يدي جهان ورأسه إلى الأرض وقد دفع الكتاب إلى أحد الحاجبين فاوصله اليه وقرأه له فلما عرف ما به أرغى وأزبد وقام وقعد وصاح بالحاجب أن يسرع إلى منكوخان ومهريار ويحضرهما إلى أوض سمائه يعنى إلى أرض الغرفة القائم فوقها فاسرع وبعث من يدعوهما فلما حضرا أدخلا كبقية الناس اى أن كلا من الحاجبين وضع يده على رأس واحد وأدخله إلى وسط الغرفة فظل الاله وبالحرى الملك وقال لهما اعلما أن صديق الملك قيصر ملك النصارى قد بعث يستجير بى من ظلم الفرس وغدرهم وقد داسوا بلاده وتملكوها كما تملكوا غيرها ولذلك حيث يعلم انى اقدر ملوك هذا الزمان وسلطان سلاطين الدنيا بعث إلى يطلب منى العساكر وطرد هذا العدو من بلاده وقد تحرك غضبى إلى هلاك الفرس ومحو آثارهم من هذه الدنيا وعليه فانى آمركما ان تبعثا نحوا من اربعمائة الف فارس إلى معونة الملك قيصر ويسير على الجيش احدكما منكوخان مصحوبا باولاده ويأتينى برأس فيروز شاه فارس الفرس وينهب اموالهم وجواهرهم ويأتينى من هناك بالنساء الجميلات وفى أولهن عين الحياة بنت الشاه سرور فقد وصفها لى قيصر انها من اجمل نساء العالم فاجاباه بالطاعة وخرجا من القاعة لانفاذ امره ومعهما رسول الملك قيصر فجمعا الجيوش وعدداها والبساها العدد وفرقا عليها المؤن والذخائر وامراها ان تستعد لتخرج بعد ثلاثة ايام وفى اليوم الثالث ركب منكوخان على جواده وهو كانه البرج الحصين وخرج فى مقدمة العساكر وحوله اولاده السبعة المتقدم ذكرهم وكل يظن بنفسه انه يلقى جيش الفرس وحده وخفقت فوقهم الرايات الصينية وحملوا اصنامهم معهم ليعبدوها فى الطريق ويسجدوا لها فى وقت الصلاة واستلموا طريق بلاد الرومان وساروا على نية الوصول اليها وحرب الفرس فيها

قال الراوى ولنعد إلى حديث الفرس فانهم اقاموا فى ارض ام الروض كما تقدم

معنا الكلام ينتظرون شفاء بهزاد على أوجاعه وآلامه وقد تبع جرحه التهاب وحمى ألزمته الفراش مدة ليست بقليلة وطيطلوس يلازم مداواته ويبذل الجهد فيها وهو لا يفارقه دائما لا فى الليل ولا فى النهار والملك ضاراب مشغل الفكر من أجله لا يبرح دقيقة من باله ودائما يسأل وزيره عنه ويتمنى شفاؤه وبهذا السبب طال المطال على فيروز شاه وزاد شغفه وشوقه إلى عين الحياة وكان يحب أن يعرف ما هو حاصل عليها وفى أى مكان هى وهل براحة أو بكدر وفى ذات ليلة اشتدت عليه الحال وهاج به بلباله فقلق فى فراشه وضاق صدره ولم ير وسيلة إلا بعث بهروز فدعاه اليه وشكا له حاله وقال له أأكون فيروز شاه وعندى عيار مثلك ويصعب على الحصول على غاية صغيرة لا تقدر على قضائها . قال وماذا تريد ياسيدى . قال ويلك ألا تعرف رغبتى فى الحصول على عين الحياة وحتى الساعه لم أقدر أن أمنع أعدائى عنها وبسبب ما حصل لى من المصائب ولما من الأكدار صرت أتمنى أن تكون عندى دائما فى الجيش وأمام عينى فيكون فكرى مطمئنا من نحوها قال ان كنت ترغب فى ذلك فانى سأقصدها من هذه الساعة ولا أعود اليك إلا وعين الحياة معى ولا يشغل فكرك بهذا السبب فانى أسير إلى المدينة وأتجسس أخبارها وأعرف أين هى فادخل عليها وأعلمها بقصدك ولى رجاء وثيق أنها تطيعنى اليه وتأتى معى قال لا ريب أنها إذا أعلمتها غايتى وانى بعثتك خصصا لا تتأخر بانفاذ طلبى وإياك من أن يراكم هلال العيار فهو خبيث محتال قال انى أحسب له حسابا لأنه يعرفنا ولو تزيينا بالف زى إنما ساحاول كثيرا أن لا ندعه يرانا وانى أطلب اليك أن تعطينى شباغوس النقاش وطارق العيار ليكونا برفقتى قال خذهما معك فلا بد من وجوب رفيق لك فى هذه المرة خوفا من حدوث ما لم يكن بالحسبان وفى الحال دعا بهروز بطارق وشباغوس وأطلعهما على غاية سيده وأمرهما أن يستعدا للسير معه فاجاباه وفى نفس ذلك الليل خرجوا من بين جيوش إيران وقصدوا المدينة ليطلعوا على عين الحياة ويأتوا بها إلى فيروزشاه ولا زالوا حتى دخلوها وهم بصفة رجال اليمن فى الليل التالى ونزلوا باحد الفنادق فى أطراف المدينة ولبس بهروز ملابس الرومان وخرج إلى الأسواق يتجسس أخبار عين الحياة حتى صادف رجلا من عساكر الملك قائما فى خانة لوحده يشرب الخمر فدخل وجلس بجانبه وسلم عليه والرجل فى حالة متوسطة بين الثول والصحو وأخذ معه بالحديث من جهة إلى أخرى حتى أوصله إلى مسالة الحرب مع الايرانيين فقال له وهل كنت أنت بالحرب مع تمرتاش هذه المرة . قال نعم كنت وقد أصبت بجرح خفيف إنما الحمد لله لم يطل أمر شفاءه فقال له شكرا لله الذى ما وصل اليك ضر وقبح الله رجال إيران فما هم إلا أبطال شداد وكان فى وسع

ملكنا أن يمنعهم عنه . قال بأى شيء يقدر على منعهم ودفعهم وهم لا يرجعون ما لم يأخذون بنت ملك الجن عين الحياة . قال هل هى فى المدينة ليأخذوها وإذا زوجها الملك بابنه فمن يقدر أن يأخذها حتى انهم هم نفسهم لا يعود لهم مطمع فيها فاما يتركونها ويذهبون واما تضعف شوكة فيروز شاه بهذا السبب ويخسر عقله فلا تعود له قائمة . قال هى الآن فى جزيرة الحديد المقيمة فى وسط البحر لا يقدر أحد على الوصول اليها والدنو منها وأما زواجها فلم يقبل به أبوها إلا بعد قتل فيروز شاه فلما سمع بهروز بانها بعيدة عن البلد وأنها فى قلعة الحديد خطر له أن يقصد تلك القلعة ويحتال على من بها ويأتى بعين الحياة فقال له وهل تلك القلعة بعيدة عن هنا وما الموجب لوضعها فيها . قال ألست أنت من المدينة قال كلا بل أنا من الضياع وما سبق لى أن أتيت هذه الناحية لانى أحرث أرضى وأزرعها دائما ولا أخرج منها . قال ان القلعه هى الى جهة الشمال تبعد عدة أيام عن المدينة فى وسط البحر لا يقدر أحد أن يدخلها إلا من أبوابها الحديدية وقد خاف الملك قيصر من أن يأتى عيارو الفرس فيسطون عليها ويسرقونها لأنهم كما قيل شياطين فى صفة بشر ولا سيما يقال ان بينهم عيار اسمه بهروز ابن حرام لا يصطلى له بنار يسلب الكحل من المقل ولا يوجد له ثان فى هذا الزمان . قال حسنا فعل فما من وسيلة لأحد بالوصول اليها فى تلك القلعة

وبعد أن أقام بهروز مع النفر نحوا من ساعة ودعه وخرج إلى الفندق الذى به رفاقه فقال نعم ان عين الحياة بعيدة عن البلد وهى فى قلعة الحديد فهلموا بنا نقصد تلك الناحية عسى ان الظروف تساعدنا فندخل القلعة ونأتى بعين الحياة . فقالوا افعل ما بدا لك فقال البسنا لبس رجال الرومان وضع القبعات على رؤوسكما ولا تدعوا أثرا الحالتكما الأولى فقد عولت على أمر أرجوا منه نجاحا . ثم كتب كتابا إلى أمير القلعة عن لسان الشاه سرور يقول له فيه سلم عين الحياة للرسل القادمين اليك فان الملك قيصر أمر فى أن أحضرها وأهيء أمرها لزفها على ولده انوش ولا تتأخر عن ذلك الآن لأن الفرس سيكون قريبا فيغضب الملك وبعد ذلك سار مع رفيقيه إلى جهة البحر بسرعة حتى وصلوا اليه فى نفس ذلك الاسبوع فوجدوا عند الشط مينا صغيرة عندها عدة قوارب راسية فحلوا أحدها وركبوه وساروا عليه يجذفون حتى لاصقوا الجزيرة فنزلوا اليها ومشوا بها وقد نظروا إلى القلعة وهى كبيرة جدا إنما لا نافذة لها يقدر أن يدخل منها أحد وكلها من الحديد السميك فوقف بهروز متحيرا فلم ير أوفق من عرض المكتوب على الأمير فهو محافظ القلعة فطرق الباب فخرج اليه الحرس وسأله عن غايته فأخبره أن بيده كتاب الى أميرهم . فقال له اصبر إلى أن

ادعوه اليك ثم سار فدعاه لحضر وأخذ التحرير من بهروز وقرأه فاشتبه فيه ولاسيما أن الملك قيصر أوصاه أن لا يسلم عين الحياة إلا لمن يأتيه بخاتمه الخصوصي ولذلك قال له أين العلامة . قال وما هي العلامة فلم يعطى الشاه سرور علامة . قال انى لست بمأذون أن أسلمها إلا لمن يأتيني بعلامة منه وعلى هذا لا أقدر أن أسلمها لاحد قال فربما نسى أن يعطني العلامة وربما لم يكن عند الشاه سرور علم بعلامة بل أطاع أمر الملك قيصر وبعث ليحضرها اليه لأن زفافها على انوش سيكون بعد بضعة أيام قال لا مطمع بتسليمها بغير العلامة المأذون بها من قبل سيدى وإلا أماتنى وجازانى بالهلاك والوبال . ولما لم ينجح بهروز فى عمله كاد ينشق من الغيظ ولم يحسب حسابا لهذه العلامة إلا انه أظهر الجلد وأخفى الكمد وقال للأمير فهد سوف آتيك بهذه العلامة وأترك الشاه سرور أن يطلبها من الملك إن أمكن أن يسلمه أباها قال لا أظن أن الملك يمكن أن يعطيكم هذه هذه العلامة أو يسلمها لغير ولده أو وزيره فهى خاتم الاحكام . قال ان الملك يركن للشاه سرور ولذلك سوف يدفع اليه الخاتم وانى الآن أحب سرعة الاستعجال خوفا من العتب واللوم والتى مسئولية هذا التاخير عليك قال افعل ما بدالك فلا أخاف قول سيدى ولو عدمت نفسى ثم أقفل الباب ودخل القلعة وصعد إلى عين الحياة وأخبرها بكل ما كان بينه وبين الثلاثة رجال وأنهم يدعون أنهم جاءوا من قبل أبيها بكتاب يطلبونها للزف على انوش وكانت قبل ذاك الحين بفرح زائد وقد عرفت بكسرة الرومان ورجوعهم مقهورين وقتل خرطوم الرومى وباتت تنتظر الخلاص والافراج من تلك القلعة ومثلها كان سيف الدولة وزوجته والأمير قهر إلى أن جاءها محافظ القلعة وأخبرها بما كان فاضطربت وشغل بالها وكانت تاره تفكر أن ذلك ربما كان حيلة من عيارى إيران وطورا تتصور أنه ربما يكون الملك قيصر قد أقنع أباها بزواجها وبعث يأخذها فكانت تسر وتفرح عندما يخطر فى ذهنها الأمر الاول وتحزن وتتكدر غاية الكدر عندما يقوى عليها الفكر الأخير وأصبحت باضطراب بين أمرين لا تعلم الحقيقة وصبرت على حكم القضاء تنتظر الفرج منه تعالى والخلاص من هذا العذاب وتلك الوحدة

قال وأما بهروز فانه عندما حبطت مساعيه قال لطارق ان الأمر خطير فمن أين لنا أن نحصل على خاتم الملك قيصر ونأتى به إلى هذا الأمير ليسلمنا عين الحياة فهو متصلب فى قوله ولم يخطر لى قط فى البداية أن بين الملك والأمير مثل هذه العلامة والقلعة حصينة لا نقدر على الدخول اليها من جهة قط . قال ان لا سبيل إلا بالرجوع إلى المدينة والقيام فيها إلى أن يتسهل لنا طلبنا وربما ساعدتنا التقادير وقدرنا أن ندخل قصر الملك قيصر فنسطو عليه بالليـــل وننزع خاتمه من يده قال ان بذلك

صعوبة عظمى لأن حوله من الحجاب ألوف ولا يمكن الوصول اليه بسهولة إنما ليس على الله من أمر عسير ولابد من أن يسهل لنا طلبنا ثم انهم نزلوا من القلعة إلى القارب وعبروا به البحر حتى جاءوا الميناء فنزلوا منها وربطوا القارب بين القوارب دون أن يشتبه بهم أحد من محافظى الميناء وقد ظنوا أنهم من الرومان جاءوا القلعة بأمر الملك قيصر ثم بعد أن بعدوا عن الشاطىء سلكوا طريق المدينة يطلبون من الله الفرج إلى أن أمسا المساء فقصدوا المبيت فى تلك الارض فعرجوا إلى أكمة صغيرة هناك يبيتون عليها وإذا بهم قد نظروا نورا بالقرب منهم فى سهل عند حضيض تلك الاكمة وعشر خيام مضروبة . فقال بهروز اصبروا أنتم فى هذه الارض فلا بد من المسير إلى هذه الخيام والاكتشاف على من بها لأننا عند مسيرنا فى المرة الأولى من هذه الارض لم نر هنا أنيسا ولاجليسا ولا من يهب ولامن يدب ولابد لسكان هذه الخيام من أن يكونوا سائرين فى هذه الطريق إلى الشاطىء وربما إلى القلعة لأنه لايؤدى إلى غيرجهة ثم انطلق بأسرع من البرق عن الاكمة حتى وصل إلى بين الخيام فتخللها وهو يستتر خوفا من أن يعلم به أحد من سكانها فتبين أن مابها من الرومان فاختلط بينهم حتى جاء الصيوان الكبير فنظر إلى داخله وإذا به يرى الأمير انوش بن الملك قيصر فكاد يطير من الفرح وترجح عنده أنه ذاهب إلى القلعة إلى عين الحياة إما ليأتى بها وإما ليصرف وقتا عندها وقال فى نفسه لابدلى من قتله واعدامه ومنعه من نوال غايته كى لايكون لفيروز شاه سيدى مزاحم فى خطيبته وحبيبة قلبه وتأكد عنده أنه لابد أن يكون أصحب معه العلامة وإلا لايسلمه إياها الامير فهد ولايدعه يدخل وصبر عليه ينظر انقضاء السهرة ونومه مع الأمراء الذين حواليه .

وكان السبب فى مجيء انوش إلى تلك الارض هو أنه بعد أن كسر من أمام وجه الملك ضاراب ورجع إلى أبيه مع تمرتاش كما تقدم معنا بقى فى المدينة ينتظر الفرج وفى كل يوم يزيد هيامه وغرامه بعين الحياة حتى كاد يقع فى علة السقام ولما أعياه الأمر ولم ير وسيلة لنيل مقاصده وثبت عنده أنه هالك لا محالة شكا حاله إلى وزير أبيه بيداخطل وقال له إذا لم تر لى وسيلة للتزوج بعين الحياة فانى هالك لامحالة ولم يعد لى من صبر على فراقها . فقال له بيداخطل من المحال أن تنال غاية بدون رضاء طيفور وقد لاح لى أنك تستعد لهدية فاخرة من الجواهر والالماس والذهب وتقدمها له وتقع عليه وتسأله المساعدة فاذا وعدك نلت الظفر وملكت عين الحياة قبل نهاية الحروب وقبل وصول الفرس الينا فاستصوب انوش رأى وزير أبيه وقال انى ساحضر ما أشرت اليه والسير فى الغد برفقتك إلى الوزير طيفور ونقع عليه ونقدم له الرشوة عسى ان الله يلهمه إلى مساعدتنا ثم ذهب قصر أبيه واختار من جواهر أمه ما حلالى

عينيه وغلا ثمنه وانحدر إلى خزينة أبيه فاخذ كثيرا من الدراهم كلها من الذهب الرومانى وجاء إلى بيداخطل فعرض عليه ما أحضره وطلب منه أن يسير معه فاجابه وسار إلى طيفور وهو فى قصر الشاه سرور وانفردا به فى غرفته وقال له بيداخطل لما كنا نعلم ان لاشيء ينتهى إلا برأيك وتدبيرك مع سيدك واننا نحن أيضا لانريد أن نقطع خيطا إلا بامرك أتيناك مستشرين ومستجيرين فالتفت إلى سؤالنا ولا ترجعنا بالخيبة والفشل وذلك ان ابن ملكنا انبوش الحاضر أمامك الآن قد شغل بحب عين الحياة ولم يعد له صبر عنها ورأى نفسه قريبا من الهلاك إذ طال عليه أمر فراقه وصعب عنده الوصول اليها قال وماذا تريدان منى قال نريد مساعدتك ونحن وقيمان عليك فدبر بحكمتك ماتستنسبه وتامر به وقبل أن يتمكن طيفور من الجواب قام انبوش وقدم له الهدية وطرح الجواهر والذهب بين يديه فانبهر منها وتاه عقله وارتخت نفسه وسال ريقه وأجاب على الفور نعم انى ساجهد النفس إلى اقناع الشاه سرور وادعه أن يزف عين الحياة عليك وذلك من الأمور الموافقة لنا ولكم ونحب أن نهتم بالعرس قبل أن يحصل مالا يكون لنا فى الحساب . وعلى كل حال فانى موقن بنجاح مسعاى ولا أريد إلا أن تحضر أنت فى الغد إلى ديوان أبيك بينما يكون محتبكا بالأعيان والأمراء ويكون الشاه سرور وقتئذ وأنا وحينئذ يتقدم الوزير ويطلب من أبيك أن يزفك على عين الحياة ويبين له انشغالك بها وأنك قد سقمت من حبها وليس من سبيل إلا بالحصول عليها ومن ثم أتكلم أنا وأحل عقدة القران وأضرب أجلا محدوداً يكون بوقت قريب وانى كافل هذا الأمر ضامنه وأتعهد به فلا تمضى إلا أيام قليلة حتى ترى عين الحياة قرينة لك مطيعة لأمرك تنال منها بغيتك ومرادك فشكره انبوش وهو لايصدق بهذا الوعد وأن طيفور قد أجاب بمساعدته ثم انصرف مع وزير ابيه وهو مطمان الخاطر ينتظر اتيان الغد ليتم ماهو بطلبه .

وبعد ذهابهما قام طيفور إلى سيده وأقام عنده وأخذ يضحك أمامه ويمدحه ويثنى على صفاته وهو لا يلتفت اليه كالعادة ولا يعيره جانب الانتباه بل كان يكلمه تارة وتارة لا يجيبه وهو لا يفتر عن عمله لأنه كان يعلم أنه عديم الثبات على الامور لايعقد ولا يصر على قوله ولا عمله ودام فى محادثته ومكالمته إلى أن قال له انى صرفت الليل الماضى دون نوم وأنا أفكر فيما مضى علينا من البداية الى هذا اليوم فارتعت من تذكرى عظم الحوادث المارة علينا وعجبت كل العجب كيف قدرنا أن نثبت أمامها ونقاومها بثبات لا يكل ولا يمل وكان كل تعجبى ثباتك واقدامك ولو كان غيرك لكان حسم هذه الحوادث بان سلم بزواج بنته لأى كان لاسيما وأنت معتاد على الترف

والبذخ وسعة العيش فتركت كل ذلك وتحملت أصعب الأمور وأشد المشاق وصرفت جل العناية لمقاومة عدوك . فقال الشاه سرور وهو يتمرمر هكذا قضى على الله أليس أنت الذى كنت السبب فى السوق كل هذه المصائب . قال وماذا يعنيني وهل فعلت شيئا إلا وكنت أنت الموافق عليه ولا أظن أنى كنت أقول لك شيئا ولا أشور عليك بشىء إلا وقد سبق فكرى إلى قصدك وغايتك وما قلت قولا إلا بعد أن أمعنت النظر فيه وتأكدت أن ميلك اليه أكثر منى . ولو كنت تحققت مخالفتك لى مرة واحدة لسكت وتركتك أن تزوج بنتك عين الحياة لأى كان ومع كل ذلك فهذا الأمير أنبوش ابن الملك قيصر صارف كل الجهد إلى الاقتران بها فزوجها به واحسم هذه المسألة ودع الرومان والفرس يشغلان بعضهما ولا شك أن فيروزشاه إذا تأكد أن عين الحياة قد تزوجت وفرغت يده منها قطع الرجاء ويئس من الوصول اليها فتضعف عزيمته ولا يعود له رجاء بالحصول عليها فاما أن يموت كمدا وعذابا من محبتها وإما أن يرجع برجاله إذا وجد صعوبة فى الحرب والقتال وإنى ما كنت أمنع زواج بنتك بأحد إلا وفى ظنى أن طالبها يمنع عنها فيروزشاه ويرده الينا بلادنا . فانتبه الشاه سرور إلى هذا الأمر وبان له وجه الأمل فيه إلا أنه تردد فى الموافقة عليه وأطرق إلى الأرض متمعنا فلحظ ذلك منه طيفور فتركه على حاله وخرج إلى غرفته وهو يقول فى نفسه لا بد من أنه فى الغد أمام القيصر يحجل فيجيب ولا سيما إذا وجد أن القيصر مصر على طلبه ووجدنى قد أنعمت عنه وأجبته إلى سؤاله وبهذه الطريقة أكون قد نلت غايتى بالرغم عنه وقهرت فيروزشاه قهرا ما بعده قهر وماذا يا ترى عدت أنتظر من الشاه سرور والتقرب منه بعد أن صار أمل الوصول إلى بلاده مستحيل وغير ممكن الحصول .

وفى اليوم الثانى اجتمع فى ديوان قيصر كل من الأعيان والأمراء والوزراء وجلسوا على حسب مراتبهم واحداً واحداً وجلس الشاه سرور ووزيره طيفور والخواجه اليان وأولاد الشاه سرور كالعادة ودار الحديث فيما بينهم وطال جدال الحرب حتى انتهى بكلام بيدا خطل فوقف وقال إنى لا أرى حسما لهذه الحرب وقهر الفرس إلا بأمر واحد لا بد منه كيف كان الحال . فتوجهت كل الخواطر اليه ومالوا بأنظارهم نحوه وقال له قيصر وماذلك . قال هو أن تسعى فى أن تزف عين الحياة على الأمير أنبوش وتحرم فيروزشاه منها ونده مقطوع الامل خائب الرجاء لا يحسن عمل شىء البتة وبذلك يرجع عن بلادنا إذ لم يكن له من غاية إلا أخذها منا ولو أنه حصل عليها اليوم لسار فى الغد إلى بلاده ولو رآها فى مصر وملكها لما جاء قط هذه البلاد ولا جرى بيننا وبينه حرب ولا قتال وأمامنا أمران

نافعان إما أن نسلمه عين الحياة فيأخذها ويرحل عنا وهذا غير ممكن بعد أن ثبت عندنا أن الامير أنوش عالق بحبها لا يريد قط سواها وإما أن نحرمه منها ونزفها على الامير أنوش فيموت أمله ولا يعود قادرا على القتال . ولما فرغ من كلامه تأثره طيفور ووافق على كلامه وقال إن فيروزشاه إذا عرف بزواج عين الحياة بغيره يقع فى فراش الاسقام ويموت كمدا لانه معاهدها منذ البداية متيقن كل اليقين أنه سيكون بعلها وأن بقوة سيفه سيحصل عليها وقد وضع كل قلبه وفكره عندها فاذا قطع الرجاء وقع باليأس والقنوط وإنى أؤكد أنه لا يعود يقدر على حمل السيف وبضعفه تضعف قوة رجاله ولا يعودون قادرين على القتال ولا سبب يدعوهم اليه لان قتاله وقتالهم هو الآن لاجل خلاصها من بينكم فاذا عرفوا أن لا نفع فيها ولو حصلوا عليها لا يقبل فيروزشاه بها اذ يكون قد صار له حبها شريك وأن زهرة جمالها اقتطفها غيره . نعم ان هذا هو الامر الوحيد الذى يردع الفرس عنا وانى منذ الاول أعلم ذلك الا أنى كنت اصرف الجهد الى ابادة رجال الفرس على أمل أننا نعود الى بلادنا ويصفو لنا الزمان ونرجع الى تعزاء اليمن وأما الآن فما من مطمع لنا فى تلك البلاد وانى أسأل مولاى الملك قيصر أن يكرم عليه بولاية فيتولاها ويصرف بقية العمر فيها حاكما فلا يخسر بلاده ويحرم من اكرام غيره . فقال بيداخطل حالا ان ذلك لا بد منه واذا كان الامير انوش صهره فأى بلاد من بلاد الرومان ليست له أليس هو المالك عليها كلها و نته ما كتها وحاكمتها وأمرها نافذ فيها وفوق كل ذلك فانى أسأل سيدى الملك قيصر أن يخصه ببلاد ويقطعه اياها فيعتاض بها عن بلاده ويكون مستقلا فى أحكامها . فقال قيصر انى لا أحب أن امنع عنه بلدا من بلادى فأى ناحية ارادها اقطعه اياها وانى لا ارى له الآن اوفق من ملاطية فعند جلاء الفرس عنا يكون هو الحاكم فيها اذ ليس من الامل لسيف الدولة ان يرجع اليها ولا بد من قتله وعليه فانى اطلب من الشاه سرور صديقى وعزيزى ان ينعم لابنى ببنته ويكون بذلك قد جعلنى مديونا له ووفاًنى حق حبه وقدم لى برهانا عن محبته التى لا أشك فيها فاستحى الشاه سرور وسكت ولم يبد قط كلمة فأسرع طيفور وقال انى مؤكد ان سيدى الشاه سرور قد قبل من كل قلبه ان يكون الزفاف فى هذه الايام ولا يبخل ببنته على ابن صديقه وقد جرب الامتناع ولاق اشد الاهوال دون الحصول على نتيجة ولم يعد فى الامكان الا فروغنا من هذه الاهوال والمصائب وزواج عين الحياة وتركها وشأنها مع زوجها وانى بلسان سيدى الشاه سرور اقول لكم ان تبعثوا وتحضروها اليكم من قلعة الحديد وتزفوها حالا قبل ان يأتى الفرس ويأخذونها ويمنعونا عن مقاصدنا .

قال ولما رأى الشاه سرور أن وزيره وعموم الحاضرين قد وافقوا على هذا الرأى لم ير بدا من الموافقة وقال فى نفسه إنى أقيم فى ملاطية أو فى غيرها من هذه البلاد واترك بلاد الهند فما من مطمع لى بعدها ولما رأى انبوش ان الشاه سرور قد أنعم وأجاب فرح غاية الفرح وسر مزيد السرور وسأل أباه أن يبعث من يأتى بعين الحياة قال لابد من ذلك. إنما لما كنت أخاف على فقدانها أمرت الأمير فهد محافظ قلعة الحديد الموجودة هى بها الآن أن لا يسلمها إلا لمن يكون حاملا خاتمى حتى انى ولو بعثت له بكتاب من خطى وختمته بخاتمى فلا يسلمها إلا إذا رأى نفس الخاتم ومن المؤكد أن خاتمى لا أسلمه إلا لرجلين وهما اما بيد اخطل وزيرى وأمينى واما ولدى وولى العهد من بعدى . فقال بيد اخطل وقد خطر له أن يبعث بانوش إلى جزيرة الحديد ليبل شوقه من عين الحياة قبل بوقت ويأتى بها ويرافقها فى الطريق وتقع الألفة بينهما . ان من الصواب أن يذهب سيدى ولدك مصحوبا بعشرة من الأمراء وبعضا من العساكر ويحضرها على الاعزاز والاكرام . فوافقه الملك قيصر عليه وقال لولده انبوش سر أنت من هذه الساعة وأحضر عين الحياة ومتى أتيت إلى هنا عجلنا أمر الزواج فلا تمضى أيام قليلة إلا وتكون أنت بعلا لها . ففرح الأمير انبوش وسأل أباه أن يدفع اليه الخاتم فأعطاه إياه وأمر عشرة من الأمراء أن يرافقوه فى طريقه إلى قلعة الحديد فأطاعوه وذهب انبوش فأحضر من الثياب النفيسة والحلى الفاخرة ما يكل عن وصفه القلم وهو مسرور مزيد السرور من انجاز أمره وقرب وقت قرانه بمن أحبها . ثم دعا بالأمراء فركب بهم وخرجوا من المدينة يقصدون جهة البحر وساروا على الطريق نفسه نحو ثلاثة أيام يسيرون فى النهار ويبيتون فى الليل حتى قربوا من البحر وثبت عندهم أنهم فى اليوم القادم يصلون الى جزيرة الحديد فنزلوا للمبيت فى الأرض التى رآهم بها مهروز كما تقدم الكلام فضربوا الخيام وأكلوا وشربوا وانبوش مشغل الفكر بانه فى اليوم الثانى سيلاقى عين الحياة ويجتمع بها وتكون برفقته ويقدم لها من حبه ما يرضيها ويطرح لديها ما جاءها به لتكون مسرورة منه وصرف الوقت بهذا الفكر وحوله الامراء وما منهم من يكلمه بكلمة لأنهم يعلمون اهتمام أفكاره بمقاصده . ثم انهم بعد صرف السهرة دخل كل إلى خيمته للمنام وبقى عند انبوش ثلاثة أمراء يداعون معه فدخل كل منهم الى فراشه ونزل انبوش فى سريره وهو لا يصدق أن يقدم عليه اليوم الثانى

فلما رأى مهروز خلاء المكان قال الآن وقت قضاء الأغراض ونوال المراد وأسرع إلى ظهر الصيوان فاقتلع الوتد ورفع طرفه قليلا وأشعل قطعة من البنج ورماها إلى الداخل وأرخى الطرف المرفوع حتى امتلأ الصيوان من الدخان وثبت عنده أن الموجودين به

قد غرقوا بثبات النوم الثقيل وان قطعة البنج قد شعلت الى آخرها ولم يبق منها شيء البتة فرفع طرف الصيوان ودخل منه بعد ان سحب الخنجر بيده ودنا من الأمراء الثلاثة فذبحهم ثم دنا من انبوش وأرسل خنجره إلى صدره وأعاده إلى عنقه ففصل رأسه بضربة وبعد ذلك فتش فى ثيابه فوجد خاتم الملك قيصر ففرح غاية الفرح وسر مزيد السرور ووجد ايضا الحلى والجواهر فاخذها وخرج من الصيوان وهو يكاد لا يصدق بما فى يده ويتعجب من سرعة هذا التوفيق الذى وصل اليه من اقرب طريق وانخطف إلى رفيقيه طارق وشياغوس وحكى لهما ما كان من امر انبوش وانه حصل على الخاتم المطلوب ففرحا غاية الفرح وسر مزيد السرور وقال له طارق هيا بنا لنسرع إلى الضفة قبل الصباح ونسير إلى القلعة ونأتى بعين الحياة فى اليوم الثانى لأنى مؤكد انه فى الصباح تظهر حالة انبوش فيعود الأمراء إلى ابيه ويطلعونه على امره فيربط الطرقات بالعساكر ولا نعود نقدر على الخلاص قال هيا بنا من هذه الساعة ثم اخذها وانحدروا مسرعين نحو الشاطىء فوصلوا اليه فى الصباح وركبوا القارب وساروا إلى الجزيرة فصعدوا عليها ودنوا من القلعة فطرقوا بابها ودعوا الأمير فهد فجاء اليهم فقال له بهروز ان سيدنا الملك قيصر المتكربعد غيابنا بالعلامة فبعثها مع رسول مخصوص من قبله لنريك اياها ونطلب تسليم الأسارى الذين عندك ومن جملتهم عين الحياة فجفل الأمير فهد من هذا الكلام وكاد لا يصدق ما يسمع وقال أرونى العلامة فاراه بهروز الخاتم وقال له ان سيدى أمر بعد اطلاعك عليه وتحققك إياه أن تعيده إلى لأرجعه معى اليه ولا ريب انه يكون مشغل البال خوفا من ضياعه . وكان الأمير فهد قد اشتبه فى بادىء الأمر بهؤلاء الثلاثة . وخاف جدا من أن يكونوا من عيارى الفرس إلا انه لما رآهم وقد عادوا بالخاتم تعجب جدا وأمعن فيه فوجده نفس خاتم الملك . فلم يعد يسعه إلا إجابة سؤالهم . وفى الحال صعد أمامهم السلم حتى انتهى إلى غرفة عين الحياة فوجدها فى كدر واضطراب تفكر بامر الرسل وهى لا تعلم من هم فلما رأته وقد جاء اليها انعطف فكرها إلا أنه جاء بحديث فقالت له ما وراءك من الأخبار قال بشراك قال بشراك فانك ستزفين على سيدى الأمير انبوش وتصيرين مالكة هذه البلاد فارجوك أن تذكرينى لديه لأكون دائما بخدمتك وتحت أنظارك فخفق قلبها وقلقت مزيد القلق وقالت له من أطلعك على ذلك قال ان الرسل قد عادوا ومعهم خاتم الملك وطلبوا تسليمك بالسرعة المقتضية . وكان إذ ذاك قد وصل بهروز فنظر إلى عين الحياة فوجدها فى حالة صعبة وقد علا وجهها الاصفرار وابتدأت ترتجف وتضطرب فخاف عليها من ان تقع إلى الأرض مائتة فاراد ان يسمعها صوته ليدرك سر امره . فقال له

لهـا لا ينبغى أن تبطىء يا سيدتى فان سيدى بانتظارك وما وصلنا هذه القلعة إلا بعد الجهد واليأس وأرصانا أن لا تتأخر دقيقة واحدة لأنه علم أن بهروز العيار ساع فى خلاصك .

قال فلما سمعت كلامه هدأ روعها وتأكدته أنه بهروز فكادت تطير فرحا وتبين لهـا وجه الخلاص بحيلته هذه فأجابته على الفور . اصبر قليلا فان لى بعض حوائج أرغب فى قضائها واذهب أنت إلى أسفل فسوف أنحدر اليك مع امرأة سيف الدولة لأن زوجها فى الأسفل مسجونا مع الأميرقهر . قال إن سيدى الملك أمرنى أن آخذك مبجلة معظمة مع رفيقتك وأما سيف الدولة والأميرقهر فانهما سيبقيان فى القيود لأنى على ما أظن انهما يذهبان إلى الموت فقد خطر له ان يعدمهما . ثم قال الأمير فهد هيا فسلمنا إياهما ولاتتأخر فلا اقدر ان اذهب إلافىهذه الساعة فسار به إلىالسجن وسلمه سيف الدولة والأمير قهر فدفعهما إلى طارق وعاد فأخذ عين الحياة ونزل بها وهو لايصدق انه يخرج من ذاك المكان ولما صار خارج القلعة وجد ازطارقاوشياغوس اخذا الأسيرين وخرجا قبله فالتفت حينئذ الى الامير فهد وقال له انى اشكرمعروفك لاعتنائك بسيدتنا والتفاتك لخدمتها ولا تؤاخذنا على أخذها منك فىهذه الحيلة فشعر الامير فهد بما كان وقال لم يخف على قط امركم وكنت فىشاغل من جهتكم قال ان كنت لاتزال فى شك اخرج لنريك انفسنا من نحن قال ماذا يهمنى فانى فعلت بحسب امر سيدى . ثم اغلق الباب وعادالىداخل القلعة وسار العيارون الثلاثة ومعهم سيف الدولة والامير قهر وعين الحياة ورفيقتها ولمـا وصلوا الى القارب فكوا قيودهماوعرفوهما بأنفسهم ففرح سيف الدولة وبان له وجه الفرج وقال ان الله لايترك خائفيه المظلومين قال لابدلسيدى انيكافئك على طاعته بكل جميل واكرام ولاينسى لك مفاداتك بنفسك وبلادك لاجله وهم الآن بحالة عز وانتصار ثم حكى لهم بهروزكل ماتوقع من الاول الىالآخر بينما كانوا يسيرون على القارب . ولماوصلوا الى الشاطىء صعدوامنه وابعدوا عنه وصاروا فىالبرية وهناك وقف بهروزمطرقا وقال لطارق ولسيف الدولة لايمكننا أن نذهب على مثل هذه الحالة فلابد ان نصدف فى طريقنا أحدا فيعرفوننا ويلقون القبض علينا ولاسيما اذا كان بلغ الملك قيصر خبرقتل ابنه فيبعث بالعساكر والارصاد واكبر شىء يظهر حالتنا وجود عين الحياة معنا وامرأة سيف الدولة وسيف الدولة على هذه الصفة قال طارق انى أفكر بذلك ولهذا خطر لى أن تصبغ عين الحياة امرأة سيف الدولة تصبهما كعبدتين لان معى صباغ أسود لا يفرق عن العبيد السود مطلقا . قال أصبت فاعطنى إياه فاخرجه له فدفعه الى عين الحياة وقال ادخلى مع امرأة سيف الدولة

إلى مغارة هنا واصطبغا بهذه الصبغة ونحن سنغير ملابسنا ثم أعطى من تلك الصبغة إلى سيف الدولة والأمير قهر فاصطبغا وخرجا كعبدين أسودين بشدة اسوداد الليل فقال لهما كونا فى خدمتنا فان بقاءكما على حالتكما يظهر لمن يرانا أمرنا وبعد ذلك جاءت امرأة سيف الدولة وعين الحياة مصبوغتين بذاك الصباغ ولم يكن السواد قادرا أن يقلل شيئا من جمال عين الحياة فان هيئة الحسن الطبيعية كانت لا تزال ترسل من جواذبها ما يكفى لانجذاب أبعد ذى لب عن الحب والميل الانقيادى اليه . وهكذا أصبح بهروز ورفيقاه بعد أن لبسوا ملابس رجال اليمن من الأمراء وفى خدمتهم اربعة أشخاص من عبيد وعبدات ومن ثم استلموا طريق أم الروض مسرعين وهم غير مصدقين بالوصول

قال ولندع بهروز سائرا ونرجع إلى رجال الملك قيصر الذين كانوا مع ابنه فى مسيره إلى قلعة الحديد فانهم بعد أن قاموا فى اليوم الثانى من رقادهم واستفقدوا ابن ملكهم وجدوه مذبوحا مع الأمراء الثلاثة الذين تقدم ذكرهم فناحوا عليه وتكدروا جدا ولم يعلموا من الذى تجاسر على ركوب مثل هذا الأمر الفظيع ولما لم يروا بدا من الرجوع إلى الملك قيصر واطلاعه على واقعة الحال حملوا الجثة وساروا بها يبكون ويندبون وينادون بالويل والثبور وعظائم الامور ودخلوا المدينة على تلك الحالة ونعوا انبوش وأشهروا خبر موته فجفلت المدينة بأسرها وارتاع سكانها بأجمعهم وسقط الملك عن كرسيه عند وصول الخبر اليه ونتف لحيته ومزق ثيابه وحزن الحزن الشديد وأحضر الرجال الذين جاءوا به واستعاد منهم الحديث فحكوا له بالواقع وانهم لا يعلمون فاعل تلك الجريمة فزاد به الغضب وقال لا ريب ان هذا فعل عيارى إيران فابعثوا فى الحال بالعساكر أن تربط الطريق بين البحر وأم الروض ومن وقفوا عليه أو رأوه يأتون به الينا ولا يتركون أحدا قط لا غاد ولا رائح فانى لا أترك دم ابنى يذهب هدرا وينفذ فيه سهم عدوه ولا بد ان اقتل بثاره ملوك إيران باجمعهم وافنيهم عن آخرهم ومن تلك الدقيقة ارسل بيد اخطل الوزير الرجال والفرسان وفرقهم فى السهول والوعور وامرهم ان يقبضوا على كل رجل يرونه غريبا او قريبا ويأتون به إلى المدينة ووعد الملك قيصر ان كل من يقاتل ابنه اغناه واعطاه مزيد العطاء وجعله من اخصائه فتأمل كل من السائرين ان يتسهل له نوال غاية الملك ولا سيما هلال العيار فان طمعه حركه الى الوقوف على ذاك القاتل والقبض عليه واكدت له خبرته ان القاتل هو بهروز ولابد ان يكون عرف بسفر الامير انبوش فسطا عليه فى الليل فقتله وانتزع منه الخاتم وخلص عين الحياة وذهب بها الى فيروزشاه ولذلك جعل يخرج فى النهار ويطوف فى القفار يراقب الطرق على امل ان يرى عدو

الملك وقاتل ابنه فيأتيه به . وبعد أن صار الجميع خارج المدينة وتفرقت الديادبة والارصاد أقام الملك مناحة ابنه وبكى عليه البكاء المر واجتمعت حوله النساء والرجال وأكثر من ندبه كل ذاك النهار واليوم الثانى رفعوه إلى مقبرة أجداده فدفنوه بها وأمسى الملك بحزن شديد ينتظر عودة فرسانهم وقبضهم على غريم ولده ليأخذ بثاره

قال وكان أشدفى مصيبة طيفور لأنه خاب أمله وحبط مسعاه ولم تتم مقاصده فكادت مرارته أن تنفطر وغاب وعيه واسودت الدنيا فى عينيه وعرف أن الملك قيصر لايرغب فيما بعد بعين الحياة وربما ينظر اليه وإلى الشاه سرور وأولاده كأعداء الداء لأنهم كانوا سبب موت ابنه وأكثر غيظه كان من عدم التفات الشاه سرور اليه وانتباهه إلى كلامه ورأى نفسه مهانا من الجميع غير مسموع الكلمة من أحد وخاف من أن تكون أيامه قد انتهت وقرب زمان انتقام الايرانيين منه لأنهم قتلوا ابن الملك قيصر وربما كانوا استولوا على عين الحياة وبعد أيام قليلة يتملكون البلاد فلا يعوقهم عائق . وبقدر ماتكدر من قتل انبوش كان فرح الشاه سرور لان زواج بنته به كان على غير خاطره وكان يخاف من أنه إذا تم قران عين الحياة وعلم فيروزشاه لابد أن ينتقم منه إذا وقع بيده على أنه ثبت لديه أن قيامه عند الملك قيصر صار منذ ذلك الحين قليل الأهمية ويكون كضيف إلى أن ينتهى امر القتال وقد وطد عزمه أنه إذا عادت اليه عين الحياة وأطلقت من القلعة وملك قيادها أخذها وسار إلى عساكر إيران ووقع على الملك ضاراب وزوج فيروزشاه بها واذا رأى أن الاسبيل إلى ذلك قتل نفسه وخلص من كل هذه المصائب أو سعى بارسال أخيها اليها فيقتلها ويريح ذاته من سر طلابها ويكون ذلك بطريقة خفية عن الجميع فيقال إذذاك أنها ماتت موتا عاديا

قال وبينما كان بعض القواد الذين بعثهم الملك قيصر يطوف فى تلك الجهات ومعه جماعة من الفرسان نظر عن بعد عدة أشخاص آتين وكانوا هؤلاء هم نفس بهروز والذين معه فأكمن لهم فى جهة من الطريق وأمر الفرسان أن تنقض عليهم عند وصولهم وتقبضهم ليرى من هم وكان بهروز يسير بسرعة اختشاء من الوقوع بأيدى الأعداء وهو يطلب الوصول الى جيوش الملك ضاراب بسلام إلا أنه ما وصل إلى تلك الناحية حتى رأى الفرسان قد داروا به من كل مكان وقبضوا عليه وعلى من معه فلم يعمد إلى الدفاع بل عمد إلى الحيلة وقال للقائد لما هذه المعارضة ولم يسبق قبل ولا سمع أن يقبض على التجار وأبناء السبيل قال من أنتم ومن أين آتون . قال نحن فى الأصل من اليمن انما تاجر فى جهات الأرض ونتنقل من بلد إلى بلد وفى هذه الأيام كنا فى جهات الشام بعنا بضائعنا وربحنا أرباحا موافقة وفكرنا فى أن

تبتاع بضائع لبلادنا غريبة فخطر لنا أن نأتى هـذه البلاد ولا سيما أن سيدنا الشاه سرور عندكم ولما اتفقنا على هذا الرأى خرجنا من دمشق نقصد هذه الجهة إنما جهلنا الطريق جعلنا نتشـتت فكنا تارة نهتدى وتارة نضيع وقد استدللنا من نحو ثلاثة أيام فقيل لنا ان المدينة قريبة من هنا فسرنا لكننا لم نسر فى الطريق المستقيم وعرجنا على غير إرادة منا فاذ بنا قد وصلنا البحر فتكدرنا من ذلك. ثم استلمنا هذا الطريق وسرنا عليه ولا نعلم إلى أين نتوصل. فبالله عليك أن تدلنا إلى جهة المدينة علنـا نصل اليها بامان قال ان سيدى الملك قيصر امرنى أن أقبض على كل من أراه فى طريق وأبعثه اليه ولذلك سأسير بكم اليه فاذا لم تكونوا المطلوبين اطلقكم واكون قد اوصلتكم الى المـــدينة. قال بهروز لا تسبب لنا الاهانة فانحن من أدنياء الناس ولا لسيدك الملك فينا نفع قال هذا لابد منه وان كان يترجح لى انكم من اليمن ولكن خوفا من اللوم والمحذور ثم ساقهم امامه وسار وهم بحالة رديئة ولا سيما بهروز فانه كان امل بالخلاص وقرب الوصول الى فيروز شاه بعين الحياة فخاب قصده وانقطع امله وكان كل خوفه من هلال العيار لأنه يؤكد ان لابد له من ان يعرفهم ويعرف عين الحياة ولو اختفت تحت اى صفة كانت الا انه رأى ذاته عاجزا عن الدفاع ولا يقدر على المقاومة فسلم امره لله وساله الخلاص وساروا جميعهم نحو المدينة والقائد فى مقدمتهم وعند دخولهم اليها صادف مرور هلال العيار فتقدم منهم ليرى حالهم ودنا من القائد وساله عن سبب رجوعه فاخبره بامر الذين معه وماسمع منهم فتقدم اليهم وعرفهم واحدا واحدا إلا انه تكدر كيف انهم وقعوا فى يد القائد ولم يقعوا فى يده فقال فى نفسه لابد خذ انعام الملك فانال عنده رتبة عالية ولهذا السبب عمد إلى خلاصهم منه وتسـليمهم له ليتاجر بهم امام الملك قيصر ويقبض عطاه وللحال دنا من القائد وقال له لقد اخطأت يا سيدى وتركت الطريق لينجو الغريم فهؤلاء الذين قبضت عليهم هم من تجار اليمن وانى اعرفهم حق المعرفة ولاريب أن

انتهى الجزء الثالث والعشرون ويليه الجزء الرابع والعشرون

الجزء الرابع والعشرون

من قصة فيروز شاه بن الملك ضاراب

عند وصولهم إلى الملك قيصر يطلعونه على أمرهم فيطلقهم وتعود أنت بخفى حنين وينجو القاتل ونحرم الانعام . قال لقد أصبت فانى كنت أتردد فى ذلك ولم يطرق ذهنى قط أن هؤلاء الرجال قتلوا ابن الملك وانى سأعود من هذه الساعة إلى ما كنت عليه قبلا وأسلمهم اليك كونهم من جماعتكم تفعل بهم مايليق من كرامتهم واعتذر عنا عندهم ثم أمره أن يأخذهم وكر هو راجعا إلى محله الاول نادما على قبضه عليهم وأسرع ليقيم فى الجهة التى كان فيها قبلا وأما هلال فانه فرح غاية الفرح وأمل الانعام العظيم والخير العميم إلا أنه خاف من ممانعتهم وأن يتخلص أحد منهم قبل وصولهم إلى الملك وخطر له أيضا أن يقيهم فى مكان ويذهب إلى الملك قيصر يشرط عليه كثرة الانعام والاكرام فمال بهم وهم موثوقون بالحبال إلى خربة داخل باب المدينة بابها إلى الداخل وظهرها إلى الخارج فادخلهم إلى تلك الخربة لا يقدرون على المدافعة والممانعة وهم موقنون بالهلاك وقد ثبت عند بهروز أنه عرفهم حق المعرفة وأدرك قصده وغايته فصبر على حكم القضاء وهو فى قلق واضطراب بوجود عين الحياة معه على تلك الحالة لأنها تكون كبرهان عليه بقتل ابن الملك ونزع الخاتم منه ولما دخلوا الخربة سد عليهم بابها وأسرع إلى جهة الملك قيصر وهو لايصدق فى هذا النجاح يعد نفسه بالغناء العظيم والرتب العالية وأن يكون مقدما عنده على غيره ولما دخل الديوان وجده فى صدره وهو لا يزال بثياب الأحزان يبكى ويندب ولده فوقف بين يديه وقال له اعلم ياسيدى انى قد وقعت على قاتل سيدى انبوش المتجاسر على اعدامه فمال الملك بكليته اليه وكذلك كل من حضر وقال الملك أفد من هو هذا المرتكب الجانى فاعلمنى به وإذا قدته إلى أعطيك المال الغزير وأقطعك بلاد برمتها . قال اعلم ياسيدى انى لما كنت متأثرا من قتله وحزنى عليه شديدا كان يترجح فى أن فاعل هـــذا الفعل هو بدون شك من عيارى إيران فانسحبت لوحدى واكمنت فى بعض الطرقات واتخذت لى مسكنا بين بعض الآكام على أمل أنه متى قطعت الأمل من مصادفة أحد فيها دخلت خيام الاعداء واستعلمت عن القاتل إذ لا بد أن يكون عندهم خبر به . وبينما أنا على مثل ذلك وإذا لاح لى

بعض جماعة آتين لجهة أم الروض فانحدرت اليهم وكان الوقت إذ ذاك المساء فنزلوا فى مغارة هناك وهم آمنون من طوارق الحدثان فصبرت عليهم إلى منتصف الليل وأتيت المغارة وأشعلت البنج ثم دخلتها وإذا أنا ببهروز العيار ومعه طارق عيار الوليد وشياغوس النقاش وبرفقتهم أيضا عبدان وعدتان وكلهم قد وقعوا بفعل البنج فأوثقتهم بالحبال وأنا متأكد أنهم هم المعتدون على سيدى وبعد أن أوثقتهم جيدا وأمنت شرهم أيقظتهم وتأملت العبدين اللذين معهم وإذا بهما سيف الدولة والأمير قمر وكذلك العبدتين وهما عين الحياة وامرأة سيف الدولة فثبت لدى ما توهمته قبلا كل الثبوت اذ لا بد من أنهم بعد قتل سيدى المرحوم نزعوا الخاتم منه وساروا الى قلعة الحديد فاخرجوا من فيها بواسطته وهم يلبسون ملابس تجار اليمن وعلى ذلك قدتهم الى أطراف المدينة وأبقيتهم فى إحدى الخرابات لتأمر لى بجماعة كى أحضرهم بين يديك اذا شئت احضارهم أو تأمر بقتل بهروز ورفاقه لأنهم يستحقون القتل والعذاب فلما سمع الملك قيصر هذا الكلام سقط عن قلبه بعض من الهم لأنه كان يتشوق الى أخذ الثار من قاتل ولده .

وقال لهلال خذ معك جماعة من حجابى واحضرهم جميعا الى أمامى بالصفة التى هم عليها وانى أحب أن أرى الشاه سرور ابنته على تلك الحالة وميلها للايرانيين ولولا ذلك لما قبلت بالاتيان معهم وسلمتهم نفسها وأمنتهم على جسدها ليصبغوه بتلك الصبغة رغبة بالخلاص منا . فوقع الكلام على الشاه سرور أحد من ضرب الحسام ولم يقدر أن يفه بكلمة وقد استحى من الحضور وتمنى أن لا يكون قد خلق والتفت الى ابنه الشاه أسد وكان بجانبه وقال له اذهب الى أختك ودبر أمرها وأمتها بأى حيلة كانت ولا تدعها تحضر الى هذا المحضر على تلك الصفة فتزداد فضيحة وعارا ويحكى الجميع بعرضنا فلعن الله هلالا وخبثه وقد كان أحرى به أن يخفى أمرها ولا يظهره للملك قيصر فاجاب الشاه أسد وسار بجانب هلال وأخبره بأمر أبيه فلم يتنبه اليه حق الانتباه طمعا بنوال المال وسار هلال وعشرة من الحجاب يقصدون الخربة لاحضار من فيها إلى ديوان الملك قيصر انفاذا لأمره.

قال وأما ما كان من بهروز وجماعته فانهم بعد ان تركهم هلال وذهب الى جهة الملك قيصر كما تقدم معنا بقوا فى حيرة واضطراب وخوف وقال بهروز لاريب ان هذا الخبيث وضعنا هنا وذهب ليدبر علينا المهالك وانى أسأل الله ان يهدينا الى طرق الخلاص لنعيد كيده فى نحره فقال شياغوس ان عندى طريق الخلاص سهل جدا قال وما هى قال لا اخفاكم ان الله قد خلق فى عجيبة ولن تكن فى سواى وهى انى اذا وضعت الحديد بين اضراسى وضغطت عليه قطعته فليدر أحد كم

كتافه فأحاول قطع طرف الحبل ومتى حل أحدنا فك الباقين واطلقهم ففرحوا لذلك وتقدم بهروز وقال له فك كتافى أولا ففكه باسنانه وانطلقت يداه ففرح غاية الفرح وتأمل بالنجاة وبادر الى فك وثاق الباقين ولم يكن إلا نحو ساعة من ذهاب هلال العيار حتى أصبح كلهم بحرية تامة من جهة ربطهم . وبعد ذلك قال بهروز انى سأتسلق هذا الحائط وارفعكم واحدا واحدا وأدليكم إلى الخارج وليكن ذلك بكل سرعة قبل مجىء هلال فانه لا يلبث أن يعود إلى هنا . قالوا أفعل ما بدالك فالنجاة بالاقدام والتدبير وفى الحال أخذ الحبال فشدها إلى بعضها وقرب شياغوس من الحائط لأنه كان طويلا جدا وصعد على اكتافه وارتفع من على رأسه إلى أعلى الحائط كأنه فرخ من فروخ الجان ووقف عليه وانزل الحبل فربطت عين الحياة نفسها فسحبها ودلاها إلى الخارج ففكت نفسها ثم سحب بعدها سيف الدولة وزوجته وقهرا وطاوقا واحدا بعد واحد ولم يبق الا شياغوس وحده وإذ كان مزمعاأن يدلىله الحبل سمع صوت هلال يفتح باب الخربة فارتبك بهروز من أتيانه وعلم انه إذا صبر لبينما يسحب شياغوس رآه هلال وقاطع عليهم الطريق ومسكهم كلهم ولذلك قفز الى الخارج وهو يتحسر ويتأسف على عدم مقدرته لخلاص شياغوس وقال لمن معه هلموا بنا فلنذهب ركضا فان هلال دخل الخربة ولابد أن يعرف بهربنا فيتأثرنا بالرجال والفرسان ولا ينجينا إلا الجرى والركض لاننا مشاة وليس لنا خيل فتحملنا فاسرعوا فى المدير وما بعدوا عن المدينة بنحو نصف ساعة حتى أشرفوا على اول السهل فركبوه وساروا عليه يقصدون ارض أم الروض .

ولما دخل هلال ومعه رجال الرومان لمسك بهروز ورفقائه لم ير إلا شياغوس النقاش وحده وقد اصابه دوار قوى منعه عن الوقوف فرمى بنفسه الى الأرض فدنا منه هلال العيار متعجبا وسأله عن بهروز وعين الحياة وبقية من معهما فلم يجبه بشىء ولارد عليه بكلمة فصاح به وقال له من خلصهم من هنا والى اين ساروا اعلمنى والا نحرتك من الوريد الى الوريد فلم يسمع له ولا اجابه وكان يقصد بذلك تطويل الوقت لبينما يتأكد أن بهروز قد صار فى البرارى وصار من الصعب لحاقه ومن ثم تقدم اليه بعض الرجال واشهر فى وجهه السيف وقال له اعلمنا اين ذهب رفاقك والا قتلناك قال ان لذلك قصة طويلة لا أحب احكيها الآن ولا ابديها الا امام الملك قيصر فالحوا عليه فلم يستفدوا شيئا فالتزموا ان يحملوه الى الملك قيصر فحملوه الى هناك واوقفوه امام الملك وقال له هلال اعلم ياسيدى ان هذا الرجل يدعى شياغوس النقاش

وهو من رجال الملك ضاراب وقد كان مع بهروز وعين الحياة وسيف الدولة الذين اودعتهم الخربة فلما عدنا لنحضرهم بين يديك لم نر رفقاءه بل وجدناه وحده فى ذلك المكان فسألنا عن الباقين فلم يخبرنا فاتينا به اليك . فقال له اخبرنا ياشياغوس بالعجل فنعفو عنك . قال اسمع لى ياسيدى فأنى مطلعك على كل شىء من البداية الى النهاية وسبب قتل ابنك . وذلك انى كنت انا قبل ان دخلت العيارة وتعاطيت هذه المهنة نقاشا انقش الصور وازخرف القصور ولم يكن ابرع منى لأنى تعلمت عند طيطلوس وزير الملك ضاراب ولا خفاك ان هذا الوزير من اعقل الناس واخبرهم واحكمهم ماترك فنا الا وتعلمه ولاسمع بعلم الا واتقنه فصاح به الملك قيصر وقال له ويلك ما معنى هذا الكلام فاننا نسألك عن رفاقك وانت تبعدنا بالحديث فاخبرنا اين ذهب بهروز والذين معه قال انى سأوصلك ياسيدى الى هذا الحديث واعلمك بهم انما لايطيب لك ان تعرف ذلك مالم تطلع على كنه المسألة وما وراءها واحب ايضا ان اخبرك ان بهروز ابن غول وجد فى البريه فرباه فيلزور البهلوان بهلوان بلاد فارس وحاميها ابو بهزاد الذى قتل خرطوم واسر تمرتاش وفعل بكم الافعال العجيبة واذا شرحت لكم عن اعمال فيلزور تتعجبون غاية العجب اكثر مما تتعجبون من اعمال بهروز . فتمزقت احشاء الملك قيصر وقال له دع عنك الهذيان والفشار واخبرنا بخبر رفاقك واين ذهبوا . قال اعلم ياسيدى انهم لم يكونوا فى الاصل رفاقى كلهم لأن احدهم طارق العيار وهو من عيارى الوليد وقد خدم سيدى الملك ضاراب لما رآه كثير الحلم رقيق الحاشية يعرف قدر خدمه وحشمه ويراعيهم حق المراعاة حتى انهم يفدونهم بأنفسهم وبالحقيقة ان لا ملك على وجه الأرض مثله والثانى هو سيف الدولة وهذا لم يكن أيضا رفيقى لأنه كان ملكا وجرى له ماجرى وقبضتم عليه غدرا إذ انفهر ومهر قد خاناه . واما ثالثهم فهى سيدتى عين الحياة ومن اين لى ان اكون لها رفيقا وهى سيدتى ومولاة الفرس اجمعهم لأنها لا تلبث أن تصبح زوجة لفارس فرسان هذا الزمان وسيد مواليه الذى اذا ذكر اسمه عند الملوك الكبار اهتزت فى كراسيها وخرت الى الارض سجدا واذا سألتنى عنه ولم تفهمه فهو فيروزشاه مذل الأسود ومبيد الجبابرة العظام من اوجده الله نقمة لكل طاغ وباغ وقد جاء هذه البلاد ليدعها خرابا ولا يترك فيها عاص وينشر الألوية الفارسية فوقها فتصبح كل هذه البلاد له وتحت طاعته ومن عانده كان جزاءه الهلاك والاعدام وقد يشهد على كلامى هذا عدوه الألد طيفور السامع الآن قولى . فاغتاظ الملك قيصر من كلامه وتكدر من قوله وعزم على ان يأمر بقتله لولا انه محتاج لأن يعرف سبب موت ابنه

ومن الذى قتله وكيف كان خلاص عين الحياة وسيف الدولة واما طيفور فانه تمرمر وانفطرت مرارته وعيل صبره فقال للملك دعك يا سيدى من هذا المهذار وأرسل العساكر فى أثر الفارين فلا ريب انهم يقصدون معسكرهم ويسيرون الى جهة ام الروض قال صدقت وأصبت ودعا فى الحال بقائد من قواده وأمره أن يركب بعشرة آلاف فارس ويقصد ذاك الطريق ويقبض على كل من رآه فيه ويبعثه اليه فامتثل القائد أمره وسار مسرعا إلى انفاذ امر سيده ولما رأى شياغوس ان المطاولة لم تعد تفيد وان العساكر سارت فى اثر بهروز تكدر لعلمه انهم لا يزالون فى الطريق وانهم ما بعدوا الا القليل كونهم مشاة ولا يسيرون كمتأثريهم وعليه فعاد الى كلامه والى ان يخبر الملك بواقعة الحال فاعاد عليه كل ما كان من امرهم الى ان التقوا بابنه وسار اليه بهروز ونزع منه الخاتم ورجع الى قلعة الحديد وجاء بعين الحياة وسار قاصدا ام الروض وقبل ان يصلوا اليها بساعات التقى بهم قائد من قواده فقبض عليهم وجاء بهم ليحضرهم اليه وعند وصولهم الى المدينة احتال عليه هلال واخذهم ليربح بهم الأموال الغزيرة ويشرط عليه الشروط العائدة الى نفسه وخيره وسار بهم فوضعهم فى خربة هناك ورجع ينهى عمله وينال مواعيده وحكى له ايضا كيف تخلص بهروز والذين معه فلما سمع الملك قيصر هذا الكلام امتلأ قلبه غيظا من هلال ومن عمله وقال له لو لم اتيقن انك ناصح فى خدمتى لأمرت بقتلك الآن انما لابد من مجازاتك على تضييع قتلة ولدى من يدى ثم امر ان يضرب خمسين سوطا على رجليه فضرب حتى سال منهما وبعد أن رفع من تحت السياط قال له الملك انى عفوت عنك لما سبق منك من الجهد والجد فى سبيل خدمتى واعدك انى انعم عليك اذا رجعت الى قاتل ولدى وأتيتنى بما يشفع عندى فى ذلتك التى هى من اكبر الذلات فصبر هلال على هذه الاهانة واراد الانتقام من شياغوس النقاش على ما سبب له من الضرب فقال للملك ليس ياسيدى من امر عسير على فلابد من ان اقود اليك كل قتلة ابنك وفوقهم اسيادهم وبما أن شياغوس هذا هو احدهم أى شريك بهروز فى تعديه على سيدى الملك فأمر بقتله وكل ما اتيتك بواحد اريد منك ان تقتله وتعدمه الحياة لنتخلص من شره قال اصبت ثم امر ان يؤخذ شياغوس النقاش ويقطع بالسيوف بحيث لا يبقى من لحمه قطعة كبيرة فاخذوه الى الخارج وقطعوه بالسيوف قطعا والى هذا الحد انتهت حياة شياغوس النقاش المسكين الذى كان سبب ايصال الحب الى قلب عين الحياة كما تقدم معنا كلامه وخدم بعد ذلك دولة ايران بامانة وصداقة كثيرا من مقدمى العيارين

قال وأما ما كان من العساكر التي سارت في أثر بهروز فانها سارت مسرعة على ظهور خيولها لا يأخذها هدوء ولاصبر حتى توصلت إلى الطريق وإذا بها رأت الفارين يسيرون أمامها وهم مشاة فطمعت في مسكهم وأطلقت الأعنة وكلهم يصيحون صياح الفرح بنوال المراد وكان بهروز يسير مع رفاقه إلى جهة عسكر الملك ضاراب وهم يسرعون في سيرهم حتى تعبت عين الحياة وامرأة سيف الدولة من المسير وخارت قواهما فتكدر بهروز من ذلك وقال لهما إذا كنتما لا تسيران بسرعة تدركما الاعداء فكانتا تسيران قليلا وتقعدان للراحة إلى ان تبينوا من ورائهم عساكر الرومان وهي كالبحور الزواخر وقد تفرقت من كل الجهات وأطلقت نحوهم الاعنة فأيقن بهروز بالتلاف وتكدر من هذا الامر وقال لعين الحياة هيا ياسيدتي فاركضي علنا نتخلص من هؤلاء الرجال فلا قدرة لنا على مقاومتهم فتقوت قليلا وركضت خوفا من الوقوع في ايدي الاعداء إنما لم يطل معها ذلك لأنها لا تقدر ان تخلق قوى جديدة فقصرت وقصر الجميع ماعدا بهروز وطارق فكانا يستنهضان همة الجميع ويطلبان اليهم السرعة في الجري ولكن دون جدوى حتى وصلت اليهم العساكر ومسكتهم واحدا بعد واحد ماعدا بهروز فانه انطلق في ذلك السهل كذكر النعام وانطلقت من حوله الفرسان تطلب القبض عليه دون ان يتيسر لها لأنه لما رأى ان في السهل لا سبيل له النجاة اذا دام على ركضه خوفا من ان يكون في تفرق الفرسان من حواليه من يقطع عليه الطريق اذا كان جواده سابقا ولذلك عرج الى جهة الجنوب وتسلق الآكام كالغزال في قفزاته حتى قصرت الخيل عن لحاقه وثبت عنده انها عاجزة عن مسكه فكرت راجعة تعض على اكفها من الغيظ لأنه هو وحده المطلوب الى ان اجتمعت الى بعضها وكلها في تحرق وتحسر وكدر وغيظ من فوات بهروز ووقفوا يتشاورون فيما يفعلون وكان يحمل الغيظ والحنق والكدر والخوف والاضطراب واليأس والمصائب ونحوها منصب على عين الحياة وتمنت ان تموت وطلبت الفناء والعدم ولا تصل تلك الحالة امام الملك قيصر ويشاهدها الجميع كجارية سوداء هاربة الى نحو فيروز شاه لقضاء غايتها وقد ثبت عندها ان لا نجاة لها إلا بمساعدته تعالى لأن رجال العرس يبعدون عنها والفرسان الذين حولها كثيرون يبلغ عددهم نحوا من عشرة آلاف فارس لا يمكنها ان تحتال بالخلاص وقد اهانوها كل الاهانة وأوثقوها كما توثق الرجال وما من واحد منتبه اليها بل يفكرون في القبض على بهروز ولذلك رفعت رأسها الى السما وفتحت اكفها بالدعاء وقالت اسالك يا اله السموات ورافع الشدات ودافع المصائب والويلات وجامع الشمل بعد الشتات ومعيد الابناء الى الامهات وكاشف عن خليقتك الضعيفة الضيقات . يا أبا الرحمات وباعث

الخيرات . ومنبع الماء من الجمادات . يا من خلصت يوسف من الجب وسكبت عليه مراحم الحنو والحب . وصيرته ملكا وسيدا نبيلا بعد أن كان محبوسا ومهانا ذليلا . وأعدته إلى أبيه يعقوب . بعد مقاساته الأوجاع والكروب . وحفظت دانيال فى جب الأسود وصببت عليه أنابيب الاقبال والسعود أسألك بأنبيائك الكرام ورسلك العظام وكل من له عندك رفعة ومقام . أن تحفظنى من هؤلاء الأعداء اللئام وتعيدنى بأمان وسلام إلى فيروز شاه الليث الهمام . إذا كنت كتبت لى به نصيبا بالحلال لا بالحرام . وإلا فعجل على بالهلاك والاعدام .

قال وما فرغت عين الحياة من دعائها وهى تذرف دموع الحسرة والهم إلا وسمعت صوتا قد انحدر من بين تلك الآكام ارتجت له السهول والوديان واضطرب جيش الرومان بأجمعه واهتزت الارض من تحته ومالت الأشجار ذات اليمين وذات الشمال كأن عصفت بها عواصف الارياح الثقال وفارس خرج من وادفى تلك الجهة راكب على جواد كأنه الجمل فى الارتفاع وهو من فوقه كالجبل الراسى وبيده عمد يبلغ طوله العشرة أذرع وعرضه ذراعان من الحديد الثقيل العيار وقد غط على تلك الفوارس كما يغط الباشق الكبير على العصافير الصغار وضرب فيهم بعمده المذكور وأنزل عليهم بلاء الله المشهور وفرقهم بضرباته ذات اليمين وذات الشمال وشردهم كما تشرد أفراخ الحجال حتى وصل إلى عين الحياة فرفعها إلى وراءه وأطلق سيف الدولة وزوجته وطارقا وقهرا وقال لهم سيروا ما من خوف عليكم فانى واقف لكم بالمحافظة ولا أدع أحدا يصل اليكم . ثم مال ثانية إلى جيوش الرومان وأعاد عليها الضرب كما كان حتى أبعدها عن ذاك المكان ولم يترك لها من أثر فيه وعاد من حيث أتى وعين الحياة وراءه لا تعلم من هو ومن أين جاء حتى كادت تغيب عن المدى وقد ثبت عندها أن الله بعثه لها إجابة للدعاء . ولما رأى بهروز هذه الحالة تعجب غاية العجب واندفع يجرى خلف ذاك الفارس المقنع وهو يجهل أمره ولا يعلم من هو وجعل يصيح وينادى ويطلب اليه أن يقف ليكلمه فلم يصغ له ولا التفت اليه بل بأسرع من لمح البصر غاب منخطفا كالبرق عن عينيه فكاد ينشق من الحنق وهو لا يعلم شيئا عن هذه الحالة ولا يعرف أين مقر عين الحياة ليخبر سيده بوجودها إلا أنه رأى لا مندوحة له عن العودة إلى معسكر الملك ضاراب ليطلع فيروزشاه على ما كان من أمره عساه يرى طريقة يطلع بها على مكان وجود محبوبته وجاء إلى سيف الدولة ومن معه وهنأهم بالسلامة وقال لهم لو فعل معنا ذاك الفارس رحمة لكان اعطانا عين الحياة ولا بد من سر عجيب تحت هذه والمنظر التى رأيناها فى هذا الفارس فما هو من رجال الانس وإلا لما قدر أن يفعل بعشرة

آلاف فارس هذا الفعل العظيم ببرهة وجيزة فهلموا بنا نخبر قومنا فهم أوسع منا فكرا وأكثر تبصرا ولا سيما الوزير طيطلوس مدبر مملكة الفرس وحكيمها وفيلسوفها . ثم ساروا إلى جهة معسكرهم .

وأما فرسان الرومان الذين تشتتوا فى تلك القيعان فانهم داموا فى مسيرهم وهم يلتفتون إلى الوراء خوفا من أن يكون الفارس يتأثرهم حتى وصلوا المدينة فدخلوها آمنين ووقفوا بين يدى قيصر وشرحوا له كل ما توقع لهم من حين خروجهم إلى حين رجوعهم فتعجب كل من حضر وشغلت عقولهم بذاك الفارس وبفعله الذى لم يسبق أن سمع بمثله قط بين فرسان الزمان وصار كل يشتاق لأن يعرف من ذاك الفارس الذى خلص عين الحياة وفعل هذا الفعل لأجلها . ولاسيما الشاه سرور فانه تأثر من غياب بنته وتاقت نفسه إلى أن يعرف من الذى قدم على مثل هذا العمل غير أنه وجد من نفسه سلوى فقال خير عندى ان تهلك وتعدم ولا أعود أراها فيما بعد من ان تحضر فى تلك الحالة بين هؤلاء الجماعة ولو حضرت ماذا يا ترى كان يحل بى إنما الله لم يقصد لى إهانة ولا أراد لى فضيحة بل بعث من عالم غيبه من ستر لى عرضى ومنع عنى العار والتنديد وهكذا قد ارتاح ضميره و بقى الملك قيصر فى قلق واضطراب من كل هذه الحوادث المكدرة ومعاندة الدهر له وبات ينتظر قدوم عساكر الصين وفرسانها وأبطالها ليضمها إلى العساكر الكثيرة التى كانت تردإليه يوميا من جهات مختلفة .

قال وأما بهروز والذين كانوا بقيوا معـــه فانهم ساروا جميعا حتى وصلوا إلى أرض أم الروض إلى المكان المقيم فيه الملك ضاراب وكان فيروزشاه فى مدة غياب بهروز مقيما على الانتظار لا يعرف كيف كانت أحواله وهل يتوفق إلى المطلوب وينال المرغوب أو يرجع بخفى حنين لاجدوى ولا نتيجة وبقى على ذلك مدة طويلة وقد طال عليه المطال وشغل باله واضطرب من غياب عياريه كل هذه المدة دون أن يصل اليه منهم خبر وخاف من أن يكونوا قد وقعوا بيد الرومان ففعلوا بهم سوءا إما أسروهم وإما قتلوهم ودام على هذه الحال وهو فى كل يوم يؤمل أن يصلوا اليه حتى كاد يقطع الرجاء من عودهم وإذا بهم قد جاءوا ودخلوا المعسكر وانتشر خبر وصولهم بين الجميع ولا سيما خبر وصول سيف الدولة ففرح به الملك ضاراب مزيد الفرح وهنأه بالسلامة والخلاص من يد الاعداء ووعده بالجميل والخير وانه يعوض عليه أضعاف ما لحق به وأن يجازى له أعداءه بالويل والوبال فشكره على معروفه والتفاته ومدح له من عياره بهروز ومهارته وكان فيروز شاه حاضرا وهو يتقلب على جمرات الضجر يشتاق أن يعرف ماذا جرى على عين الحياة وكيف لم تحضر معهم وهل أنهم

وصلوا اليها أو لم يتيسر لهم ذلك وقد ضاق صدره ولم يعد يقدر على احتمال السكوت فسأل بهروز أن يشرح ما كان من أمر غيابه أملا أن يعرف شيئا عن عين الحياة وسأله إذا كان رآها أو علم بمكان وجودها . فأجاب فى الحال وأخذ يشرح كل ما كان من أمر غيابهم فكان فيروز شاه يسر عندما يسمع بذكر محبوبته وزاد سروره وسرور جميع من حضر عندما سمعوا بقتل انيوش بن الملك قيصر ونزع الخاتم ورجوعهم إلى القلعة وإحراج كل من فيها إلا أنهم أكمدوا وارتاعوا عندما ذكر بهروز خبر وقوعهم بأيدى الرومان وأخذ هلال لهم وخلاصهم ماعدا شياغوس فانه وقع بأيدى الرومان ولا يعلمون ماذا جرى بعد ذلك عليه حتى وصل بهروز إلى حديث الفارس وانتشاله عين الحياة من بين فرسان الرومان وفعله بهم العجائب وغيابه بعد ذلك بسرعة تحاكى لمعان البرق فارتبك كل من حضر لما سمعوا وتعجبوا من عمل هذا الفارس ومقدرته ونظروا إلى فيروز شاه فوجدوه ملقى على ظهره وقد أصابته رجفة عصبية ولم يعد يعى على أحد وغاب عن وعيه فخاف عليه كل من حضر فى ذاك المحضر وقال له لا يجب ان تدع لقلة الصبر واسطة بالتسلط عليك ولا تقطع رجاءك وأملك من الوصول إلى عين الحياة فالذى حفظها كل هذه المدة وصانها من مفاعيل المصائب والحوادث قادر أن يحفظها لك كل الحياة فلا يدنو منها أحد بشىء فلم يبد حركة ولا أجاب بكلمة ولذلك دعا الملك ضاراب طيطلوس فقرب منه وارتاع من حالته وعجب كيف أن رجلا مثل فيروز شاه قهر فرسان الرومان وشطا على ملوكها وخرب بلدانها ودك كل حصن منيع وأرغب الآساد فى مرابضها يقع من جرى خبر صغير صادر عن الحب والغرام ولم يلمه على ما أصيب به وأخذ شيئا من الروائح العطرية فوضعها فى أنفه وسقاه المنعشات ما يتقوى به قلب المهموم المحزون وقال له انى أؤكد لك ياسيدى أن عين الحياة هى الآن بأ مان واطمئنان وراحة فما من خوف عليها قط وهى محفوظة لك عند الذى أخذها ولا بد أن يكون فى ذلك

لهذا العمل وأنت تعلم انى لا أنظر إلى خفايا الاحوال إلا نظر الحكيم العاقل ولا أوجه أفكارى إلى مستقبل الايام إلا بالصحة والصدق فاجابه فى نفس حزينة انى لست ممن تضعفه المصائب والاهوال ولا أنا ممن يسلم نفسه إلى أهواء الصعوبات الحادثة ولو كنت أعلم محل وجودها ولو كانت فى قلب البحار أو داخل جبال قاف لكنت ترانى معلقا الأمل بانى سأتغلب على كل الموانع وأدوس المصاعب وأصل اليها وعندما كانت عند الاعداء كنت ترانى دائما فى مسرة وحبور وهمى فى ازدياد ونمو لانى كنت أؤكد أنى لا أنال غايتى ولا أصل اليها إلا بالبسالة والاقدام والصبر على المصائب فادافع وأقاتل لازيل تلك

الموانع أما الآن وقد ضاع الرجاء وخاب الأمل ولا أعرف مكانا لها ولا أرى المكان الموجودة فيه . قال هى كما قلت لك فى مكان أمين محفوظة لك وسيظهر لنا كل هذا الخفى بعد قليل من الايام أى بعد تسلطنا على المدينة وانى أظن وظنى لا يخطىء قط أن الذى أخذها هو نفس الذى أخذ خطيبة بهمزار قبا من البئر وقد وعدته وطمنته برجوعها وأتكفل لك وأعدك الوعد الصادق انى أبذل الجهد إلى استرجاعهما فإنهما بيد أناس من الانس وأشهد على أبوك وكامل فرسانك ووزرائك انى أعيدها اليك معززة مكرمة مصانة من كل ما يكدرك ويغضبك

قال فلما سمع فيروز شاه كلام طيطلوس ارتاح اليه ضميره نوعا وركن اليه كل الركون لما يعلمه من سعة اطلاعه على خفايا الأمور ومعارفه الفائقة على كل من سواه من رجال ذاك الزمان وفلاسفته وصبر على مضض وعلق أمله بعناية الله الا أن الفراق كان لا يزال مؤثرا فى داخله . وبعد أن أرفض الديوان وخلا بنفسه جمع كل حواسه وبعثها إلى جهات الأرض الأربع يفحص فيها عن عين الحياة وهو يشتاق أن يعرف أين هى وفى أى مكان ومن الذى أخذها اليه وما هى غايته يا ترى منها حتى كادت تعود اليه اضطراباته وقلاقله فباح بما فى ضميره وجعل يسلى نفسه على فراق محبوبته بالشعر فقال

إذا ما نسيم الريح من نحوكم اسرا	أطار شرار النار من كبدى الحرا
أبرق سرى والليل قد رق برده	فأسرى بقلبى عندكم و فى الصبرا
أكل نسيم مر بى يستفزنى	وكل وميض لاح لى جدد الذكرا
ويوم النوى لا كان إذ فتكت بنا	وأظهر فينا الحب آيته الكبرى
أقول لنفسى حين عانت حياتها	ألا فاقرحى هذا الحمام لك البشرى
وكم طالما قد كنت تستعجلينه	إذا ما تجافوا عنك أو أظهروا الهجرا
لعل الردى يشفيك من لاعج الأسى	فان الردى بالصب بعد النوى أحرى
ويا قلب ما هذا اللهيب أكلما	نضحت عليك الماء صيرته جمرا
وهل تنطفى نار الغرام وكلما	خبت بدموعى أوقدته يد الذكرى
يا صاحبى بالله غيب بذكرهم	وجودى على فهو مازال لى سكرا
عسى ينقضى عصر الفراق بحاله	سواء حلا عندى بها العيش أو مرا
وان مت فادفنى بعيشك صاحبى	مع الغر باروا كتب على شدتى سطرا
ألا رحم الرحمن حرا قضى اسى	ولم يسل عن الف ولم يرتكب غدرا

وكانت حالة فيروز شاه فى هذه المرة اصعب من كل ما مضى وقلبه لم يكن يطيعه على السلوى والتصبر وحبه كان يحركه الى التشوق والاطلاع على حالة عين الحياة

وهل وجودها وان كان لا يطمع نفسه بالحصول عليها وبوجودها معه فى الجيش ليراها وتراه وصار يريد أن يعرف أين هى وفى أى مكان وهل هى بأمان أو بعذاب وهل الذى أخذها يطلب زواجها ويغتصبها عليه أو لا غرض له فيها من ذلك وهذا كان يقلقه فى أكثر أحيانه وأوقاته وكاد يضيق صبره ويخسر عقله ويعدم حواسه لولا ملازمة واعتناء طيطلوس له فى أكثر أوقاته وتسليته له وتعليله بالأمانى والمواعيد

ولم تكن حالة بهمزار قبا أقل صعوبة من حالته ولا غرامه أشد غراما من غرامه فانه بعد أن ذاق ما ذاق من حلاوة العيش واطمأن باله على محبوبته كلية وحصل عليها وجاء مسرورا خطفت من البئر ولم يعد يعرف لها خبر ولا قدر أن يعلم من خطفها وفى أى مكان هى . وقد زاد غياب عين الحياة اضطرابه وهيج بلباله وذكره بها وكيف أن أمد بعادها قد طال وما وصل اليه قط علم عنها ولم يرح ضميره إلا بمواعيد طيطلوس وتطمينه وكان كغيره من العشاق يسلى نفسه بالأشعار والانغام وشرب العقار ليضيع عن الصواب وما أنشده ورَدده

أسلموني لسهادي وسقامي وانفرادي
أبدا ينقص صبري واشتياقي في ازديادي
أترى يذكرني من ذكرهم وردي وزادي
أترى يذكرني من كنت أصفيهم ودادي
من لقلب بات يصلى جمر شوق وبعادي
من لي برق كليل دونه بيض غواد
مثل نار قد بدت للعين من تحت رماد
قدح النار بأحشا ئي من غير زنادي
أذكر القلب زمانا قد مضى حلو المبادي
في دمشق جادها جو د دموعي والعهادي
فهو ما بين حنين وخفوق واتقادي
كم ليال قد قطعنا ها بأنس واتحاد
ومدام مثل برد الـ ـماء في أحشاء صادي
فوق ديباج من الرو ض الندي وسط وادي
فيه الأطيار تصفيـ ـق كتصفيق الأيادي
وبه للطير تسجيـ ـع كصوت مستعاد
وغزال غير مأمو ن على نسك العباد

سلبت عيناه منى ثوب نسكي وسدادى
سرقت بالسحر والغنـ ـج رقادى وفؤادى
خانني من بعده صبـ ـرى كما خان رقادى
فرثى لى كل من يـأ لفنى حتى سهادى
وبكى لى كل من يبـ ـصرنى حتى الأعادى

وكان الملك ضاراب أيضا فى قلق واضطراب وانشغال بال من جهة غياب عين الحياة وخاف كل الخوف أن يكون بعد مقاساته كل هذه الأهوال وعذابه فى الغربة والحروب ووصوله إلى أبعد مكان عن بلاده فى طلبها تفقد من يد ولده ولا يعود يطلع لها على خبر وأثر فيه هذا الأمر كثيرا وكان يرغب فى أن يعرف الذى أخذها واخفاها من هو وفى أى مكان وكان يشتاق جدا إلى نهاية حربه مع الرومان ليلتفت إلى التفتيش والتحرى عليها وجعل ديدنه الصلاة والسؤال من الله ليلتفت إلى ولده ويجبر خاطره باعادتها اليه وزواجه بها وأصبح ينتظر شفاء بهزادشفاءتاما . لأنه كان يتقدم إلى الصحة يوما فيوما تقدما تدريجياجعل الجميع منجهته بأمان يؤملون النجاح بيسالته ولم يقف قط أحد منهم على خبر فرخوا زاد بعد أنسألوا كثيرا وبحثوا كثيرا لأن فيروز شاه كان يحبه حبا عظيما كونه كان رفيقه فى بداية أسفاره وكان يتحمل عنه ثقل المصائب ويشاركه فى الأحزان والأكدار والعذاب . ولم يكن يعهد فيه مثل هذا الغيظ الناتج عن الحسد الذميم مع أنه من الأبطال الصناديدوالفرسانالأماجيدالذين هم بدرجة ثانية بالنسبة إلى فيروز شاه وبهزاد وكان الملك ضاراب بانشغال فكر من جهته أيضا لا يحب أن يخسره ويضيعه لا سيما وهو ابن فيلزور الذى صرف العمر بخدمة دولته والذب عنها والقتال عن حقوقها حتى انه قتل فى سبيل صوالحهاوكان أيضا مشغل الفكر من جهه طهمور الذى كان قد أخذ أسيراوبعث إلىالمدينةالقيصرية وبقى مسجونا متروكا مع انه من عمد رجال الفرس ومقدميهم

قال ولنرجع بالحديث إلى فرخوزاد فانه بعد أن ثبت عنده أن اخاه وقع إلى الأرض وظن بتأكيد انه قتل وفقد الحياة خرج هائما على وجهه فى الفلاة لا يعرف اى طريق يقصد ولا بأى جهة يسير ولما انفرد بنفسه وشعر بقباحة عمله انفطرت مرارته وتأكد لديه انه ارتكب جريمة كبرى ضدالانسانيةوالدينوجعل ضميره يوبخه ويجسم عليه رداءة فعله وحركه ارتباطه الأخوى باخيه وحبه الطبيعى نحوه فابتدأ يبكى وهو هائم ويعض على كفيه ندامة وحرقة وتأسفا وتمنى كثيرا أن يقتل نفسه ولا يعيش بعد أخيه ساعة فيمنعه حب الذات ويرجعه له عن عمله وأصبح بحالة صعبة جدا وكلما تقدم بالمسير ثقل عليه ضميره وتهدده وأهانه وعنفه حتى اصبح كالمجنون

من تأثيرات الحزن والأسف إلى ان اشرق النهار فبقى فى مسيره ولم يقبل ان يعرج إلى جهة بل قصد ان يبعد الى اقصى مكان ويعيش منفردا بالجبال بين الآكام والتلال ويعاشر الوحوش فى الفلا ويبيت معها فى المغائر ولم تعد نفسه تطيعه إلى ان يرى بشرا وبقى سائرا بسرعة فائقة الحد وهو لا يذوق زادا ولا تطلب نفسه طعاما ولم يذق سوى الماء الذى كان يشربه من الأعين التى كان يمر بها نحو خمسة أيام وفى اليوم السادس اقبل على ارض مرملة محرقة فركبها من الصباح وبقى سائر فيها يطلب الجبل وكلما سار عليها كلما اشتد الحر وتلهبت الأرض بنيران ولهيب ناتجين عن اشتعال الرمال بحرارة الشمس حتى تضايق كل المضايقة ولم يعد يقدر على المسير وعطش مزيد العطش ولم يكن قط ماء فى تلك الأرض فايقن بالهلاك وساق جواده يطلب الجبل وهو قاطع الرجاء من الوصول اليه لأنه كان يراه إلى جهة الشمال وبقى سائرا يسأل الله الفرج ولا يصادف إلا اشتدادا وتلهبا إلى ان اخذت الشمس فى النزول فشعر بالبرودة إلا ان قلة الأكل والماء قد فعلا بجسمه فعلا زائدا واضعفاه وخارت قواه حتى انه بالكاد اصبح قادرا على ان يثبت على ظهر الجواد وبقى إلى ان قطع تلك الرملية واستلم اول الجبل فتسلقه على غير وعى وكان الجواد من تحته ايضا قد كل ومل وخارت قواه وضعفت ولما صار على بعد فى الجبل هب عليه النسيم البارد بعد ان كان جسمه يقاسى اشتعال العذاب من كل جهة وصوب فوقع الجواد من تحته ووقع هو من فوقه غائبا عن الصواب لا يعى على نفسه وشعر بان جسمه اخذ فى الانحلال وانه سائر الى الدنيا الاخيرة وبقى ملقى على الارض كالمائت نحوا من نصف ساعة ولما كان الله لا يحب ان يفقده الحياة نظر اليه وشفق على حالته ولم يرض بهلاكه فبعث له من عالم الغيب من ينقذه من تلك الحالة ويرفعه من هذه الشدة والضيق . وذلك ان بالقرب من تلك الجبل إلى جهة الجنوبية كان يسكن امير من امراء تلك البلاد يقال له الأمير دولاب وكان شابا كريما وديعا مشغلا بحب الصيد ومطاردة الغزلان فيسير من بلده دائما الى ذلك الجبل يصطاد منه الغزلان والأرانب ويعود الى مقره وبالقضاء والقدر صادف مروره ذاك النهار من تلك الناحية بعد وصول فرخو زاد اليها بقليل وفى اثناء مروره نظر اليه فتعجب منه وارتاع من امره ونزل عن جواده اليه ونظر فيه فوجد جسمه لا يزال حارا فأمر بعض جماعته ان يحملوه الى المدينة ويسير على عجل امامه عله يجد وسيلة الى شفائه وقال لهم لا بد ان يكون هذا الرجل من الأمراء والفرسان الشداد لأن يظهر على هيئتــــه دلائل قوية للبسالة مع انه فى حالة الأموات ولابد ان يكون من اولاد الكرام والسادات

العظام . فحملوه وساروا به وقطعوا الجبل حتى انتهوا إلى المدينة فادخله الأمير دولاب قصره وأمر ان يؤتى بأمهر طبيب فى بلاده وأمره أن يلازم معالجته وأن يطببه ووعده اذا شفى بالانعام الغزير فنظر فيه الطبيب ولم ير فى جسمه قط علة فثبت عنده ان الخوار والتضور قد غيباه عن الهدى فأمر ان يؤتى بالماء فسقاه وجعل يصرف العناية الى معالجته بما ينفعه حتى تقوى جسمه قليلا فسقاه من مرق اللحم شيئا فشيئا الى ان فتح عيناه ونظر الى ما حوله فوجد نفسه بين قوم يعتنون به فلم يبد حركة بل بقى على حاله لانه شعر باحتياجه الى الراحة فنام نوما طويلا ولما استيقظ وجد الطبيب عنده فسقاه من مرق اللحم وطعمه فتقوى جسمه اكثر وقدر على التكلم وبعد على الوقوف ولم تمض أيام قليلة إلا عاد الى حالته الأولى وسلم على الامير دولاب وعرف انه هو الذى اعتنى به واحياه بعد الموت فشكره مزيد الشكر وشعر بمعروفه واختار القيام عنده . فقال له انى لا اقدر ان اكافئك ياسيدى على جميلك معى والتفاتك الى وانقاذى من الهلاك وارجاع الحياة بعد ان كنت قطعت الرجاء من هذه الدنيا وتأكد عندى أنى لا اعود فاوى العالم مرة ثانية . قال الامير ان الله هو الذى بعثنى اليك لأخدمك واسهل لك طريق الحياة وانا لا اعلم من انت ومن اين وصلت الى ذاك الجبل ولا اريد أن اعرف من أين أنت لأنى ما عملت معك المعروف لأرجو عوضا أو لاعرف مع من عملته إنما لما رأيت فيك دلائل الفضل وعلائم البسالة قلت فى نفسى انى أخبرك بعد شفائك اما بالبقاء عندى واما بالذهاب عنى وها أنا الآن أقدم لك قبيلتى وأرضى وأماكنى تحكم فيها وتختار منها ما يوافقك ويحلو لك فلا شىء ممنوع عنك منها . قال فرخوزاد انى كنت مسافرا فضعت عن الطريق حتى وصلت إلى الجبل وقد فرغ منى الزاد فقاسيت من الجوع وعذاب الحر وتعب الطريق ما أضعف منى قواى ورمانى الجواد معا إلى الأرض فتداركنى الله بك وبعثك فانقذتنى ولهذا ترانى مشعرا كل الشعور بمعروفك معى وقد نذرت الآن على نفسى ان ابقى فى خدمتك وبين فرسانك ما أمكنى من العمر فارجوك أن تقبلنى وسوف ترى منى ما يسر به خاطرك وإذا كان لك عدو فابعثنى اليه فانى كفؤ لكل من يقصد التعدى عليك وايصال الأذى اليك .

فلما سمع الامير دولاب كلامه فرح به غاية الفرح وسر مزيد السرور وقال لفرخوزاد لقد قبلتك كأخ لى فى هذه المدينة وشريكى فى حكمى ولا أمنع عنك كلما تشتهيه . ثم عين له مكانا لسكنه واقام على خدمته الجوار والعبيد وصار منذ ذلك الحين كأمير فى القبيلة يأمر وينهى بما به الصواب حتى أعجب الامير دولاب من اعماله وأحواله

وتأكد لديه أنه ابن ملك أو وزير . غير أن بعض فرسان القبيلة كان أخذه منه الحسد فجاء إلى الامير وقال له لقد قدرت فرخوزاد فوق قدره وأنت تظن أنه من الفرسان الصناديد وعلى ما أظن أنك مغشوش به موهوم بظنك فاذا شئت أجمع فى الغد أعيان الطائفة وفرسان القبيله إلى ميدان اللعب فمتى حمى سوق الجريد وجرب نفسه مع فرساننا تبين لك أنك على خلاف الحقيقة وان فى أبطالنا كثير احسن منه وأشد بسالة قال ان ما يظهر لى ان لا أحد من رجالنا يقدر على مناضلته ومع ذلك فانى مجيب الى طلبك وفى الغد أبعث إلى كامل فرسان الحى أن تحضر إلى الميدان ويجرب الجميع انفسهم معه . ففرح الرجل وذهب مسرورا بنجاح مقصده وفى كل ذهنه أن فرخوزاد لا يثبت أمام جريدة أحد من فرسانهم وفى صباح اليوم الثانى أعلن الأمير دولاب وجوب تجمع الفرسان الى ساحة الميدان ليدار دولاب لعب الجريد على سائر انواع الفنون الحربيه اكراما لخاطر فرخوزاد فاجتمع كل رجال الحى من كبير وصغير واعتلت الفرسان فوق الصافنات وانحدروا إلى ساحة النزال يطاردون بعضهم بعضا وفرخوزاد راكب فوق جواده ينتظر ازدحام الاقدام حتى تم له كل ما كان يشتهيه ونظر إلى الفرسان الآخذين فى الجولان وسط الميدان فوجدهم يذوفون عن المائتى فارس وللحال انحدر الى ما بين الفرسان وصاح فيها بصوت كالرعد القاصف أدوى منه المكان واخترق أولئك الرجال وصاح فيهم صيحات مردة الجان . وقال اريد منكم أيها الفرسان أن تقصدونى باجمعكم فمن اصابنى جريدته اعترفت له بالوحدانية والكمال فى القتال ومن أصبته خرج من ساحة المجال فى الحال . فأجابوه إلى طلبه وأسرعوا من حواليه كالسلاهب وهم يريدون ان يعرفوا ثقل معرفته باصدق عيار .

قال وحمى المجال ودار من كل مكان وتفرقت الفرسان من حواليه إلى فرق وجماعات وانحذفت اليه بضرب الجريد فتساقط عليه كالامطار فدخل تحت بطن الجواد وصاح به بما تعلمه منه وعوده عليه فخرج كالبرق فى اللمعان دون ان تصل اليه جريدة أحد ولما انفرد الى جهة من جهات الميدان استوى فى بحر سرجه كما كان وأرسل جريدته إلى أحد الفرسان فأصابت اثنين سوى فخرجا من بين الباقين وهما يتعجبان من سرعة قتاله . ثم عاد إلى الامام وأظهر التقصير حتى طمع به الجميع وضايقوه فصاح بهم وشردهم عنه وبعد ذلك أصاب ثلاثة فخرجوا من بين الصفوف وجاءه الباقون فلم ينالوا منه مرادا وكر عليهم فأصاب أربعة منهم ودام على مثل تلك الحال حتى أصاب سائر الأبطال . وفضحهم فى وسط الميدان فتأخروا إلى الوراء وهم يعلمون انهم ليسوا من رجاله وأنه من الجبابرة الذين لا يقاس بهم غيرهم وتقدم منه الامير

دولاب وقبله بين الاعيان وفرح به مزيد الفرح وشكره على بسالته وزادت محبته له الدرهم قنطار وعادوا من ساحة الميدان الى البيوت وما منهم الا وفى قلبه الخوف والرعب من أعمال فرخزاد وقد أخذ منزلة كبرى عند الجميع . وعاد هو أيضا مسرور من اقتداره على الجميع ودخل منزله وهو على الحالة وقد قال فى نفسه خير لى أن أقيم بين هؤلاء الاقوام وأكون كرئيس عندهم يرونه فى اعينهم عظيما كبيرا وفارسا جسيما ولا أقوم عند من تضيع بسالتى لديهم ولم يكن يخطر فى ذهنه قط أن يرجع الى الايرانيين لأنه يعلم من نفسه انه جنى جناية كبرى لا تمحى ولا تكفر وكان يعتقد كل الاعتقاد ان اخاه قد قتل وقبر ولا أثر له بينهم وجل ما يتمناه أن تصل أخباره إلى الاميرة انوش فتأتى اليه وتقيم معه فى ذاك المكان على الراحة والسعة لا شيء يكدرها وصبر على هذه النية منتظراً فعل الزمان وسعيه وماذا يأتى من أمره . وصار يحضر دائما عند الامير دولاب ولايفارقه ويذهب معه فى اكثر الاحيان الى الصيد والقنص فيصطادون الغزلان ويقنصون الوحوش ويأتون بها محملة على ظهور الخيل الى أن كان ذات يوم بينما كان الامير جالسا فى ديوانه وإلى جانبه فرخزاد وبعض رجاله وإذا برسول قد دخل عليه وقبل يديه وأعطاه كتابا ففضه وقرأه وبعد أن فرغ منه ظهرت على وجهه علائم الكدر والاضطراب واطرق إلى الأرض كما لو وقع بمصيبة عظيمة فظهر حاله لدى الجميع وسأله فرخزاد عما وقع به وحل عليه وما هو ضمن ذاك الكتاب من موجبات الكدر والغيظ . فقال أعلم انى منذ بضعة اشهر ذهبت إلى عمى الامير رخام فاقمت عنده اياما وخطبت منه ابنته وصرفنا أياما على الحظ والانشراح وعدت من هناك على أمل أنى بعد ستة اشهر اذهب اليه ليزفنى عليها بينما يكون قد دبر أمرها وأنا بانتظار الوقت الآن لأذهب اليه وإذ به يقول لى الآن أن رجلا من الفرسان الصناديد جاء بقبيلة اسمه الامير غيطم وطلب اليه أن يزفه عليها وامتنع وأخبره انها مخطوبة لابن عمها فقصدان يأخذها بالرغم عنه وأشهر عليه الحرب فحاربه إلى أن غلب بين يديه ولجأ إلى قلعة هناك مع حريمه ورجال الأمير غيطم يحاصرونه فيها وهو يدعونى أن أسرع اليه وانقذه ولذلك ترانى باضطراب وكدر من هذا الأمر وانى أعلم أنه بطل شديد البأس قوى المراس لايصطلى له بنار جبار من الجبابرة الكبار .

قال فلما سمع فرخزاد كلامه فرح غاية الفرح ووجد وسيلة لمكافأته على جميله معه ولذلك اجابه ان هذا الأمر مما يزيد فى شأنك عند عمك وعروسك فاجمع رجالك فى الحال وسر إلى حرب هذا العاتى وأنى أعدك وأتعهد لك بقتل

الأمير غيطم وتفريق رجاله والافراج عن عمك الامير رخام بأقرب وقت فسر دولاب من كلامه وجمع رجاله وأمرهم بالركوب والمسير إلى جهة عمه فساروا فى مقدمتهم فرخوزاد كأنه أسد من الآساد وهو مشتاق إلى ملاقاة الفرسان ومنازلة الأبطال والشجعان ليرى عمله للأمير دولاب وداموا على المسير إلى أن وصلوا إلى أرض الأمير رخام فوجدوا عساكر الأعداء منتشرة فيها وقد تملكت البيوت ونهبت الأموال وطردته إلى الجبل وأقام غيطم على حصاره فى قلعة هناك . ولما نظر فرخوزاد ذلك صاح وحمل على البيوت بمن وراءه من الأبطال والفرسان وسطا سطوة جبار وأشغل فيهم ضرب الصارم البتار كما تشتعل النار بالقش اليابس وبأقل من ساعة قام الصياح وارتفع من كل ناح . وحل على رجال غيطم الويل والعذاب . وذاقوا أمر طعان وضراب فصبروا على الدفاع والقتال والثبات فى المجال . إلا أن فرخوزاد ضيق عليها الطرقات وقادها إلى حفر النكبات . وبأسرع من أربع ساعات أخلاها من البيوت وأركبها سبل الشتات . وقد تخلت عما كانت قد نهبته . ووصلت اليه وملكته . وسارت مسرعة إلى الجبل إلى أميرها تخبره بما كان . ولما وصل اليه المنهزمون وأخبروه بعمل فرخوزاد وأنهم طردوهم من البيوت تكدر مزيد الكدر وكان قد حصر القلعة كل الحصار وثبت عنده أنه سيمتلك من فيها بأقرب وقت ويحظى ببنت الامير رخام إلا أن كر راجعا وهو من الغيظ على جانب عظيم وما بعد عن القلعة إلا القليل حتى صادف رجال دولاب سائرين إلى جهته فصاح فيهم وحمل عليهم وفى نيته أنه يشتتهم بساعة من الزمان فالتقاه فرخوزاد وأخذ معه فى الكر والفر والاخذ والرد إلى أن تبين لفرخوزاد فيه العجز والتقصير فصاح فيه صيحة إيرانية وضربه ضربة قوية وقعت على أم رأسه فشقه إلى تكة لباسه ومال عن جواده إلى الارض قتيلا وفى دمائه جديلا ولما رأى قومه ما حل به وأن رجال الامير دولاب قد فاجئتهم وقوم الامير رخام قد خرجوا من القلعة وثبت لديهم موت أميرهم أركنوا إلى الفرار وتشتتوا فى البرارى والقفار فتأثرهم فرخوزاد وأعمل سيفه فيهم حتى روى الارض من دمائهم وعاد من خلفهم وهو كالارجوان من عظم ما لحق بثيابه من أدمية الفرسان . ورجع بعد ذلك إلى مقام رجال الاميرين فتلقوه بالاحضان وأثنوا على فعله وتعجبوا من بسالته وشجاعته وأخذه الامير رخام الى البيوت فدخلوها بالافراح والمسرات شاكرين الله على ما أولاهم من النصر عن يد فرخوزاد وبعد ذلك عملوا الولائم والدعوات وعزموا على زواج دولاب ببنت عمه واكراما لخاطر فرخوزاد وترحابا به وصرفوا نحوا من أسبوعين على هذه الحالة وهم فى حجر السرور والفرح يهتمون بالعرس ويصلحون شأن العروس

وبعد ذلك زفوه عليها وأتاه مسروراوفرح بهاغاية الفرح وسرمزيدالسرور وفىاليوم الثانى استأذن من عمه بالرجوع الى الديار مع عروسه فاذن له وأوصاه بها وبمداراتها وساله بالمحافظة على فرخوزاد وقال له ان مثل هذا الفارس لا يهمل أمره بل يقدم له كل ما عروهاں فهو بطل من الابطال يندر وجود مثله بين سادات هذا الزمان فاذا اقام فى قبيلتك ملكت به كل ما تريده ونفذت سطوتك فى كل مجاوريك وارتفعت منزلتك عندالملك قيصرملك ملوك الرومان وسلطان سلاطين الافرنج وحاكم سورية وما حواليها . فوعده بكل جميل وساروا عائدين الى بلادهم عدة أيام حتى وصلوا اليها ودخلوها باحتفال عظيم وفرح بهم قومهم وكل من فى الديار وفى ثانى الايام دخل على الامير دولاب أحد أعيان قومه الذى كان تخلف فى الحى لمحافظته وقدم له كتابا وقال له انه بعد مسيرك بيوم وصل الينا هذا الكتاب من الملك قيصر يدعوك به ان تسير لنصرته بابطالك وفرسانك لان الملك ضاراب ملك الفرس وسيدهم قدجاء بلاده ودخلها عنوة وسطا على عدة مدن وأن عنده فرسان وأبطال لا يصطلى لهم بنار ولذلك اعتمد على أن يجمع عليه الفرسان من أربعة أقطار بلاده ولا يدع فارسا الا ويدخل فى هذه الحرب لينتقم منهم ويبيدهم عن آخرهم . فلما قرأ الاميردولاب هذا الكتاب وقع بامور صعاب وأطرق الى الارض باكتئاب واضطراب وكادت تتدفق الدموع من عينيه فرأى حالته فرخوزاد وعلم ما هو واقع به . فقال له لاى شىء أنت فى قلق واضطراب وماذا وقع على أفكارك وقلبك من الخوف والوهم . قال انى سمعت من مدة بسالة رجال الفرس واقدامهم وأنه يندر وجود فارس فى أربعة أقطار الدنيا كفرسانهم ولا سيما ابن ملكهم فيروزشاه وقد حكى لى بعض الرواة عنه أخبارا يكاد العقل لا يصدقها وهم الآن فى بلاد الملك قيصر والملك المذكور يدعونى أن أسير لخدمته برجالى وحيث أنى عائش تحت لوائه وفى مملكته لا يسعنى الامتناع واذا سرت فانى مؤكد بوقوع الصعوبات والمصائب وطول هذه الحرب مع أنى كنت أعد نفسى كل الوعد بالحظ والانشراح مع زوجتى الجديدة وقلبى لا يطاوعنى على تركها وفراقها بعد أن تزوجت بها ولم أقم معها فى بلدى ولا يوما وربما لحقنى من تلك الحرب ضر أو أصابتنى يد المنية فاتركها ارملة لا ملجأ ولا معين لها تقاسى عذاب الحزن والاكدار .

قال وكان فرخوزاد على نار الهياج واشتغال البال من جهة قومه وهو يود ان يعرف ماذا جرى عليهم وماذا حل باخيه ويطلب ان يصل اليه خبر منهم حتى وجد هذه الفرصة واستنسب المسير الى بلاد قيصر تحت اسم ذاك الامير فقال له هل ان الملك الاكبر يعرفك وجها بوجه . قال كلا فلم يسبق لى ان رأيته او رآنى انما

أوامره تصل إلى دائما بطلب الأخرجة والأموال فأرسلها له كغيري من عماله وأمراء بلاده . قال إذا كان الأمر كذلك فانى أسير اليه تحت اسم الأمير دولاب وأقاتل عنك بين يديه وأبذل غاية المجهود حتى أبنى لك عنده منزلة رفيعة ويعلم أنك من أشد أمرائه فلما سمع الأمير دولاب هذا الكلام نزل على قلبه ألذ من لذيذ الشراب وقال له إنى أشكرك على هذا الجميل والمعروف فانى أعهد اليك بالمسير عنى قال إنلى بذلك الفرح الأكبر لانى أكون قد وفيتك بعض مالك على من الجميل الذى لا أنساه طول مدة حياتى وأحب شيء لدى هو أنى أراك مع عروسك مرتاحا قائما على الهناء والمسرة . ثم إن فرخوزاد أخذ نحو أربعة آلاف فارس من فرسان القبيلة وودع الامير وخرج يقصد الملك قيصر حتى وصل اليه وانضم إلى بقية العساكر التى كانت تتجمع لقتال الفرس وقد بعث علم بوصوله إلى حضرة الملك وأنه قائم مع الذين قائمين بانتظار أوامره للحرب والقتال .

قال وكان الملك قيصر على مقالى النار ينتظر وصول عساكر الصين اليه أو وصول خبر من جهان ملكهم لانه كان يعلم أنه بدون مساعدة الصينيين لا يقدر على الثبات فى وجه الفرس وبقى بالانتظار وهو متعجب من عدم إتيان الملك ضاراب إلى بلاده بعد نصرته على ولده وتمرتاش ولم يكن عنده قط خبر بهزاد وما حل عليه من أخيه فرخوزاد الى أن جاءه الخبر بقرب وصول منكوخان وأولاده مع العساكر والرجال ففرح غاية الفرح وسر مزيد السرور وأمل الخير والفوز على الاعداء وطردهم من بلاد هو الانتقام منهم بثأر ولده المقتول . وخرج فى رجاله ووزرائه على بعد يومين لملاقاتهم والموسيقات تضرب بانغام الاسترحاب والاكرام الى أن التقى قيصر بمنكوخان فسلم عليه وترحب به وباولاده جميعا وأظهر سروره فيهم ومثله فعلت أمراؤه واعيانه وعادوا يرجعون وقلوبهم تصفق من الاستبشار والآمال بنوال المراد حتى ضجت من ظهور مسراتهم وصياحهم بالافراح تلك الارض ولما قربوا من المدينة سال الملك قيصر منكوخان ان ينزل برجاله الى جهة من اطراف المدينة كان اعدها لنزولهم وهى واسعة رحبة محاطة من اكثر جهاتها بالاشجار والرياض فسر منكوخان من هذا المركز وامر رجاله ان تحط فى تلك الارض وسار هو مع قيصر الى الديوان ليقدم له مكتوب سيده وجلس الملك ومن حوله سائر الاعيان والوزراء وجلس منكوخان بين اولاده السبعة وقدمت لهم الكاسات الشراب وموجبات الترحاب وبعد ذلك سال الملك قيصر منكوخان عن سيده الملك جهان فقال انه بخير وأمان وقد اغتاظ من عمل أعدائك وانزل بكل غضب عليهم وتمنى ان يكون هو نفسه حاضر عندك ليبيدهم ويشتتهم فى أقطار الارض إلا أنه لما كان يعلم إنى قادر لى ع

انفاذ غاياته وما آربه بعثني اليك مع أولادي وقد دفع إلى هذا الكتاب لأسلمه اليك مع تحياته وسلامه . ثم دفع اليه الكتاب فتناوله منه الملك قيصر ودفعه لوزيره يداخطل ففضه وقرأه يرى فيه

من ملك ملوك العالم وسلطان سلاطينها الاله الأكبر والمعبود الأعظم إلى صديقه الملك قيصر ملك النصارى والافرنج

بعد انزال بركاتي عليك واسكاب مراحمي وايصال مساعدتي اليك أبدي أيها الملك الأمين الودود اني أخذت كتابكم وشكرت جنابكم على ملاذكم بي وطلبكم الامداد من لدن أعتابي وكدرني جدا خبر وصول الملك ضاراب الفارسي إلى بلادك وتعديه على جيوشك وطمعه بك ولذلك تراني مسرعا إلى إجابة سؤالك ولم تقبل شيمتي الكريمة أن ترد طلبكم وتضيع ظنكم بي واظهارا لاشتداد رغبتي بذلك ولأريكم عظم غضبي من هذا الملك الصعلوك المتعدي الطامع الذي لم يعرف حق قدره بعثت اليك بمنكوخان فارس بلادي ومدبر جيوشي وأوحد ابطال هذا الزمان وفوق كل ذلك فاني أمرته بأن يأخذ أولاده الذين ضربت بشجعانهم الأمثال في كل مكان وأن يكون معهم أربعمائة ألف من فرسان الصين وأوصيتهم كل الوصية بأن يمسكوا الملك ضاراب ويبعثوه إلى لأجازيه على فعله وأقدمه تقدمة للنار وأمرها أن تذيب جسده في الحال ولهذا أوصيك أنت أيضا أن تترك لرجالي الغنائم التي يغنمونها والأموال التي تصل أيديهم اليها وأن تبعث لي مع منكوخان الجواهر الموجودة مع الفرس التي ذكرت أنهم جاءوا بها من أماكن متعددة والأمان والسلام لمن أطاعني وعبدني وأعترف بقدرة نيراني . والويل والعذاب لمن عصاني وخرج عن طاعتي ولم يعترف بقوة مجدي وسلطاني .

ولما قرأ الوزير يداخطل هذا الكتاب لعن الجميع في قلوبهم الملك جهان وتعوذوا به من العزيز الرحمن . إلا أن الملك قيصر أظهر فرحه ومسرته وشكر من أعماله ومدحه المدح الفائق وعمل وليمة فاخرة لمنكوخان وفي كل ظنه أنه قادر على كبح الايرانيين ورد جماحهم وكيدهم وكان بعد المواعيد الفارغة ويتعهد له أنه من أول واقعة يأمر أولاده بالبراز واحدا بعد واحد فيفضحون جيوش الفرس ويبددون فرسانها وأبطالها وإذا اقتضى الأمر وكان بين الأعداء من قدر أن يثبت أمامهم برز هو إلى الميدان وأنزل على الجميع العذاب والهوان . ومن كلامه هذا كان الجميع بفرح وحبور لاسيما طيفور فانه تقدم من منكوخان وتقرب منه ومدحه ومدح سيده وأظهر رغبته في عادته وطلب اليه أنه بعد الفراغ من القتال يأخذه معه ليقدم اليه طاعته ويعترف بألوهيته وعظمته فوعده بكل جميل وخير وأقاموا

على انتظار وصول الايرانيين لينزلوا بهم الويلات والعذاب غير أن الشاة سروركان كما تقدم معنا الكلام قد ثبت بعقله كل الثبوت ان لا ملك من ملوك الدنيا يقدر على الفرس وأن لا فارس من فرسان ذاك الزمان يقدر أن يقف أمام فيروزشاه ولهذا لم يؤخذ بكلام منكوخان ولا اغتر بعساكره وأبطاله وترجح فى ذهنه أنهم لايثبتون أمام الملك ضاراب ورجاله يوما واحدا لعلمه ان السعادة قد وافقتهم على اللقاء معهم والطاعة لهم والله قد خصهم بكل المزايا الحسنة الكريمة وجمع كل الشجاعة وخصهم بها وخص فيروز شاه وبهزاد ببسالة واقدام عجيبين لا يمكن أن يقف أمامهما فارس قط من فرسان العالم غير أنه كان صابرا على أمره مكدرا من غياب بنته يتمنى أن يكون فى يده وتحت أمره ليعدها بفيروزشاه ويطلب اليها أن تصلح بينهما وتطلب له العفو من الملك ضاراب . ومن العجب أنه عندما صفا باطنه وطاب قلبه لم يعد فى وسعه الوصول إلى بنته وهذا الذى كان يقلقه لتأكده أن الملك ضاراب سيفوز على الرومان ويتملك بلادهم ويقع هو فى يده وما من شافع يشفع له عنده غير حلمه ومحبة ولده لابنته وعليه فانه بقى صابرا على دهره منتظرا خبر ظهور بنته وهو يؤمل أن تظهر لفيروز شاه ويتملكها

قال فلنترك الرومان وشأنهم وماهم عليه من أمرهم ولنرجع إلى الملك ضاراب فانه بقى صابرا نحوا من شهرين على شفاء بهزاد حتى عاد إلى ما كان وقدر أن يعلو الجواد ويقل السلاح ولما رآه على تلك الحال وتأكد بعينه شفاءه وانه لم يعطل من جسمه عضو فرح مزيد الفرح وأمر أن يجعل يوم صلاة وسبح لله من كل جيشه من الكبير إلى الصغير وأن يشكر الجميع الله على منته وسماحه بقيام بطل الفرس وجبارهم فأجاب الجميع أمر الملك ورفعوا ادعيتهم لله سبحانه وتعالى وأبدوا له شعورهم بنعمته وفضله عليهم وكان لأدعيتهم ولصلاتهم غوغاء وضوضاء من الصباح إلى المساء وما من واحد امتنع أو ترك الصلاة . ثم أمر أن يصوم الجميع يوما آخر لله عز وجل وأن لا يذوق أحد منهم طعاما أو شرابا ففعلوا وكان تأثير ذلك فيهم عظيما من خضوع وخشوع لعزته تعالى . ولما فرغوا من ذلك وقدموا ما هو متوجب عليهم أمر الملك ضاراب أن يحتفل بوليمة ثلاثة أيام من نفقة خزينته تقام بها التهانى لبهزاد وأن يأتى كل فرد لتهنئته بالسلامة فجرى ذلك وانتشرت أسباب الحظ والهناء فى كل الجيش ودار الغناء والرقص حتى لم يكن قد سبق مثل ذلك فى جيش الفرس وكل رجل من المجتمعين فى ذاك المكان حضر لبهزاد وهنأه بالسلامة وهو وإن كان مسرورا بحب الملك وفرحه وفرح رجال فارس أجمعهم بسلامته إلا أنه كان مكدرا من غياب أخيه فرخوزاد ويرى ان كل هذه الاحتفالات لا تنفع

بشىء فى جنب الوقوف على خبره ولما انتهت مدة الاحتفال أمر الملك ضاراب بالتأهب للمسير إلى مدينة الملك قيصر لمحاربته وبعث بعياره شبرنك يكشف له خبر الأعداء ومقدار عددهم وفى أى جهة نازلين وهل هم خارج المدينة أو داخلها وهل بنيتهم القتال أو مزمعون على الحصار فسار شبرنك وغاب مقدار يومين وكان وصوله إلى المدينة يوم وصول منكوخان بعساكره ورأى كل ما كان من أمره وعرف ما لزمه معرفته وعاد إلى ملكه فأخبره بكل ما رأى ونظر وقال له انى نظرت الجيوش قائمة فى ضواحى المدينة على أهبة القتال وهم بالانتظار وقد أفرز مكان مخصوص لرجال الصين واحتفلوا بهم مزيد الاحتفال فلم يهتم الملك ضاراب لهذا الأمر وقال لا أخاف رجال الصين ولا الهند مادمت متكلا عليه تعالى وعندى من الفرسان ما يوجد نظيرهم فى غير مكان . وبعد ذلك أمر عساكره بالركوب على الترتيب والانتظام وأن تسير كل راية فوق قائد من قواده وكل قائد يقود جيشه على حدة فكان ذلك وبأقل من الزمان تحركت ركاب الملك ضاراب من أرض أم الروض وسارت رجاله متقدمة إلى جهة البلد تطلب القتال ونهاية هذه الحال . وبقوا فى مسيرهم يوما كاملا حتى أشرفوا على المدينة وشاهدوا عن بعد أبنيتها وأسوارها وهى ذات أبنية فاخرة وقصورها شاهقة لم يروا قط مدينة أنظم منها ولا أجل منظرا ورأوا فى خارجها الجيوش وهى كالجراد المنتشر ولما وصل الملك ضاراب إلى مقابل الأعداء أمر عساكره بالنزول تجاهها وأن تضرب كل فئة خيامها إلى جهة من تلك الارض وتنصب عندها الرايات والأعلام فأجابوا أمره وضربوا خيامهم وسرحوا أنعامهم وفكوا خيولهم للراحة بقية ذاك اليوم على أمل أنهم فى اليوم الثانى يقومون إلى الحرب والقتال .

قال وكان لما بلغ وصول الفرس إلى تلك الجهات إذ ان الملك قيصر اشتاق إلى رؤيتهم فطلب الفرجة عليهم من على الأسوار فصعد مع منكوخان وبقية جماعته الأعيان ولما وصلوا على ظهر السور نظروا إلى القادمين فوجدوهم على ذاك الانتظام الذى سبق ذكره فى غير هـــذا المكان وكان إلى جانب قيصر طيفور يسأله عن كل فارس بمفرده ورأى فى المقدمة سيامك سياقيا حافظ مقدمة الجيوش تحت الراية المعهودة به ورجاله كلهم بالمجنات وعلى أكتافهم القسى والكنانات . وقد أخبره طيفور أن هؤلاء رجال السهام وأنهم يرمون بها برشاقة لا توجد بغيرهم من فرسان هـذا الزمان ولا يمكن أن تخطئ سهامهم . وأخذت أن تتقدم من الفرسان والشاهات وهو يعددها ويصفها ويذكر بسالة مقدميها حتى أرام الملك ضاراب وهو تحت راية الأسد والشمس تخفق بالهواء وعلى رأس العـــلم جوهرة كالنبراس تتقد

عن مسافة بعيدة بما يبهر النواظر وعن يمين الملك ضاراب وزيره طيطلوس وعن شماله دوش الراى وبين يديه فارس فرسان ذاك الزمان وسيد الأبطال والشجعان من سأله عن اسمه جامد الصوان . فيروز شاه . عروس الميدان ولازال يصف له حتى وصل إلى المؤخرة ونظر بهزاد شاه محفوفا بسبعين الف من رجال الفرس الأشداء فقال طيفور للملك قيصر وهذا ياسيدى بهزاد الذى قتل خرطوم وأسر تمرتاش وهو ابن فيلزور البهلوان بن رستم زاد حماة هذه الدولة وأبطالها وهذه الرتبة مخصوصة بهم وقد خصهم الله بالبسالة والاقدام حتى أنه يندر وجود مثلهم بين رجال الصدام كل هذا ومنكوخان ينظر ويسمع ويبتهج من هذه العظمة ومن هذا الفخر الذى اعتادوا عليه رجال الفرس وهذا الترتيب وكيف أنهم قسموا إلى قسم وفرق وسلمت كل فرقة إلى قائد ومن ثم عادوا عن الأسوار يصدرون الأوامر إلى فرسانهم بالاستعداد والتأهب إلى صباح اليوم الثانى .

ولما كان صباح اليوم الثانى نهضت العساكر من مراقدها وعمدت إلى أسلحتها فتقلدتها وجاءت خيولها فركبتها وانتظرت أوامر ساداتها وفرسانها لتعرف على أى وجه يكون القتال وركب الملك ضاراب واحتاط به حرسه وركب فيروز شاه فوق كميته وهو يتمنى أن ينتهى القتال فى ذلك النهار فيهجر تلك الارض ويسير فى تلك الارض ويسير فى البرارى مفتشا على عين الحياة فى كل مكان وركب بهروز وتقدم وفعلت مثله جميع الفرسان والأبطال ومثل ذلك صار فى عساكر الأعداء فقد ركب منكوخان بأولاده وأمر أن يبرز أحدهم فى ذلك النهار ويطلب من رجال الفرس فرسانهم وأن لا يعود حتى يقتل فيهم مقتلة عظيمة وركب الملك قيصر بالعظمة والجلال ورفعت فوق رأسه الرايات الرومانية وبين يديه تمرتاش وجماعة الحراس والخدام ولما اصطفت الصفان وترتب الفريقان .

وعدت الفرسان على الهجوم وإذا بأصغر أولاد منكوخان قد انحدر إلى الميدان ولعب فيه ذهابا وإيابا ومن ثم وقف فى وسط الميدان وصاح معلنا باسمه وشرف نسبه وطلب براز الفرسان فاستعد الأمير سيامك وعول على أن يبرز اليه وإذا به يرى قد خرج من أطراف الجيش الفارسى فارسان ملثمان وقف أحدهم فى الوسط بين الفريقين بعيدا عن المجال والثانى صاح وانحدر إلى ابن الوزير وأخذ معه فى القتال والصدام قال وكان فيروز شاه والملك ضاراب وبقية أبطال إيران قد شاهدوهما ولم يعرفهما أحد منهم وتاقت أنفسهم إلى الاطلاع على أخبارهما ومن أين جاءوا ولاسيما لما نظروا ان الذى صدم ابن الوزير هو من الأبطال الشداد وانه عارف بفنون الحرب والقتال حق المعرفة ثابت الحيل والقوى وضاق صدرهم من ذلك وفى

الحال أمر فيروز شاه عياره بهروز أن يتقدم من الفارس الواقف فى نصف الميدان منفردا عن الفريقين ويسأله عن حاله ومن أين أتيا فسار حتى قرب منه وقال له إن سيدى فيروز شاه قد أشغله أمركما ولم يعرفكما ولذلك بعثنى لأسألك عن نفسك فمن أنت ومن رفيقك ومن أين جئتما . قال سر إلى سيدك واخبره أننا من أحقر عبيده ومن لا تنكر فضله ولا ننساه فهو علة راحتنا وسيد رقنا فأنا هو قاهر شاه وهذا الذى فى القتال هو أخى قادر شاه . فلما سمع بهروز كلامه عاد راجعا مسرورا بهذا الخبر لعلمه أن سيده يسر منه لأنه كثيرا ماسمعه يذكر هذين الاسمين ويتشوق لملاقاة صاحبيهما وعند ماوقف بين يديه أطلعه على ماسمعه من الفارس فصفق استبشارا وفرحا وتحقق عنده الخبر بما كان يراه من قتال قادر شاه وتقاطيع جسمه وشكر الله على عوده اليه بعد أن كان قد تركه فى الجزيرة يضرب فى الطبل لخلاصه وقد فداه بنفسه وقبل الهلاك فى سبيل حياته وتمنى أن يعرف كيف خلص من ذاك المكان ووصل إلى أخيه حتى جاءا معا وأقام ينتظر عودتهما من ساحة الميدان ليسلم عليهما ويسألهما وعما كان منهما بعد مفارقته لهما .

قال وأما قادر شاه فانه أخذ مع ابن الوزير فى الطراد وأشعلا نار الحرب ذات الاتقاد وكأنه من معرفة فنون الحرب فى درجة واحدة ومن المقدرة والشجاعة فى ميزان واحد ولذلك طال بينهما المطال . وعملا على تلك الحال وبقيا بالكر والفر إلى قرب الزوال دون أن ينال أحدهما من الآخر منالا وإذ ذاك ضربت طبول الانفصال ورجع الاثنان إلى الخيام لأخذ الراحة والمنام ولما عاد قادرشاه إلى جيش الايرانيين مع أخيه لاقاهما فيروزشاه وسلم عليهما وأظهر مزيد فرحه بهما فقدما له الشكر والامتنان وعادا معه إلى صيوانه ونزعا عنهما ثياب السفر وأكلوا من الطعام حتى اكتفوا وبعد ذلك أخذهما إلى أبيه بينما كانت الفرسان والابطال تتجمع عنده لصرف السهرة كالعادة ولما وصلا بين يدى الملك ضاراب وسلما عليه وقبلا يديه ترحب بهما وأمرهما بالجلوس فجلسا وبعد أن استراحا سألهما الملك عن حالهما وعن سبب مجيئهما إلى المعسكر والقدوم إلى نجدته وإذ ذاك تقدم فيروز شاه من أبيه وقال له اعلم ياأبى أنى حكيت لك قبلا عند خروجى من إيران إلى تعزاء اليمن انى لقيت اثنين فى قلعة يدعى أحدهما قاهرشاه والآخر قادرشاه وحكيت لك أيضا قصتهما مع عمهما وكيف أنى أجبرته إلى زواج قاهر شاه بنته وان قادر شاه سار معى إلى الجزيرة المطلسمة حيث أوصلنا المركب هناك وعند ماطلبنا الخروج أقام قادر شاه بضرب الطبل حبا بخلاصى وقد قبل بهلاك نفسه أملا بذلك وبعد أن فارقته لم أعد أعرف ماذا جرى عليه وهاءنذا الآن الأخوان قد وصلا الينا بعد

أن اجتمعا ببعضهما ولا أعرف شيء من قصتهما وأريد أن يطلعنا قادرشاه على قصته وسبب نجاته من تلك الجزيرة فقال الملك ضاراب انى أتذكر ذلك ولا أنساه وطالما فكرت به وشعرت بمعروف قدر شاه وجميله معك وأحب أن أعرف من الذى خلصه من ذاك المكان وأطلب اليه أن يحدثنا بقصته لنصرف السهرة فيها ونعرف كيف انتشله الله من ذاك الخطر المبين فأجاب قادرشاه طلب الملك ضاراب وأخذ أن يحدثه بقصته بعد غياب فيروز شاه وما جرى عليه من الأمور والأحوال. قال :

انه بعد أن فارقنى سيدى فيروز شاه وأنا أضرب على الطبل كل ذاك النهار حتى ثبت لدى نجاته وبعده قد غاب المركب عن نظرى وبقيت وحدى فى تلك الجزيرة وحينئذ شعرت بثقل الوحدة ولم يكن الخطر والموت على تلك الناحية قد فعل بقلبى بقدر مافعل فى فراق فيروز شاه وبعده عنى وحرمانى من القيام من خدمته بحسب مشتهاى ولذلك بكيت بكاء الثواكل وكان الزاد والمؤنة عندى كثيرة إلا أنى كنت لاألتذ بالأكل فما كنت آكل إلا قليلا وأصرف بقية الوقت بالذكر والنظر فى سبيل الخلاص على أن أجد طريقة أنجو بها من الجزيرة وأعود إلى إنفاد غاياتى من خدمة الذى فعل معى الجميل وأحيى لى أخى وأنقذنى من ظلم عمى على غير معرفة منه وعوض أن يقابلنا بالقساوة والانتقام أظهر نحونا من رقة الجانب والدعة والمساعدة ماتركنا حتى الساعة نشكر من فضله ولما أمسا المساء فى تلك الناحية اشتدت على الحال وتكدرت جدا ولم أكن أرى قط أنيسا يؤانسنى بل كنت أرى الطيور تلق عليها مع اختلاف أجناسها وصفاتها فمن بواشق جارحة وغربان ناعقة ورخاخ كبيرة وماشابه ذلك مما أقلقنى وأرعبنى ولم أنم كل تلك الليلة بل بقيت مستيقظا أضرب أكثر الأحيان بالطبل كى لا تقرب منى تلك الطيور ولتعلم انى حى وقد خفت إذا نمت تظننى ميتا فتحوم على لتأكل لحمى وثبت عندى ذلك لأنها ما كانت تلق إلى تلك الجزيرة إلا لهذه الغاية أى لتأكل من لحوم الذين يسحبهم الطلسم بالرغم عنهم ويموتون هناك وكان يترجح لدى كثيرا انه لا تمضى أيام إلا وأدفن فى بطون تلك الطيور . وكان أكبر شيء يخيفنى وحسبت له حسابا أن الشجرة التى كنت تحتها كان قد نزل عليها طير من الرخ كبير الجثة هائل جدا بحيث أن الشجرة مع ضخامة ساقها مالت من وقوعه عليها وملأها من كل جهاتها وما قطعت ذاك الليل حتى تضايقت كل المضايقة ولاقيت أصعب المصاعب وأشد المصائب وعند ما أخذ نور النهار فى ان يتقدم متدرجا إلى كنت أسر وافرح ولا سيما عندما رأيت تلك الطيور اخذت فى ان تهاجر راحلة عنى واكثرها ينظر إلى نظر الحنق والغيظ كيف انها لم تقدر ان تسطو على فى ذاك اليوم وكيف ان

الحياة ساعدتنى عليها فانقذت منها ولا ريب أنها كانت تعد نفسها بي وتعلم أن لاخلاص لى من الجزيرة فأموت عليها ومن ثم تعود إلى انفاذ مآربها بي وتمزيق جلدى احتداما وبعد أن أقفرت الجزيرة من كل ذى نفس غيرى وارتفعت من فوق رأسى تلك الغمامة السوداء التى كانت تظلل قسما ليس بقليل منها أى أن طير الرخ الكبير الذى كان قائما أعالى الشجرة بارحها وغاب وانقشعت من بعده الأنوار جلية واضحة ولما خلا بي المكان وبعد عنى الخطر الذى كان قريبا منى يتهددنى شعرت بافتقارى إلى الراحة فاتخذت حجرا هناك مأخذ الوسادة وغرقت بنوم ثقيل قلت به أكثر من ثلاثة أرباع النهار ثم استيقظت من النوم مرتاحا كل الراحة وإذا بسلطان الجوع يحاربنى فعمدت إلى الطعام فأكلت حتى اكتفيت ومن ثم أخذ الليـــل ينشر سواده شيئا فشيئا ويلف النهار سجاف نوره وعادت إلى الهموم وعاودنى الخوف والكدر وقد بدأت الطيور تلفى طائفة بعـد طائفة وهى مرسلة أصواتها المتنوعة فى ذاك الفضاء فيتألف منه عجيج وضجيج كأن يوم القيامة قائم . ثم اسودت الارض من حولى بغتة وشعرت بثقل وبمح قوية انبعثت من وقوع ذاك الطير على تلك الشجرة فكان قد وقع على قلبي وجاءنى الخوف ثانيا كالأول وصرفت تلك الليلة كالليلة الأولى سائلا منها قدوم الصباح وحلوله . إلى أن جاء بياضه يظلل بقايا سواد الليل فنمت إلى العصر وقمت فأكلت وشربت وهكذا كانت حالى مدة قيامى على تلك الجزيرة وكان يخطر لى أحيانا أنه لابد من وقوع مركب ثانية عليها فيبعث لى الله من عالم غيبه من يسليني أو يقوم مقامى بدق الطبل فأنجو من الموت الذى كنت انتظره يوما بعـد يوم وهـــذا الخاطر وإن كان ضعيفا ويطرق ذهنى بعـده كثيرا إنما كان يقوى من آمالى ويرينى من خلال المحال طرق الخلاص فقطعت نحوا من أسبوع على ما تقدم دون جدوى ولا نتيجة وفى آخر ليلة من قيامى على تلك الجزيرة عاودتنى الأفكار وتراكمت على فعدت أنقل من قليلها إلى كثيرها ومن كثيرها إلى قليلها حتى فكرت أنى كنت أسمع بالحكايات العجائزية وقوع أناس على مثل هـذه الجزيرة وطرق ذهنى أن أحدهم تخلص بواسطة طير الرخ وتذكرت أيضا أن هـذا الرخ قوى يحمل الانسان من مكان قريب إلى مكان بعيد دون أن يشعر بثقله أو يضربه . وإذ ذاك تقوت آمالى وبان لى وجه الخلاص جديد . وقلت فى نفسى إنى هالك لامحالة فبقائى على ماأنا عليه عين الخطأ والغلط وأنه وان كان خلاصى بواسطة هذا الطير لايخلو من الخطر والضرر إنما ذلك أخف بكثير من تقاعدى عن النظر إلى الطرق المؤدية إلى الخلاص وإن من اللازم على أن أختار أخف الضررين . وثبت فى ذهنى كل الثبوت انى إذا

تعلقت بهذا الطائر يحملني فيلقيني إلى غير ذاك المكان ربما يكون هناك عالم وأناس أعيش بينهم أو اذهب عنهم إلى بلدى وعند ذلك عدت إلى إجراء ما خطر لى وتسلقت الشجرة شيئا فشيئا حتى قاربت رجلى الطير فأقمت منتظرا تحريكه لأتعلق بهما وبقيت على هذه الحالة إلى أن كان الصباح فأرسلت كل يد من يدى إلى رجل من رجليه وسألت مساعدتى من الله سبحانه وتعالى أن يتم لى أمالى ونجاتى ولما شمر ذاك الطير المعظم فى صفق بجناحه واخترق الجو سائرا بى وأنا مدلى بالخلاء. وقد نظرت نفسى راكبا خطرا كبيرا لارتفاعى عن اليابسة بضعة أميال وكنت أتصور أن كل ماهو تحتى بحار وماء ولم أقو على أن أنظر إلى الأسفل خوفا من أن تلعب برأسى صفراء الوهم فتغيب بى عن الهدى وتضعف من قوتى فاترك مخلصى وأهوى إلى الأعماق ويعلم الله ماذا كان يحل بى ولهذا كنت موجها بكل قواى إلى أن أبقى متمسكا بأرجل الطير ومرسلا بكل أفكارى إلى جهة الخلاص وانه سيلقينى فى مكان ربما يكون سبيلا لحياتى وخلاصى وهكذا صرفت نحوا من نصف ساعة حتى أخذت يداى فى أن تتخدرا وشعرت بضعفهما وخفت من أن يطيل الطير طيرانه فيرمينى الضعف بالرغم عنى الا أن هذا الأمر لم يطل كثيرا لأنى نظرته قد عرج إلى جهة جبل هناك وأخذ فى الوطوء والنزول حتى استقر على رأس الجبل وما من وقت فرحت به زمانى بطوله أكثر من ذاك لأنى نظرت إلى نفسى وقد تخلصت من الموت وعدت إلى الأرض اليابسة وترجح عندى أن لا بد بعد هذا الجبل من وجود أناس اقدر أن استأنس بهم وأتوصل منهم إلى بلادى أو إلى بلاد فيها سيدى فيروزشاه

وسبب هذا الفرح هو أنى كنت أفكر فى الأول أن الزمان لم يعد يسمح لى أن أتشرف بالمسير فى ركابه مرة ثانية فلما وقعت رجلاى على قمة ذاك الجبل طرق فكرى قرب وصولى منه فارعب قلبى مسرة عظمى وفى الحال تركت رجلى ذاك الطائر وصفقت بيدى أى بشدة فنفر منى إلى جهة ثانية وحينئذ أخذت فى النزول عن ذاك الجبل وأنا أفكر فى حالتى فى الجزيرة ولا أقدر أن أعرف المسافة التى سارها بى مخلصى الطائر العظيم انما على ما أظن قد يمكن أن تكون مسافة عشرة أيام على الأقل . وبعد أن انتهيت من الجبل وصلت الى سهل يتخلله عدة طرقات أحيت بى الآمال والرجاء وثبت عندى أن هذه الطرقات هى لأناس يقصدون ذاك الجبل للاحتطاب أو لغايات أخرى فاستلمت طريقا من هذه الطرقات وسرت فيه كل ذاك النهار حتى المساء وسرت نحو ساعة من الليل فتبينت أنوارا عن بعد فأملت مصادفة الناس وان لا بد هناك من قوم يشغلون تلك الأنوار فسرت نحوها وانا لا اصدق انى اصل اليها وأرى من فيها وقطعت تلك الليلة

سائرا ولم أقرب من المدينة الا عند بزوغ شمس اليوم التالى وعند ما دنوت منها وجدت جماعة خارجين منها وهم من الآدميين فاتيت نحوهم وانا بفرح لا يوصف وسلمت عليهم بلغتى فلم يفهموا منى شيئا بل نظروا إلى متعجبين منى وأشاروا إلى اشارة السلام فعرفت أنهم لا يعرفون بلغتنا وأمعنت النظر فيهم وإذا بهم كلهم عور وليس فيهم ذو عينين فتعجبت من هذا التصادف الغريب وقلت فى نفسى لا ريب أن سكان هذه المدينة كلهم عور ومن ثم أخذونى وعادوا بى فى أسواق المدينة يقصدون ملكهم وهكذا كان فانى ما صادفت أحدا فى طريق الا وكان أعورا أى بعين واحدة . ولما وقفت بين يدى حاكمهم نظرت فيه فاذا هو مثلهم وكامل رجال ديوانه نظيره فاخذتنى الدهشة وعجبت من هذا الامر وأظهرت خضوعى للملك والقيت عليه سلامى بالاشارة فأجابنى ثم دعا برجل غريب كان حاضرا فى قصره يعرف اللغات الاجنبية لحضر بين يديه فأمره أن يسألنى عن حالتى فحكيت له كل ما كان من أمرى فى الجزيرة المطلسمة حتى وصلت اليه فأظهر على نفسه الاندهاش من تعلقى بالطائر حتى تخلصت وأمر لى بعد ذلك بالطعام فأحضر لدى وأكلت منه أكلا ذريعا لانى كنت جائعا وكان أكثره من الفاكهة اللذيذة وبعد أن اكتفيت أمر لى بالجلوس إلى جانب الترجمان . ثم أمره أن يخبرنى ان لا أتعجب من وجودهم على هذه الصفة بعين واحدة فانهم لم يكونوا فى الأصل كذلك بل يلدون صحيحى الأعين انما تسلط عليهم جماعة من الطيور فتفقء أعينهم ولا تنفك عنهم وإذا تخبأ الواحد منهم داخل بيته سنينا وأعواما لا ينجو من شرها لانها تطوف حول البيت ولا تترك أحدا يدخله حتى يسهل لها طلبها وأن لا بد فى الغد أن أصبح مثلهم ومن الأمر الغريب أن تلك الطيور متى أكلت عين الانسان لا تعود مرة أخرى إلى التعرض له ولا تضر بعينه الباقية وعليه فقد اعتادوا منذ القديم

انتهى الجزء الرابع والعشرون ويليه الجزء الخامس والعشرون

الجزء الخامس والعشرون

من قصة فيروز شاه بن الملك ضاراب

أن يقدموا أولادهم فتأخذ عينا وتبق الثانية . فسألت الترجمان وكان مثلهم أعور وهل أنت وقع عليك ماوقع عليهم . قال لى إنى كنت مسافرا فى قارب لى فسحبتى الرياح إلى هذه الجزيرة مع قاربى فنزلت إلى البر ودخلت بين هؤلاء الجماعة فجاءنى طير وفقأ عينى فتألمت فى البداية إلا أنى وجدت أخيرا سلوى بقيامى بين هؤلاء القوم وقلت فى نفسى ليس من العدل أبق بينهم دون أن أكون أعورا مثلهم وقد قيل فى المثل (إذا وجدت بين العوران فاقلع عينك) وقد أنستى راحة المعيشة بلدى ووطنى واخترت القيام فى هده المدينة لأنى مكرم جدا من ملكها ومن أهلها جميعا . فقلت له ان ما أسمعه هو من العجب كيف ان الطيور تسطو على الانسان مع أن الله سلطه عليها وأعطاه السلطان الأول وهو العقل للتدرب والتدبير والتخلص عند الوقوع فى الشدائد فهل لم تروا وسيلة لرفع هذه المضرة عن المدينة وقتل تلك الطيور وتنفيرها عنكم . فأخبر الملك بقولى فقال ان ما من وسيلة تقدر بها تتغلب على هذا العدو الألد وانى أبذل كل ما فى وسعى وما فى يدى إذا بعث القدر لنا من يهدينا إلى طريقة تدفع عنا هذه المصيبة . ففكرت فى نفسى وخفت من أن يصيبنى نفس ما أصابهم فأمسى مثلهم بعين واحـــدة وعمدت إلى استعمال الوسائط لقهر هذه الطيور فلم يطرق على فكرى إلا أن اتخذ لى قوسا أوتر به سهما وأرمى به كل طير يدنو منى وكنت عارفا برمى السهام وعندما خطر لى هذا الخاطر ترجح فى ذهنى الفوز فأطلعت الملك أن يسمح لى باتخاذ طريقة لهلاك هـذه الطيور ففرح جدا وأمر الترجمان أن يلازمنى وأن لا يفارقنى ويقدم لى كل ماأنا باحتياج اليه ففعل وخرج معى بعد أن أوصانى الملك بالرجوع اليه فى المساء للمبيت عنده كى يقوم باكرامى

وبعد أن خرجت من بين يديه ذهبت إلى البرية وأخذت من الرياض قوسا وجعلتها بوتر وأحكمت صنعها وأتقنت عملها وأتيت بعدة أسهم حددت رؤوسها على حسب ما أريد وجربت القوس والسهام فاذا هى على أتم المراد لا تخطىء قط ففرحت بنجاح مسعاى ولم يعد لى إلا أن أستعد لملاقاة العدو فأقمت يومين فى

بيت الملك وأنا على الاكرام والترحيب منتظرا اليوم الذى تلق به هذه الطيور تتفقد المدينة وتنظر من يلد فيها جديدا ولم تفقأ عينه . وكان لهذا الملك بنت بيضاء الوجه يخالطه حمرة وقوامها لم يكن أقل لدونة من العوالى وكل مافيها كان كامل إلا أن ذهاب عينها كان يشوه وجهها . فلا يميل اليها القلب وعندما رأتنى آنستنى وترحبت بى وأظهرت ميلها إلى وقالت لى ياليتك تبق كامل العينين فتبق فتنة للناظرين فلحظت منها غايتها وانها تتحبب منى وترغب فى فحسبت لذلك حسابا وخفت من الوقوع بمصيبة جديدة تمنعنى عن السفر من تلك المدينه إلى بلادى وأنا فى شوق لذلك إلا أنى صبرت منتظرا أبواب الفرج الى أن كان اليوم الثالث وإذا بالطيور قد أقبلت فأخذت السهام واوترت واحدا منها واطلقته على المتقدم فأصاب كبده وصاح متوجعا ووقع إلى الأرض فاسرعت إلى سهم آخر واطلقته على آخر فاصابه وقتله وكان كثير من الجموع وقوفا يرون عملى ففرحوا بى جدا وجعلوا يصفقرن بأيديهم ويرون عملى بتعجب وانا ارى من تلك الطيور حتى نفرت وتفرقت وشرد مابقى منها إلى جهة الجبال ودنا منى الملك وقبلنى وسألنى ان اعلم بعض رجاله هذه الحرفة حتى اذا تعلموها تغلبوا بها على هذا العدو فيما بعد إلى الأبد فيخلصون من شره فاجبت طلبه ودفع إلى عشرة رجال فعلمتهم كيف يصنعون القسى والسهام ثم علمتهم الرمى وجربوا امامى مرارا وقد وضعت لهم مرمى يرمونه بها ولما صاروا يحسنون الرمى فرحوا جدا وصاروا فى كل يوم يتمرنون من أنفسهم ويعلم بعضهم بعضا كل ذاك الاسبوع ولما كان الاسبوع القادم عادت الطيور فتجمعت وجاءت منتقمة منى وقد دعت لمعونتها كثيرا من ابناء جنسها بما كاد يحجب عين الشمس فاسرعت إلى سلاحى ووضعت السهام بين يدى وجعلته أصيب بها قلوبها واكبادها وفعل مثلى الذين تعلموا رمى السهام من المدينة فقتلوا كثيرا من الطيور ولم يبق الا القليل فشردوا كالأول خاسرين وعدنا نحن ظافرين وقد ثبتت لدى الملك ان من يلد فى تلك المدينة منذ ذلك الحين يبق على عينيه وقد دفع عنهم هذا العدو دفعا كاملا ولم يعد من وسيلة له عليهم وإذا عاودهم مرة ثانية عاملوه بالقتل والطرد وعلى هذا وقعت من قلب الملك وسكان المدينة موقعا عظيما وجعلوا يدعون لى ويترحبون بى ويكرمونى مزيد الاكرام وكان اشدهم حبا لى بنت الملك وقد ثبت عندها انى ابق على حالى فلا يشوه وجهى العور وان لا ترى لها زوجا فى قومها غير اعور فصرفت كل غايتها فى مراضاتى وكانت فى بداية الأمر تستعمل الاشارة فى حديثها معى إلا انى اخيرا تعلمت بعضا من لغتهم فصرت افهم كل ما يقولونه لى واقدر ان افهم كل ما اريده وهذا سرها جدا وجعلها ان تكاشفنى بحبها وطلبت الى

ذات يوم أن أوافق أبيها إذا طلب إلى أن يزوجني بها لأنها سألته بذلك فقبل به وأجابها اليه ووعدها أنه يزفها على فلما سمعت منها كلامها وقعت باليأس والكدر لأني كنت لا أحب أن أبقى بتلك المدينة ولا يطرق فكرى قط أمر الزواج بل كانت كل أفكارى موجهة الى إيجاد وسيلة للفرار من تلك المدينة والبعد عنها . فقلت لبنت الملك هذا لا يكون الآن ولا بد من إجرائه غير أن من اللازم أخبره لبينما أكون قد عرفت كيف أقدر أن أعيش بينهم قالت إن أبي وعدني أنه يقيمك بين رجاله ويقدمك على الجميع وتكون لك رتبة فوق كل رتبة من بعده وأنت تستحق ذلك لأنك خلصت بلاده ورجاله مما كانوا واقعين به قبلا . ولما نظرت إلى إلحاحها تكدرت فى داخلى ولم يهن على أن أعدها وأعاهدها أو أجيبها بشيء مما تطلبه بل سكت صابرا على حكم القضاء وما يفعله بى الزمان ولم يكن يهمنى ويشغلنى إلا فكر واحد هو وصولى إلى بين فيروزشاه ولهذا كنت أتشاغل عن كل شيء وأكره فى كل شيء ولا أرضى بغير النظر فى الطريق الموصلة الى بلادى وكنت لا أرى طريقة للفرار من تلك المدينة ولا سبيلا للعاد عنها إلا من جهة البحر وقد تذكرت أن الترجمان كان قال لى انه كان فى قارب فحمله البحر إلى هذا الشاطىء .
وقلت فى نفسى لا بد أن يكون ذاك القارب باقيا إلى هذا الحين غير مستعمل من أحد وعلى هذا اتجهت الى الساحل أفتش على غايتى وإذا أنا بالقارب فى ناحية من البحر متروكا غير ملتفت اليه ولا أحـــد ينظر فيه فتبين لى وجه الخلاص وعدت إلى المدينة وأنا أشغل فى تهيئة لوازمى وما أحتاج اليه فى سفرى إذا نويت على أن أركب ذاك القارب وأبعد عن تلك الناحية تخلصا من زواجى ببنت الملك إذا دعانى اليه

وبعد أن مضى على أكثر من شهرين وأنا فى تلك المدينة أتأهب وأتعدد وقد وصلت إلى شراع القارب ومجاذيفه وأعددت الماء كل اللازمة الكافية لى أثناء سفرى بالبحار وإذا بالملك قد دعانى وبش فى وجهى وتلطف بى كل الملاطفة وقال لى انى لا أنكر لك جميلا فعلته معنا ومعروفا أوصلته الينا ولهذا أرى نفسى مضطرا أن أكافئك على عملك وذلك بان أزوجك بنتى فهى تليق بك ولا تقبل بغيرك فاطرقت الى الأرض مفكرا بما أجيب فظن أن سكوتى هذا ناجم عن القبول والحياء بالتصريح فقال لى انى أعرف فيك الكمال واللياقة ولهذا لا تجيب عما يتردد فى فكرك وانى ساذهب من هذه الساعة إلى بنتى وأدعها أن تكون على استعداد لملاقاتك وسأعد الزفاف اللائق والأفراح وأنحر النحور وأجعل لكما يوم القران يوما لم يكن مثله قبل وحيث لم يكن لى من وريث ذكر يرث الملك من بعدى فاعهد اليك به وتكون أنت الحاكم على هذه

المدينه من بعدى فما اجبته بشيء وصبرت على حكم القضاء وفى نفسى أنى أنجو بعد أيام ولا أدع لبنت الملك مطمعا فى . وسار عنى الملك ظانا أن حيائى من الدخول فى مثل هذا الحديث منعنى عن التكلم وكأنه قد اقتنع من سكوتى بقبولى بزواج بنته وكنت ارى من نفسى أنى ملتزم بأن أراعى جانبه وأن لا أرجع طلبه بالخيبة وجعل ما كان يثبت لى أملى وجود القارب . فمتى سرت وبعدت عن تلك المدينة خلصت منها ولا يعود سبيل للرجوع اليها فابقى بعيدا عنها وأدع بنت الملك وشأنها ولا أعود أعرف ماذا يحل عليها . ولما كمل لدى كل شيء وصرت اقدر ان أبارح المدينة بدون ريب وطدت العزم على المسير فى الليل على القارب إلى ما شاء الله وهكذا كان فانى عند اشتداد الظلام حملت كل ما كان عندى إلى القارب وركبته لوحدى وخرجت من ميناء تلك المدينة على اكف الرحمن لا أعرف نهاية مسيرى إلى أى مكان وصرفت ما بقى من الليل سائرا حتى أشرق الصباح وكانت الريح موافقة لى فانطلق القارب يمخر البحر فارا من قباحة منظر أهل تلك المدينة وعند شروق النهار نظرت إلى الوراء وإذا أنا بعيد عن المدينة بعدا شاسعا ولم أعد أراها إلا قليلا فثبت لدى خلاصى وتأكدت أن أهلها لا يرونى وأنهم وان فكروا بهربى منهم وبلغ ذلك بنت الملك وحركها حبها إلى استرجاعى فلا يقدرون على الوصول الى وهكذا بقيت سائرا بأمان فرحا بما أعطانيه الله من المساعدة ومنحنيه من الالتفات وتأكدت أنه يقصد وصولى إلى بلادى وارجاعى إلى خدمة سيدى الذى نذرت على نفسى خدمته مازلت حيا ودمت فى القارب مسافرا ولدى كل ما تطلبه نفسى وتحتاجه من أسباب القوت والماء فكنت أجعل لا كلى أوقاتا معينة أترك القارب فيها ومن ثم أعود فأخدم نفسى واعتنى بقاربى وبقى القارب سائرا بى وكان البحر فى كل هذه المدة هاديا صافيا والارياح ساكنة ماجمة عنى إلى أن مضى على نحو من خمسة عشر يوما على ذاك القارب لم اصل إلى شاطىء ولا ملت إلى بر حتى سئمت نفسى من سير البحر وتعبت جدا من قلة النوم لانى كنت لا أنام إلا ساعة أو أقل فى كل يوم نوما متقطعا اختشاء من ان اصاب بمصيبة جديدة وتحسبا من ان تختلف معى الرياح ويضطرب البحر وانا غير منتبه لنفسى وصرت اشتاق من نفسى ان اصل إلى البر وارمى بكلى عليها ولا أعود مرة ثانية الى سفر البحر لاسيما وانا منفرد لا رفيق ولا انيس اصرف الوقت معه فكنت أرى اليوم سنة لا بل جيلا وخفت جدا من أن يطول الامر على ولا أصل على الشاطىء إلا بعد قطع اليأس والرجاء والضجر ومضت على خمسة ايام أخر حتى وصلت الى البر ففرحت جدا وشكرت الله على سلامتى ونزلت الشاطىء مسرورا واخذت من القارب كل ما

كنت احتاجه من الثياب والطعام واتكلت على الله عز وجل وجهرت فى البر أسعى إلى مدينة أو قرية أصرف فيها أياما الراحة والسكينة وسحبنى مسيرى إلى أرض واسعة كثيرة الأشجار يانعتها كأنها الفردوس فى أثماره وأظهارة ففرحت جدا وقلت لا بد من أن يكون خلف هذه الرياض قوم يسكنون .

وبقيت فى مسرى حتى تبين لى من خلالها قصر قائم شاهق فانعطف خاطرى لنحوه ونما بى الأمل إلى الراحة حيث كنت تعبا جدا مشتاقا لملاقاة بنى جنسى من أولاد آدم ولما وصلت القصر فرحت جدا وإذا أنا ببابه مقفلا فطرقته طرقات متوالية حتى سمعت حركة من الداخل ثم تبينت صبية عربية قد طلت من إحدى نوافذ الشباك وهى كأنها البدر فى الاشراق فلما رأتنى سألتنى عن حالى وماذا أريد فقلت لها انى غريب مسافر وقد تعبت من المسير فعرجت إلى هذا القصر أطلب الراحة عندكم يوما واحدا ومن ثم أعود إلى حالى وأكون قد استدللت منكم على الطريق الموصلة إلى بلد التجىء اليه فنزلت الى وفتحت الباب وأنا متعجب من جمالها ورقتها وقالت لى أنه لا يمكنك أن تنام هذه الليلة فى هذا المكان بل أجلس عندك فاتيك بما عندى من الطعام وأزودك ما يكفيك فى طريقك إلى أن تصل الى بلد من البلدان المجاورة وإذا أطلت المقام فى جانب هذا القصر قتلك صاحبه لا محالة لأنه ظالم غاشم فاتك لا يخاف الله ولا يراعى حرمة الانسانية . ثم سمعت أن تلك الامرأة قد تنهدت تنهدا عميقا من فؤاد مقروح وترقرقت فى أعينها دمعة مؤلمة جرح لها فؤادى وثبت عندى أنها مظلومة موجعة من صاحب القصر . فقلت لها بالله عليك أن تطلعينى على أمرك ولا تكتمى عنى أمرا واعلمى أن الله بعثنى اليك لأنقذك إذا كنت مظلومة من ظلمك فقالت لست أنت ممن يقدر على انقاذى ومساعدتى وأما قصتى فسوف أطلعك عليها . ثم تركتنى ودخلت القصر فغابت بضع دقائق ثم عادت الى بالطعام فوضعته أمامى وقالت كل وأرح نفسك بينما أكون قد أطلعتك على قصتى مختصرا وسر عن هذه النواحى فتنجو من الهلاك فقلت لها لا يمكنى قط أن امد يدى لطعام من طعامك قبل أن أقضى مرامك وأعرف أمرك وإذا كنت تظنين أنى لا أقدر على مساعدتك فتى عرفتى قصتى وثبت لديك أمرى تعرفين مقدرتى وقوتى . ثم شرحت لها قصتى من البداية إلى النهايه وهى تتعجب من أمرى ومن معاندة الزمان الذى أبعد عنى وطنى وبلادى وقالت لى إذا أنت ابن ملك قلت نعم وانى من الشاهات وسوف يظهر لك ذلك . فاطلعينى على امرك وكونى براحة بال فانى عزمت أن لا انام ولا آكل ولا اتحرك من مكانى قبل ان أفرج عنك وادفع ما يغيظك ويهينك . قالت ان قومى يسكنون فى بريه تبعد مقدار يوم من هذا القصر

ويبلغ عددهم نحو خمسماية نفس يعيشون من حراثة الأرض وزراعتها وابي هو الرئيس عليهم ولي اخان ذكران فقط بالقرب من مكان اقامتنا اى عن بعد نحو يومين إلى الجنوب مدينة شهيرة يذهب قومنا اليها فى السنة مرة او مرتين او ثلاث لأجل قضاء حوائجنا وما يلزمنا منها ولأجل بيع ما يتحصل لنا من محصولات الأرض ونحن مسروورون بهذه العيشة ولا عدو لنا وليس من سبب يكدرلنا راحتنا فكان من امرنا ان نصرف الوقت على الشغل فى النهار والراحة فى الليل وكان اخوى وابوى يحبوننى كثيرا ويعتنون بى ويهتمون بأمرى حتى بلغت اشدى وصرت كما ترانى فشغف بى ابن عمى وخطبنى من ابى فأجابه الى ذلك وعدت من ذلك اليوم لابن عمى وانا احبه حبا عظيما إذ لم يكن لى رجاء بغيره لاسيما وقد تأكدت انه سيصبح زوجى وكنت معتادة على معاشرته والقيام معه منذ الصغر غير ان الله سلط علينا صاحب هذا القصر وهو فارس صنديد وبطل شديد اسمه الرماح وعنده عشرة من الرجال فجاء قومي وسطا عليهم فلم يكن فيهم من يقدر على مقاومته او قتاله وأسر أبى وأخوى وعمد على قتلهم فاستجاروا به وصالحوه على ان يدفعوا بى اليه ومافعلوا ذلك إلا رغماعنهم وتأكدوا انهم إذا مانعوا قتلهم واخذنى بالغصب عنهم فاشتروا حياتهم بى إذ لا بد ان اكون نصيبه الأمير رماح المذكور وعد ان سلموني اليه واخذنى وعاد بى إلى هذا القصر وكان ذلك منذ ثلاثة ايام فوضعنى فيه دون ان يقرب منى وهو فى كل يوم يذهب الى الصيد مع رجاله فيصطاد الوحوش والغزلان والطيور فيأتى بها فى المساء تهيئة لهم ولطعامهم فاطبخه

وقد سمعته يقول لجماعته انه لا يقرب منى مالم يعد إلهم وليمة كأنه يريد ان يعمل لنفسه عرسا واحتفالا واما انا فأنى مقهورة من نفسى محزونة على ابن عمى اكره هذا الرجل واتمنى له الموت لأنه لايعرف الله ولا يراعى حرمة الانسانية ولولا املى بنجاة ابى وخلاصه من يده لما وافقته على مقصده بل كنت قتلت نفسى وعدمت الحياة إلا أنى اخاف على حياة ابى واخوى فهم لايقدرون عليه ولايستطيعون مقاومته فاذا عاندته وابعدته عنى وقطعت رجاءه منى عاد إليهم فانتقم منهم ولذلك ترانى حزينة كئيبة لا اسأل خلاصى إلا من الله سبحانه وتعالى . اما انت فلست فى حاجة لأن تخاطر بنفسك لأجلى فربما كان اقدر منك فيفتك بك وتكون أهلكت نفسك بيدك لأجل عمل المعروف مع من لايهمك امرها وانى لا اريد ذلك اختشاء من ان يصل اليك اذى بسببى فاكون كأنى قد اهرقت دمك بيدى . واقبل ان اجعل نفسى ضحية لهذا الغاشم الظالم وامنعه من ضرر غيره وارفع شره عن عباد الله .

فلما سمعت كلامها تأثرت منه واشتقت لقتل الامير رماح لأريها فعلى به

فقلت لها كوني براحة فسوف يظهر لك فعلي وترى بعينيك ما أفعله بعدوك وهذا ليشتفي قلبك به وقد أقسمت اني لا أذوق طعامك مالم أقتله مع جماعته وأعدمه الحياة إنما أريد منك أن تقفل الباب وترجعي إلى مكانك وعند القتال قفي في النافذة وانظري ما يكون من أمرنا فدعت لي بالنصر وعادت إلى داخل القصر ودمعها تذرف على خدودها فتحركت بي المروءة ووطدت كل العزم على إغاثة هذه الصبية ورفع الظلم عنها وإرجاعها إلى أهلها عسى أن الله سبحانه وتعالى يقرب مني الرجوع إلى بلدي وأهلي وإلى خدمة سيدي فيروز شاه فأرى وجهه مرة ثانية . ثم افتقدت سيفي فوجدته لا يزال على حاله لأني منذ وقوعي على الجزيرة المطلسمة لم استعمله ولا أخرجته من غمده حتى تلك الساعة فمسحته بخرقة من الغبار وأعدته إلى قرابه وكنت أرى نفسي محتاجا إلى جواد أركبه لأقاتل عليه جماعة من الفرسان فوق خيولهم غير أن رجائي بمساعدته تعالى قوتني على انفاذ ما ربي وإجراء ما نويته فجلست إلى ساق شجرة على بعد قليل من القصر وأقمت بانتظار الامير وجماعته حتى قرب الوقت ومالت الشمس إلى جهة الغروب وإذا بهم قد أقبلوا من صدر البرية وجاءوا القصر وقبل أن يدنوا من بابه نظرني الأمير فبعث أحد جماعته إلى فقرحت وأملت بأخذ جواده وانتصبت واقفا على أقدامي إلى أن دنا مني وأراد أن يسألني عن نفسي فما مكنته بل اخترطت سيفي بأسرع من البرق وضربته به على وسطه فمال قتيلا وفي الحال تناولت طارقته وعلوت جواده وأشهرت السيف واذا بالأمير قد أمر جماعته أن تنقض علي وتقطعني بسيوفها جزاء على قتلي أحدهم وكان الغيظ قد أحرقه فعثه على الانتقام وأقام بانتظار رفاقه الذين ما لبثوا أن وصلوا الى حتى شاهدوا الموت الأحمر من يدي فاني بعد أن ركبت الجواد نظرت الى نفسي نظر الفخار وتأكد لي اني أبيدهم بأجمعهم فصحت فيهم وأرسلت السيف الى اختراق صدورهم واحدا بعد واحد حتى ألقيتهم جميعا الى الأرض مددين ما منهم من عاد يرى هذه الدنيا بعين بصيرة . ولما انتهيت منهم كانت الشمس قد غابت انما لا يزال النور ناشرا بعض لوائه على ذاك الفلا فلم أقبل أن أترك قتال الأمير رماح أو استئنفه الى الغد بل أطلقت عنان الجواد الى نحوه لا سيما عندما نظرت الصبية واقفة في نافذة القصر تنظر الى فعلي وعلائم الفرح والسرور تطفح فوق جبينها الواضح اللامع وأما الأمير فانه تقدم بجواده مني وقال لي من أنت أيها الفارس الباسل فقد أعجبني قتالك وسرني نزالك ولم أر بعمري من هو مثلك في ساحة القتال فقلت دعك من السؤال عني واترك عنك المطاولة واستعد لحربي فاني عازم على هلاكك . قال اني أحب أن أعرض عليك أمرا لك به الخير والراحة وذلك أنك

قتلت رفاق ولم يبق منهم ولا واحد وأرى نفسى محتاجا إلى رفيق يقيم معى ويساعدنى في معيشتى فاذا شئت تعاهدنا على المحبة وأقمنا مع بعضنا وكنت لك رفيقا أمينا وكنت لى صديقا صدوقا فنلق بهيبتنا فى كل سكان هذه الاراضى فننهب أموالها ونأتى ببناتها ونسائها ونعيش على الحظ والانشراح وانى أخبرك أن عندى الآن صبية من أجمل بنات العالم فيمكنا أن نصرف الوقت عليها إلى أن نصل إلى غيرها فقلت له خابت آمالك وساءت أحوالك أتظن أن الصبية تبقى لك عرضة لقبائحك وشرورك أو تظن انى مثلك فاسد الطبع والعمل فاستعد لقتالى ولا مطمع لك بعد بها ثم صحت به وانحدفت عليه فتلقانى بقلب قوى وجنان جرى وأخذنا فى القتال والحرب والنزال وكل منا يؤمل هلاك خصمه . ونزع اسمه . وداما الضرب والطعان بيننا نحو ساعة من الزمان . حتى اشتد الظلام فخفت من أن يفوتنى منه ما أنا طالبه فصحت به وخبلته وفاجئته من جانبه وضربته بسيفى فالقيته إلى الأرض قتيلا مفارقا الحياة فسرنى ذلك جدا وشكرت الله على نصرتى وخلاصى من هؤلاء اللئام وأتيت من الباب فطرقته وإذا بالصبية قد أسرعت وفتحته وتلقتنى بالترحيب والاكرام وجعلت تدعوا لى وتسأل الله بطول عمرى فنزلت اليها وشكرتها على ذلك وقلت لها الآن وقت الفرج وقد يمكننى أن آكل كل ما أعدته من الطعام فما من مانع يمنعنى بعد عن أن أكون مرتاحا فى هذا القصر هذه الليلة ولم يعد من خوف عليك من أعدائك فقد هلكوا جميعا . قالت قد شاهدت بعينى فعلك ودهشت من قتالك وكنت خائفة عليك منهم أسأل الله نجاتك وخلاصك

ثم دخلنا القصر فوجدته واسعا جميلا فأقمت مع الصبية فى هناء وراحة وقد أحضرتنى على مائدة الطعام فأكلت وإياها من لحم الغزلان الذى كانت طبخته فى النهار من صيد الأمير رماح فى اليوم الماضى وبعد أن اكتفينا من الطعام قامت بى إلى صفرة المدام وكانت معدة له ولجماعته فأقمنا عليها نشرب ونخمر وهى تسكب لى وتسقينى وكنت أرى منها أنها مالت إلى وأحبتنى فطالبت نفسى أن أقابلها بالمثل إلا انى وجدت أنى غير قادر على ذلك وانى محتاج إلى السفر فى الحال والرجوع إلى بلادى فرددت جماح النفس وطلبت النوم فدلتنى على الغرفة التى كان ينام الأمير بها فنمت كل تلك الليلة مرتاحا إلى صباح الغد فنهضت من رقادى وغسلت وجهى وقلت لها هلى لأذهب بك الى أبيك وأهلك فما قيامنا بهذا القصر محمود قط وانى لا أرغب من أن تبقى بعيدة عن أهلك وقومك . قالت حسنا فكرت فانى متشوقة اليهم وعالمة أنهم فى مزيد كدر من أجلى وفى الحال ركبت جواد الأمير وأعددت لها جوادا فركبته بعد أن أصحبنا معنا زاد النهار وسرت وسارت إلى جانبى وفى نيتها شيئا

تريد أن تقاتعني به فيمنعها الحياء والخجل ولم يخفنى أمرها فاردت أن أريح ضميرها من هذا القبيل وأخبرها بغايتي فقلت لها انى وددتك مودة صادقة وحببتك حبا عظيما ولولا رغبتي فى سرعة سفرى ورجوعى الى وطنى لطلبت اليك أن تكونى زوجة لى غير أن هذا لا يمكنني الآن وقد نويت كل النية أن أزفك على ابن عمك وخطيبك كونه كان يحبك ويحبه منذ البداية . فلما سمعت كلامى نظرت الى والاحمرار يعلو وجهها وقالت لى وهى تتردد فى الكلام كانها شعرت بالخيبة والفشل انى كنت أحب أن أكافئك على معروفك بأن أبقى بقية عمرى فى خدمتك وانى أسير معك الى بلادك قلت لو لم تكونى لآخر قبلى لاجبتك الى ذلك انما من المحال أن أحرم ابن عمك منك وكرامتك وتعلقك لا يقبل معك بذلك فكانها شعرت من نفسها بغلطها وسكتت على قطع الرجاء واليأس وبقينا سائرين الى جانب بعضنا كل ذاك النهار حتى قربنا من المكان المقيم به قومها عند المساء فدخلناه وهو الى جانب حرش من السنوبر وقد نصبوا بينها الخيام الى بعضها ولم يكن عندهم علم قط بنا ولذلك اعترتهم الدهشة والرعشة لما رأونا وفرحوا بنا مزيد الفرح واخذوا فى ان يترحبوا فى ويكرمونى وقد سأل الصبية أبوها عن سبب رجوعها فحكت له كل ما توقع لها معى وكيف انى قتلت الأمير رماح وجماعته وخلصتها منهم فسروا مزيد السرور ووقعت فى قلوبهم موقعا عظيما حتى كادوا لا يصدقون انى اقدر على هلاك عدوهم واكرمونى مزيد الاكرام واحلونى محل السيد والملك وقدموا لدى كلما فى وسعهم حتى عدت لا اقدر على شكرهم وبقيت نحوا من ثلاثة ايام على مثل هذا الاكرام وقد عادت الى الصبية وراجعتني مرارا بان اقبلها فى خدمتى فرفضت ذلك وقت لها اذا شئت ان ترضيني فارجعى الى ابن عمك وابقى بكل قلبك على حبه فتبقى براحة معه فالتزمت اخيرا ان تصغى الى كلامى وتنقاد الى امرى وسلمت بنفسها الى . وبعد مضى الثلاثة ايام دعوت بابيها وامرته ان يزفها على ابن عمها فاجابنى فى الحال وزوجه بها وعمل له وليمة فاخرة اكراما لى وعندما انتهى الزفاف سألت اباها الانصراف وطلبت اليه ان يهدينى الى بلد قريب من تلك الناحية تاتى اليها القوافل والمسافرين فاجابنى الى ذلك وقال لى انى ابعث معك ولدى فيسير الى مدينة قريبة منا من كشمير العجم فيمكنك ان تسير منها فشكرته على ذلك وفرحت غاية الفرح وفى نيتى ان اسافر من تلك المدينة الى كشمير العجم ومنها الى ايران بلد سيدى الذى اشتاق الى ملاقاته وتقبيل يديه فزودنى الرجل بما احتاج اليه فى الطريق وودعته وودعت ابنته وخرجت مع ولديه كل ذاك اليوم واليوم الثانى وفى اليوم الثالث اقبلنا على تلك المدينة واذا بها عامرة وسكانها من الاعجام

أصحاب الشغل والعمل والتجارة فسرني هذا الأمر وترجح إليّ الوصول إلى غايتي ونوال ما أنا طالبه فنزلت في فندق مخصوص للمسافرين وسألت صاحبه متى علم بسفر القافلة إلى العاصمة أخبرني بها لأني مزمع على السفر اليها فوعدني وأقمت بالانتظار بعد أن ودعت ابني الرجل اللذان جاءا يدلاني على المدينة . قال وكنت قد أحضرت من قصر الأمير رماح بعضا من الدراهم والجواهر لاصرف ما أحتاجه في سفري ولا أقع بالعوز والضنك إلى أن كان ذات يوم جاءني صاحب الفندق وأخبرني أنه رأى قافلة على أهبة الاستعداد والمسير الى بلاد الملك فشكرت فضله وسرت إلى رئيس تلك القافلة وتواعدت معه على المسير في الطريق برفقته ورجعت أحضرت لجوادي ما يلزمه من العلف وأعددت الزاد اللازم لي في الطريق ودفعت أجرة الفندق وركبت مع القافلة وسرنا معا عن تلك المدينة وكان رئيس تلك القافلة أنيسا بشوشا فسرني مرافقته والسفر معه وصرفنا قسما من الطريق على الضحك واللعب والحظ وقد فرح بي وبمعاشرتي كل الفرح ولما قربنا إلى واد يبعد نحو عشرة أيام عن المدينة التي خرجنا منها أمرنا الرئيس أن ننزل إلى ناحية من الأرض ونصبر إلى الليل وكان الوقت إذ ذاك بعد الظهر فسألته عن السبب وقلت له دعنا نسير بقية هذا النهار وفي المساء نبيت في المكان الذي نصل اليه . قال لا يمكنا السفر من هذا الوادي إلا سرقا بحيث لا يرانا من فيه لأن جماعة من الديلم يبلغ عددهم أكثر من خمسين نفسا يسلبون المارة وينهبون ما تصل اليه أيديهم وقد اعتدت عند مروري من هذا المكان أن الف أرجل البغال والخيل باللباد فلا يسمع لها صوت وأسير في وسط الظلام لا يراني أحد ومتى نجوت من الوادي لا خوف علي قط من أحد . فقلت له وهل كل خوفكم من خمسين فارسا وأنتم فوق المائة قال ان ليس فينا من يقدر على مقاومتهم قلت سر ولا تخف ضيرا فسوف أريك ما أفعل بأعدائك قال إنك لا تقدر أن تأتي بحركة بين أيديهم فهم أبطال صناديد قلت لابد من قتالهم عن آخرهم ومنع شرهم عن عباد الله فاذا سرت معي كان خيرا وإلا فافعل ما بدا لك واما أنا فاني أقطع الوادي وحدي في هذه الساعة ومن تعرض لي أعدمته الحياة . ثم أطلقت لجوادي العنان ودخلت فم الوادي فحاول صاحب القافلة ارجاعي فلم يستفد شيئا فالتزم أن يتأثرني بجماعته وساروا من خلفي يرون إلي وأنا أتقدمهم حتى كدنا نتوسط الوادي وإذا بجماعة الديلم قد صاحوا وانحدروا من تلك الروابي يبربرون بلغاتهم وفاجئني جماعة منهم وسار الباقون لجهة القافلة فقاطعتهم وصحت فيهم وابتدرتهم بضرب أسبق من رواشق الغمام فاخترقت الصدور وطيرت الرؤوس وأجريت الدماء وفعلت فيهم العجائب حتى اشتد بعملي رجال القافلة فثبتوا في القتال وهم يرون فعلي وأنا

العطف من جهة إلى ثانية وكلما كثر الديلم على رجال القافلة عدت ففرقتهم عنهم وأهلكت منهم جماعة حتى ما أقبل مساء ذاك اليوم إلا والجميع تمددوا على بساط الرمال يكدمون الارض مع وجع السيف أشباحا بلا أرواح . وبعد ذلك دنا منى رئيس القافلة وشكرنى على فعلى وقال لى اعذرنى ياسيدى فانى لم أقدرك حق قدرك وقد قصرت بخدمتك فى الماضى ولم أظنك أنك من فرسان هذا الزمان وإذا صدقنى حذرى تكون من أمراء إيران الذين تضرب بهم الامثال فى هذا الزمان قلت لست ممن تظن ولا أحسب أنا من بعض عبيدهم بل أنا من أهل الكوفة وخرجت فى سفر مع رفيق ونزلنا البحر فهاج بنا ورمانا على الجزيرة المطلسمة وحكيت له بعد ذلك كل ما كان من أمرى الى ان وصلت اليه فتعجب من حديثى ولازمنى تلك الساعة ملازمة العبد للسيد وفعل مثله قومه وصاروا يتحدثون بحديثى وبما رأوا منى وبتنا تلك الليلة فى الوادى وفى الصباح ركبنا ورفع الرجال الاحمال وساروا حتى قطعنا الوادى وأخذنا فى الطريق المستقيم نحو عشرة أيام أخر نسير فى النهار ونتربص فى الليل وفى اليوم الحادى عشر أقبلنا على المدينة المقصودة فدخلناها واردت أن أسير إلى فندق أصرف فيه أياما للراحة ومن ثم أسير الى إيران وقد ثبت لدى كل الثبوت انى بوصولى إلى هناك اما انى أصادف فيروزشاه أو أعرف بمكان وجوده فأسير اليه واقيم على خدمته غير أن صاحب القافلة منعنى من ذلك بالاقسام والحلف انه لا يدعنى أنزل فى غير بيته فاجبته ودخلت مسكنه فلاقانا أهله بالسلام والترحيب وصرف البغال الى الخان يبيتون فيه كالعادة وأعد لى غرفة مخصوصة وقال لى ان القافلة من بلاد إيران لا يمكن ان تسير فى هذه الايام ولا بد بعد مضى شهرين تمر قافلة من هنا فتسير معها فنا من على نفسك من الضياع وتتسلى فى الطريق فرأيت فى كلامه صوابا وكان مسكن الرجل متقنا جدا فظهر لى انه من الاغنياء الكرماء الشرفاء وكان له عدة اولاد ذكور شبان من المتوظفين فى معسكر الملك وكانوا يأتونه إلى كل ليلة إلى غرفتى ويلازموننى ويبدون لدى كل ما يسرنى ويرضينى

وذات ليلة بينما كنت فى غرفتى دعانى صاحب المنزل إلى غرفته لصرف السهرة وكان عنده إذ ذاك اولاده وجماعة من اقاربه فذهبت اليه واقمنا على الاحاديث والاخبار وذكر فرسان الزمان وتفضيل احدهم على الآخر . فحكى صاحب المنزل عما شاهد منى وما رأى من بسالتى واقدامى واطنب فى مدحى وإذ ذاك قال له احد اولاده لا ريب ان قادر شاه يحسب من الفرسان الصناديد غير انى رأيت فى بلاد اليمن فارسا من الفرسان حينما كنا فى حرب تعزاء اليمن قد فتك فى جيوشنا فتكا ذريعا وقتل بهروز وميسرة اخوى طومار الزنجى وكنا إذ ذاك لا نعرف من ذلك

الفارس أما بعد كسرتنا ومجيئنا إلى هذه البلاد سمعنا ان ابن ملك إيران قد قصد تلك البلاد لأجل عين الحياة فترجح عندنا هو نفسه فلما سمعت من ابن صاحب المنزل هذا الكلام تاقت نفسه إلى معرفة حقيقته وقلت على أقف على خبر جديد أنا باحتياج اليه ومن ثم سألته عن معنى كلامه وكيف كان ذهابه إلى تعزاء اليمن وما هى صفات ذاك الفارس . فقال ان ابن ملكنا الشاه روز كان قدسمع بذكر عين الحياة بنت الشاه سرور فخطبها من أبيها فامتنع عن إجابته ولم يجبه اليه فسار بعساكره لمحاربته واستجد طومار الزنجى فبعث اليه بأخويه بهروز وميسرة مع عساكره وأبطاله وسرنا إلى تعزاء اليمن وحاربنا الشاه سرور فكسرناه شر كسرة وحشرناه إلى المدينة وكنا ننتظر دخولنا المدينة واستلامها بعدقليل وإذا بفارس قدانحدر الينا فى صباح يوم من قمة الجبل فتوسط الميدان وقتل بهروز ومن ثم قتل ميسرة وبددعساكرهما وهربنا عن خائفين من صولته فزعين من هيبته فانه كان كالشهاب عند انقضاضه لا يضرب فارسا إلا ويمحقه ولا بطلا إلا ويسحقه وكنا فى تلك الأثناء قتلنا أحد أولاد الشاه سرور وأسرنا واحدا فأتينا به إلى هذه البلاد فما أقام إلا أياما قليلة حتى توفى فى الأسر وكان فى نيـــة سيدنا أن يطلقه إلى أهله لما عرفنا أن فيروزشاه ابن الملك ضاراب سيد العجم وملكها الأكبر يرغب فى زواج عين الحياة وعلى ما أظن أن الفارس المذكور هو نفس فيروزشاه وقد ثبت عندنا فيما بعد أن طومار سار بعساكره وأبطاله الى اليمن فصادف الملك ضاراب مع جيشه ففتك بهم كل الفتك وكان يركب الفيلة فبرز اليه فيروزشاه وقتله . فصار قلبى يخفق عند سمعى لذكر هذا الاسم المحبوب منى ولم أقدر أن أضبط نفسى عن البكاء فأنزلت عيناى دمعة الذكرى وظهرت حالى للجميع وسألنى صاحب المنزل إذا كنت أعرفه فحركنى اعترافى بالجميل أن أحكى لهم قصتى معه وماذا بادانى وكيف أرجع إلينا بلادنا وأمننا من عمنا وأزوج أختى بيتنه . فما منهم إلا من شكره وأثنى عليه وقالوا ان هذه إلا مآثر العجم ومحامدهم . ثم سألت ابن صاحب البيت وهل لم يعد يسمع بعد ذلك خبرا عن فيروزشاه . فقال لى اننا لم نعد نسمع عنه خبرو جل ما نعلمه الآن أن جيوش الفرس مع ملكها ضاراب هى فى بلاد اليمن وقد بعث ملكها يستدعى أولاد عمه كرمان شاه وخورشيد شاه للسير اليه الى هناك ولم نعرف بعد مسيرهم ماذا جرى وماذا كان . قلت اذن الملك ضاراب ليس فى بلاد فارس قال نعم فهو الآن غائب عنها فشكرت الله الذى عرفت بوجود فيروزشاه وسمعت شيئا من أخباره وتأكدت انه فى بلاد اليمن وانى ساقصده إلى هناك واطمأن بالى نوعا وبعد ان انفضت تلك السهرة ذهبت إلى غرفتى فنمت مرتاحا وقمت فى

لصباح وسألت صاحب البيت أن يسال لى إذا كانت جاءت القافلة التى تذهب فى طريق
يران فسار عنى ثم حضر إلى وقال لى حتى الساعة لم تحضر وعلى ما أظن أنها تحضر
فى الأسبوع القادم فصبرت الى مضى الأسبوع الحالى وجاء الاسبوع الذى بعده فغلب
عنى الرجل ثم عاد وقال لى سالت فقيل لى أن لا بد من حضورها فى هذه الأيام لأن
التجار بانتظارها أسبوعا بعد أسبوع فهى قريبة الوصول فصبرت على ما أنا عليه من
الانتظار وفى كل أسبوع أعلق الأمل أنها تحضر فى الاسبوع القادم حتى مضى على
نحوا من ستة أشهر فى بيت صاحب القافلة فضاقت نفسى وقل صـــبرى وقلت
له أنا أنتظر إلى نهاية هذا الاسبوع فاذا لم تحضر القافلة سرت بنفسى منفردا . قال
انى لا أدعك تذهب وحدك يا سيدى فان الطريق كثير المسالك فقد يمكنك
أن تضيع وتصل إلى غير بلادك وليس فى خدمتك أحد ولا فى خدمة جوادك
وأنت قائم عندى كأنك قائم فى بلادك وما أحد يثقل عليك بشىء . قلت ان غايتى
وجل مناى أن أسير إلى بلادى لألتقى باخى قاهر شاه وأنظر الى ماذا آلت حالته
من بعدى

وما جاء آخر الأسبوع الا وجاءنى الرجل وأخبرنى باتيان القافلة ووصولها
فسررت جدا وشكرت الله على ذلك وطلبت اليه أن يعد لى لوازمى للسفر لأسير معها
ولا أتاخر فاجاب طلبى وقبل سفرها جاءنى بصاحبها فعرفه بى وأوصاه بخدمتى . وأقمت
الى اليوم الثانى فركبت وركب رجال القافلة ورفعوا الحمال وسرنا جميعا عن تلك
المدينة بعد أن ودعت صاحب القافلة الأولى وشكرته على اهتمامه به ومعروفه معى
ودمنا فى مسيرنا نحوا من خمسة عشر يوما حتى وصلنا إلى إيران فودعت أصحاب
القافلة واتخذت لى مسكنا فى إحدى الفنادق أقمت فيه مقدار شهر للراحة وللوقوف
على خبر جديد من جهتك فلم أتمكن من أن أعرف شيئا جديدا وبعد ذلك تاقت
نفسى الى وطنى والى ملاقاة أخى فخرجت وحدى حيث لم يعد من خوف على أن
أضيع فى الطريق إذ لا طريق غيره مشهور مطروق فسرت فيه وكلما تقدمت كلما
فرحت ونما سرورى حتى وصلت الى القلعة المقيم فيها وهو المكان الذى تعرفنا
فيروز شاه فوجدت أخى مع زوجته هناك براحة وأمان فسلمت عليه وسلم على
وفرحنا ببعضنا فرحا لا يوصف وسألنى عن رجوعى فحكيت له كل ما تقدم معى فى
سفرى فتعجب من ذلك مزيد العجب وشكر الله على وصولى سالما اليه بعد مقاساة
كل هذه الاهوال والشدائد والعذابات الأليمة الموجعة وسرنا إلى عمنا الى الكوفة
وسلمت عليه وحكيت له أيضا بقصتى وأقمت عنده نحو شهر على الترحيب ورجعت
الى القلعة الى أخى وأخبرته أنى مزمع على المسير إلى اليمن أفحص عن مكان وجود

فيروز شاه إذ بلغنى انه سار الى هناك ابوه وجيوشه بأجمعها ولا ريب انهم فى قتال ونزال ومن الواجب علينا ان نقاتل بين ايديهم فاستحسن كلامى وبعث بزوجته الى ابيها وركبنا وسرنا مدة ايام حتى وصلنا تعراء اليمن وإذا بها آثار اعمالكم باقية لاتمحى هناك فاقمنا فيها اياما وسألنا عنكم فقيل انكم تبعتم الشاه سرور الى مصر فثبت عندنا انكم فى مصر فخرجنا من تعراء وجئنا الى مصر مع مقاساة التعب فى هذه الطرق لأنها طويلة ونحن منفردين وكلما وصلنا الى مدينة او بلد نقيم فيها يوما او يومين فقط لنأخذ مانحتاج اليه وما يلزمنا فى الطريق الى أن جئنا مصر وكذلك لم نر احدا هناك غير الأرض التى كانت مفروشة بآثار أدمية المقتولين واجسامهم ودخلنا المدينة فحكى لنا فيها عما كان لكم فى مصر وانكم منذ بضعة اشهر خرجتم من المدينة بقصد المسير الى هذه البلاد فصرفنا نحو اسبوعين فى احد فنادقها ثم بارحناها وركبنا الطريق الموصلة الى هذه المدينة غير ان كثرة المسالك تذهب بنا احيانا الى التعرج عن الطريق الى غيره ثم نعود ثانية اليها لدى استدلالنا من المارة او سكان النواحى حتى انعم الله علينا بوصولنا فى هذا اليوم الى هذه الجهة وشاهدناكم على اهبة الحرب والقتال وجرى ماجرى وانى اشكر الله حيث اعادنى الى خدمة من كانت تشتاق نفسى الى خدمته واحب أن أراه فى كل صباح .

فلما فرغ قادرشاه من كلامه سر به فيروزشاه مزيد السرور وهنأه بالسلامة ومدحه على حبه له وكذلك الملك ضاراب وبقية الحضور وقد تعجبوا من قصته ومالاقاه في اسفاره وشمر الملك ضاراب بفضله فأراد ان يكافئه على ذلك فامر ان ينصب له فى صيوانه ولاخيه كرسيين من العاج بين اولاد عمه لأنهما من الحكام والشامات واسبغ عليهما ثوبين من الثياب الملكية الفارسية المزركشة بالذهب مع قباءين من خصائص حكام الفرس وهكذا اصبح فى راحة ونعمة تامة . ولما انقضت السهرة انصرف كل واحد الى محل منامته وكان ضرب لقادر شاه واخيه صيوانا بجانب صيوان فيروزشاه فذهبا اليه وباتا فيه , فى الصباح نهضت تلك الفوارس طالبة الحرب والقتال واصطف الفريقان فى ذاك المكان وتهدد كل فارس وبطل وفى نية منكوخان ان ابنه فى ذاك النهار يفعل فى الاعداء الافعال الشنيعه وقد سر من كثرة جيوش الفرس واتقان ملابسهم وزخارف امتعتهم وهو يعد نفسه بالاستيلاء عليها واخذها منهم بعد تفريقهم وتشتيتهم ولما كمل انتظام القومين وترتيب الفريقين توسط ابن منكوخان الاكبر الميدان وصال وجال ولعب باربعة اركان الميدان وطلب البراز من فرسان ايران فعولوا الى النزول اليه وإذا بفارس قد دخل من طرف الجيوش الى وسط الميدان وهو يصيح صياح الأسود الكواسر وهو راكب

على جواد أسود كانه الليل الحالك وعليه الثياب السود من رأسه الى قدمه وعلى وجهه لثام أسود يستر وجهه حتى لا يبان منه الا عينيه وصدم ابن منكوخان صدمة جبار لا يصطلى له بنار وأخذ معه فى الصدام والقتال والكر والفر وارتفع من فوقهما الغبار حتى حجبهما عن الأنظار وذلك الفارس يطاول ابن منكوخان ويراوغه ويلاعبه بالقتال وقد سد عليه كل الأبواب ولم يترك له منفذا ولا مخرجا حتى مضى قسم من النهار وأخذت الشمس أن تميل الى جهة الغرب بقصد الاستتار وحينئذ انقض ذاك الفارس الملثم على ابن منكوخان الاول وضربه بسيفه ضربة الابطال فشقه الى نصفين وأرماه الى الأرض قطعتين ثم مال بوجهه الى رجال الفرس وصاح فيهم وقال ويلكم أيها الاقوام لا تظنوا أنى جئت مساعدا لكم أو معينا فكما قتلت فارسا من أعدائكم لابد لى من هلاك آخر منكم فلتبرز لى فرسانكم وأبطالكم لأريها الموت الأحمر وما أتم كلامه حتى قامت الضوضاء فى جيوش الفرس وتعجبوا من امره وإذا بعبد الخالق القيروانى قد برز اليه وصدمه وأخذ معه فى القتال والمحاوله والنزال واتسع عليهما المجال . وارتفع عليهما واكثروا من الصياح . وفاضا فى الحرب والكفاح . كما تفيض زواخر الامطار . إلى ان جاء الغروب ودقت طول الانفصال وعندها بأسرع من لمح البصر تقدم الفارس المذكور من عبد الخالق وقبض عليه من بحر سرجه ورفعه على يده كانه العصفور ودار بعنان جواده الى جهة الخلاء . وصاح فخرج من تحته كالبرق الخاطف وبأقل من دقيقة غاب عن الابصار ولم يعد يرى له اثر وعلا الصراخ من كلا الطائفتين وقد رجعوا الى الخيام وهم فى أكدار واوهام لا يعرف احد منهم هذا الفارس وكيف قتل واحدا من الصينيين واستأسر آخر من الايرانيين . ورجع الملك ضاراب الى خيامه وهو مغموم ومكمود لايدرى يمينه من شماله وجلس فى صيوانه يفكر فى امر ذاك النهار وما كان من امر فارسه ولما اجتمع من حواليه رجاله قال لهم لقد كنت علقت الامل فى الاول بقتال هذا الفارس لانى تميزته بعين اختيارى واذا هو من الابطال الشداد عارف بكل فنون الطراد ولم يخطر لى قط انه يكون لنا عدوا وينتشل منا فارسا صنديدا وبطلا عنيدا كعبد الخالق احد بهلوانى مملكتى فقال له طيطلوس وانى اعجب انا ايضا من هذا الامر ولابد من سر دعا هذا الفارس لمثل هذه الاعمال فهو لا يمكن ان يكون عدوا لنا ولأهل الصين بوقت واحد واننا نسأل الله ان يكشف لنا امره وعلى ظنى انه فى الغد يحضر ايضا للقتال ولا نعلم ماذا يكون من امره وهل يظهر لنا اسمه إاو يبقى مستترا واعظم عجبى من سرعة جواده فانه انطلق انطلاق الارياح حتى ان الابصار لم تقدر ان تلحقه

وأما منكوخان ابن هلكوخان فانه رجع حزينا إلى صيوانه يبكى ولده مرينوح عليه وقد شاهد مصرعه بعينيه وجاء اليه قيصر وبقية الأعيان يعزوه به ويسلوه عنه فقال لهم لاريب أن النار مكدرة منا ولم ترض علينا فى هذا اليوم ولا أعرف من أين حضر هذا الفارس لأنه ليس بايرانى ولا رومانى فهو غريب الشكل والوطن قتل ابنى وأسر فارسا من الأعداء فقال الملك قيصر نعم انه ليس منا ولا من الأعداء ولا يسكن بيننا ولا بين الاعداء ولا عرف أحدا منا أمرا عنه وانى مؤكد انه سيأتى فى الغد أيضا لاستئناف قتاله فقال منكوخان إذا حضر فى الغد برزت اليه وأخذت منه بالثار وأنزلت عليه البلايا والاكدار وجعلته عبرة للانظار. فقام اليه ولده الثانى وقال له لا يمكن أن ندعك تبرز إلى مثل هذا الفارس ونحن فى قيـــد الحياة وإذا كان أخى قد قتل فى هذا الارض فمعلوم عندك أن روحه تقمصت فى الصين ولا ريب أنها جاءت جسدا شريفا وإذا كان رضى الاله علينا ومحبة النار لنا لا نخاف من أن تحل أرواحنا بأجساد غير طاهرة فكن على يقين بأنى لا بد فى الغد من أخذ الثار بيدى وأريك كيف أفعل بقاتل أخى إذا عاود المجىء إلى بين الصفوف مرة ثانية وإلا قتلت فى ثأره مئات من فرسان الفرس. فاطمأن بال منكوخان من كلام ابنه وارتاح باله وباتوا تلك الليلة ينتظرون الغد.

قال ولما كان صباح اليوم الثانى هبت الفرسان من مراقدها وركبت على ظهور خيولها وتقدمت قوادها ترتبها وتصفها وإذا بابن منكوخان الثانى قد سبق الجميع إلى الميدان وطلب مبارزة الفرسان وسأل رجال إيران أن تقبل عليه وتأتى فرسانها اليه وإذا بالصياح قد قام من بين تلك الروابى وانقض من بينها فارس بملابس حمراء على جواد أحمر كأنه الشهاب وأطلق لجواده العنان ولعب فى وسط الميدان أشكالا وألوان حتى تحيرت منه الابطال والفرسان ولا رأوا أخف منه بين الشجعان وأحدقوا اليه بالأعيان ينتظرون نهاية فعله فى وسط الميدان وإذا به قد صدم ابن منكوخان وأخذ معه فى الحرب والطعان والقتال والجولان وقد أظهر من شجاعته العجائب وأبان فى حربه الغرائب حتى ارتبك خصمه وضاق عليـــه المجال وغاب عن وعيه فلم ير له خلاصا ولا انفلال وثبت عنده أنه سيلحق بأخيه بأسرع حال وبقى ذاك الفارس يلاعبه كما يلاعب الهر الفار عند وقوعه بين يديه قبــــل أن ينزل به الهلاك والبوار حتى فات الظهر وإذ ذاك صاح به وضربه ضربة قوية وقعت على وسطه فقطعته وانحذف إلى الأرض كالجزع الممدد وقبل أن وصل إلى الأرض تركه ومال بأنظاره إلى جهة الفرس وصاح فيهم وطلب برازهم وإذا بيهمنزار قبا قد صار أمامه فصاح به وتصادم وإياه وكان بهمنزار من

الأبطال الشداد ذو معرفة بفنون الحرب والطراد ولهذا علقت فرسان الفرس الآمال بنوال المراد وأصبحت تنتظر نهاية العمل بين الاثنين وما تكون النتيجة من هذين الفارسين ودار دولاب الحرب بينهما أى دوران وألقى عليهما ملك الاقدام ما له من العظمة والسلطان لجاد كل فى طاعته بما عنده وداما على مثل هذا الشأن إلى قرب الغروب وإذا بالفارس قد صاح كالعادة ولاصق بهمزار إلى جانبه ومد يده اليه بأسرع من وقع البصر واقتلعه من بحر سرجه ودار برأس جواده وصاح به فاختطف وغاب وفى يده بهمزار غير مبال به وبثقله وعند غيابه ضربت طبول الانفصال ورجع الفريقان عن القتال وهما فى أسوء حال ولاسيما الملك ضاراب فانه كان فى اكتئاب واضطراب يقاسى من الغم والكدر أعظم عذاب وجاء إلى صيوانه لايعرف ما أمامه وما بين يديه واجتمعت حوله أبطاله وفرسانه فقال لهم أريد منكم أن تفكروا فى أمر هذا الفارس وتروا لنا الطريق الوحيدة التى يمكن أن نطلع على أمره ونعرف مكان وجوده وانى أخاف إذا دامت الحال على هذا المنوال عدة أيام أخذ كل أبطالنا وفرساننا واحدا بعد واحد وعلى مايظهر لى أنه نادر المثال فى هذا الزمان ليس له ثان قط فقال طيطلوس انى لحظت من أمره شيئا واحدا جعلنى بأمان واطمئنان من جهته لأنه وان كان يظهر لنا العداوة ويأتينا كخصم إلا أنه لابد أن يكون صديقا لنا مختلف عنا والدليل أنه عند مبارزته لأعدائنا يقتل من يكون أمامه منهم وعند محاربته لرجالنا يأسر من يحاربه ولا يوصل اليه أذى وهذا مما ينبغى الالتفات اليه والنظر فيه قال الملك وإن كان على ماتقدم لابد من الاكتشاف على خبره والاستطلاع على أمره لنعلم من هو فاذا صح ما ظننته دعوناه الينا وأنسنابه وأقمناه مقام الصديق الأمين والصاحب المعين وإلا انظرنا فى هلاكه واسترجاع أسيرنا من بين يديه لأنه إما صديقا أو عدوا فقال طيطلوس دع هذا الأمر على فانى أفكر فى طريقة توصلنا اليه وإلى الاستطلاع على أمره ولذلك ارتاح فكر الملك ضاراب نوعا وهدأ باله وعاد ينتظر عمل وزيره طيطلوس ومثله بقية الفرسان والأبطال .

قال وكان فيروز شاه كل هذه المدة مشغل البال على عين الحياة لا يسمع لها خبراً ولايعرف بمكان وجودها ولا بأى مكان هى وكثيرا ما افتكر فى أن يترك الجيش ويتوغل فى تلك البرارى والقفار يفتش عليها ولا يرجع إلا بها إلا أن خوفه من الأعداء على جيوشه كان يمنعه وكان يخاف جدا أن تحل بغيابه عليهم مصيبة جديدة فينتظر النهاية وفى كل فكرة أنه بعد الفراغ من الحرب يسير منفردا مع عياره بهروز فى البحث والتفتيش على مقرها . ولاريب أن من كان مثله صرف كل حياته أى منذ

وهى على نفسه على حب فتاة واحدة ولم يتغير قط عن حبها ولا سلاها دقيقة وكان وهو تحت أثقل المصائب وأشد الاهوال يتذكرها ويبعث بافكاره اليها ويرى من نفسه أنه فى عظيم حاجة لأن يجعل الذكرى سلوة له وتعزية فكيف يرتاح فكره ويهدأ ضميره وهو براحة مطلق الحرية وهى فى يد من يجهله ولا يعلم ما حل عليها .

ولما كانت تلك الحالة حالته ونظر مانظر من أمر هذا الفارس اشتبه بأمره وتكدر من عمله ومرات كثيرة ما كان يطلب أن يبرز اليه لينهى أمره فيمنعه مانع من قلبه بالرغم عنه فيتردد إلى أن يسبقه غيره وكان لا يعلم سببا لذلك ولا يعرف القضايا الموجبة اللازمة له ليتخذها فى قهر أمياله والنزول اليه ولما خلا فى تلك الليلة بنفسه زادت عليه الهواجس والقلق وعظم عليه الحال وأخذ يعدد فى فكره كل ما كان من أمره من حين البداية حتى ذلك اليوم وتذكر بهاء جمالها ورقة حديثها وعذوبة الفاظها وقولها فى كل مرة يجتمع بها انى لك ولا أحول عن حبك وإذا أرغمت أسلم بنفسى إلى الموت وهذا الذى كان يخيفه أكثر من كل شئ من أنها تسلم بنفسها إلى الهلاك إذا قصد الأعداء الوصول اليها أو رغمها على تركه ولما حل به ما حل ولم يأخذه نوم دعا اليه بهروز العيار عياره الخصوصى وكاتم أسراره وأطلعه على أمره وقال له إن لاشىء يهمنى إلا ان أعرف بمكان وجود عين الحياة وفى أى مكان هى

قال هذا لايفوتنا ولا يغيب عنا ولا بد من ان نصل اليه بعد أيام قليلة على انى الآن فى محاربة مع افكارى فانى تارة أصادقها وطورا اكذبها قال لماذا وماهو الشىء الذى تشير اليه افكارك .

قال انى فى المرة الأولى والثانية من مجىء هذا الفارس خطر لى انه ربما يكون نفس الفارس الذى استخلص عين الحياة من رجال الملك قيصر يوم كنت عائدا به من المدينة اليك ولهذا قد عزمت مرارا ان اتبع آثار هذا الفارس واعرف مكان إقامته وفى أى جهة ينام عند رجوعه من القتال غير انى كنت اتردد واقول إن ذلك أشد بأسا من هذا وأعظم مراسا وحتى الساعة لا أعرف الحقيقة والمرجح عندى أنه هو نفسه .

فلما سمع فيروز شاه هذا الكلام سقط على قلبه أشهى من لذيذ الطعام وفكر ربما يكون صحيحا ولذلك لم يعد يأخذه صبر ولا توان وقال لبهروز انى أرى فى ذلك

وجها كبيرا للصواب وعلى أي وجه كان فاننا مضطرون للاستطلاع على أمره ومعرفة حقيقته فسر أمامي من هذه الساعة لندخل فى الوادى ونداوم المسير حتى نصل إلى مكان وجوده . قال ليس هذا بصواب ياسيدى فاننا إذا سرنا وحدنا فى هذا الليل ربما لانهتدى إلى مانحن فى حاجة اليه من كشف خبره ويأتى النهار ونحن بعيدون عنه غير ان من الموافق ان نصبر إلى الغد فتى جاء ترصدناه إلى أن يعود فنتأثره شيئا فشيئا ونسير على أثره حتى نصل إلى مكانه فاما انى أبنجه واستأسره وإما أن أقتله إذا تبين لنا أنه عدو . فلما سمع منه فيروزشاه ماأشار به رآه صوابا .

قال إذن دعنا عند اشتغاله بالقتال تنفرد إلى أطراف الجيش وعند عودته نسير أمامه دون أن يعلم بنا أحد نقطع عليه الطريق ونكمن فى جهات البر إلى أن يمر ومن ثم نعود نبصر فيما يلزمنا اتخاذه أوانتذ معه قال ان ذلك عين الحكمة والادراك ونسأله تعالى المساعدة والمعاضدة والهداية إلى مكان وجود عين الحياة وهكذا صبر فيروز شاه ينتظر اتيان ذلك الفارس فى اليوم القادم وفى كل فكره انه يلتقى به فى القفر وحيدين منفردين ويسأله عن حاله ويطلع على أمره وإذا كابر وقصد الحرب قتله وأعدمه الحياة .

فهذا ما كان من رجال ايران وابن ملكهم وأماما كان من الملك قيصر ورجاله فانهم عادوا فى ذلك اليوم بغيظ وحنق وكدر أكثر من اليوم السابق وكذلك منكوخان فانه أصبح بحالة هم ونكد وحزن مفرط وقد وقعت الضربة عليه دون غيره فقد قتل له ولدان وصار هو صاحب الثار أكثر من غيره واشتعل فؤاده والتهب من عمل ذلك الفارس الذى تقوى على ولديه وقتلهما وترك فى فؤاده من أجلهما نارا تتلظى .

قال وعندما استقر فى صيوانه جاء الملك قيصر وطيفور وبيداخطل والشاه سرور وجماعة الأعيان والأمراء كاليوم الأول يعزونه ويسلونه على فقد ولديه المقتولين وبعد أن دار بينهما الكلام . قال الملك قيصر انى أحب ان أخسر نصف أموالى ونصف مملكتى وأقهر ذاك الفارس أو اجعله يكون خصم الايرانيين محضا . لانه يظهر أنه لا يريد الضر فينا وحدنا بل فينا وفيهم وأحب من كل قلبي ان اوصل اليه وأعرفه من هو وما هى غايته .

قال طيفور على مايظهر انه يقصد العداوة ويريدها لنا أكثر مما يريدها للفرس فقد تجاسر ومد يده إلى ولدى منكوخان وقتلهما دون ان يفعل فيهما مافعله فيهم فانه أخذ منهم أسيرين دون ان يضربهما أو يلق عليهما شر بطشه واقتداره ولهذا يظهر لنا ان فى المسألة سر عجيب لابد من ظهوره لنا عند إجراء البحث والتفتيش عليه ولهذا فقد فكرت فى ان نحيط بأمر الوقوف على خبره هلال العيار فهو قادر كل المقدرة على

فقاذ مآربنا وغايتنا فقال الملك قيصر إذا فعل هلال هذا الأمر وجاءنى بما أنا طالبه أعطيته نصف أموالى أو قطعته قطائع وضياعا وكافئته بكل ماطلب وكان هلال حاضرا فسمع مواعيد الملك وكلامه فهان عليه بذل حياته فى سبيل غناه وحركه طمعه الى ان يسلك أصعب المخاطر لنوال المال والغنى العظيم وفى الحال أجاب الملك قائلا انى أؤكد لك ياسيدى انى فى الليل القادم او فيما بعده آتيتك بالخبر اليقين وجعلتك مسرورا منى كل السرور وانى قد عزمت ان اصبر الى الغد فمتى رأيت الفارس المقصود قد عاد الى القتال انطلقت من جهة جيوشنا الى اطراف الوادى واكمنت هناك حتى اراه قد عاد من عمله ولابد له من المرور فى الطريق الذى يأتى منه وحينئذ اتتبعه من خلفه الى ان اعرف مكان وجوده فاذا سهل على القبض عليه فعلت ذلك وجئت به مأسورا مكتوفا الى مابين ايديكم تفعلون به غايتكم وإذا رأيته قد حال دون غايتى موانع وصعب على القبض عليه عدت اليكم وعرفتكم بمكانه واخذت العساكر فنكبسه فى وسط الظلام ونأتى به اسيرا ذليلا تنفذون به مااستحقه فلما سمع الجميع كلامه شكروه عليه ولاسيما منكوخان فانه علق فيه امل كبير وقال إذا تممت ماقلت ياهلال خير لك بان تطلب منى كلما اردت فافعله لك لانى مقهور من هذا اللص المتخفى الذى لا يريد ان يظهر امره فوعدهم بكل جميل وخير وبات تلك الليلة على نية انه فى الصباح يتوغل فى الوادى ويقصد الطريق التى يمر عليها فارس النهار فيكمن فيه وينتظر عودته من الحرب يسير خلفه ويعرف امره وكذلك الملك قيصر ورجاله امسوا على مثـــل هذه النية يؤملون ان هلالا يكشف الغطاء .

قال ولما كان اليوم الثانى نهضت العساكر من رقادها وانصرفت الى خيولها لما رأت أن الشمس قد بدات بالظهور وبعثت باشعتها على تلك السهول وتعدد كل فارس بعدده وتزود بالطعام الذى يحتاجه عند الوقوف فى معارك القتال وبالماء الذى هو ضرورى لبل ريقه عند اشتداد نار الحرب المعطشة المهلكة ومن ثم اخذت الفوارس ان تتقدم الى ساحة الميدان اقواما وفئات كل على جانب وتحت حكم يدار بحسب طلب قائدها ولما اصطف الصفان وترتب الفريقان وانتظم القومان برز ابن منكوخان الى ساحة الميدان وأطلق لجواده العنان فمر من تحته كالبرق فى اللمعان . ثم كر راجعا الى وسط المجال وأشار الى الفرسان بالبراز وسرعة الانجاز فحولت ان تخرج اليه واذا بالفارس الملثم قد خرج كالعادة من أطراف تلك الجيوش وهو يصيح وينادى وقد انقض على ابن منكوخان وكان الابن الثالث فرعبه وأخذ معـــه فى العراك والصدام . والافتراق والالتحام وضرب أشد وقوعا من رمل الحسام . وبينما كان الفارس فى القتال وكان فيروز شاه للاطلاع على حالته

ولهذا السبب قال بهروز الآن وقت استغنام الفرصة واتمام ما نويناعليه بالأمس قاله اليك ما طلبت فانى بانتظار أمرك فسر وانى أسير فى ركابك ثم انفردإلى جهة الوادى وأقاما عند بابه ينتظران رجوع الفارس وما يكون من أمره . وأما هلال العيار فانه سار من جهة ثانية إلى الوادى قبل أن سار فيروزشاه وتعمق إلى الداخل وأكمن ينتظر عودته لينهى خطته وما جاء لأجله قال ودام القتال بين ابن منكوخان الصينى وبين هذا الفارس أكثر من نصف النهار إلى أن جاء الوقت المعين الذى قتل به أخويه وعندها صاح به وضربه بحسامه فألقاه إلى الأرض قتيلا ودار بعنانه إلى جهة رجال إيران وسألهم أن يتقدموا اليه فأسرع اليه قادرشاه وجاوله بقية ذلك النهار إلى أن قرب الغروب فانقض عليه واقتلعه من سرجه وحمله فى يده وصاح بالجواد فمر به كالطير فى الاسراع ووقع على الايرانيين الخوف والكدر وعادوا وهم يأسفون على قادر شاه وكادوا من الغيظ ينشقوا

وثبت عند الملك ضاراب أنه ان أهمل أمر هذا الفارس انتشل فرسانه واحدا بعد واحد فلا يبقى منهم أحدا ولما عاد إلى صيوانه افتقد ولده فيروزشاه فلم يره فسأل عنه فلم يعلم أحد بسبب غيابه بل قيل له انه غائب عن الجيش هو وبهروز العيار فاضطرب الملك لذلك وشغل بال جميع الحضور وقال لطيطلوس انى أخاف من وقوع ابنى بمصيبة كبرى توجبنى إلى أن أصرف شيخوختى بالحزن والكدر قال وكان طيطلوس كما تقدم من فلاسفة الزمان وعقلائه وحيدا بين أقرانه وكان يقول للملك مرارا أن لابد من زواج ابنه بعين الحياة ومثل ذلك قال له فى نفس ذاك الوقت اعلم أن ابنك لا يصاب قط بنكبة كونى أعرف واعترف أن الله لا يترك من يتمسك بحباله وأنه سبحانه وتعالى يعلم أن ولدك وحيد وأنه إذا أصيب بنكبة أو حلت عليه مصيبة يكون الله سبحانه وتعالى ظالم وحاشاه من ذلك فهو ينبوع العدل ومصدر الرحمة وهو يعلم أنكم مطيعون وصاياه تفعلون غايته وتنشرون اسمه فى أقطار العالم وعليه فليرتح ضميرك ياسيدى فما هو إلا سار بارادته واختياره للتفتيش على عين الحياة وقلبى ينبئنى أنه سيعود الينا بها وتبقى بيننا إلى يوم الزفاف وليكن مؤكدا لديك أن الله كتب له نصيبا عليها فلا يمحى ما كتبه قط ولا تمحيه المصائب مهما تكاثرت والدليل أن بهروز رفيقه ولابد أن يعود الينا بعد يومين أو ثلاثة أيام باذنه تعالى فارتاح خاطر الملك إذ ذاك وصبر على حكم الله تعالى وعلق آماله برحمته وسأله نهاية الحال على غاية المنال

ووقع أيضا الغيظ والهم على منكوخان لفقد ولده الثالث وعمل له مناحة كبرى وذم الزمان للذى بعث الفارس المار ذكره من حيث لا يعلمون ليهلك أولاده

ظلما وعدوانا . وكان الملك قيصر ورجاله يعزونه على فقده ويطيبون بخاطره بأخذ الثار وانه لابد فى نفس اليوم القادم يأتى هلال العيار بالأخبار ويعلمون معنى ذاك السر الخفى ويطلعون على أمر هذا العدو والألد . وهكذا كان الفريقان بالانتظار ليعلمون حالة هذا الملثم الذى أنزل الخوف على الرومان وحل بالكدر على أهالى إيران وجعل له فى الطائفتين حديثا ذا شان وبات كل ملك ووزير وأمير من أعظم أهل ذاك الزمان فى قلق واضطراب يرغب فى الاكتشاف على أمره يعرف من هو ومن أين جاء

قال وفيما كان الفارس عائدا من وسط الميدان وحاملا قادر شاه كما تقدم الكلام التقى به فيروز شاه فى أول الوادى وكان كامناله ولما نظر قادرشاه معه لعبت به النخوة الفارسية ولم يعد يقدر على الصبر وضاق جلده . فصاح به وقال له ويلك أيها العاتى قف مكانك واستعد لملاقاة الأهوال فقد بغيت وظلمت وأنت كاتم أمرك لا تظهره لاحد حتى أوجبتنى ان التقيك على انفراد وأعرف أمرك وأنزل بك الويل والمحاق . فلما سمع الفارس كلامه ولم يفه بكلمة بل القى قادر شاه إلى الأرض واخترط من وسطه الحسام وحمل على فيروز شاه حملة الأسد الهجام والليث الضرغام فالتقاه بقلب لا يخاف شرب كاس الحمام وأخذ معه فى العراك والصدام . والاعتراك والالتحام . والمهاجمة والالتزام . وكان الليل قدأخذ فى أن يشتد بالظلام . ولولا صفاء الجو بانوار الكواكب . لاسودت تماما تلك الجوانب إنما كان بهيق من النور يبعث اليهما فيظهرهما إلى بعضهما ويكشفهما وهما فى همهمة وبربرة ودمدمة قلوبهما تكاد تنشق من الحنق وكل منهما يتمنى أن يكون له على الآخر السبق . وان يفوز على خصمه ليكسب عليه الشرف والافتخار ويعثر بالفوز والانتصار وكان يشعل الصارم البتار على الدرق شعلات نار فيزيد لديهما بهيق الكواكب بالأنوار وكانت الخيل من تحتهما من أحسن خيول الزمان فساعدتهما على الثبات لدى الضرب والطعان والوقوف فى ذاك الميدان وقد رأى ذاك الفارس خصمه ثقيل العيار فزاد عليه الدرهم قنطار وأظهر كل قوته فى مساجلته ومناضلته وكذلك فيروز شاه وجد فارسا ليس كالفرسان وشجاعا لم يرمثله بين فرسان الزمان وعلم أن لا ينجيه من بين يديه وينيله الفوز عليه إلا الثبات والاقدام واظهار جميع ما تعلمه من فنون الحرب والصدام

هذا وكان قادر شاه واقفا إلى جانب ينظر ما يقع بين الاثنين وهما تارة يظهران عند ما يقربان منه وطورا يختفيان عند ما يبعدان عنه وقد حار عقله ولبه مما شاهد ورأى وعلم أن فيروز شاه وخصمه من أشد الفرسان ولذلك كان خائر العزم

من أن ينتصر عليه خصمه أو يوصل اليه الأذى منه . وأما بهروز فانه كان كفرخ من فروخ الجان لا يستقر فى مكان . بل كان ملاصقا لمولاه يقفز من خلفه ولا يفارقه دقيقة وهو ساحب بيده خنجره ينتظر نهاية العمل بين الاثنين يستمد عندوقوع مكروه على فيروز شاه أن ينقض هو بنفسه على الفارس فيعدمه الحياة وكانت الحرب عاقدة بين الاثنين باعثة بعزمتها إلى الفارسين . وهما يفيضان كما تفيض البحور عند الهيجان دون أن يأخذهما تعب أو ملال . من معاندة القتال بل كانت ضرباتهما تشتد كلما طال عليهما المطال . وعزائمهما تتقوى كلما أوسعا فى المجال حتى مضى عليهما أكثر من خمس ساعات وهما على تلك الحال . يتعاركان عراك الأسود ويهجماهجمات الفهود وما منهما من يقدر أن يصل إلى الآخر وينال منه منال . وعند ذلك نظر الفارس قتال فيروز شاه فتعجب منه واراد أن يوهمه بصياحه فصاح صيحة قوية أشبه بصياح الجان . ارتجفت منه الجبال والوديان . وصممت منها الآذان إلا أن فيروز شاه لم يؤخذ من هذا الصوت ولا ضعفت عزيمته وما أثر به ولا قلت همته . بل تعجب منه وعلم أن خصمه ليس من الانس فأرغى وأربد وهاج كما تهيج فحول الجمال وغاب صوابه ولعب به الغيظ والحنق وصاح صيحة تكاد أن تقابل قوة صياح ذاك . ورفع الحسام إلى ما فوق رأسه وقال خذها ضربة من يد فيروز شاه . حبيب عين الحياة . سيد الانس والجان . وقاهر العفاريت والمردان . ونزل بالسيف يهوى فتأكد الفارس أنه مقتول لامحال عندما شاهد عمل فيروز شاه وخاف عليه من أن يفعل به الغيظ ما لا يرضاه . فرمى بنفسه إلى الأرض بأسرع من لمح البصر . وصاح العدو ياسيدى فاسمح عن جاريتك واعطها الأمان . فما هى عن يثبت أمامك فى ميدان فلما سمع كلامها وعلم أنها من ربات الخدور أخذه الاندهاش والانبهار وكاد يغيب عن الصواب كيف قدرت أن تثبت أمامه كل هذا الوقت مع أن أشد الأبطال بسالة كطومار الزنجى وغيره لم يقدر أن يقف أمامه ساعة من الزمان ثم قفز عليها وقد تقدمت منه والقت السيف بين رجلى جواده وقالت لا تؤاخذنى يا سيدى بعملى فما تجاسرت أن فعلت هذه الأفعال إلا لأختبر ما أعطاك الله من القوة التى ندرت ان وجدت بغيرك من فرسان هذا الزمان لا من انس ولا من جان وأكد انى ما قصدت الجيوش المجتمعة من الرومان والفرس إلا لأجلك وبسببك . قال ومن أنت وما سبب فعلك هذا ولماذا كان بسببى قالت سوف تعلم من أنا متى وصلت إلى قصرى وأطلعت على من فيه . قال وأين مكانك وهل هو بعيد من هنا قالت لا بل هو قريب جدا إلا انه مظلل بالأشجار الغضة لا يمكن لغيرى أن يدخله أو يعرف مكانه وقد أقمته فى هذه الأيام لأصرف به أيام الحرب التى تكون بينكم و بين الرومان

وأنفذ غايتي التي سوف تعلمها وتتأكدها وقد حصلت عليها بمساعدة القضاء والقدر فهلم بنا نسير لتعلم من أنا وتنظرني على نور المصباح وتتأكد قولي وما تسمعه مني . وكان بهروز قد انقض على السيف فأخذه خوفا من أن يكون كلامها هذا خداع واحتيال ثم أمرها أن تركب وتسير فقالت انى لا أركب الآن وانى أسير بين يديك كخادمة لكن أمر صديقك قادر شاه أن يركب لنصل بأقرب آن فأجابها ودعا قادر شاه إلى الركوب وكان عائب الصواب بما سمع ورأى وهو لا يصدق بالخلاص وبنجاته من يد ذلك الفارس وفي الحال ركب وسار إلى جانب فيروزشاه وبهروز بين أيديهما والفارس يسير إلى جانبه أيضا يقصدون مكانه

وقد تقدم معنا أن هلال العيار كان قد ربض في نصف الوادي من النهار ينتظر عودة الفارس لنهي خطته ويعود وبقي صابرا إلى أن اشتد الليل ظلاما وأخذت ساعاته في أن تتقدم واحدة وكلما طال الوقت زاد به قلقه وضاق صدره وعيل صبره ولم يكن يعرف سبب هذا التعويق وما هو الموجب لتأخر الفارس القائم بانتظاره إلى هذا الوقت مع أنه كان قبل تلك الليلة يرجع من ساحة القتال منذ غياب الشمس ولا يلبث أن يتوغل في الوادي بسرعة البرق حتى يغيب عن الأعيان وتناقلت به الأفكار ويقدر أمورا لم تكن في بال فظن تارة أنه قتل في الميدان من أحد من رجال الرومان أو من أبطال الفرس أو ربما يكون بهزاد أو فيروز شاه قد نزل اليه وأنهى عمره وهذا الفكر جعله أن يفكر بالرجوع إلى معسكره ويستطلع عن ذلك الفارس من الملك قيصر ويسأل عن عدم رجوعه إلا أنه خطر له ربما يكون قد سار من غير طريق ولم تكن هذه الطريق الموصلة إلى محل سكنه وندم غاية الندم لتوغله إلى أواسط الوادي وبعده عن مكان تجمع العساكر وهذا الفكر الأخير جعله في ارتباك عظيم لا يعرف ماذا يصنع أيرجع إلى الجيش أو أنه يتقدم إلى الأمام ويسير فاحصا عن الفارس أو يلبس في مكانه ينتظر النهار ليعلم مروره ومن أين يخرج وهذا رجح له وجه الفوز وقال الأجدر بي أن أصبر إلى الغد وعند انبثاق نور الصباح أصعد إلى ظهر الوادي فأبصر كل ما فيه وأرى الفارس من أين يخرج وإذا لم أره يكون قد قتل فارجع حزينا كئيبا خاسرا المال الموعود به من الملك قيصر ومن منكوخان وبقي صابرا على نفسه إلى أن مضى نصف الليل وإذا به يسمع صوت أقدام خيل مقبلة لجهته وصوت أناس يتكلمون ففرح غاية الفرح وقال لابد أن يكون الفارس نفسه قد جاء من هذا المكان ومعه اما أسيره واما رفيق له كان ينتظره في فم الوادي ولا شك انه هو لأن لا يمكن لغيره ان يسلك هذا الوادي في مثل هذا الوقت ولهذا السبب مال إلى جهة الطريق وأكمن في طرفها ينتظر مرور

القادمين حتى دنوا منه واجتازوا بقربه فوجدهم أربعة أنفار فارسين ورجلين فتعجب ولم يعرفهم لأن الليل كان مظلما وكان يرى من بهيق الكواكب اشباحهم دون أن يتأكدهم فصبر إلى أن فاتوه فانطلق من خلفهم ينظر إلى أين ينتهون وهو فرح جدا يترجح له أن الفارس المقصود لا بد أن يكون معهم وبقي على مسيره لا يظهر لوطىء قدميه صوتا خوفا من أن يطلعوا على أمره

قال وكان هؤلاء الاشخاص هم فيروزشاه ورفاقه الذين تقدم ذكرهم وبقوا فى مسيرهم غير منتبهين إلى أحد ولا يظنهم أحدا يطلع على أمرهم وكان فيروزشاه مشغل الفكر يحب ان يصل إلى قصر تلك الجارية ليعلم من هى وهو على مقالى الجمر من اجلها يشتاق ان يعرف قصتها وخبرها ومن هى وكيف قدرت أن تقدم على مثل هذه الاعمال واكثر عجبه من شجاعتها واقدامها وبسالتها وثباتها فى القتال ثبات صناديد الابطال وبقى على مثل ذلك حتى دخلت بهم الادغال الملتفة وقربت من القصر فطرقت بابه وإذا بالخدم قد اسرعت ففتحت لها وقالوا لقد اطلت الغياب هذه الليلة ياسيدتنا فاننا من اجلك على مقالى النار قالت انى ما اطلت غيابى هذه الليلة الا لقضاء مصلحتى فقد وفقنى الله إلى مابه الصواب ونلت ما انا طالبته ثم همست باذن الخدم والتفتت الى فيروزشاه وقالت له سر يا سيدى مع هذا الخادم الى هذه الغرفة التى يوصلك اليها فانى اذهب الآن إلى غرفتى لانزع عنى ثيابى وآخذ لنفسى الراحة ومن ثم أعود فاجتمع بك واشرح لك عن قصتى وسبب قتالى معك ونزولى إلى الميدان وتكون انت قد اخذت لنفسك الراحة واكلت شيئا من الطعام فانك لاريب جائع تشتاق الاكل ولم تأكل كل هذا النهار وفوق ذلك فانك صرفت الليل ايضا بلا اكل واتعبت نفسك بقتالى فقال لم يعد لى من صبر ولا اطيق ان اتقاعد عن الاطلاع على امرك قالت ان ذلك لايفوتك وسوف تعلم كل شىء ويظهر لك كل شىء ولا تفكر الا بالخير ولا تظن بى الا كل خير فما انا ممن يقصد لك ضرا وحاشاى من أن اجسر على مقاومة سيدى ومولاى او افعل غير ما يرضيه فأجاب طلبها وسار وراء الخادم إلى غرفة الطعام وإذا بها قد هيئت المائدة فيها وعليها من كل الوان الطعام من طيور ودجاج ولحوم ضأن مطبوخا أشكالا والوانا وحلويات متنوعة مما تتوق النفس الى اكله وكان فيروزشاه جائعا فجلس عليها وأراد ان يمد يده فقال له بهروز لاتفعل يا سيدى فاننا وان كنا فى حجر الامان فانما لا يجب ان نخاطر بأنفسنا ولانترك سبل التيقظ والانتباه ثم دعا الخادم وامره ان يأكل امامهم من كل اصناف الطعام ففعل واكل من كامل الاوعية حتى ترتاح فكرهم وعلموا ان الطعام صحيحا وفى الحال جلسوا يأكلون وهم يتعجبون من

تلك الآنية الذهبية المزركشة بالحجارة الكريمة التى لم تكن فى قصور اعظم الملوك ولم يروا مثلها قط قبل ذلك اليوم وبعد ان انتهوا من الطعام واكلوا انهضوا وافسلوا ايديهم وانتظروا امر صاحبة القصر وإذا بالخادم قد دعا فيروز شاه وقال له اتبعنى يا سيدى فنهض ومشى خلفه فخرج من الغرفة إلى الدار ثم تسلقا سلما طويلا وكان بهروز بأثره خوفا عليه حتى انتهوا من السلم إلى دار علوية وسيعة جدا فيها عدة مقاصير وبين تلك المقاصير مقصورة إلى زاوية الدار مشعلة بالأنوار تفوح منها روائح العطر والند فسار الخادم إلى جهتها ومن خلفه فيروزشاه وبهروز يتأثره وقبل ان يقرب من الغرفة وقف مرتاعا وذلك انه سمع صوتا محبوبا منه جدا مالوفا ومطبوعا فى ذهنه وصاحب ذلك الصوت يقول

احريق ام غرام وجنون ام هيام
واشتياق ام نزاع وحنين ام حمام
ودموع ام بحار وزفير ام ضرام
وذبول ما بجسمى ام خفاء ام سقام
والذى قد قاله اللا حى ملام ام خصام
والذى تنقله الريـ ـح كلام ام سلام
ومحياك ام الشمـ ـس ام البدر التمام
والذى فى فمك العا طر شهد ام مدام
والذى يهتز فى بر ديك غصن ام قوام
وحلال قتل من لم يجن ذنبا ام حرام
لا وما يفعله العشـ ـق بقلبى والامام
اترى ذنبى زفيرى كلما ناح الحمام
ام تراه سهرى الد ثم والخلق نيام
ام بكائى كلما لا ح من البرق ابتسام
ان تكن هذه ذنوبى فى الهوى فهى عظام
ولئن اثبت لى بالـ ـزور جسم او منام
فسيمحوا هذه الآ ثار دمعى والغرام
طال فى الغربة يارب هوانى والمقام
غاب عن سكنى فالـ ـليل فى عينى قتام
ونهارى منذ فارقـ ـت محياه ظلام
كل انس بعده عنـ ـدى وزر واثام
وعلى الدنيا إذا ما فقد الألف السلام

وكان يسمع الانشاد وقلبه يخفق ويهلع من الفرح والمسرة لأن الصوت صوت عين الحياة والانشاد انشادها وقد تاكدما بعينها موقف فى باب الغرفة مندهشا لا يعرف ماذا يقول ولا ماذا ينتهى اليه امره لأن ملاقاته لها على غير انتظار أثر فيه كالاثر فيها فبقيا ينظران الى بعضهما ولسانهما لايحسن التكلم لاينده مترجما عن كثرة حبوره وسروره وبقيا نحو من خمس دقائق على هذه الحالة الى ان زادت حال عين الحياة فصاحت بعد ذلك ورمت بنفسها الى الأرض غائبة عن الهدى فتالم لذلك ودنا منها وزفعها عن الأرض وكان الخادم حاضرا فجاءه بماء الزهر وبالمنبهات فسكبوا على وجهها وسقوها من كل ما هو نافع فى مثل هذه الحالة حتى اخذت تعى على نفسها شيئا فشيئا ونظرت الى فيروزشاه نظرة الحب وقالت اصحيح ما ارى هل انت فيروز شاه ام شبح بعث يخيل لى ويعذب قلبى . فاذرف دموع الفرح عند سماعه كلامها الصادر عن صفاء النية والثبات على الحب والمودة الأكيدة ولذلك قال لها انا هو من تركته يقاسى بعدك نزاع الأوجاع والآلام ويلاقى اشد المصائب والمصاعب وانى اشكر الله الذى اوصلنى اليك وجعلنى ان اسر بلقياك مرة ثانية وقد وطدت العزم من الآن وصاعدا ان لا ادعك تبعدين عنى ولولا حالت دون ذلك موانع العالم باجمعها فانك ما زلت بيدى اصبحت مالكا كل ما اشتهيه وارغبه وسواك لا ارغب شيئا ولا اطلب شيئا ولو انك سلمت نفسك الى فى مصر لما احتاج الأمر الى معاناة كل هذه المشاق التى لاقيناها ونلاقيها غير انه سرنى منك عملك هذا وطاعتك لأبيك وحبك شرف اسمك بين بنات العالم اجمع . فلم تجب بكلمة بل نظرت اليه وتنهدت من فؤاد قريح مجروح وبقيت فى حالتها مقدار نصف ساعة وهو الى جانبها يطيب بخاطرها ويظهر لها فرحه بوجودها الى ان قدرت على الجلوس جيدا وتما بقلبها جيش القوة تدريجا وامكنها ان تمسك نفسها فقامت اليه وجددت السلام عليه . وكان بهروزلما رأى اجتماعه بها لم يقبل ان يبقى هناك فعاد الى المكان المقيم فيه قادرشاه وتركه مع محبوبته ينشآكيان لواعج الحب والغرام مثل ذلك الخادم فانه بعد ان ثبت لديه رجوع عين الحياة الى وعيها غاب عنهما وتركهما وعندهما كل ما يحتاجانه ونظر فيروزشاه الى الغرفة فوجد بواطى المدام مصفوفة على المائدة والرياحين موضوعة فى اوعية من الذهب الوهاج المنقوش والكؤوس من الذهب ايضا بما يدهش العقول وعلى اطراف المائدة ايضا مباخر من الذهب تفوح منها روائح العود والعنبر بما جعل تلك الغرفة محل انس وطرب . فسأل عن ذلك عين الحياة وقال لها لمن اعد هذا وما سبب مجيئك الى هذا القصر ومن الذى جاء بك وكيف قيامك هنا هل كنت براحة او لحق بك اهانة فابدى لى كل ما وقع

عليك ولا تخفى حرفا واحدا لانى مزمع أن أجازى صاحب هذا القصر على فعله ان خيرا وإن شرا

قالت ليس لهذا القصر صاحب ذكر انما الذى جاء بى هو الفارس الذى رآه بهروز وقد فتك برجال الرومان وانتشلنى من بينهم وأنا على تلك الحالة أى بصفة العبيد. ولما دخلت القصر قال لى ذاك الفارس لاترهبين أمرا فى هذا الموضع ولا تخافى ضرا فما من ذكر فى هذا القصر سوى خادم واحد مسن وهو الذى كان هنا الآن . ثم كشف الفارس عن وجهه وأرانى أنه امرأة ثم أعاد لثامه وأدخلنى وسلمنى إلى هذا الخادم وأوصاه بخدمتى وإكرامى . فقلت لها لما تأكدتها أنها امرأة وأنا مندهشة من عملها بالله عليك أن تذهبى بى إلى جيش الفرس إلى فيروز شاه . فقالت لى لا يمكن ذلك الآن بل انى مزمعة أن أحضره اليك إلى هذا القصر بعد قليل من الايام فكونى براحة واستعدى لملاقاته وعدى نفسك بالاجتماع به فى هذا القصر الاجتماع الذى لا يعقبه فراق مؤلم فيما بعد . فسررت لكلامها وسرت مع الخادم الى هذه الغرفة التى ترانى بها الآن وكنت لا أرى أحدا قط سواه وسوى امرأتين خادمتين صفتهما غريبة جدا يحضران الى فى كل مرة فتنزعان عنى ثيابى وتأتيان بثياب فاخرة مطيبة وبعد أن تنهيان عملهما تقبلان يدى وتبارحانى . وفى يوم دخولى الاول إلى هذا القصر جاءتانى وغسلا بدنى من السواد وبالحقيقة انى كنت مسرورة فى هذا القصر بالانفراد عن الناس وبالراحة من النظر إلى وجوه المعتدين وأنا أعد نفسى من يوم الى آخر بالاجتماع بك وباتيانك الى هذا القصر حتى كانت هذه الليلة فسهرت قليلا ونمت وفيما أنا نائمة الآن طرق على الخادم الباب وقال لى من الخارج اسرعى الى لبس ثيابك فسأعود اليك قليلا بما يسرك فتأكد عندى قرب مجيئك الى فنهضت ولبست ثيابى وفتحت الباب واذا بالخادم قد عاد الى بالشموع فوضعها وصف المدام كما تراه وقال لى ان سيدتى أخبرتنى أن أجيئك بأحد أمراء الفرس ليخبرك عن فيروزشاه لانه رافقها اليك فشغل قلبى لذلك ضميرى ولم أعرف من هذا الذى وعدنى بمجيئه الى أن دخلت على أنت فأشكر الله الذى جمعنى بك وبالحقيقة ان حضورك هو العلة الوحيدة التى تكفل لى الراحة الابدية وهاأنذا سفرة المدام تدعونا لتمضية بقية هذا الوقت بالحظ والانشراح

انتهى الجزء الخامس والعشرون ويليه الجزء السادس والعشرون

الجزء الخامس والعشرون

من قصة فيروز شاه بن الملك ضاراب

فنظر إلى نفسه بالسعادة والاقبال وأخذها من يدها وأجلسها إلى جانبه وسكب لها خمرا وأعطاها وفعلت هي كذلك وهما بالحظ والانشراح والسرور والفرح وذاق فيروز شاه من لذة النظر إلى محبوبته ومعاطاة الخمر معها ما جعله بغاية من الفرح والمسرة وتأمل في محاسنها وباح بما في ضميره من أجلها وأنشد :

أبت لحاظك إلا أن تريق دمى ... فعن إراقته يا عين أغناك
فى فيك راح وشهد الما كبدى ... واحر قلباه إن لم أرتشف فاك
حذرت ناظرك المغرى بسفك دمى ... لما اقتضى الحال من تحذير اغراك
فنكر الهجر تمييزى بمعرفة ... وأعرب الوجد أفعالى بأسماك
يا كعبة حجها قلبى وطاف بها ... هلا جعلت صفا خديك مسعاك
وفى محارب صدغيك التى انعقدت ... أمسى تهجد طرفى الخاشع الباكى
أنهى إلى خصرك الواهى ضنا كبدى ... عسى برقته يرثى لمضناك
وارتجى ان تجودى لى ولو بكرى ... ليشهد الطرف فى الاحلام مرآك
زورى اكتتاما بليل الشعر واستترى ... كى لا يبين صباح الثغر مسراك
ولا يروعك وسواس الحلى إذا ... أخفيت عن وحيه آثار ممشاك
فما أضا الصبح لولاك ابتسمت له ... ولا دجى الليل إلا جن صدغاك
ولا روى عنبرى الصدغ مسنده ... إلا لينقله عن طيب رياك
وعاذل رام تشبيها فافحمه ... دليل حسن اقامته ادلاك
وقلت ترجو شبيها وهو ممتنع ... ولو تصور حسنا ما تداعاك
فان حكى البدر زاهى وجنتيك سنا ... فالحسن يشهد للمحكى لا الحاكى
وان رنا الظبى عن جفنيك ملتفتا ... فالسحر يوهم ان الظبى جفناك
من أين للظبى أصداغ معقربة ... تحمى الشقيق الذى ابداه خداك
وكيف للظبى ألحاظ ملوزة ... تعلو الوشيج الذى هزته عطفاك
ما البدر ما الشمس ما الظبى الغرير وما ... زهر الربى وغصون البان لولاك
باهى على الغيد واسى الزهر بهجتها ... فالغيد والزهر من أسرار معناك

مليكة الحسن رفقا بالكئيب ولا تبغى على فانى من رعاياك
أنزه الطرف عن رؤيا سواك كما أوحد القلب عن تثليث اشراك

وكان انشاده بحرية قادته اليها اللواعج الكامنة فى قلبه من مفاعيل الحب القديم وهو لايصدق ان الزمان أعاد اليه وقتا من أوقات اجتماعه بها منفردا بخلوة ليس من عذول ولارقيب وأما عين الحياة فانها سرت بكلامه لعلمها أنه الرجل الوحيد الذى ألقت كل رجائها عليـــه وسلته قلبها واعتمدت أن تسلمه بنفسها كل أيام حياتها وكان عقلها وخبرتها بأحوال الزمان وأنبائه جعلها ان لاتعجل من كلام من أحبته وعاهدته وعاهدها عهدا صحيحا ثابتا أن يكون زوجها وتكون زوجته ولهذا أخذت فى أن تسكب الخمر وتسقيه واشتاقت الى ان تصفه بنفس ماوصفها وتنشده من الشعر مايطيب به خاطره فتناولت كاسا وشربتها وانشدت :

يحار الطرف فى دل عجيب يهزك هزة الغصن الرطيب
فيرجع رآك بقلب صب ومقلة ساهر باك كئيب
أسحر ما بطرفك أم حسام يسل عن القلوب بلا ذنوب
وورد ما بخدك أم دماء سفكت بصارم اللحظ الخضوب
تصون لشقوتى برد الثنايا مخافة أن يذيب فمن مذيبى
بما فى وجنتيك وما بقلبى من الجمر المندى واللهيب
يعز على أن يبدو جهادا جمالك للعيون وللقلوب
ويؤلمنى بأن تدنى الأمانى خيالك من أخى أمل كذوب
ترى الدهر البخيل يجود يوما فيسمح باللقاء بلا رقيب
وتصغى لى فاشكو ما أقاسى كما يشكو العليل إلى الطبيب
فلى كبد يقطعها اشتياق وقلب لا يقر من الوجيب
وان أعيا اللسان بيان مابى شكوت اليك بالدمع الصبيب
كفانى منك يامولاى هـذا وهذا منك لى أوفى نصيب

ولمـا انتهت من انشادها سر منـه فيروز شاه وشكرها عليه وسر منها مزيد السرور وقال فى نفسه كيف أنها ثبتت كل هـــذه المدة مع تقلب الايام وكثرة الحوادث على ان تفى بحقوق الحب وتحفظه كل الحفظ حتى اصبحت كالمجنونة وهـذا الذى كان يسره ويزيده فيهـا رغبة فوق ما هو عليه من جنون الحب . وهكذا حالة العاشقين وإلا فلا أى ان يكون الحب متبادلا متعادلا لا تضعفه الحوادث ولا يقال منـــه البعاد ودامت عين الحياة مع محبوبها ومحبوبها معها على تلك الحالة اكثر من ساعة وإذا بصاحبة القصر قددخلت عليهما فترحب بها فيروز شاه وأجلسها إلى

جانبيهما وأمعن بها فوجدها أنها من بنات الجان فقال أريد منك أن تحكي لي عن السبب الذي دعاك إلى أخذ عين الحياة وإلى عمل ما عملت في الميدان . فاني في رغبة إلى ذلك . قالت اني سأطلعك على كل شيء إنما أخبرك أني في هذه الساعة بينما كنت آتية إلى هنا نظرت شخصا يتلصص بين زوايا القصر كانه اللص عندانسيابه فقبضت عليه وسألته عن نفسه فقال لي انه من عياري إيران وانه جاء يفتش على سيده فيروزشاه لانه كان غائبا عن الجيش فلم أصدقه بل قبضت عليه وأتيت لأطلعك على أمره . قال احضريه الينا لنعلم من هو وإذا كان من عيارينا عرفناه . فأمرت أن يؤتى به وكان هذا هو نفس هلال العيار فانه بقي متأثرهما إلى أن دخلوا القصر فدخل وانسل إلى جهة جدران القصر وانساب من تحتها من جهة إلى جهة وقد عرف فيروزشاه وبهروز فانشغل باله وأراد أن يعرف قصتهما وأكمن في زاوية القصر ينتظر غفلة وإذا بصاحبة القصر قدمرت فنظرته وقبضت عليه وجاءت فسألت فيروزشاه فأمرها أن تحضره ولما حضر نظر اليه فعرفه وكاد يطير من الفرح وقال وقعت ياهلال فاني موفق في هذه السفرة من فضله تعالى ثم قال لصاحبة القصر هذا من عياري الأعداء ومن أكبرهم خيانة وخداعا واحتيالا . فقالت ماذا تريد أن أفعل به . قال مرادي أن اقطع أذنيه وأنفه وأبقيه مكتوفا لأرجع به إلى أبي يحاكمه ويقتله لأنه يشتاق إلى موته كما يشتاق الى موت طيفور . فأجابت طلبه وفي الحال تناولت سكينها وقطعت بها أذني هلال وأنفه وأخذته الى غرفة أبقته بها مربوط الايدي بالحبال وعادت الى فيروزشاه وجلست معه على المائدة وأخذت تحكي له قصتها فقالت

اعلم ياسيدي أن سبب كل ما تقدم هو أنت وذلك أني من بنات الجان اسمي المرهفة ولي أخت من أجمل بنات الانس والجان اسمها جهان افروز وكنا نأتي أكثر الليالي الى القلعة التي كان فيها الكنز في الاسكندرية فنقيم في أعاليها ونصرف أكثر الاوقات هناك على الحظ والغناء والانشراح الى أن كان اليوم الذي حضرت به فرأتك أختي وسألتني عنك فأخبرتها بكل ما أنت عليه من العظمة والسعادة فطلبا مني أن أجمعها بك وأظهرت لي أنها أحبتك وتعلقت بك فحكيت لها قصتك مع عين الحياة وانه كان يخرب الدنيا لاجله . فقالت لابد لي من الاجتماع به والا فاني أموت من هذه الساعة فطمنتها وقلت لها ان ذلك لا يمكن الآن ولابد لي أن أزوجه بك قبل أن يتزوج بعين الحياة وأدعه يعرفك قبل أن يعرفها . فارتاح لذلك بالها واطمأن خاطرها وعلقت آمالها على وعدي . وأخذت منذ تلك الساعة أراقب أعمالكم وأرافقكم من مكان الى مكان وفيما كنتم أنتم في ملاطية وبعثتم بكرمان شاه الى أنطاكية سرت مع جيوشه

الى تلك البلاد ألاحظ أمرهم وأراقب أحوالهم حتى اذا وقعوا بمصيبة أنتشلتهم منها فلم يتصعب عليهم شيء. ولما كانوا في الطريق قصدت أن أنتشل من بينهم كليلة بنت صاحب الشام فاختطفتها من البر واختفيت فيها ولم يقدروا أن يعرفوا من الذي أخذها. ثم لما رجعنا الى هذه النواحي أتيت هذا المكان فابتنيت فيه قصرا وهو هذا القصر الذي نحن فيه وأقمت أنتظر الحرب ان تقع بينكم لاجعل لي شغلا في افكاركم يشغلكم والقي في اعدائكم الرعب والخوف . وفيما انا على مثل ذلك وجدت عين الحياة مع بهروز وسيف الدولة وقد ادركهم الرومان وامسكوهم وقصدوا الرجوع بهم فانحدرت اليهم وخلصتهم واخذت عين الحياة الي لان اختي جهان افروز كانت لاتزال دائما تلح علي وهي خائفة من ان تتزوج بعين الحياة قبلها وانا اعدها ان لا يمكن ذلك وان لا ادعه يتم حتى جئتها بعين الحياة وقلت لها هاهذا خطيبة من تحبينه عندنا ولم يعد يمكنه ان يتزوج بها قبلك . فارتاح بالها . ولما كانت عين الحياة تستحق الاكرام والاعتبار اقمنا على خدمتها وهي لم تعرف احدا منا وبقيت منتظرة ان اصل اليك خبرنا لتعرف بامرنا حتى وقعت الحرب وجاءت جيوش الصين مع جيوش الرومان فلبست ملابس الرجال وفعلت وكنت نويت ان ابيد جيوش الرومان على هذه الطريقة فلم تسمح لي بل اسرعت الي وكان ما كان . ولهـــذا ارجو منك العفو يا سيدي على ما سبق مني في قتالك فاني تجاسرت على ما ليس من حقي واني اعترف انك اشد بأسا من كل خليقة ربك في زمانك هذا من انس وجان ولا يمكن لأشدهم بسالة واقداما واقواهم حيلا وبطشا ان يثبت او يقف امامك اكثر من ساعة او ساعتين

قال فلما سمع فيروزشاه كلامها تعجب منها ومن حديثها واطرق الى الارض برهة ثم رفع رأسه وقال لها اني ارغب في ان لا اضيع لك قولا ولا ادعك تخلفين وعدك مع اختك غير ان امري ليس بيدي فقد سلمت كل امري الى عين الحياة فهي وحدها تقدر ان تفصل هذا المشكل وتأمر به بما تريد فاذا قبلت تزوجت باختك والا فلا مطمع لها بذلك . فنظرت المرهفة الى عين الحياة وسألتها الانصاف والرحمة فقالت اني لست ممن تتلاعب بهم الغيرة والحسد وانكم عملتم معي معروفا كبيرا لا انساه الى الابد وذلك انك خلصتيني من ايدي الرومان وانا بتلك الحالة الشنيعة وسترت امري ومنعت عني الفضيحة وثلم الصيت واكبر معروف فعلته معي هو انك كنت السبب باجتماعي بفيروزشاه وتقربي منه وحصوله على بعد ان كنت اشتاق ذلك ولو في المنام وعليه فاني ارغب من كل قلبي ان تزوجي اختك به ولو كان ذلك قبلي حيث ذكرت انها مظلومة بحبه ولا تطيق صبرا على ذلك واحب ان يرحما عسى ان الدهر يساعده

على وحش . فسر فيروز شاه من هذا الكلام وثبت عنده أن عين الحياة ما أجابت إلى ذلك الا مراضاة للمرهفة وله فتغلبت على أميالها واهيا وإن كانت لا ترضى فى حبه شريكا لكنها وجدت نفسها مضطرة إلى ذلك كما وجد نفسه هو أنه مضطر اليه وعليه قال للمرهفة وانى أعدك أيضا بايفاء الوعد الذى وعدت به أختك جهان افروز فصفقت من الفرح وأسرعت الى أختها فأخبرتها بما كان وجاءت بها إلى فيروز شاه وأمرتها أن تقبل يديه ففعلت ولما رآها وشاهد حسنها العجيب اندهش وحار وعلم انها وحيدة فى عصرها غير ان قلبه لم يمل اليها كل الميل كما كان يميل الى عين الحياة كونها هى وحدها المالكة الوحيدة عليه منذ الصغر . واجلس جهان افروز الى جانب عين الحياة وجعل يسر نفسه بالنظر اليها . ثم قال للمرهفة اريد منك ان تأتى بكليلة والفرسان الذين عندك إلى فانهم من فرسانى وابطالى ولا اريد ان اصبر عليهم اكثر مما صبرت قالت لا بأس من ذلك فانى احضرهم اليك ولا تخف عليهم فانهم عندى على الاكرام والارحاب وما من امر يكدرهم قط ثم سارت إلى الطابق الاسفل وجاءت بهم جميعا وقدمتهم لفيروزشاه وترجب بهم وهنأهم بالسلامة فقبلوا يديه وشكروه وكان دهلهم دهشة بهمزار فيا عند مشاهدته كليلة وكاد يغمى عليه من عظم الفرح والسرور الذى لم يكن ينتظره واصابها هى ايضا مثل ما اصابه وجلسوا مع فيروزشاه على تلك المائدة يصرفون بقية الليل على الحظ والهناء حتى اذا جاء الصباح ناموا قليلا ثم ساروا الى معسكرهم

قال وكان هلال مربوط الايدى كما تقدم معنا فى غرفته وضعته فيها مرهفة وبعد ان بعد عنه وجد نفسه متألما من عظم الجراح والاوجاع بسبب قطع اذنيه وانفه غير انه خوفا من الموت إذا كان يعلم انه لابد ان يقتل اذا وقف امام الملك شاراب أخذ ان يتغلب على اوجاعه ويتجلد ويتصبر لينظر فى طريقة يقدر بها على الخلاص من ذاك القصر وبعد ان صرف كل فكره الى ذلك تبين له وجه الفرج فتقدم من الشمعة التى كانت تضىء فى الغرفة الموضوع فيها واحرق الحبل المربوط به على لهيبها حتى احترق وانطلقت ايديه فاستغنم هذه الفرصة وخرج كانه البرق فى السرعة وانسل الى الخارج دون ان يراه احد لان المرهفة كانت اذ ذاك امام فيروز شاه تحكى له قصتها وبعد ان بعد عن القصر فرح جدا وامل بالخلاص ونسى لفرحه اوجاعه وصار قاصدا جهة الملك قيصر وفى نفسه ان يطلعه على خبر فيروز شاه وعين الحياة وانهما فى القصر فى نصف الوادى ووعد نفسه كل الوعد بالانتقام منه جزاء لفعله معه لانه قطع له أذنيه وانفه فلم تعد تخفى حالته على احد ولا عاد يقدر ان يتعاطى مهنة العيارة وبقى مسرعا فى مسيره حتى قطع الوادى ودخل بين الجيوش

وجاء إلى خيمة الملك قيصر عند انبثاق نور الصباح فدخل عليه وهو فى تلك الحال فاندهش منه وقال له ماذا حل عليك ومن الذى فعل بك هذا الفعل الشنع فقال له ان الذى فعل معى ذلك هو فيروزشاه ابن الملك ضاراب . قال ومن أين وصل اليك وهل هذا الفارس هو الذى كان يأتى الميدان قال كلا بل هو مقيم فى قصر بنصف الوادى يشرب ويخمر ويسكر مع عين الحياة غير مكترث بحوادث الدهر ونكباته . قال ومن الذى أوصله إلى هناك قال لا أعلم ذلك ولا سألت عنه بل ما صدقت أن نجوت بنفسى فأتيت مسرعا لأعلمك بذلك وأطلب اليك أن تصحبنى بخمسين ألف فارس فندخل الوادى ونقبض عليه ونأخذ منه بالثار . فلما سمع الملك قيصر كلامه فرح بهذا الخبر وقال أصبت بذلك فاننا نقدر فى مثل هذه الساعة أن تتدبر إلى مسكه وهلاكه ومن بعده يهون علينا كل أمر عسير . ثم دعا الملك قيصر بمنكوخان وأولاده وبالشاه سرور وطيفور والوليد حاكم مصر وأطلعهم جميعا على ما سمعه من هلال العيار وأن فيروز شاه مقيم مع عين الحياة فى الوادى مشغل بشرب العقار والحظ والهناء غير ملتفت إلى ما سيحل عليه وأن هلالا رآه على هذه الحالة وجاء فى بخبره وذلك بعد أن وقع بيده وقطع له أذنيه وأنفه فتكدر الجميع على هلال وما حل به ما عدا الشاه سرور فانه شمت به وتمنى أنه كان مات لانه فضح بنته أمام الجميع وحكى أنها مقيمة مع فيروز شاه على انفراد بين الكاس والعقار ولحق به من الخجل والعار ما لم يلحق به قبل ذلك الآن . وأما منكوخان صفق من السرور وقال الآن يسهل علينا أخذ الثار من سيد الفرس وفى مثل هذه الساعة يجب أن نسير إلى مكان وجوده بالقصر القائم فيه ونهلكه ونعدمه الحياة . فقال انى أؤكد لكم أنكم ستقبضون عليه لا محالة . غير أن من اللازم أن تصبروا الى المساء وتحت أجنحة الظلام تمشون بالعساكر فلا يدرى بها أحد ولا يراها أحد وإلا اذا بعثتم بها الآن رأتها الفرس واطلعت على أمرها وعرفت بمكان مسيرها فتسير فى أثرها ويضيع الربح الذى نؤمل به لا بل كدنا نحصل عليه وهذه فرصة لا يمكن أن نضيعها أو نتقاعد عنها فاستحسن الجميع كلامه وصبروا إلى المساء.

قال ولم تقع حرب فى ذاك النهار بين الطائفتين لأن الملك ضاراب كان مشغل البال لغياب ولده وبهروز ويحب أن يعرف الى أين سارا وفى أى جهة توجها وخاف أيضا انه إذا باشر حربا جاء ذاك الفارس وقتل فى جيوشه بغياب ولده وكذلك الرومان فانهم لم يرغبوا بمباشرة حرب فى ذاك النهار بل صبروا يعدون أنفسهم بالفوز فى المساء يرجون نجاحا اعظم من نجاح قتال ذاك النهار ولما كان المساء جمع الملك قيصر خمسين الف فارس من الفرسان الشداد تحت امرة قائد من قواده العظام

وأمر هلالا أن يسير بهم إلى الوادى عند نصف الليل بحيث يكون الكل نيام فلا يشعر بهم أحد ولا يعلم بمسيرهم عدوهم . وعندما تنصف الليل أخذ هلال الفرسان وسار بهم وهو يعد نفسه كل الوعد بالقبض على فيروز شاه والاتيان به أسيرا إلى منكوخان والملك قيصر وينال انعامهما بدلا من أذنيه وأنفه المقطوعين وبقى فى مسيره إلى حين الصباح وفى الصباح وصل إلى القصر وقرب منه . وكان فيروزشاه مقيما فى ذاك القصر المهدم ذكره وقد صرف اليوم الثانى مع عين الحياة ولم تدعه المرهفة أن يذهب وقالت له لا بأس على قومك من أحد واننا فى الغد نسير باجمعنا ويفرح أبوك بنا مزيد الفرح ولما عرفوا فرار هلال تكدروا مزيد الكدر وقال فيروز شاه انى كنت أحب أن أقود هذا الكلب إلى أمام أبي لينتقم منه جزاء على فعله لأنه خانه وغدر به وأحنث معه بوعده . فقالت له لا يفر من أيدينا فانى فى كل ساعة أقدر أن أمسكه وأقوده اليك ومتى وصلنا إلى الجيش اتيتك به كما كان مقيدا وتركت اباك يفعل به ما اراد فأقاموا بقية ذاك اليوم فى القصر وتلك الليلة والمرهفة تقدم المآكل الطيبة والخمور الصافية وهم على غاية ما يرام من الهناء والحبور وجهان افروز وعين الحياة فى محبة ووفاق وكل منهما تبدى للثانية ما عندها من محبة ووفاق وكل منهما تبدى للثانية ما عندها من محبة فيروز شاه فتساعدها الاخرى بالتصبر والتجلد فقد حان الزمان وآن الأوان وكليلة وبهمزار قبا فى جنة من النعيم يشكران الزمان الذى اعادهما إلى بعضهما وسمح لهما بالاجتماع على مثل تلك الحالة . وفى صباح اليوم الثانى نهضت المرهفة من رقادها باكرا ونظرت إلى البر فرأت العساكر مقبلة مع هلال فادركت سر المسألة وجاءت فيروزشاه فحكت له وقالت إذا شئت مرنى يا سيدى فاسير إلى هذه العساكر وابددها قال لا يمكن ذلك بل من الواجب ان نخرج اليها كلنا ونحاربها حربا عاديا ونشتتها ومن ثم نسير إلى ابى فانى لم اعد اصبر اكثر من يومين ولا بد ان يكون لأجلى على مقالى النار فاجابته وجاءت بالخيل لسائر الفرسان واوصت اختها جهان افروز بعين الحياة وكليلة وركبت فوق جوادها وركب فيروز شاه على كميته كأنه البرج الحصين ولما خرجوا من القصر قال فيروز شاة للمرهفة انى اقصد الجهة الشمالية حيث قائد العسكر مقيم فاقتله واعدمه الحياة وافرق من حواليه كل قومه واقصدى انت اليمنى ولندع بهمزار قبا وعبد الخالق القيروانى وقادر شاه يقصدون القلب فنوقع بهم وقعة لم يروا مثلها قط ونبددهم بساعة واحدة واوصيكم ان من وقع بيده هلال يقبض عليه ولا يتركه يفر فانى اريد ان اقوده إلى ابى لينتقم منه فوعده بهروز بانه لا يتركه يفر ولا بد ان يقبض عليه اذا رآه وبينما كانت المرهفة وضيوفها يستعدون للقتال كانت عساكر الرومان تتقدم شيئا فشيئا

قال الراوى فلم يشعروا إلا وصوت فيروز شاه ينادى بأصواته القوية وقد أطلق عنان جواده وأشهر بيده الحسام كانه قضاء الله إذا انحدر على انسان وكذلك المرهفة فانها أبرقت وأرعدت وأزبدت وأمطرت وهى تنادى مناداة الفخر وتتوعد القوم بالهلاك والقلدان والدمار والهوان • ولم يكون إلا دقائق قليلة حتى اضطرب ذاك الجيش واختبط وقام به الصياح من كل جهة وناح ودار به دولاب حطف الأعمار وقصفها من بعد الأمان والاستبشار • وراحت الأرواح . تركض مستجيرة من عالم الأشباح ولم يكن يرى فى تلك الساعة إلا الدماء الفائرة والخيول الغائرة والاكف الطائرة وأشعل فيروز شاه نار تلك الحرب والطراد . وأقام فى جهنم القتال لعذاب الفرسان والأجناد . قيام المحاسب والوقاد . فكان يخطف النفوس العاصية ويرمى بها إلى لهيب غضب سيفه الرنان فتذوب فى تلك النيران كما يذوب فى وجه الهواء الدخان . يصيح وينادى فى نداء أنا فيروز شاه حبيب عين الحياة • حتى أوقع الرعب فى القلوب وأنزل أنابيب المصائب والكروب . وأحل على أعدائه الغضب والانتقام فكان جزاؤهم منه الانقراض والاعدام . وكانت الخيل تلطم بعضها هاربة من وجهه أملا بالخلاص من حروبه والنجاة من لهيب طعنه وطربه إلا أنها كانت كمن يهرب من الدب فيقع فى الجب أى أن المرهفة كانت ذات بأس واقتدار عجيب فقارنة فيروز شاه فى عملها وسطت كما تسطوا الآساد . وقطعت المعاصم والأوردة وأجرت الدماء من الصدور . كما تجرى فى كانون الشتاء النهور . وسدت عليهم طرق الفرار على أمل أن لا ينجوا منهم قط فارس بل تهلكهم عن آخرهم ولا تبق إلا على كل جريح وسقيم وأما بقية الفرسان فانهم دخلوا فى الوسط وأقاموا فيه سوق الطعان والضراب . وأجهدوا أنفسهم على الثبات والاقدام فى مثل هذا الموقف غير أن فيروز شاه كان لا يغفل عنهم بل كان ينخطف فى آونة إلى جهتهم فاذا وجدهم مغلوبين أفرج عنهم وفرق المزدحمين ووسع لهم المجال ثم عاد عنهم إلى الجهة التى جاء منها وكان يؤكد أن المرهفة قادرة على حمل ما أعهد اليها ولذلك لم يقصد جهتها بل كان مطمئنا مرتاحا عالما أنها ستفرق من حواليها . وبقيت الحرب عاقدة على مثل ذلك أكثر من ثلاث ساعات وعزرائيل قابض الأرواح يتداول من فرسان الرومان واحدا بعد واحد واثنين بعد اثنين وعشرة بعد عشرة وعشرين بعد عشرين ويسلمهم إلى أيدى الفناء حتى كادوا يضمحلون ورأوا ان لا خلاص لهم إلا بالهرب والفرار فالوى الباقون عنان خيولهم وانطلقوا يسرعون إلى جهة المعسكر يطلبون الاختفاء من وجه فيروز شاه والمرهفة ومن معهما من فرسان إيران فتتبعوهم حتى

أبعدوهم عن تلك الناحية وأجلوهم عنها تماما ولم يبق منهم إلا القليل والباقون انبسطوا متمددين على بساط الأرض تدوسهم حوافر الخيول وتأكل لحومهم الوحوش والطيور وأما بهروز فانه كان فى الأول لا يفارق مولاه حتى تأكد تقهقر الأعداء من أمام وجهه فاستل الخنجر ومال فيما بينهم مفتشا على هلال وكل من وقع فى طريقه أعدمه الحياة إلى أن توصل الى غايته وهو أنه رأى هلالا فارا يطلب النجاة فانقض عليه كالجندل وقبضه من عنقه ودفعه إلى الأرض وأخرج حبلا فربط أيديه وقادة مسرورا بعمله مشتفيا بعدوه

وعند رجوعه من ساحة القتال وبعد الأعداء عن المجال قدمه لسيده وحكى له عنه فقال له كن انت حارسا عليه ولا تغفل عنه فانى مزمع أن أقدمه فى هذا اليوم إلى أبى فهو متحرق من عمله وخباثته كما إنى انا ايضا ملذوع من عقارب كيده وذبانات غدره ولا ريب انه سيموت شر ميتة ليكون عبرة لغيره . فأبقاه بهروز عنده واما فيروزشاه فانه سأل المرهفة المسير الى معسكر أبيه فاجابته وعادت إلى القصر فأركبت من فيه من النساء كل واحدة فى هودج وأخرجت الأموال وما كان ثمينا من مفروشات القصر وانطلقت مبعدة عن تلك الجهة سائرة بين يدى صاحب هذه القصة وبطلها وقد أنهت مما كانت تطلبه وسرت لسرور أختها بمن أحبته كما كان سروره هو بعين الحياة وحصوله عليها وإتيانه بها بعد أن صرف الأيام والليالى بعدا عنها مشتاقا إلى نظرة واحدة منها ووجد نفسه بنعمة لا تجحد وعرف ان الله قرب أيام اجتماعه وزواجه بها بحيث يكون قد انتهى وقت العذاب وكان يزيد سروره عندما يتأكد أن أباه سيفرح ويسر بها أيضا وانه كان كل تلك المدة وما مضى عليه من الأعوام والشهور يحارب فى سبيل الحصول عليها دون أن يراها أو يعلم صورتها ومثله كانت كل رجال إيران . ولما كان يقرب من الجيش أى بعد أن خرجوا من فم الوادى بعث بهروز أن يسرع إلى أبيه ويطلعه على أمره ويعلمه بوصوله ووصول المرهفة وعين الحياة ومن معهم فاجابه وانطلق بسرعة تحاكى وميض البرق وكان الملك ضاربا فى قلق واضطراب لغياب ولده عن الجيش مقدار يومين لا يعرف فى أى جهة سار وبقى على مثل تلك الحالة إلى أن وقف بين بهروز وشرح له عن اتيان سيده ومن معه فسقطت أبراج الهم عن قلبه وانطلقت دمعة الفرح من عينيه وقال أحقيق ما تقول هل عاد ولدى والفرسان الذين أسروا من جيشى ومعهم الفارس الذى أسرهم وهل حقيق ماتقوله من انى سأرى بعـــد قليل خطيبة ولدى وأنظرها فى يده وتحت حوزته فأفرح بعد أيام بزفافه وأراه مسرورا بها متنعما بعيشته

وكان يتكلم والدموع تنحدر من عينيه لأنه وان كان صارم الأمر شديد القلب غير أنه كان رقيق الحاشية عصبي المزاج يتأثر من أقل الأشياء تبعثه إلى ذلك حواسه وشعوره وفي الحال نهض وقال يجب على ان أسير بنفسى إكراما لولدى والاقى خطيبته وأترحب بها مزيد الترحب وعند نهوضه نهض كل من كان حاضرا وركب الجميع وشاع خبر وصول فيروز شاه بعين الحياة بين كل الجيش فازدحموا سائرين يتسابقون ليروا الفتاة التى اختارها ملكهم وابن ملكهم وسيدهم والتى صرفوا كل هذه المدة بالحروب ومقاساة الاهوال لأجلها ولأجل زواجها به . ولما قرب فيروزشاه من أبيه ترجل إلى الارض وسعى على أقدامه إلى أن دنا منه ففعل أبوه مثله وضمه إلى صدره وهو يهنئه بنجاحه فقبل يديه وقدم له المرهفة وقال هذه ياسيدى من كانت تأتى الميدان وتفعل تلك الأفعال العجيبة وهى من بنات الجان صاحبة بطش وإقدام وبسالة تندر مثلها من فرسان الانس والجان وقد فعلت كل مافعلت طمعا بأن تقدم إلى أختها زوجة وسأطلعك على كل ما كان من أمرها وتقدمت المرهفة من الملك ضاراب وقبلت يديه فشكرها على معروفها وكيف أنها أوصلت عين الحياة إلى ابنه وكانت الواسطة الكبرى لهنائه وراحته ومنع عذابه ثم تقدمت منه عين الحياة وهى تشرق بأنوار البهاء والجمال كأنها حورية قد خرجت من الجنان لم تر عينه قط من هى أجمل منها من محاسنها واندهش مما شاهد فيها وقال فى نفسه لقد أصاب ولدى بشدة تعلقه بهذا الملاك المجازى وأما هى فانها قبلت يديه وأطرقت إلى الارض فأمرها أن تعود إلى هودجها وهنأ ابنه بها ومن بعدها تقدمت جهان أفروز وأبدت فروض الطاعة والخضـــوع للملك فترحب بها وهنأها بولده ومن ثم سلم على كل فرسانه الغائبين وكر راجعا وإلى جانبه ولده والفرسان تزدحم من كل جهة لترى عين الحياة ومامنهم إلا من يتعجب ويفرح لذلك وهم ينادون له بالنصر ودوام الشرور ويدعون له ولخطيبته بطول العمر والبقاء حتى كادت تسد الطريق ولم يكن من يقدر أن يدرك حالة رجال الفرس وقوة فرحهم فى ذلك اليوم ولما وصلوا إلى الخيام نزلوا عن خيولهم وأنزلوا عين الحياة ومن معها فى صيوان مخصوص ضرب لهم من الحرير الابيض سجافاته من الأقمشة الفارسية الفاخرة وعلى أعمدته الذهبية قطع من الجواهر الكبيرة كل واحدة بقدر البيضة وأقيم عليها الحراس وفيه الخدم والجوار وهو مقطع إلى غرف ومساكن أشبه بالقصور المبنية خص واحدة منها لعين الحياة والثانية لجهان أفروز والثالثة لفيروزشاه والباقون للجوار والعبيد وقام فيروز شاه مع حبيبته ينتظر ما كتبه الله له فى نصيبه . وضرب إلى المرهفة صيوانا مخصوصا خصص لها به الخدم والعبيد وأخذ بهمزار قباكلية اليه وضرب لها صيوانا بقرب

صيوانه ولما اجتمع جميع الفرسان فى صيوان الملك ضاراب حكى فيروز شاه لأبيه مفصلا كامل ماوقع له مع المرهفة وماسمعه منها من قصتها وماهو السبب الذى دعاه إلى سلوك هـذا السبيل والاتيان إلى تلك الناحية وكان الجميع يتعجبون من توفيقه وسعادته وعلو منزلته حتى صارت الانس والجن تطلب خدمته وتسعى فى التقرب منه ومثل ذلك جرى على أبيه وشكر الله على هذه المنة العظيمة وشعر بقرب الهناء والراحة وقال انى لاأقدر أن أفى حق الشكر لمن جعل لنا بين خليقته منزلة أولى ورفعة وعلو شأن وأطلب منه تعالى ان ينهى أعمالنا بالخير والنجاح ويقرب منا أيام رجوعنا إلى الأوطان إلى بلادنا وأكبر شكرى هو كونى أرى كل فرسانى وأبطالى مقيمين حولى غير غائب منهم إلا فرخزاد ولا بد لى من الوقوف على خبره وإرجاعه الينا مكرما وأصفح له عن ذنبه وكذلك طهمور فانه أسير فى جيوش الأعداء ولاأعرف كيف كانت حالته وانى ان كنت أتذكر موت فارس بلادى وحاميها من خدمها بأمانة وصرف كل العمر فى تشييد دعائم تقدمها وفلاحتها ورفع اسمها بين الممالك وهو فيلزور البهلوان إلا انى أتعزى عند ما أفكر أنه لايزال فى ديوان خليفته وفرعه الذكى بهزاد الجبار من فاق كل فارس بطل باقدامه وبسالته وأسر لما أرى نفسى انى قادر على مكافأته ورفع منزلته وتقدمه منى ارتقائه إلى الرتبة الملكية . ولو غياب شياغوس بين الأعداء وعدم على خبرا عنه انشغال بالى من قبله لقلت الآن انى أرى نفسى كأنى فى نفس اليوم الذى خرجت فيه ن إيران غير خاسر أحدا من رجالى إنما لا بد لى من الوقوف على خبره والاكتشاف على أمره وخلاص طهمور وبذلك أكون على أتم ما يكون من السرور والافراح فقال بهروز يجب ياسيدى أن تمرق الأموال عن روح شياغوس فقد كان صادق الخدمة فى دولتكم وكنت أظن منذ الأول ان الملك قيصر لايبقى عليه ولا يتركه حيا لأنه كان شريكا بقتل ابنه انبوش . وثبت لى ذلك من هلال العيار فسألته فى أثناء الطرق فاطلعنى على انه قتل أقبح قتلة أى ان الملك أمر بتقطيعه قطعا قطعا بسيوف رجاله ولذلك أقسمت انى لا بد ان آخذ بنفسى ثاره وأقتل به نفس الملك لأنه كان رفيقا لى فى أسفارى وأعمالى يسمع لأمرى ولايعصانى قط كبقية العيارين الذين سلمتنى أمر النظر اليهم فلما سمع الملك ضاراب هذا الكلام تكدر مزيد الكدر وبكى عليه وكذلك جميع الحاضرين وحزنوا لموته ولاسيما فيروز شاه لأنه تذكر فعله الحسن معه وخدمته السابقة وإلقاء محبته فى قلب محبوبته عين الحياة .

ومن ثم أمر بهروز أن يأتيه بهلال ويقدمه من أبيه ليحاكمه على أفعاله فسار اليه وأحضره إلى بين يدى الملك وهو بأتعس حالة من جرى قطع اذنيه وانفه ولما وقفه

فى الوسط قال له الملك ضاراب أتذكر ياهلال مافعلته معى فى ايران وكيف أنك أحنثت الوعد وأخلفته ونكرت جميلى معك وخنتنى وقصدت هلاك ابنى وأخذه فى الليل من بين جيشى لتسلمه إلى رجال اليمن ولما لم يساعدك القدر أخذت بفرخوزاد وخورشيدشاه إلى الأعداء ولو لم يساعدهما الله لقتلا وذاقا الممات وفوق كل ذلك فانك كنت صارفا كل الجهد إلى معاندة أعمالى وفضح عيارى بلادى وتوصلت أخيرا إلى أن كنت السبب فى قتل شياغوس وفوق كل ذلك فانك ذهبت فى هذه المرة الأخيرة إلى مسك ولدى وأتيت بالعساكر الرومانية والصينية إلى الوادى فى نيتك أن تقبض عليه وتسلمه إلى الأعداء فهل تنكر شيئا من ذلك فلم يبد كلمة ولا عارض بكلمة ثم نظر الملك إلى وزيره طيطلوس وبقية رجاله وقال انى أسألكم الحكم عليه بما تقتضيه العدالة والحق ومجازاته بما يستحقه على أفعاله فأجابوه إلى طلبه وبعد المذاكرة حكموا عليه بالاعدام وأعرضوا ذلك على الملك قال لقد أصبتم وإنى كنت أحب أن أرفق به وأعفو عنه غير أنه ليس ممن يستحق وفى بقائه عظيم ضرر علينا ولا نأمن شره ثم سلمه إلى بهروز وقال له أمته الميتة التى تختارها أنت واجعله عبرة لغيره فلا يفعل الذين يوعدون بالطاعة فعله ولا يخونون من يدخلوا فى حوزتهم ولا يحتالون على الملوك الكبار . فأجاب بهروز وأخذه من حضرة الملك لانفاذ الحكم به فى اليوم الثانى ومن ثم تفرق الجميع إلى خيامهم فى تلك الليلة وفى الصباح اجتمع الناس أفواجا وجاءت الفرسان من كل جهة ومكان لحضور موت هلال واذا بهروز قد جاء به وأحضر معه خشبة عالية فرفعه عليها وأخذ خنجره بيده بعد أن جرده من كل ثيابه وجعل يوخز به بدنه ما بين كل وخزة وأخرى مقدار قيراط حتى جرحه فى كل بدنه جراحا خفيفة رفيعة بدأ الدم يسيل منها كالأنابيب وهو يتألم ويشاهد بعينيه أعمال عدوه ولا يقدر أن يتخلص من بين يديه أو يدافع عن نفسه بل كان يرى أدميته تسل من أنابيب جسده معذبا بأوجاعه وأيديه مربوطة ثم قال له بهروز أتتذكر يا هلال وأنت على آخر رمق من حياتك أنك غدرت بى وأخذت منى عين الحياة وسيف الدولة وزوجته والأمير قهر يوم كانوا فى المغارة قرب ملاطية نعم انى لا أنسى ذلك ولا انساه قط لأنه لم يقدر احد حتى اليوم ان يقهرنى ويغيظنى الا انت فى تلك المرة ولذلك جازيتك هذه المجازاة . وكان الجميع ينظرون إلى هلال مشتفين به وقد استحسنوا هذه الميتة القبيحة . وما جاء آخر ذلك النهار حتى كانت روحه قد فارقت جسده وحينئذ امر الملك بدفنه إكراما لكرمة جبلته تعالى وقال انى احزن عندما اعلم بموت احد الأعداء. إذ لا يطيب لدى إهراق الدماء إنما القصاص جعل من الله فهو ضرورى لاصلاح نفوس

عبيده وهو الذى أقام الملوك للحكم بالحق والعدل وأرجو من الله لا يحملنى ولا يقدرنى أن أظلم أحداً من أبناء جنسى الآدمى . وإنى أرجو ميتة لطيفور مثل هذه عقاباً له على أفعاله لأنه كان السبب فى إهراق كل هذه الآدمية وهلاك كل هذه النفوس التى هلكت بسبب هذه الحرب .

ثم امر ضاربى طبول الحرب أن يضربوها قبل صباح اليوم الثانى تنذيرا للاعداء بالحرب والقتال وقال لا بد فى هذين اليومين أن تنتهى الحرب بيننا وبين الرومان وقد هون الله علينا كل أمر عسير .

وأما فيروزشاه فانه بعد ان خرج من ديوان ابيه سار إلى صيوانه واجتمع بعين الحياة وصرف معها وقتا على الحظ والانشراح وقال لها ان الحرب لا بد أن تنتهى بعد أيام قليلة ونرتاح من كل هذه المصائب ويطيب لنا الوقت فان الأعداء أخذوا فى الاضمحلال وأنت الآن فى يدى وما من مانع يمنعنا بعد استيلائنا على بلاد قيصر من الزفاف والزواج ونوال المراد وفى هذا اليوم قتلنا هلالا شر قتلة وارتحنا من شروره ولم يعد بين الرومان من عيار قط نخاف أن يسطو علينا ويقدم الينا لا فى ليل ولا فى نهار .

ولما سمعت عين الحياة كلامه بكت وأظهرت التألم واطرقت غير مبديه كلمة . فارتاع لذلك وسألها عنه . فقالت اتظن ان يحلو لى العيش او يطيب الهناء إذا لحق بابى أو بأحد اخوتى أدنى ضرر أو أذى أليس ان أبى هو الذى ربانى وأحبنى واكرمنى كل العمر وميزنى على كل اخوتى أليس هو الذى أوصانى الله بطاعته واكرامه ووضع على الفروض اللازمة فى خضوعى له أأكون عين الحياة وحبيبى وبعلى فيروزشاه ويقال عنى أنى بعثت أبى وأمته إكراما لآمالى ورغائبى وهذا الذى يكبنى ويهمنى دائما . وهذا الذى يشغلنى ويجعلنى على الدوام فى حزن نعم انى لا انكر حبك عندى وتفضيلك على والدى إنما لا يمكن لى ان اعيش براحة يتيمة مقطوعة ولا شىء يسرنى إلا ان اكون جامعة على محبتك وطاعة ابى بوقت واحد وتكون انت وهو على اتفاق وحب وانا اعرف اكيدا وانيقن ان ابى يرغب فى التقرب منك وطالما رغب فى ذلك منذ الاول غير ان امتناعه كان بمشورة طيفور وتقدمه عنده . فقال لها ان كان ما يغيظك هو بعد ابيك عنك فانى اصرف الجد إلى استرضائه ولا بد من وقوعه بايدينا وحينئذ استعطف بخاطره واسأله الرضا عنى وعنك وهذا مما ارغب فيه اكثر منك وفوق كل ذلك فانى احمل أبى على ان يعفو عنه ويسمح له عن ذلاته ويكتفى بقصاص طيفور فقط وإن كان قد اصر على هلاك ابيك لكنه لا يرضى بكدرك وكدر عيشتك فى حياتك فقامت اليه وقبلته فرحة وقالت له هذا الذى ارجوه منك وغيره فلا وانت تعرف من نفسك محبة ابيك لك ومحبتك له وغيرتك عليه أليس انت كامل الصفات وعهدك بى كعهدى بك . فكرر عليها الوعد وقال لها انى اقسم

لك ان لا اقرب منك إلا بارادة أبيك انما لا أقبل قط بعدك عنى بارادتى دقيقة واحدة ولو هلكت جيوش العالم باجمعها واندكت مدنها وقتلت ملوكها وساداتها . قالت هذا الذى أرجوه طول العمر ولا اكرهه قط وانى لو بقيت طول عمرى بلا زواج وفى يدك لا أطلبه قط وجل غايتى ان ارى وجهك فى الصباح والمساء بل وفى كل ساعة ودقيقة فسره كلامها وفرح لأجله ونوى كل النية على استجلاب خاطر أبيها وحمله على قبوله به وعول على أن يعهد بذلك إلى بهروز فيسير اليه ويطلب منه الحضور إلى جيوش الفرس إذا كان يقبل ذلك وإلا احضره بالرغم عنه مبنجا ومن ثم يترضاه بنفسه

قال فهذا ما كان من امر جيوش الفرس وأما ما كان من أمر الملك قيصر ومنكوخان وجماعتهما فانهم بقيوا على انتظار هلال وان يعود اليهم بفيروز شاه مقيدا مع عين الحياة كل ذلك النهار إلى المساء وفى المساء جاءت اليهم الرجال الذين هربوا من الوادى وهم منقطعون من خمسة وعشرة ينظرون إلى الأمام والوراء خائفين من ان يكون الفرسان فى اثرهم . ولما وقفوا بين يدى الملك حكوا له كل ما وقع عليهم من فيروز شاه ورفاقه فتكدر مزيد الكدر وكادت تنشق من الغيظ والحنق وجرى على قلب منكوخان اكثر مما وقع على قلبه وخاف من ان يكون تبديد جيوش الصين فى تلك البلاد على يد رجال الفرس ولهذا أخذ يفكر فى الانتقام منهم بأى وسيلة كانت واستشار الملك قيصر فيما يفعلون قال لا شىء ينجينا من هؤلاء الأبطال إلا الثبات فى الميدان وعندى اننا لا نبلغ منهم مرادا إلا بهمتك وبطشك وبركة آلهتك ربسالة اولادك فانتفخ منكوخان من هذا الكلام وقال انى سأسأل مولاى وولى امر الصينيين ان يتحنن علينا ويساعدنا ويخولنا النصر على هؤلاء الأوباش وبعد ان انصرفوا من صيوان الملك قيصر سار منكوخان إلى صيوانه ودخله مأيوسا مكدرا وإذا بطيفور قد دخل عليه وجلس عنده يباحثه فى امر القتال ثم قال له اخيرا اعلم يا سيدى انك غريب فى هذه البلاد وليس فى الرومان من يقدر على الدفاع والثبات ولذلك خطر لى ان ابدى لك رأيا فيه الصواب والتوفيق قال أبد ما فى ضميرك لعل يكون ذلك خير وتوفيق يأتينا بالنصر الحميد قال انى اؤكد لك ان الفرس سيستولون على بلاد قيصر لكثرة فرسانهم وابطالهم . لاسيما وهم على اشتداد عزم وهمة والرومان فى خوف منهم ولولا ان تأتى اليهم بالجيوش الصينية لسلموا بلادهم إلى اعدائهم لجباتهم وضعفهم ومن اين لهم ان يثبتوا ثبات الصينيين او يقاتلوا قتالهم ولهذا خطر لى خاطر نافع وهو ان تدبر إلى تدبير واسطة ترغم اهل إيران على المسير إلى الصين برجالهم وفرسانهم وهناك تذبحونهم ذبح الأغنام وتهلكونهم

عن آخرهم وعلى ذلك تنقرض هذه الدولة ويغضب عليها ملككم . قال انى أفكر فى
ذلك ولى ثقة كبرى إذا وصلوا إلى هناك ونزل لحربهم ملكنا جهان أهلكهم عن آخرهم
وأوصل بغضبه عليهم واستعبدهم استعباد الأرقاء العبيد غير انى لا أجد طريقة إلى
ذلك ولا يمكنهم أن يدوسوا بلادنا أو يصلوا اليها وما من سبب يدعوهم إلى هذه
الغاية قال انى وجدت لذلك طريقا نافعا ناجحا وهو أنه موجود عند الملك قيصر أسير
من الفرس اسمه طهمور أحد بهلوانى بلاده وأمرائها وهو عزيز عنده جدا ففى الغد أطلبه
اليك وابقه عندك إلى حين ترى الغلبة وتتأكد أن لا رجاء بالنصر على الفرس وحينئذ
تأخذ معك هذا الأسير وتقصد بلاد الصين وتبقيه عندك فى السجن إلى حين يقصدونكم
لأجل خلاصه فيأخذ لأولادك بالثأر منهم فتقتله وتقتل كل بطل منهم وعلى هذا تكون
قد أحسنت التدبير وفعلت فعل الرجل الخبير وأرضيت مولاك كل الرضا لكن يجب
أن لا تطلع الملك قيصر على فكرك بل اطلب منه هذا الأسير مدعيا أنك تحب أن تبقيه
عندك لتأخذ من عذابه ثأرك وتروى ظمأ فؤادك من مجازاته بالضرب والتعذيب .
فوافق كلام طيفور خاطر منكوخان وسر منه مزيد السرور وقال له انك من اعظم الرجال
حكمة وأوسعهم رأيا وتدبيرا ويليق بك أن تكون دائما فى دواوين الملوك الكبار وانى
أعدك عند وصولنا إلى عاصمة الصين ادخل بك إلى قصر ملكنا وأشرفك بالوقوف
تحت سمائه واساله ان ينظر اليك ويكرمك واحكى له عن حكمتك ومساعدتك لرجاله
وهو لاريب يعرف قدر الذى مثلك حنكتهم الايام وقبلتهم التجارب فاصبحوا اوحيدين
أيامهم . فعلق طيفور أمله بمواعيد منكوخان ونظر إلى مستقبله نظر الراحة والأمان وقال
فى نفسه خير لى أن أعيش فى تلك البلاد على عبادة غير الله مكرما من أن أبقى هنا مرذولا
مرفوضا مستجيرا والملك ضاراب يسعى فى طلبى والحصول على قتلى واهلاكى

وبعد أن اتفق مع منكوخان على مثل هذا الشأن رجع إلى صيوانه ونام مرتاحا
مسرورا بعد نفسه بانه صار وزيرا من وزراء ملك الصين وان كلمته صارت نافذة
فى كل تلك البلاد ونام تلك الليلة . وفى صباح اليوم التالى ضربت طبول الفرس
تدعو الرومان أن تستعد وتتهيء للقتال والنزال وتطلب من رجال الفرس الاستعداد
أيضا منذورة بان ذاك اليوم يوم قتال وحرب ونزال وعلى هذا خرجت الفرسان
من مراقدها وتفقدت سروج خيولها ونقلت أسلحتها وانتظرت إلى أن نادى النفير
الأخير يطلب منهم التقدم إلى ساحة القتـــال فتقدموا بهمة وحمية وترتبوا صفوفا
صفوفا وتقدمت قوادهم توعز اليهم بالتعليمات . وإذا بفيروز شاه صاح من جهة اليمين
صياح الأسود وانحدر انحدار الصواعق وانقض على الرومان فاجابه بمثل صوته بهزاد

وانحذف إلى جهة الشمال وانحط على عساكر الصين انحطاط القضاء المنزل فالتقت بهما المرهفة وصاحت فى وسط العسكر وحملت حملة تزيح الجبال من مراكزها ورأت العساكر أعمال هذه الفرسان الثلاثة فانسرت قلوبها وأمرها الملك ضاراب بالحملة بأجمعها فهزت الأعلام وأطلقت الأعنة وأسرعت تطلب الفتك والقتال وكان فى مقدمتها أنوش بنت الشاه سليم فاخترقت الصفوف وتفتحت الميئات والألوف وفعلت فعال الأبطال الشداد وكذلك بهمنزار قبا فانه حمل برجاله يظهر شجاعته واقدامه وحمل أيضا عبد الخالق القيروانى ومرادخت الطبرستانى وشبرين الشيلى الطلقانى وبهمنزارقلى وسيف الدولة صاحب ملاطية والأمير قهر وحمل أيضا خورشيد شاه ومصفرشاه وجمشيدشاه وكرمان شاه وبيلتا بن فيلزوز البهلوان . فاهتزت لحملاتهم السهول والجبال . والتقتهم عساكر الرومان والصين فى مثل تلك الحال . صابرة على شدة الحرب والقتال مأخوذة بكثرة الفرسان والأبطال . عالمة أنها لا تثبت كثيرا أمامهم فى ساحة المجال . إلا إذا ثبت منكرخان بأولاده الباقين وابدوا من الشجاعة والاقدام ما تشتد به ظهورهم أجمعين وكان منكوخان قد حمل على الفرس وفى نيته أنه يأخذ لنفسه منهم بالثار وينزل عليهم البلاء والدمار . وأوصى أولاده بان تختار دائما الفرسان الشداد . فتاسرها أو تقتلها فى وقت الطراد . وكذلك تمر تاش بهلوان الملك قيصر فانه فرح بهذه الحملة وفى نيته انه يلتقى ببهزاد فيتوصل اليه من أى باب كان وربما قتله وأخذ لنفسه منه بالثار غير ان بهزاد كان هذه المرة فى عساكر الصين فلم ير أحدهما الآخر وكان إلى جهة تمر تاش أسد الآساد وفارس ميدان الطراد فيروز شاه بن الملك ضاراب . الذى أنزل على الأعداء أنابيب العذاب وسد فى وجوههم كل طريق وباب

قال ولم تكن إلا ساعة من الزمان . حتى اختلطت الفرسان بالفرسان . وكثر الخوف وقل الأمان . وحكم الموت بكل ما له من السلطان . ونشر حكمه على ذلك المكان وأخذ ينتقد كل من له ويقدر عليه . ويمكنه مع مساعدة خصمه ان يصل اليه حتى اسود بياض النهار . وأظلمت الشمس واحتجبت الأنوار . وارتفع النقع والغبار وانتشر فى الافاق اكثف انتشار . ورفع ما فوقه روافع المجد بأمر الاسرار وبعث إلى ما تحته بواعث الهموم والاكدار وارسل اليهم رسل النحوس والأخطار حتى عميت من المتقاتلين الأبصار . وتفتحت عيون الهلاك باوجه النظار . واندفعت دوافق الدماء تسيل مسيل الأمطار . وتجدولت فى أقنية الأرض تجدول الأنهار . وانسابت فى رياض الوغى بأيشم بوار . والبست الأرض بما هى عليه من الاحمرار . حلة تظاهر باقبح اظهار . وأثمرت المنون بانضج الاثمار . وازهرت المنايا بمكاره الازهار وكانت

الحرب عاقدة البنود على الأعمار وموسدة النفوس فى سرر الدمار فلله درفيروزشاه الأسد الكرار والفارس المغوار والبطل الذى لا يصطلى له بنار فانه ولدشيوخ المصائب من أرحام الابكار وفرق بين فراقد الآمال بالصارم البتار وشتت متجمعات الجيوش بعزمه الثقيل العيار وساعدت أفعاله الأقدار لانتشار صيته فى سائر الأمصار وكذلك بهزاد الفارس الجبار الذى ندر وجود مثله فى جميع الأقطار فقد قدم الأعداء ضحايا وعرضها للنكبات والاضرار وخلط أجساد الأشرار بابدان الأبرار وداس بحوافر جواده الرؤس فسحقها مع الاحجار وأرهب من الصينيين الكبار والصغار وفيما هو يجول ويزأر كالليث الهدار إذ التقى بأحد أولاد منكوخان رئيس عصبة الكفار . فضربه بحسامه وإذا برأسه قد طار ومثل ذلك فعل باخيه الخبيث الغدار وقد قتلهما ومددهما على رمال القفار وأما المرهفة فانها أظهرت ماعندها من القوة والاقتدار وقلبت الجيوش من الشمال إلى اليمين ومن اليمين إلى اليسار وأبعدت عنهم الرجاء بالتجلد والاصطبار فاندثروا من قوائم سيفها أى اندثار وشاهدوا عزرائيل يخدم ركابها خدمة العبيد للأحرار وهكذا كانت تفعل بقية فرسان الفرس ومن معهم من الانصار حتى خيل للأسماع والأبصار أن يوم الحشر قد صار وجاء عزائيل وجبرائيل يعربان نفوس الخطاة من الأخيار فانكر الأب للابن والجار للجار وهز هزيز الاصوات فارتفع كبركان نار يتطاير منه اللهيب والشرار وفرقع إلى الجو منفجرا أى انفجار وكان الملك ضاراب صاحب الشرف والافتخار وطيطلوس ذوالهيبة والوقار ومن حواليهما من رجال الحكمة والفخار ينظرون إلى هذه الحرب باندهاش وانبهار ومامنهم إلامن عقله من شدة هذه الوقعة وحار واعتزت منهم النفوس والأفكار بما كانوا يرونه عن بعد من عمل فيروز شاه ومايبدوه فى ذاك المضمار وهو يفيض فى حربه كما تفيض البحار وينحذف على فرق الرومان انحذاف كواسر الأطيار وينادى انا حبيب عين الحياة ذات العفة الأطهار ودام القتال متسعا إلى ان علا الشمس الاصفرار ومالت إلى الغروب طالبة الاختفاء والاستتار وبعث الليل بجيوش الظلام والاعتكار .

قال وفى تلك الساعة ضربت طبول الانفصال ورجع الفريقان عن الحرب والقتال وهم لا يصدقون بقرب الزوال والرجوع عن تلك الحال ولا سيما رجال الرومان فانه وقع عليهم من القتل والجرح وقع الخوف وتأخروا كل التأخير وأصيبوا بالبلاء والعذاب وكذلك رجال الصين ومنكوخان ابن هلكوخان وأما إيران فرجعوا على الفرح والسرور وهم يتمنون أن يكون قد طال ذلك النهار لينهوا تلك الحرب دفعة واحدة ولا يعودون مرة ثانيه اليها لأن النصر قد عاهدهم ووعدهم بالخدمة والطاعة

ولما رجعوا إلى الصيوان تلقى الملك ضاراب ابنه بالأحضان وقبله ما بين الأعيان وشكره على مارآه منه فى ذلك اليوم العظيم الشان فقال له اعلم ياأبى انى لم أفعل شيئا استحق عليه المدح والثناء فما أنا إلا ملزوم بحماية الدولة الفارسية ووقاية من الأعداء ولا يتعجب منى من يعرف أن أبى فارس ميدان السباق وسيد سادات القتال وقد سار ذكره بكل الآفاق وإذا لم أكن بهذه الدرجة التى تراها فى وإلا لاأستحق أن أدعى ابنك ولا يليق بى ان أقاتل بين رجال فارس ألست أنا ملكهم وابن ملكهم وقائدهم وهل يحمد القائد إذا قاتل أكثر من النفر فاندهل أبوه من كلامه وكذلك كل من حضر وبعد أن أكلوا الطعام واكتفوا منه شكروا الله عليه وجلسوا للحديث بأعمال النهار فقال الملك صاراب أنه قلما مر علينا يوم مثل هذا اليوم كثير الأهوال فانى كنت أرى فرسانى كشعلة نار تتقد فى وسط أتون من اللهيب الأحمر وهو يلتهم الأعداء كما تلتهم النار القش اليابس وكنت أشفق على صياحهم وبكائهم وآلام من أنينهم وعنينهم ولولا أن الحرب محللة منه تعالى حفظا لما يتبعها من السلام ولحقوق الدول المقامة بيمين الحق سبحانه وتعالى لحرمت على نفسى إهراق دماء عباده الذين خلقهم لتسبيحه وتمجيده فقال طيطلوس ان جعل الحرب سيف انتقام له فمن طغى وبغى وكفر بعث اليه من جنسه من ينتقم منه قصاصا على فعله وجبره وعلى هذا فاننا لانخاف عن نؤسا ماى الله بمشانقمة لغيرنا وجعلنا قضيب تأديب لمن ترك وصيته ولم يعمل بها ولا التفت اليه وانى وان كنت أعلم ذلك انما لاأسر بقتال عباد الله وعباده وأهل كتابه وأسأله تعالى أن ينهى أمرنا على خير ويسير بنا إلى خير قال صدقت ولذلك أحب ان أنشر فى الغد بين كل عساكرى ورجالى بأوامرى انهم يترفقوا بأمور أخصامهم وان يتأكدوا انى لاأرغب الاضرار بالناس وهكذا أيضا عند دخولنا هذه المدينة فاننا مزمعون أن نقيم فيها زمانا ليس بقليل إذ انها تكون محط راحتنا وهنائنا فلا يمد أحد من قومى يده إلى أحد من أهلها أو يطمع بحاجة من حوائجهم ومن يرغب شيئا أو مالت نفسه إلى شىء فيبتاعه بالدرهم والدينار ولا يظلم أحد أحدا ولا تميل عين أحد إلى جارية بكرا كانت أو ثيبة واوعوا فى كل أعمالكم جانب الحق واجروا بحسب ما أوصيكم وابعدوا عن المعاصى وانى على يقين أننا بعد يومين أو ثلاثة أيام على الأكثر ندخل المدينة ونتسلط عليها ونجلس فوق عروشها ونرفع رايتنا فوق أسوارها وحصونها وقلاعها فتصبح البلاد بلادا فارسية وسكانها منقادون الينا بالرغم عنهم وبما يروه منا من الحلم والاستقامة فأجاب طيطلوس ان ذلك صار قريب لدينا وما من أمر يعيقنا عنـــه مع مساعدة البارى سبحانه وتعالى وانى أطلب اليك ياسيدى الملك ان تجعل زفاف فيروز شاه

على عين الحياة فى هذه المدينة وتحتفل بعرسه فانها فهى من المدن الشهيرة بالزين واسبابه الحظ والسرور لا سيما واننا نعلم أنه قد تعذب لأجلها كثيراً وتعذبنا نحن لعذابه فنغسل اقذار تلك المصائب التى مرت علينا فى اليمن ومصر وغيرهما بأيام سرور وهناء ونجمل أيضا زفاف خورشيدشاه وبهمنزارقبا ومصفر شاه بيوم واحد . فاجاب الملك ضاراب طلبه وقال له لقد نظرت موضع النظر واننا بعونه تعالى سنقيم أعراس فرسانى مع عرس ابنى غير ان ذلك يحتاج إلى تبصر وتدبير فان تاج الملوك وكومندان بعيدتان عنا ينبغى احضارهما وأكثر شيء أرغب فيه هو زفاف فرخوزادمعهم وأريدأن أعرف مكانه لأبعث فاحضره الينا فقال له بهروز العيار اعلم ياسيدى أنى بينما كنت مرافقا لسيدى فيروز شاه أثناء القتال كنت أرى بين الأعداء فارسا كفرخوزاد بالتمام يحمل حملات الأسود الكواسر ويهجم هجمات الفرس دون شك ولا ارتياب إنما عند وقوع أحد من رجالنا بين يديه يكف عنه ويعرض ولا يقرب منه بأذى ولا بشر ولولا ضرورة انتباهى وتيقظى وحرصى على سيدى فيروز شاه خوفا من أن يغدر به اللئام لتتبعت ذاك الفارس وتاكدكل التاكيد ومارجح لدى ذلك هو أنه كان يتتبع خطوات فيروزشاه ويرمقه كأنه يميل اليه إنما لا يرغب فى ان يقرب منه فقال الملك لا يبعد ان يكون فرخوزاد بين عساكر الملك قيصر مختف فى صفة الرومان أو غيرهم من انصارهم ولذلك فانى أعهد بخطة الاكتشاف على ذلك إلى بدر فتات بأن يراقبه وإذا تاكده ينظر إلى أى جهة يسير وفى أى ناحية يقيم وفى المساء أبعث من ياتى به الينا ويترضاه فان أجاب كان ذلك من توفيق العناية فاصفح عنه وأسامحه على فعله وإلا فلا أعود أذكره مرة ثانية . فاجاب بدر فتات فى الغد لا بد من الاكتشاف على ذلك ولا أدع المساء ياتى إلا بصحة الخبر .

قال وبعد ان انقضت السهرة وانفرطت سبحة ذاك الاجتماع سار فيروز شاه إلى صيوانه فوجد محبوبتيه بانتظاره لحياها وسلم عليهما فترحبتا به وهنئاه بالسلامة من حرب ذاك النهار وسألتاه عن نتيجة القتال قال ان الحرب لا تدوم أكثر من يومين بعد ولا أظن ان الأعداء يقدرون على الثبات أمامنا أكثر من ذلك لأن كثيرهم قد أصبح قايــــلا وفقد منهم كل فارس وبطل وكادوا يضمحلون أى اضمحلال ويفنون أى فناء . فلما سمعت عين الحياة منه ذلك فرحت إلا أنها تنهدت وقالت له لقد وعدتنى ياسيدى خيرا وعاهدتنى صدقا انك تحضر ابى اليك لتترضاه واخاف عند وقوع القتال تقع على ابى مصيبة فتعدمه الحياة وتبقينى من بعده فى حزن ويأس عليــــه ألبس الحداد طول العمر . فتكدر من قولها وقال لها لا أخلف بقولى وقد قلت لك ان

لا أحدا يضر به ولابد من ان أبعث اليه فاحضره إلى وأسألك ان تكتبى له كتابا فاوصله اليه ونطلب منه ان يأتى إلى جيشنا فانتا بانتظاره واطلب من أبى أيضا أن يكتب له كتابا يترضاه به ويظهر له قبوله بقيامه بيننا ومسامحته إياه عن كل ما أذنب به ضدنا . قال فسرت عين الحياة من ذلك وأخذت فكتبت إلى أبيها كتابا وهو :

من عين الحياة بنت الشاه سرور وخطيبة فيروز شاه إلى أبيها

بعد تقديم مزيد الاعتبار لعنايته تعالى والشكر على رحمته وفضله أبدى ان الزمان ما كان ليسمح لنا بالهناء والراحة وأقام على عنادنا أياما ليست بقليلة ولا خافاك ما أصابنا به من العذاب فى كل هذه المدة والتشتت من مكان إلى مكان ونحن فى كل هذه المدة على نار الكدر وأنت أعلم بكل هذه الأمور التى كنا فى غنى عنها وقد تسببت لنا بواسطة آراء طيفور الخبيث الذى قادنا بالرغم عن معرفتنا بحسن مستقبلنا إلى أبعد البلاد وضيع منا بلادنا .

ولا خفاك أيضا أنى منذ البداية أميل إلى فيروزشاه وأرضاه ولا ألام على ذلك لأنى أعطيت من النيرة ما جعلنى أن أنظر الأمور على حقيقتها وقد تأكد عندى أنه الرجل الوحيد الذى يمكننى ان ألقى عليه اتكالى فى حياتى وأكد لى قلبى أنه هو الذى كتب الله لى نصيبا عليه ولم تكن هذه المحبة اختيارية بل أرغمت عليها من قبله تعالى فهو وحده الذى رمى حبه بقلبى وجعله سيدى ومحبوبى بوقت واحد تهيئة لراحتى ورغبة بسعادتى ولو نظرت أنت نظرى وأبعدت عنك المفسدين لكنت الآن بنعمة عظمى وبلادك فى نمو وازدياد وصهرك فى خدمتك يعينك على أعدائك ويبيد لك كل من يجسر على ان يعاديك او يقاومك وانى كنت الآن مزمعة ان أسلم بنفسى إلى فيروزشاه واسير إلى بلاده وتنقضى هذه الأسباب إلا انى كنت اعلم ان ذلك يغضبك وبحسب عصاوة منى على سلطتك المعاطاة لك من الله على فكنت أتحمل المشاق واتقلى على جمر الحوادث التى وقعت علينا ومع كل ذلك فان آمالى كانت تنمو من جهة حبى لفيروزشاه ورغبتى فى ان يجمع بينكما الزمان ويقربكما من بعضكما والآن فقد وصل إلى وأخذنى إلى صيوانه بالرغم عن كل الموانع التى وقفت فى وجه قصده وانى لا انكر عليك سرورى وفرحى من ذلك لكنى أرى من خلال هذه المسرات والأفراح نوعا من الآلام الموجعة وهو انك بعيد عنى مع اخوتى ولهذا كنت أسأل فيروزشاه استمال الأسباب بينى وبينك بحيث تكون قائما فى جيوش إيران مكرما معززا مرفوع المقام وقد وعدنى بكل جميل وفرح وانه لايكون زفاف ولا فرح إلا برضاك وحضورك فصبرت إلى ان تأكدت قرب اندثار الرومان وانصارهم فخفت من ان يلحق بك ضرر أو يصل اليك أحد بأذى

فسألته انقاذ وعده فامرنى أن أكتب اليك كتابا أعلمك بكل ماهو واقع وانه قد سامحك عن كل ما مضى ورغب فى حضورك وفوق كل ذلك فقد وعدنى انه سيصحب كتابى هذا بكتاب من أبيه بنفس هذا المعنى حائزا على ما يسرك . وعليه فانى أسألك ان لا تضيع مثل هذه الفرصة ولاتحدثك نفسك بأن تشاور طيفور وتطلعه على أمرك بل احضر حالا فهو مبغوض للايرانيين ولا بد لهم من قتله وبغضه هذا يحمله على ان يوشى لك بالانتقال من مكان إلى مكان والاصرار على العداوة . أما الآن فلا يفيدك غير الانقياد إلى محبة فيروز شاه والحضور اليه واطلب السماح منه على ما سبق فهو كريم حليم يعتبر قدومك اليه من أعظم أسباب الفرح ترضية لى . وإذا أطلعت طيفور على أمرك وحكيت له ما أخبرتك به وانتقلت وإياه من هـــذه النواحى تصرفون العمر مشتتين من ناحية إلى أخرى وأخيرا تموتون بالأحزان غرباء مرفوضين من كل مساعد ونصير لأن غاية الفرس أنا وقد حصلوا على وصرت بايديهم فالتزم أن أجاريهم واقبل بعدك إذا رفضته أنت إنما أحزن العمر مكدرة من أجلك فاتمام سعادتى وسعادتك متوقف على قبولك وانسحابك من بين الرومان وإتيانك مع العيار الذى يوصل اليك هذا المكتوب والسلام عليك مكررة تقبيل أيديك والسؤال منك بالحضور الينا فى نفس هذه الساعة أى الساعة التى تطلع بها على افكارنا .

ثم ختمت الكتاب وسلمته إلى فيروز شاه فأخذ منها وقد سر من كتابتها وعرف أنها محبة لأبيها ترغب فى حضوره وانه إذا بقى غائبا عنها لاترتاح قط ولا يطيب لها الهناء وحسب ذلك منها فضيلة وكرامة وحسن طوية وتربية وأوعب قلبه فرحا من أعمالها وقال لها لقد جملك الله بكل الصفات وفضلك على غيرك من النوع البشرى النسائى فأنت وحيدة بينهن . قالت انى اعرف فى ذلك وليس هذه إلا بارادة إلهية لأنه لا يقبل ان يجيء لك زوجة غير كاملة فاوجدنى على ما أنا عليه لأصلح ان أكون قريبة منك وأحسن فى عينيك وبليق بى ان أبقى العمر ملكة لفارس وقرينة لفيروزشا فزاد اعجابه من كلامها وبعد ذلك انصرف كل إلى فراشه ينام مرتاحا إلى حين اتيان النهار التالى .

قال وأما الملك قيصر وجماعته فانهم بعـــد أن رجعوا من القتال وصاروا بين الخيام وامنوا على أنفسهم من الاخصام أقاموا يندبون حظوظهم ويتدبرون باموره ولا يعرفون ماذا يفعلون . وما أقام الملك قيصر إلا القليل حتى جاءه منكوخان وطيفور وكان طيفور سار اليه وهو على غاية ما يكون من الحزن على أولاده فعزاه وطلب اليه ان ينسى طهمور وان يصحبه معه إلى عاصمة الصين إذ لا بد لهم من المسير إلى هناك لأن الفرس قد توفقوا إلى الفوز والانتصار . ولما دخل منكوخان قام له .

الملك قيصر على الاقدام وأجلسه إلى جانبه وترحب به وعزاه بولديه المقتولين فى ذاك النهار وبعد أن جلسا وارتاح بهما المقام قال منكوخان إنى فقدت خمسة من أولادى فى هذا الحرب وفى أفضلهما على كل جيوش إيران وملوكهم وانى حزين جدا على اخذ الثار ولا أعلم من أى باب يمكن أن أتوصل اليه حتى عرفت أخيرا ان عندك أسير منهم اسمه طهمور من أمرائهم فسرنى ذلك وأتيت أطلبه لابقيه عندى وأعذبه كل يوم بقدر جهدى تشفيا منه على ذلك يطفى لى بعضا من لوعتى واشتداد حزنى . فاجابه الملك قيصر إلى طلبه وأمر أن ينقل طهمور إلى صيوانه وقال له اننا مكدرون لفقد أولادك أكثر من كدرك عليهم لأنهم قتلوا ظلما بهذه الحرب فقبح الله الفرس وأهلكهم فكلهم فرسان وأبطال وما كان أغنانا عن مباشرة الحرب معهم وقد قتلوا لى ولدا وحيدا وأحرقوا قلبى على موته فقال طيفور ان كل ما كان هو بقضاء وقدر فابنك مات بسماح منه تعالى وكذلك أولاد سيدى منكوخان فانهم سينالون شرف التقمص فى الصين ويحوزون على أعظم جسد وأبرة فيها ولهذا لا بد لمنكرخان أن يتعزى ويفرح . وبعد هذا الكلام دار حديث القتال وتدبير الحرب وماهى الوسيلة للثبات فسدت فى وجوههم الوسائل والأبواب . وأخيرا قال الملك قيصر انى أؤكد أن ثبات الفرس بفرسانهم وأبطالهم ولا سيما بفيروزشاه وبهزاد ومتى قتل هذان الاثنان عاد النصر الينا وقهرناهم وأذللناهم وعندى أن لا فارس يقدر بيننا على ذلك إلا ان كان تمرتاش لاسيما وان له ثار على بهزاد فاجاب تمرتاش انه فى الغد يتولى أمر القتال بنفسه ويرجع شرفه الذى أفقده إياه خصمه بأسره وقهره وهكذا انفرط ذاك الديوان يؤملون فى الغد نجاح تمرتاش عسى ان التقادير تساعده على بهزاد وفيروزشاه فيقتلهما أو يأسرهما ويكون له السبق على غيره . وأما الشاه سرور فانه عاد من صيوان الملك قيصر وهو على ماهو عليه من الغيظ والكدر مع ان الملك قيصر قد لعن السبب الذى أوجب وصول الفرس إلى بلاده ولام نفسه كل اللوم على ما سبق منه وعلى انقياده إلى طيفور وحبه له واستماعه لكلامه . مع أنه فى هذه الأيام تركه لوحده ولم يعد يجتمع به إلا القليل وإذا اجتمع به يظهر له كل عناد كانه لم يكن ملكه وهكذا كان قائما على تبكيت الضمير والحق من عمله ومن طيفور ونفسه تميل إلى مصافاة الايرانيين وهو لا يعرف السبيل المؤدى إلى ذلك ويخاف ان سار اليهم ينتقمون منه أولا يصفحون عنه وليس عنده من خادم أو عيار يركن اليه ليرسله إلى فيروزشاه يسأله العفو عنه ويطلب من بنتــــه إذا كانت موجودة فى الجيش أن ترفع خضوعه إلى الملك ضاراب وتسأل له السماح منه. ولهذا كان كاحقر الناس ورعاعهم فاقد الراحة والامن مبلبل البال بعيد الانصار

ليس فى يده ولا بارة الفرد ولا خادم عنده يخدمه بأمانة بل كان الذين يأتونه بالأكل من الرومان قد عينهم له الملك قيصر منذ أول دخوله إلى تلك البلاد وخاف أن يبعث بأحد أولاده فيصابون بمصيبة لم تكن فى البال . ولذلك اجتمع بولديه واستشارهما فيماذا يفعل . فقال له أن لا شىء ينفعنا الآن إلا الصبر على رحمته تعالى فان الحرب قريبة النهاية فبعدها اما نسلم بأنفسنا إلى الايرانيين ونتكل على عفوهم فاذا أجابوا كان اكراما منهم . إلا فلهم الحق أن ينتقموا منا كل الانتقام لأننا كنا السبب فى عذابهم وعدابنا وكل اللوم عليك وعلى طيفور هـذا الخبيث الذى بعد عنك الآن واختار منكوخان وتواطىء وإياه فجازاه الله شرا على فعله . ثم ان الشاه سرور بات تلك الليلة مضطربا ينتظر ما تخبأ له فى زوايا الزمان

قال ولما كان صباح اليوم التالى ضربت طبول الحرب فايقظت الفرسان ونهضت من مراقدها كحسب عاداتها تطلب الحرب والقتال فركبت خيولها وتقلدت بنصولها وطلبت ساحة القتال واصطفت من اليمين والشمال . وعلوت على الهجوم على بعضها البعض وإذا بتمرتاش قد توسط الميدان وهو على جواده المعهود ولعب به على الأربعة أركان . حتى حير الخواطر والأذهان ثم وقف فى الوسط وأشار الى الفرس اشارة الاستهزاء وقال ابعثوا لى بيزاد لآخذ لنفسى منه بالثار واعدمه الحياة وأدعكم تبكون عليه طول الزمان . قال وما انتهى تمرتاش من كلامه حتى فاجأ بهزاد لأنه لما رآه فى وسط الميدان فرح به غاية الفرح واشتاق إلى قتاله ليعيده إلى أسره أو يهلكه ويعدمه هذه الدنيا ولما قرب منه صدمه صدمة جبار وقال له ويلك أتجسر مرة ثانية أن تنازلنى وتطلب القتال وقد شاهدت بعينيك ماحل بك ولولا ماتخلصك انس الصفا لكنت دخلت القبور منذ شهور إنما أعادك الله الى بين يدى هذه المرة لأنتقم منك ولا أبقى عليك بموتك خير من أسرك . قال ومارجعت اليك إلا وفى نيتى أن الدهر لا يدوم لك فيوملك قد مضى ويوم بالنصر قد آن ولا بدلى من أن أجازيك بنفس فعلك . ثم انطبقا على بعضهما انطباق الاسود . ونهما نهمات الفهود وأخذا فى الطعان والطراد . والتقرب والابتعاد والصراخ والصياح والفيضان بالحرب والكفاح . حتى سبحت الخيل من تحتهما بالعرق وأخذهما الاضطراب والقلق ونادى فوقهما منادى المنايا . محيطا بهما بجيوش البلايا والرزايا ووقف عزرائيل منتظرا قدوم أحدهما اليه ليأخذ بروحه إلى محلها ولم تكن إلا ساعة حتى ارتفع فوقهما الغبار . وغيبهما عن الابصار وهما فى أشد قتال وحرب ونزال . وكان تمرتاش كما تقدم معنا فى غير هذه المرة انه من الصناديد والابطال المعدودين فى ذلك الزمان والذين تضرب بهم الأمثال فى كل مكان . ولهذا ثبت بين يدى بهزاد ثبات

الأسود لأنه عرف مقدار خبرته بالقتال وقوته فى الجولان والنزال فأبدى كل ما عنده وأراد أن يوهم بهزاد ويرهبه ويوقعه بالخوف منه فجعل يصيح ويزمجر وينقل من مكان إلى مكان إلا أن بهزاد كان قد أخذ عليه النفوذ قبل الآن . وعرف من نفسه أنه أقل درجة منه وأنه يعجز عن أن يخيفه فلم يحسب له حساب بل كان يقابله بالمثل ويفيض فى حربه وقتاله ويبذل كل استطاعته فى قهره وكيده وقد عول تلك المرة أن لا يتركه يبعد من أمامه إلا قتيلا ليفتخر بفعله هذا على سواه من الأبطال الشداد . وكانت الفرسان من الفرس واقفة تنظر النهاية وقد سار فيروز شاه إلى جهة الشمال فى هذه المرة وعزم على الهجوم على عساكر الصين إذا انقضت الحال وذهبت المرهفة إلى اليمين فوقفت هناك تنظر أيضا نهاية الحرب بين بهزاد وتمرتاش لتنتهى أمر الباقين من عساكر الرومان الذين تركهم لها فيروز شاه وأما عساكر الرومان يؤملون الفرج والنجاح ويطلبون من الله أن يقتل تمرتاش بهزاد . وينال منه غاية المراد . هذا والفارسين فى حرب قوية المقدار . تقدح من حوافر خيلهما شهب النار ويتطاير من افرندى سيفهما الشرار . وهما مظللان بذلك الغبار . يتراآن للانظار . كانهما أشباح تميل فى قتام الاعتكار وما تنتصف النهار حتى سمعوا صيحة اهتزت لها تلك السهول والوديان ومالت اليها الفرسان بالعيان وقائل يقول لعينيك يا فيروز شاه فارس فرسان هذا الزمان فانظر إلى عدوك وماذا يحل به الآن . وهاك ضربة من بهزاد بن فيلزور البهلوان بن رستم زاد ثم رفع بيده الحسام وقد تمكن من تمرتاش من الأمام وتمطى بكل قوته وضربه به ضربة فارسية وقعت على درقته فسمع لها قرقعة واحتكاك فانقطعت الطارقة وتطايرت من يد تمرتاش ووقع السيف على رقبته بخفة بهزاد وسرعة معرفته بفن السيف فاطارت الرأس عن الجسد وباسرع من لمح البصر رفسه برجله فالقاه إلى الأرض عددا كانه النخلة السحوق حتى اندهشت من عظم تلك الضربة الفرسان وأخذتهم الحيرة والانبهات . ونظر بهزاد إلى جهة فيروز شاه فرجده قد صاح وحمل ليكمل بقية ذلك النهار وينزل على الأعداء نوازل البوار فصاح هو وحمل على القلب حملات الاسود وفعلت المرهفة مثله وفى الحال أمر الملك ضاراب بقية الابطال أن تحمل حملة واحدة فهزت أعمدتها وانحدرت إلى ساحة القتال وانطبقت على الاعداء انطباق الغمامة السوداء وهى تصيح مفتخرة باسمها ولقبها فالقتها عساكر الصين والرومان وما منهم إلا من قلبه من الخوف ملآن وجميعهم أيقنوا بالهلاك والقلعان والتشتيت عن الاهل والخلان وقامت الحرب على ساق وقدم وتقدم الشجاع وهجم وتأخر الجبان من الهلاك والعدم . واختلطت ببعضها تلك الطوائف والامم

قال وكان الملك ضاراب كعادته ينظر إلى الحرب ويتحدث مع طيطلوس بشجاعة بهزاد وقال له لولا أن أكون محتاجا ان أبقى واحدا من عائلة رستم زاد فى ديوانى ليكون كفارس بلادى وحاميها لا سيما وان ابنى سيملك مكانى فلا يسود بقرب الحرب والقتال وفقا لشريعة الفرس إلا بعد البأس والجهد لرفعة رتبة بهزاد إلى أن أسلمه هذه البلاد وأجعله حاكما عليها ومالكا فيها عوضا من قيصر لأنه يستحق أن يكون من ملوك العظام قال انى أفكر فى أمره يا سيدى فليس له ثان فى هذا الزمان إلا ان كان سيدى فيروز شاه وقد تبينت من حربه مع تمرتاش هذه المرة واختبرت عظم مقدرته فوجدت انه قد فاق على آبائه وأجداده فما هو إلا وحيد الزمان وفارسه وما جاء آخر ذاك النهار حتى تأخرت رجال الرومان كل التأخير وانبسطت تلك الأرض مفروشة من جثث قتلاها ومغطاة بالأدمية وعند اقبال الظلام ضربت طبول الانفصال ورجع الفريقان عن الحرب والقتال . وهما فى حالتين متناقضتين فان جيوش الرومان رجعت مقهوره مكمودة فاقدة الحيل والقوى ورجال الملك ضاراب عادوا منصورين ظافرين فرحين بأعمال بهزاد وفيروز شاه الذى أهلك أكثر من نصف عساكر الصين وأكمل على أولاد منكوخان الباقين لأنه التقى بهما فى الميدان وألحقهما باخوتهما وتركهما عبرة للناظرين وابقى أباهما حزينا عليهما كل العمر . ولما رجع الملك قيصر إلى ديوانه اجتمع اليه كل من بقى من فرسانه وشكوا اليه ما لقيوا من الفرس وما وصل اليهم منهم وكيف أن فتكوا بهم فتك الأسود ولم يبق منهم إلا القليل . فقال لهم لولا انى افعل قبيحا إذا تركت عساكر الصين خارج المدينة لدخلت فى هذه الليلة البلد وقفلت أبوابها واقمت على الحصار إلى أن أعقد صلحا مع الايرانيين ومع كل ذلك فانى فى الغد أبعث إلى الملك ضاراب وأطلب اليه هدنة فى القتال لبينما نكون قد أجرينا صلحا معه وأرضيناه على المصالحة والوفاق وهكذا اتفقوا وأملوا الخير والنجاح والخلاص من هذه الحالة ومن أثقال تلك الحرب

وأما الملك ضاراب فانه عند عودته إلى صيوانه تلقى بهزاد وشكره على فعله ومدحه كل المدح وأجلسه فى مكانه ومن ثم جاءت الفرسان فتجمعت إلى مراكزها وكل جلس فى كرسيه ولما انتظم الديوان كعادته أحسن انتظام ووقف العيارون فى مراكزهم فى خدمة أسيادهم وإذا ببدر فتات قد وقف بين يدى الملك ضاراب وقال له اعلم يا سيدى انى أجريت ما أمرتنى به فى هذا النهار وراقبت الفارس الذى أشار اليه بهروز ودلنى عليه وإذا هو نفس فرخوزاد وبقيت أراقبه إلى أن عرفت مقره فى هذا المساء وفى أى جهة نازل من عساكر الأعداء فهو يقرد جيشا من البادية . ولا أعرف سببا لذلك ففرح الملك لهذا الخبر وقال لا بد لنا من احضاره الينا ومصالحته

مع أخيه فوقف بهزاد وقال انى يا سيدى فى شوق عظيم لهذا الأمروأنا أريده من كل قلبي وانى منذأول يوم أحببت أن يكون عندى وليس له فى قلبي أدنى بغض أو عداوة بل بعكس ذلك وعلى هذا فانى أسألك الآن أمام هؤلاء الأبطال والفرسان وأدعهم أن يكونوا شهودا على انى اتنازل عن هذا المنصب اليه وأعيش من تحت يده وبحسب ارادته فما هو إلا أكبر منى سنا وله الحق أن يأخذ لنفسه المقام ويغضب إذا رآنى قد نزعته منه وفوق كل ذلك فأرجوك أيضا أن تنعم عليه ولا تتركه مغتاظا ومكدرا وقد يكفينى أن اكون كبقية البهلوانيين بل كعيار فى الدولة أقاتل عند الاقتضاء وأخدم سيدى فيروز شاه وقت السلم وجل ما أرغبه أن أراه فى الصباح وفى المساء . فتأثر الملك من كلامه وتعجب من حسن طويته وصفاء باطنه . وقال له لقد أحسنت قولك وانى إذا جاء أخوك أنعم عليه مزيد الانعام ولا أدعه متكدرا قط إنما من صالح الدولة ونفع الأمة الفارسية واحياء اسم عائلتكم وذكر آبائك وأجدادك أن تكون رئيس بهلوانى مملكتى وسيدها وأميرها وأستاذ فرسانها فمن اخترته بهلوان كان ومن نزعته نزع وللك الحق بالأمر والنهى على الجميع . وقد قلدتك فوق كل ذلك رتبة الملوك وناديتك بيهزاد شاه ولا أرجع عنه قط وسيكون لك هذا اللقب مؤبدا وسأجعلك فى ديوانى دائما ولا أنسى كل الخدمة التى أصدقتها لدولتى فى هذه الحرب وأخلصتها لها وأزيدك انى أقطعك ولاية من ولايات إيران تكون لك وفى يدك تذهب اليها أى وقت شئت وتقيم عليها الحكام والأمراء من قبلك ثم التفت الملك ضاراب إلى بهروز وقال أريد منك هذه الليلة أن تذهب إلى عساكر الأعداء مع بدر فتات وتدخل على فرخو زاد وتدعوه أن يحضر إلى ديوانى وذلك بعد أن ينام الرومان وأخبره انى عفوت عنه وسامحته ومثل ذلك أخوه بهزاد فقد ترك له حقوقه ولا يسأله بما سبق من فعله فاذا جاء حالا كان له الخير والصلاح وإلا فانى لا أعود بعد ذلك إلى مسامحته وإذا وقع بيدى حاكمته محاكمة المجرم وأحرمه من حلمى وعفوى فحذره من كل ذلك وانصحه . قال انى أكفل بجيئه طائعا صاغرا نادما على فعله

وبعد ذلك قال فيروز شاه لأبيه انى أجسر يا أبى أن التمس منك شيئا لا أظن تمنعنى عنه فما أنا إلا ابنك على كل حال وقد سبت لك ولجيشك عذابا واتعابا لولاى لما وصلتم اليها وقد كنت منذ أول علاقى مع الحيـــاة أرغب فى تخفيف الأثقال والمتاعب عنكم غير أن الدهر أحوجكم اليها وحتكم لى حملتكم على عـدم تركى وعلى معاضدتى ومساعدتى ولولاك ولولاحنوك الابوى لاصابتنى المصائب وربما كنت قد قتلت وأهلكتنى الأعداء إذ إنى أعترف وحدى لا أقدر على حمل كل هذه

الميثاق إلا إذا وافقتني بركات أدعيتك المقدسة المقبولة عند الله تعالى . فترقرقت دمعة الحب فى أعين الملك ضاراب ومسح وجهه بمنديله وقال له ماذا تريد فأبده فلا شيء يمنع عنك وإذا طلبت إلى أن ألبسك التاج الفارسى لرفعته الآن بيدى ووضعته على رأسك لأنك احق به منى وعموم أهل فارس يطلبونه فى الصباح والمساء وهم يريدون موتهم فى خدمتك أفضل من حياتهم بعيدين عنك فاوجز غايتك ولا تخش بأسا بطلبك هذا . قال إنى أطلب منك شيئا ربما كان عندك أفضل من هذا التاج وعندى أنه أيضا أحب منه وذلك انى أرجوك أن تكتب كتابا إلى الشاه سرور تطلب اليه الحضور الينا وترك جيش الرومان وتظهر له عفوك ورحمتك وانى أعلم وان كان فى ذلك صعوبة عليك أن تتنازل لمثل هذا العدو الألد وترجع عن قسم أقسمته انما محبتى أكبر شفيع عندك بمثل هذه الصعوبة أى بإزالتها وعندما فرغ فيروزشاه من كلامه هذا رمى بنفسه على أقدام أبيه ليقبلها فرفعه اليه وقبله فى جبينه وقال له وانى وإن كنت أخاف من إرجاع طلبى بالخيبة ومكابرة الشاه سرور وامتناعه عن الحضور الا أجيب طلبك اكراما لك ولعين الحياة وحبا براحتك وراحتها وأعرف ان طيبة قلبها وحسن تربيتها وسلامة أخلاقها لا تطيعها على إبعاد أبيها وقهره وذلك فرض عليها فهى محقة به مدفوعة اليه بالواجبات التى تطلبها منها الحقوق الأبوية .

ثم إن الملك ضاراب أمر وزيره طيطلوس أن يكتب إلى الشاه سرور كتابا يترضاه به ويسأله السلامة والوفاق وأن يأتى إلى معسكر الفرس ويبلغه عفوه له ومسامحته عن ذنوبه فكتب طيطلوس ما يأتى :

باسم الله الرحمن الرحيم الحليم العليم الكريم

من الملك ضاراب ملك الأعجام وسلطانها وفاتح اليمن ومصر والشام وما حواليها إلى الشاه سرورى نسيبى وقريبى وعم ولدى

أما بعد فانى أكتب إليك الآن بقلب صاف ونية سليمة لا بحقد ولا بكدر ليكون مؤكدا عندك أنى حتى الساعة ارضى واقبل ان تأتى إلى وتعترف بخطأك فترى منى غير ماتظنه وما يقوله لك المفسدون ولا احب أن أطيل معك فى العتاب والملام فأنت اعلم ماسببت لنا من الاتعاب والعذاب وما ألقيت على عواتقنا من الأحمال الثقيلة وما كلفتنا بأعمالك السالفة من فقد الفرسان والأبطال إن كان فى صحراء اليمن أو فى مصر حتى مرات عديدة كدنا نمحق عن آخرنا وتساعدنا الأقدار وتدفع عنا الأخطار بسيف ولدى فيروزشاه كل ذلك لأجل زواجه بابنتك عين الحياة وأنت تمانع وتدافع وترفض طلبه اما بغضا منك وإما إجابة لطلب المفسدين . حتى قدتنا إلى هذه البلاد وجرى لنا فيها ما

جرى وأوصلتنا يد العناية إلى أن فتكنا باعدائنا وكدنا نفرقهم وشتتهم كل فريق بطريق ولما كان ولدى فيروزشاه قد صرف كل الجهد والعناية حتى أخرج بنتك من قلعة الحديد وقتل انبوش بن الملك قيصر الذى كان يطمع نفسه فيها وتغلب بحسن حظه ومهارة عياره بهروز على كل الصعوبات والموانع وجاء بها إلى جيشى مكرمة محترمة عزيزة طلبت اليه أن يجمعها لك ويحضرك اليها ويترضاك لتأتى من جهنم العذاب إلى جنان الراحة والرأفة فوعدها كل الوعد وإنه لا يدع بابا من أبواب مرضاتك الا واستمله لأنك حموه على كل حال وأبو عروسه . وعليه فقد استشارنى فى ذلك وطلب منى أن أكتب اليك أسالك الحضور إلى ديوانى وأنت على غير الصفات التى كانت فيك قبلا أى أنه من الواجب عليك أن تفكر كل الفكر وتتأكد كل التأكد انى إذا أتيتنى بخلوص نية وانضمت إلى إبنى بينتك زوجة وزففته عليها برضاك أعدتك إلى نعمتك ونسيت كل ما كان بيننا من الأحقاد والضغائن وإنى بعثت اليك بهذا الكتاب لأطلعك منه على عفوى عنك وتركى كل ضغينة واذا امتنعت أوحاولت غير ما أخبرك به تكون قد أخطأت بحق نفسك وقدت ذاتك الى العذاب بيدك لأن لا مطمع بعد للرومان بالنجاح والأمان ولا سبيل لخلاص عين الحياة من أيدينا واذا امتنعت عن الاتيان والانضمام الينا زففناها على فيروزشاه كيف كان الحال وتكون قد أحرمت نفسك من الراحة التى تنتظرك والسلامة التى ترغب فيها والسبب الوحيد الذى دعانى الى بعث هذا الكتاب هو أولا انشغال بال عين الحياة من جهتك وهى فى بكاء تسر من كل شيء انما بعدك عنها وعدم الوفاق بيننا يبكيها وثانيا انى لا أرغب أن أزف ابنى على بنت من بنات سادات هذا الزمان كبنتك دون ان يكون اباها حاضرا او ينتهى الوفاق على الطريقة المألوفه عند الله والناس ونحن أجمعنا نرغب ذلك ونتطلبه ونريد حضورك بيننا فاعقل الى خيرك وارجع عن غيك

انتهى الجزء الخامس والعشرون ويليه الجزء السادس والعشرون

الجزء السادس والعشرون

من قصة فيروز شاه بن الملك ضاراب

وأسرع الى نفعك وآت الينا فنكرمك ونسامحك والسلام

وبعد أن فرغ طيطلوس من كتابة الكتاب دفعه إلى الملك ضاراب فختمه وسلمه إلى ولده فقبل يديه وشكره وقد سر منه كل السرور وصار يطلب منه تعالى ان يأتى الشاه سرور ولا يتأخر عن الحضور . وبقى صابرا إلى أن ارفض المجلس وسار كل الى ناحية فدفع فيروزشاه الكتابين الى بهروز وقال له أوصيك أن توصلهما الى الشاه سرور وتسأله الاتيان الينا وبلغه مزيد سلامى وكثر احترامى وانى أتخذه أبا لاأقبل قط باهانته ومثل ذلك أبى وان عين الحياة فى شوق اليه. فأجابه الى سؤاله وقال اعلم يا سيدى انى مزمع أن أفعل فى هــــذه المرة فى جيوش الرومان فعلا يذكر بعد الآن ولم يعد بينهم قط من عيار يخافه فقد مات هلال وانقضت معه المخاوف ولذلك ساصحب معى كل عيارينا . ثم ان بهروز دعا بطارق وبدر فتات وشبرنك والآشوب وكودك وكامل العيارين وألبسهم ملابس الرومان وأوعز اليهم بغايته ودبرهم بمعرفته وساروا من تلك الساعة الى عساكر الرومان وتخالطوها وسار بهروز مع بدرفتات وكودك الى الجهه التى فيها فرخوزاد ووصلوا إلى صيوانه ودخلوا عليه وايقظوه من نومه فانتبه وقال من أين أنتم فقال له بهروز إننا نحن من جيوش الرومان وقد علم الملك قيصر بما أنت عليه من القوة والبطش ووصل اليه خبرك فبعثنا اليك لتسير اليه فى الغد فيرفع منزلتك ويرقيك أعلى الدرجات . قال ان الذى بلغ الملك ذلك قد أخطأ وكذب فما أنا قط بهذه الصفات . قال بهروز لابد من مسيرك إلى الملك فلا تكابر فقد بعثنا اليك نعرض عليك طاعته قال انى لا أرغب الحضور الآن ولا بعد الآن . قال اجعل ذلك اكراما لى لأنك صديقى وصديق مولاى وعمه وقد أوصانى كل الوصية ان أعرض عليك طلبه قال من أين عرفك وأنا لم أرك قط قبل الآن ولا نظرتك عينى قال حتى هذه الدرجة أنسيت من لازمك مدة طويلة ثم رفع اللثام عن وجهه فعرفه وقال له بهروز أنت قال أصبت فقد أرسلنى الملك ضاراب وفيروز شاه وأخوك بهزاد لاطلعك على رضاهم منك فقد عرف كلهم انك بين اعدائهم فخافوا ان يلحق بك اذى فاحضر اليهم الآن وهم سامحوك

عن كل ما صدر منك وما منهم من يذكر قط عملك. وقد أوصانى الملك ضاراب أن أقول لك إنه عفا عنك كل العفو ولم يقصد لك ضرا ولا يحاكمك على ذنبك هذا إذا أتيت صاغرا طائعا الآن واعترفت بذنبك وخطأك وفوق رضاه عنك وعفوه ينعم عليك ويوصل اكرامه اليك وإلا إذا امتنعت أصر على محاكمتك وقاصك وعندى أن تذهب الآن فما أنت إلا من أمراء فارس حائزا على صفات كرامهم وما وقع منك على سبيل الخطأ مغفور لك وعند ماخرجت الى الخارج تبعنى سيدى فيروز شاه وقال لى قل لفرخوزاد إنى له بالانتظار وإنى على نية ملاقاته فى الغد بين رجالنا وهو بمزيد شوق اليك فلا تنس حقوق الاخاء والمحبة التى كانت بينكما. فسقطت من أعينه أدمع الذكرى وقال نعم انى مخطىء ومجرم ولكنى سأسير الى أمى التى ربيت فى حجرها وأبى الذى أطعمنى من خيرات أنعامه فيقبلانى لأنى كنت ميتا فعشت وضالا فوجدت وانى من هذه الساعة سأترك هذه العساكر وشأنها وأرجع الى معسكرى وقومى

ثم نهض فلبس ثيابه وأخذ سلاحه وسأل العيارين أن يسيروا معه فقال له بهروز سر أنت وحدك فما من خوف عليك قط من أحد فاننا سنقضى مهام أخرى ولا نحب ان نأتى هذا المعسكر ونرجع عنه بدون أن نؤثر فيه فانتظرنا فى أول جيوش الفرس فقال وفقكم الله الى طلبكم وسار الى جهة الجيوش فتقدموا هم إلى جهة خيام الملك قيصر فوجدوا صيوانه مضروبا فى الوسط فعرفوه من ارتفاع العلم فوقه ومن حسن اتساقه وانتظامه وجاء بهروز من قفاه وقلع الوتد المضروب عليه وانسل كالأفعى الى الداخل ودار فى جهاته من ناحية الى أخرى حتى وصل إلى المكان النائم فيه الملك قيصر فاستل خنجره وضربه به فى صدره فخرقه وتركه مضرجا بدمائه مقتولا وخرج بأسرع من البرق وقصد صيوانا آخر من الصوارين الكبيرة فدخله وإذا به صيوان الشاه سرور فايقظه من نومه وقد فرح بهذا التوفيق والتسهيل فارتعب الشاه سرور وخاف لأنه كان فى تلك الايام محزونا كئيبا يخاف أقل الأشياء لايعرف كيف ينبغى أن يتصرف وهو محتقر مهان حزين. فلما استيقظ خائفا سأل بهروز ورفاقه من أنتم فقال له نحن عيارون الفرس. فزاد خوفه وارتبك بامره وأيقن بالهلاك وقال أما بحرتكم لا تفعلون بى ضرا ولا تقصدون لى شرا بل خذونى الى سيدكم فاذا عفى عنى كان كرما منه واذا قتلنى فاقتل هناك جزاء على فعلى فقال لا تخف فما أتينا إلا لنطلب اليك المسير الى جيوش إيران إلى حضرة الملك ضاراب فقد عفا عنك وأتيناك بكتابين أحدهما منه والآخر من عين الحياة

ثم انهم دفعوا اليه الكتابين فاخذهما وقرأهما وسر مزيد السرور وجعل يقبل الأرض ويشكر الله وقال انى أقبل أن أكون عبدا عند رجال الفرس ولا سيدا

عند غيرهم وقد كنت مغشوشا فما هم بالحقيقة إلا كرماء العالم وافضلهم فى هذا الزمان وهاانى من هذه الساعة أسير معكم أرمى بنفسى على اقدام ولدى فيروزشاه وهو يقبلنى لأنى أعلم أنه يفتش على كالنعجة الضالة ليرجعنى اليه ولا يسأل عن ذنبى . فقال له بهروز لقد أصبت فى مسيرك إليهم فانهم يكرمونك وتكون أنت السيد بينهم وامرك نافذ عليهم ألست أنت أبو عين الحياة وهي الآن مالكة الفرس باجمعهم وامرها نافذ فيهم كلهم كونها زوجة فيروزشاه وهو بمنزلة المعبود عندقومه فخذ معك أولادك وسر من هذه الساعة ولا تبطىء قط لأن فى الغد لا بد من الاستيلاء على هذه المدينة وعلى كل من فيها بعد إجراء محاكمة كل جان وقتل كل مدافع فكن عليهم أنت ممن يحكمون ولا تكن ممن يحكم وما مر مطمع بعد لرجال الرومان أو لغيرهم بالنجاح والفوز .

قال إنى أعرف ذلك ولى عدة أيام أطلب من الله الفرج والخلاص من هذه البلاد ومن بين هؤلاء القوم لأنهم أحطوا من قدرى جدا وأنزلونى منزلة الاحتقار والازدراء ولاسيما وزيرى طيفور الخبيث . قال سر أنت مع بدر فتات ونحن سنذهب إلى صيوان طيفور فنقبض عليه ونأخذه إلى ملكنا يفعل به ما يستحقه . قال ان صيوانه قريب من صيوانى إلى جهة اليمين .

قال إننا لا نضيع عنه بل اعجل بالمسير وسر أمامنا خوفا من أن تتعوق فيقع بك غيرنا لأن الجيش الرومانى مملوء الآن من العيارين يعبثون به ويقتلون فى امرائه وفرسانه ولا يبقون منه أحداً . فنهض الشاه سرور فى الحال وسار إلى أولاده فأيقظهم وطلب إليهم أن يتبعوه فأجابوه وساروا من خلفه وأمامهم كودك العيار ليخرج بهم من الجيش ويوصلهم إلى الناحية المقيم فيها فرخزاد على الانتظار وسار بهروز وبدر فتات إلى جهة صيوان طيفور وما وصلوا اليه حتى شاهدوا طارقا خارجا منه وحاملا طيفور على أكتافه وهو مبنج مكتوف الأيدى فعرفه بهروز وقال ماذا عملت يا طارق قال أنهيت كل عمل مع رفاقى الأشوب وشيرنك فانى بعد أن فارقتكم دخلت إلى صيوان كبير فاذا به الوليد ملك مصر سيدى الأول فاوقعت به وقتلته وأعدمته الحياة فسرت منه إلى غيره وإذا بأحد أمراء الرومان ففعلت كذلك ومثل هذا فعل العيارون فانهم تفرقوا وأخذوا يقصدون الخيام الممتازة ويقتلون سكانها وهم فى آمان إذ ما من عيار قط يجول يخاف منه ويحسب له حسابا ومن ثم جئت أنا إلى هذا الصيوان فوجدت هذا الخبيث المحتال طيفور فلم أقبل أن أقتله بل سعيت فى أسره فبنجته وحملته على عاتقى بعد أن ربطته بالحبال وهاأنا آخذه إلى حضرة سيدى الملك ضاراب لعلى انه يرغب فى أن يقتله أمام عينيه وهذا الذى فعلته هو تطبيقا لأمرك وما أوعزت إلينا به قال حسنا فعلتم ثم كروا راجعين إلى جهة معسكرهم وداموا فى المسير حتى خرجوا من

عساكر الرومان وجاءوا عساكر إيران فرأوا فرخوزاد والشاه سرور وأولاده وسائر العيارين بالانتظار ففرح بهم بهروز وسار إلى جهة فيروزشاه يطلعه على ما وقع لهم ويقدم له عمه الشاه سرور وفرخوزاد .

قال وكان فيروز شاه بعد مسير بهروز من عنده سار إلى صيوانه ودخل على عين الحياة فوجدها مع جهان أفروز بانتظاره كالعادة لحبها وجلس بينهما مدة وهو فى حظ وانشراح ومن سألته عين الحياة إذا كان بعث الكتاب إلى أبيها قال بعثه مع عيارى وأرسلت أيضا كتابا من أبى يدعوه اليه ويعده بالاكرام والانعام وانى على يقين ثابت أن أباك واخوتك يأتون هذه الليلة الينا ولا يمتنعون قط قالت انى أشعر بذلك وضميرى يقول لى به وعليه فانى عولت أن لا أنام هذه الليلة قبل أن يأتى بهروز بالخبر اليقين . فقال لها اليك ماترغبين ثم صرف جهان أفروز وقال لها اذهبى إلى فراشك الآن وانى سأبقى مع عين الحياة بانتظار أبيها واخوتها أو بالحرى بانتظار العيارين لنرى بعد عودتهم ماذا فعلوا فامتثلت وذهبت وبقيت عين الحياة مع فيروزشاه يتعاطيان الخمور ويتشاكيان الحب والهيام وقد قال لها أهل كنت تظنين أن الدهر يسمح لنا بمثل هذا الاجتماع ونحن على انفراد خالون من الحسود والرقيب قالت انى كنت أنتظر مثل هذا إنما لم أكن أصدق وقوعه وحتى الساعة ترانى غير مصدقة بالحالة التى أنا فيها وبالنعيم الحاصلة عليه والسعاده الواقعه فيها ولا أعرف من نفسى أنى يقظة أنا أم فى منام وهل من أكلمه هو حبيبى أو خياله الوهمى نعم ان لذة ساعة من اجتماعى بك فى هذه المدة قد أنستنى الماضى وما به وما لاقيته منه كأنى لم أتعذب بفراق ولا بيعاد ولا قاسيت عذابا ولا أتعابا قال ان ذلك منتهى غايتى أن لا يفكر أحدنا بما مضى فان الدهر كثير التقلب حاربنا مدة ليست بقليلة وجار علينا جورا عظيما انما كان لا يصل الى منتهى جوره وظلمه بل كان يراعى جانبنا والآن أراه قد وافق على مساعدتنا لما رآنا نثبت لضرباته وشداته ولا نقع عندها فافرحى وسرى وكونى أمينة منه من الآن فصاعدا فما هو ممن يدوم على حاله بل اذا جار فى الاول وفى بالاخير واذا وفى بالاول ظلم بالاخير ثم داما على مثل تلك الحالة يتشاكيان الحب ويتحادثان بالغرام وأصله وفصله الى أن دخل عليهما بهروز وأخبرهما بوصول الشاه سرور وأولاده نهض فيروز شاه مسرورا ومثله عين الحياة وركضا الى باب الصيوان واذا بهم قد دخلوا فتلقياهم بالترحيب والاكرام ورمت عين الحياه بنفسها الى أبيها تقبل أيديه وتبكى من عظم فرحها ومسرتها وكذلك فعلت مع اخوتها وقبلوها وسروا بها وسلموا على فيروزشاه وسلم عليهم وأدخلهم الى الغرفة التى كان مقيما فيها مع عين الحياة وأجلسهم الى جانبه ونما فرحه عند ما

شاهد فرخوزاد أيضا وهناه بالسلامة وقال له انى كنت من أجلك على مقالى النار ولا تظن أن أحداغيرى سيلومك على فعلك لأن أبى وأخاك أصرا أن لا يذكرا شيئا مما وقع غير أنى أحب أن الومك لحبى ومؤاخاتى لك وقد كان أحرى أن تأتى إلى وتطلب منى كل مافى ضميرك فانيلك مرادك ولا أدع فى نفسك حاجة . قال انى عرفت من نفسى خطأى وجريمتى ولذلك جئت معتذرا متسامحا فكن أنت السبيل الوحيد لتقديمى لأبيك قال لا بأس عليك . ومثل ذلك قال الشاه سرور وقال انى أعرف بكل ما وقع منى وبكل ما أوصلته اليكم من العذاب والاتعاب غير أنى أعترف الآن بذنبى وأطلب اليك أن توصلنى إلى أبيك وتسأله العفو عنى شفاها وأن يقبلنى دخيلا عليه . قال أنت الآن فى صدر رجال الفرس والآمر والناهى فيهم وما من أحد يحقد عليك أو يعصى لك أمرا الست أنت سبب علة وجود عين الحياة فبماذا أقدر أن أكافئك فكن براحة واعتبر نفسك أنك بين الأعجام بمنزلة الملك ضاراب لا بل نفس أبى المذكور يراعيك ولا يرد لك طلبا كأنك الآمر عليه اكراما لبنتك عين الحياة التى هى بعد قليل ستصبح زوجة لابنه وملكة كل فارس واليمن ومصر والرومان أى على أكثر من نصف الكرة الأرضية ومامن أحد الا ويرى من نفسه وجوب الطاعة لها . فسر الشاه سرور من الكلام وتقدم منه وقبله . وقال له بالحقيقة أنت انى وصهرى المستحق الاعتبار والاكرام . فلما سمع فيروزشاه كلمة صهرى وابى شعر من نفسه بحماسة الفرح ومثل ذلك عين الحياة وما كانت قبل ذلك تصدق أن تسمع من أبيها مثل هذا الكلام وشكرت الله على هذه المنة العظيمة وأحست من نفسها بسعادة فوق العادة لأنها قدرت أن تجمع بينه وبين أبيها وتصلح بينهما وترفع الأحقاد والضغائن التى كانت كامنة بينهما حتى حصلت عليه ونالته بأقرب وقت بعد وصولها إلى يد حبيبها

ثم استعاد فيروزشاه من عياريه ما كان من أمرهم وما فعلوا فى جيوش الرومان فأعادوا عليه كل ما كان من حالهم وأنهم قتلوا الوليد والملك قيصر وسائر الملوك والأمراء والقواد الذين تجمعوا فى ذاك المكان وجاءوا بطيفور أسيرا مقيدا وعند ما سمع منهم هذا الكلام كاد لا يصدقه وقال أين هو طيفور الآن قالوا هو مع طارق العيار محافظ عليه ينتظر أمرك ليدخله عليك . قال انى لا أريد أن أنظره الآن بل من الواجب أن أسير بكم إلى أبى تطلعونه على ما أجريتم وما فعلتم فى جيوش الرومان ومن قتلتم ومن جئتم . ثم سار أمامهم وكان الوقت اذ ذاك آخر الليل ولم يبق للصباح الانحو ساعة من الزمان ودخل عليه وأيقظه من نومه وجميعهم من خلفه يسيرون . ولما استيقظ الملك ووجد إبنه والعيارين والشاه سرور وأولاده وفرخوزاد وأمرهم أن

بطـرا وبعث فأحضر طيطلوس وبهزادودوش الرأى وجماعة الأبطال والفرسان لحضروا بأجمعهم لايعرفون السبب الموجب للطلب فى مثل هذه الساعة ولما انتظم الديوان أصلح بين فرخوزاد وبهزاد . وأمر للأول بثوب ملكى كأخيه وقال من حيث أنك ابن لفيلزور وأخ لبهزاد فارفع رتبتك الآن واساعك عن كل ماصدر منك كونك قد سمعت أمرى واتيت مع الامع عيارى ولولم تحضر لعلمت أنك عاص فوجهت بكل انتقامى ضدك وانزلت عليك أشد قصاصى غير أنه يظهر لى أنك نادم على ما وقع لا يمكن رده . فقال فرخوزاد انى قد أخطأت بحق أخى بهزاد وما ذلك الا من فعل الشيطان فقد وسوس لى حتى قدمت لارتكاب جريمة من أكبر الجرائم وأى شىء أحب عندى من ان ارى أخى واعز الناس لدى سائدا على الجميع اليس هو خليفة ذاك البطل السعيد الذكر الذى ربانا على الحب والوفق فقبح الله الجهل وعدم التبصر وها أنا معترف بذنبى شاعر بكل ماوقع منى من الخطأ فتحرك الحب الأخوى الصحيح وقلب بهزاد فالتفت إلى من حضر وقال إنى لا اتذكر ان اخى فعل معى شيئا يستحق ان الومه عليه واعنفه ومعظم ماوقع بيننا انى تجاسرت عليه مع انه اكبر منى وولى عهداى وقد قبلت المقام مع انه كان من الواجب تركه له فهو ميراث ابيه الخصوصى والآن اشهدكم على جميعا انى تنازلت له عن المقام واسال سيدى الملك ضاراب صاحب الرحمة والكرامة ان يقبل ذلك ويعتبرانى لاازال فيه حيث انى فى خدمته إلى الأبد ولايحرم اخى من نصيبه . فاعترض فرخوزاد وقال لا اقبل مطلقا ان انزع منك مقاما انت احق به منى والبق عليه ولومهاجرى واسال الملك ضارب سيدى ان لا يسمع لمثل هذا الكلام . فاجاب الملك ضاراب ان المقام قد وجهته منذ الأول الى احد كما بهزاد ولا يعزل منه قط الا بسماح من الله ومع كل هذا فانى لااترك فرخوزاد بل اطلب ان يكون شريكا لأخيه فى الرتبة والرأى الآن الى ان يهدأ بنا الحال ويروق البال فاوحه اليه بقطيعة حكم فيها مع زوجته انوش التى خدمت جيوشنا خدمة الأبطال الأشداء فهى افضل بنت استحقت منا الوفاء والانعام والاعزاز والاكرام . ثم البس فرخرزاد ثوب الملك وهناه به الجميع وفرح بكل ماوصل اليه من الانعام وشكر الله على بقاء اخيه سالما ولعن افعال الشر والحدة التى عمت ابصاره فلم يعرف واجبات الاخاء ومثل ذلك كان بهزاد وقد فرح باخيه وبرجوعه كل الفرح

قال وبعد ان اصلح الملك بين فرخوزاد واخيه قدم منه الشاه سرور واولاده وانعم عليهم كثير الانعام وقال لهم انى لاابخل ان اعيدكم الى بلادكم واوطانكم وان كان ما وقع منكم هو على سبيل العناد والغيظ وها قد عفوت عن كل هفواتكم وبدأتها

بالرضا. والشكر من اتيانكم إلى ودخولكم على وهذا أحسبه من تمام السعود والحظوظ الواجبة لراحة ولدى وهناءه فوقف الشاه سرور وبكى بكاء الفرح وقال أرجوك ياسيدى ان تقبلنى عبدا عندكم فقد كنت فى جهل عظيم وكان غشاء من البغض يستر أعينى قد اوجده فى طيفور وانى منذ الأول كنت انظر إلى فيروز شاه نظر الحب والميل وكلما ابديته إلى طيفور لامنى وعنفنى ونسب إلى الجبن والخوف وعدم الشرف وكنت أظنه ناصحا لى محبا خيرى ولا اعلم ان ذلك ناتج عن بغض فى قلبه وحسد كون صهرى فيروز شاه لم يطلب مساعدته ومسماه بمثل هذه الغاية وعليه فانى مديون لحلمكم وعدلكم ورفقكم وكرامتكم وكان يخيفنى جدا انكم لا تبقون على إذا جئت اليكم فكنت اصدق ذلك لعلمى بما جنت يداى ضدكم وليس عندى الآن ما أقدمه لكم إلا الشكر والثناء . فاثنى عليه الملك ضاراب وقال له دع ذكر الماضى فأنت الاصرت واحدا منا وعما قليل يتصل النسب بيننا ويختلط الدم ويكون لك علينا من الحقوق النسبية مايدعونا الى السعى خلفه ولا انكر ان ما كنت تبديه انت من العناد والحقد ضد مملكتى وضد ابنى فيروز شاه كانت تغسله ابنتك عين الحياة بحكمتها وتبصرها بالوفاء والحب .

وبعد ان فرغ من الشاه سرور واجلسه الى جانبه طلب ان يتقدم اليه العيارون ويعرضون عليه ما كان منهما أثناء دخولهم الى معسكر الرومان وما وقع منهم هناك فتقدم اليه بهروز وشرح له مفصلا كل ما كان من امرهم وما فعلوه فى الرومان وأنهم ذبحوا الملك قيصر ووزيره وامراءه وكذلك الوليد حاكم مصر وان الأعداء سيصبحون هذا النهار بحزن وكدر وألم متوجعين مما أصاب ملوكهم وساداتهم واخبرك أخيرا ان طارق العيار قد جاء بطيفور معه وهو ينتظر امرك ليدخله عليك فسر الملك ضاراب مزيد السرور وقال هل لم يقصد احد منكم عساكر الصين قال كلا لأنها منفردة لوحدها بعيدة عن الرومان قال وهل تقفوا على خبر لطهمور قال لم يكن قط بين الرومان ولم نعلم بمكان وجوده فقال انى لا انكر لكم هذه الخدمة وامر ان يدفع لكل عيار ثوبا مزركشا وخنجرا مرصعا والف دينار من الذهب فسروا مزيد السرور وفرحوا بهذه الانعامات الغزيرة

ثم امر ان يقدموا اليه طيفور فجاءوا به مكتوفا واوقفوه بين يديه فقال له ماذا رأيت بنفسك أيها الخائن الغشاش قد قرب الله يوم مصرعك على يد من كان لولا اعمالك الشريرة يكرمك واجزل لك العطايا غير انك لست ممن يكرمون لا تستحق إلا الموت والعذاب فاجاب بجراءة انى اعرف ياسيدى ما انا عليه واؤكد ان كل ما فعلته توجبنى عليه الانسانية وحقوق الخدمة واذا كنت ترغب فى قتلى تكون قد ظلمتنى وما رعيته

العدل والحلم ومع كل ذلك فان كنت أنا ممن يظلم فما أنت ممن يظلم فارفق بى واعلم انى أمين على خدمة سيدى وما فعلت إلا ماوجب على فعله . وماطلبت قط مرة من سيدى الشاه سرور ان يصر على عداوتك إلا بعد ان يبدى لى كل افكاره ويظهر لى انه يرغب فيها وماأنا على كل حال إلا وزيره وملزوم بمراعاته فقال الملك ضاراب انى لا أقتلك مالم أثبت عليك ألوف من الخيانات التى ارتكبتها ضدنا وسوف أعين لجنة خصوصية لمحاكمتك والحكم عليك بما ترتابه قال وانى اشتهى من هذا الأمر لاثبت براءتى وعدم خطأى وانى لست المسئول ضدكم ومن ثم امر الملك أن يؤخذ الى تحت الحفظ وان يقام عليه عيار مخصوص لا يفارقه الى حين النهاية من الحرب فينظرون فى امره فرفع الى خيمة خصوصية واقاموا عليه بدر فتات وبعد ذلك قال الملك ضاراب لرجاله الآن وقت النظر فماذا نفعل لأن النهار قد اقبل ولا يمكننا إلا ان ننهى بقية العمل فى هذا النهار فنفرق هذه الجيوش ونستولى على المدينة دفعة واحدة وانى اوصيكم ان من يدخل منكم المدينة لايضر أحد ولا يؤذى أحدا ومن اضر من اتباعكم أحداوقت التأمين فعاملوه بالضرب والقتل . ثم انه فرق عساكره الى فرق واقسام وامرها ان تندفع على الأعداء دفعة واحدة فمن قاوم قاتلته ومن اطاع تركته وامر أيضا ان تضرب طبول الحرب والكفاح تنذيرا للقوم بالهجوم .

قال وكان الرومان غير عالمين بما حل بهم الى الصباح وفى الصباح دخل على الملك قيصر امين اسرار وبعض خدمة فوجدوه فى فراشه والدم يسيل منه الى الأرض وقد تغطى وجه الفراش منه فعلموا انه مقتول فصاحوا وناحوا وبكوا من شدة التحرق وجرى فى مثل ذلك فى خيمة الوليد والوزير وارتفع الصياح من كل ناح وشاع خبر قتل الملك قيصر وانتشر الحزن الجميع وبكوا . علموا ان امرهم قد آل الى الخراب والدمار ووصل الخبر منكوخان فجفل وارتاع وسأل عن طيفور فقيل له انه مفقود لايعلمون عنه خبرا فثبت لديه تفريق الجيوش فى ذاك النهار وانهم لايثبتون أكثر من ساعات قليلة ولهذا دعا بأبطاله واوصى فى معسكره ان يتهيئوا الهرب عند اشتداد القتال وقال لهم قاتلوا نحو ثلاث ساعات ثم انضموا الى بعضكم واقصدوا الهرب شيئا فشيئا والتاخير من الطريق التى جئنا منها وانى سأفعل بالأعداء فعلا اجعلهم يتأثرون منه ثم سلم طهمور الى جماعة من الفرسان واوصاهم بالحفظ عليه وان يكونوا فى مؤخرة العسكر حتى إذا اخذوا فى الهرب يكونون هم فى الأول وبعد ذلك دعا بمائة فارس من فرسانه الأشداء وقال اريد منكم عند اشتداد القتال ان ترافقونى دائما ولاتبعدوا عنى واى فارس وقع امامى الى الأرض فانقضوا عليه وكتفوه ومن طاولنى وطاولته فى القتال وثبت امامى

صوبوا سهامكم الى جواده فاقتلوه من تحته ومتى وقع الى الارض اوثقوه فانى احب أن التقى منهم الفرسان واصحبهم معى الى بلاد الصين واجعلهم فى حرقة عليهم كى يجبروا على المسير الى تلك البلاد . فاجابوا طلبه ولما سمع صوت طبول الفرس ركب بفرسانه ودربهم اعظم تدريب ورتبهم اعظم ترتيب وامرهم بكل ماخطر فى فكره .

قال وفى تلك الساعة ركبت جيوش الفرس على أتم ترتيب وانتظام وكل فرقة سارت إلى ناحية وبعضها قصد أبواب المدينة وهجموا هجمة واحدة وفى مقدمتهم أسد الآساد وفارس ميـــدان الطراد فيروز شاه وبهزاد وبقية الفرسان الاجواد وانقضوا على قوم الرومان انقضاض الاسود الكواسر فالتزم الاعداء أن يركبوا ويباشروا الحرب والقتال وهم على آخر نفس من معاناة اليأس والاحزان وقطع الرجاء ولم يكن إلا القليل حتى اختلط القومان . ودار بينهم دولاب الحرب والطعان . وكثر القيل والقال . بين الفرسان والأبطال . وكان يوم عظيم الاهول . لم ير مثله على الرومان من قديم الاجيال فيه ذاقوا الهلاك والوبال ولعب بهم لاعب الفناء والدمار وأورثهم موارث المصائب والبوار وسدت فى وجوههم طرق الهرب والفرار فلم يروا أوفق من أن يسلموا بأنفسهم ضحايا إلى سيوف أهل إيران ويختاروا لذواتهم الموت والقلمان وعمى الله قلوبهم عن طلب العفو والامان فذهبوا ذرى الارياح وحلت المصائب من كل ناح وجودت الفرس فيهم الضراب وأنزلت عليهم أنابيب العذاب وتركت فيهم أثرا لا يمحى إلى يوم الحشر وذكرا يتذكرونه من بعدهم طول الدهر وأغمدت فى صدورهم نصولها . وألبست أقحاف جماجمهم حوافر نعولها . وأما منكوخان بن هلكوخان . الكافر بدين الديان فانه تلقى العرق التى جاءت نحوه بقلب أقوى من الصوان وجاولهم مدة من الزمان . وجعل يتأخر أمامهم إلى الوراء شيئا فشيئا برجاله وأبطاله وفرسانه وهو يصول ويجول . ويهجم كالغول . إلى أن وقعت عينه على قادرشاه وهو ينقض على الأبطال والفرسان . كأنه فرخ من فروخ الجان . ويضرب ضرب الابطال والشجعان فمال اليه وانقض عليه وأخذ سلسلة من الحديد بها عدة شناكل وأرسلها نحوه بخفة أسرع من لمح البصر فوقعت تلك الشناكل على زرديته فعلقت أطرافها فاجتذبه بقوته ومقدرته وألقاه إلى الارض وإذا برجاله الذين أوصاهم أن يصحبوه قد انقضوا عليه وأوثقوه كتافه وأرسلوه إلى المؤخرة ايضم إلى طهمور هذا وعساكر الصين تتأخر شيئا فشيئا كما أوصاهم ثم ذاك يصول ويجول من مكان إلى مكان حتى وقعت عينه على بهمنز فلى يطارد العساكر ويطعن بها ففاجأه وفعل معـــه مثل ما فعل مع

قادر شاه ورماه بالشناكل إلى الأرض دون أن يقرب منه أو يصل اليه فأوثقته العساكر وضمته إلى رفيقيه هذا والحرب قائمة على ساق وقدم . بين تلك الجموع والامم لا يعلم الفارس ما حل بأخيه وما جرى عليه وماصار فيه . و بقى منكوخان يحاول أن يرى فارسا آخر يفعل به ما فعله بغيره فقادته الصدف إلى أن التقى بسيامك سياقيا وهو يزيد نيران تلك الحرب اضطراما ولهبا . ويضرب بعمده الأبطال والفرسان فيمددها على بساط الصحصحان . كأنه الأسد الكاسر أو الذئب الجارح فمال منكوخان إلى نحوه ورفع السلسلة إلى الهواء ورمى بالشناكل عليه فسمع سيامك صوت خشيشها ومال بنظره اليها فوجدها نازلة اليه فمال عنها وتستر منها بدرقته وصاح فى منكوخان وانقض عليه وهو مندهش من خبثه وبما يقاتل ولما رأى ذاك اللعين أن عمله قدخاب عمد إلى سيفه فاخترطه والتقى سيامك وكان من الأبطال الشداد فاتسع بينهم سوق الحرب والطراد . فافترقا والتحما وصاحا وحمحما ووقع بينهم قتال شديد يفك الزرد النضيد . وبينما هما على مثل تلك الحال وإذا برجال منكوخان قد عمدت إلى النبال وصوبتها إلى جواد سيامك فقتلته ووقع إلى الأرض فانقض عليه الصينيون بأسرع من لمح البصر وأوثقوه وشاهد رجال سيامك ما حل باميرهم فهاجوا وماجوا واحدقوا على الصينيين يطلبون خلاصه فاشتبكوا ببعضهم أى اشتباك . وحل عليهم سلطان الوبال والهلاك . وقتل من الفريقين قوم كثير . وانفجرت منهم الادمية كالماء الغزير إلا أن منكوخان لما رأى صعوبة الحال . وأن لا قدرة له على الثبات فى المجال . اكتفى بمن أسر وأشار إلى عساكره بالهرب والانفلال . فألووا عنان خيولهم وأطلقوها إلى جهة بلادهم يرتجون الخلاص من أولئك الأسود الزائرة والذئاب الكاسرة . وتبعهم رجال الفرس يضربون باقفيتهم إلى أن غابوا عن تلك الارض ولم يبق لهم أثر فيها ومن ثم رجعوا عنهم عن بعد أن أهلكوا أكثر من نصفهم وهم يتحسرون ويتحرقون على غياب سيامك وعلموا بأسر قادر شاه وبهمنزار قلى وكان الملك ضاراب قد أباد بعساكره عساكر الرومان وشتتهم فى كل ناحية ومكان وأهلك منهم قسما كبيرا لا يدرك مقداره وتكومت أكواما من جثثهم بما يدعى أشد القلوب قساوة إلى الرحمة والرفق وبعد ذلك أمر بضرب طبول الرجوع عنهم لما وجد ان لا بقية فيهم . وكان فيروز شاه قد توصل إلى باب المدينة فمنع الدخول اليها إلى أن هدأ الحال وراق البال وبطل الحرب والقتال . ومن ثم بعث بعياره إلى الاهالى يخبرونهم بموت ملكهم وأمرائه وتشتيت فرسانه وأبطاله وأنهم ان أطاعوا عفا عنهم وأعادهم إلى أماكنهم كما كانوا والادخل بالعساكر إلى المدينة وأهلك كل من عصى ومانع فارتجف الاهالى وخافوا سوء المصير

ولم يروا أبدا من الطاعة فخرجوا من مساكنهم ووضعوا المناديل فى رقابهم وجعلوا يصيحون الامان الامان فأمرهم فيروز شاه أن يتقدموا إلى جهة أبيه وكان الملك ضاراب قد أقام فى صيوانه فتقدم اليه أعيان المدينة ودعوا له بالنصر والاقبال وقدموا له طاعتهم وقالوا له اننا لسنا نحن رجال قتال . بل رجال أموال فمن تزوج بأمنا صار عمنا وها قد أتيناك طائعين فان عفوت عنا بقينا فى طاعتك كل العمر وإلا فانت حر ان تفعل بنا ما تختار وليس فينا من يقدر على مقاومتك وعنادك لانك الرجل الوحيد الذى اختصك الله لنفسه وأعهد اليك بالنصر والظفر وان ترعى عباده بحلم ورأفة . فطيب بخاطرهم وقال لهم لا تخافوا قط من ضر ولا من أذى فما أنتم الآن إلا من رعايا دولتى وقد دخلتم فى حوذتى فابقوا فى أماكنكم على البيع والشراء والاخذ والعطاء. ومن اذاكم أو فعل معكم قبيحا أطلعونى على أمره لاهلكه واعدمه الحياة ومن من قوى أخذ شيئا كان جزاءه القتل لان المساواة مسئول بها من الله فلا تفكرون بسوء فانى أحلم عليكم من ملككم الذى ذهب بيومه فشكروه على قوله وسروا من عدله ورحمته ودعوا له بطول العمر والعز والبقاء وعادوا من بين يديه مسرورين وفرحين جدا وهم يقولون لبعضهم ان مثل هذا الملك يجب أن يفوز ويسود لانه عادل وحليم والله يحب الذين مثله فلا يقطع لهم من النصر رجاء. واما الظالمون فينالون جزاء ما يفعلون ودخلوا المدينة ونشروا بها رايات الامان والسلام وعادوا كانهم لم يتغير عليهم قط ملك ولا أصيبوا بأمر من الامور

هذا وبعد ذلك نظر الملك ضاراب إلى فرسانه وكانوا يردون اليه واحدا بعد واحد ويجلسون فى مراكزهم بعد أن يهنئوه بالنصر والظفر فوجد سيامك سباقيا وبهمنزار قلى وقادر شاه غائبين عن الصيوان فسأل عنهم فقيل له ما رأوه من فعل منكوخان وكيف أنه أسر سيامك بالحيل والخداع قال لا ريب أنهم جميعهم فى أسره لانهم كانوا على جيشه فتكدر من ذلك مزيد الكدر ولطم على أكفه وقال لا ننتهى من مصيبة إلا ونقع فى ثانية ولا يزال لنا عند الدهر بعض بغض وعناد فغياب فرسانى مما يحزننى ويتركنى دائما فى هم ونكد إلا أن ذلك كله من الله سبحانه وتعالى فهو صاحب الامر والنهى وربما أراد فى أن يذهب بنا إلى الصين لخلاصهم وهلاك ملكها العاتى الجبار وبعد هذا أمر عساكره ان تنقل جثث الموتى فتأويها التراب وتدفنها وتنظف الارض من الادمية كى لا يفسد المناخ فتفشو الامراض فيما بينهم فاجابوا واخذوا يفعلون ما أمرهم به الملك واما هو فانه ركب وأمر حاشيته وبطانته أن تركب لركوبه وتنزل معه فى المدينة ليدخل إلى ديوان قيصر ويجلس فيه وينام فى قصره ويقيم هناك معهم حيث فى

نيته أن يزف ابنه فيروزشاه على عين الحياة وكذلك فرسانه وأولاد عمه الذين اتخذوا لهم خطيبات فى هذه الحرب . فركب الجميع وساروا معه وبين يديه حتى دخل المدينة فخرج مع أهلها إلى ملاقاته ومشوا بين يديه ينادون بالأدعية له ولولده حتى وصل إلى قصر الملك قيصر فدخله وهو يتعجب من حسن اتقانه وأثاثه وبنيانه وجلس على كرسيه وكانت من العاج محلاة بشبكة من اللؤلؤ الغالى وأكثر الكراسى من هذا الباب الا أنها أصغر واخف وهى مصفوفة على أحسن ترتيب ونظام الاصغر فالاصغر وأرض القصر مفروشة بالنقوش الملونة بما يدهش الأبصار وكذلك السقف والحيطان فانها كانت مدهونة بالدهانات الزيتونية ومنقوش عليها الصور والتماثيل والوقائع التى كان يفعلها رجال الرومان القدماء. وصور مشاهير منهم امتازوا على سواهم

ولما جلس الملك ضاراب واستقر به المقام وجلس من حواليه جميع الأبطال والفرسان على اختلاف رتبهم ومناصبهم سأل طيطلوس فيما يجب أن يفعل بعد الآن قال اعلم يا سيدى أن لدينا أمورا كثيرة ينبغى أن نسعى فيها إنما فلنترك ذلك إلى الغد حيث الآن قدقرب وقت العشاء ومن اللازم أن تنقل النساء إلى داخل المدينة ونفرض لكل فارس فيها قصرا ونفتش أولا على طهمور أهل هو فى المدينة أو أصيب بنكبة . قال أصبت بذلك ثم دعا بأحد الرومان من الذين كانوا بخدمة الملك قيصر وسأله عنه . فقال له اعلم ياسيدى أن طهمور هو الآن مع منكوخان وعلى ما أظن أنه أخذه معه إلى بلاده أسيرا وذلك انه لما كان قتل من أولاده جماعة طلب أن يسلم اليه ليأخذ لنفسه بالثار من عذابه ولا أعلم من الذى دله عليه وأخبره بوجوده عندنا وقد سمعت الملك قيصر يقول لوزيره لابد أن الذى أخبر منكوخان بذلك هو طيفور لأنه لازمه وصار يقيم أكثر الوقت معه وعنده ولا يعود إلا وقت المنام فينام فى صيوانه قرب صيوان الشاه سرور . فتكدر الملك ضاراب من هذا الخبر وقال لاريب ان طيفور هو الذى سأله فى أن يأخذه فلعنه الله من خبيث مخادع فلا بد من قتله كيف كان الحال لأن أذاه متواصل الينا غير منقطع قط فهو مثل العقرب كيفما مال لسع فأرجع وإنى أسأل الله أن يقدرنى على خلاصهم وارجاعهم إلى فهو السميع المجيب ولو لم يكن لى أكثر من ست سنوات خرجت من بلادى وأنا كالغريب المشتت أنتقل من جهة إلى ثانية من المشرق إلى المغرب لسرت الآن حالا إنما لوعة ابنى على خطيبته واحتياجه إلى الزواج يلزمنى أن اتقاعد الآن عن كل ذلك وأبقيه إلى حيث يشاء ربى سبحانه وتعالى . ثم أمر الفرسان أن تنقل بكل أمتعتها إلى المدينة وتأتى بما هنالك من البنات فتقيم كل واحدة بقدر يليق بشأنها استعدادا للزفاف فذهب الجمع إلى الخارج وسار بهمنزار قبا إلى كليلة بنت ملك

الشام فبلغها خبر الملك وجاء بها وهما فى فرح لا يوصف يعدان أنفسهما بقرب الاجتماع وكذلك فرخوزاد فانه قرب من أنوش وعرض عليها أمر الملك وسألها ان تأتى معه المدينة . فقالت إنى أشكر الله على حلول وقت الأفراح . ولهذا فانى أخبرك الآن انى سانزع هذا الثوب عنى ولا اعود اليه فيما بعد ولا يليق بى ان اباشر حربا ولا قتالا بل اقيم كبقية الزوجات فاوصيك برجالى وابطالى وان تصرف مزيد العناية الى وقايتهم ومراعاتهم . فوعدها بكل خير ومن ثم نزعت عنها ملابس الفرسان ولبست ملابس النساء وافرغت عليها من الحلى والحلل ما جعلها وزاد فى بهاء محاسنها حتى كاد يضيع عقل فرخوزاد وعاد بها الى المدينة ودخل القصر الذى أعدلها

واما فيروز شاه فانه دخل الى صيوانه وكان بهروز قائما كل تلك المدة عند بابه للمحافظة عليه وعند دخوله لاقته جهان افروز فسلمت عليه وسلم عليها وقال لها انى فى كل هذا النهار ما رأيت اختك المرهقة ولا اعلم سببا لغيابها . قالت انه بعد خروجك من هنا الى ابيك جاءت واخبرتنى انها ذاهبة الى بلادنا لان عدوا قادرا قصد التسلط عليها وجاء بعض اعوانها فاخبرها وقد اوصتنى ان ابلغك سلامها واوصتنى بخدمتك والانقياد لامرك وانى ابقى عندك دائما وقالت لى انها لا ترغب منك الا القيام بوعدك والمحافظة على ومراعاتى . اذ انها لا تعلم اذا كانت تعود فتراك مرة ثانية اولا فاذا انتصرت على هذا العدو وارجعته عادت الى خدمتك والا فلا تعود فتاتى ثانية . اذا تكون قد قتلت او أسرت . فحزن فيروز شاه لغيابها وقال انه يصعب على ذلك جدا ولا كنت احب ان ابعد عنها أو اقاعد عن نصرتها فليتها صبرت واخبرتنى بامرها . قالت ان ذلك لا يمكن اولا لانك من الانس وثانياً لانك فى حاجة الى الزفاف والراحة . وبعد ذلك دخل على عين الحياة فوجدها مع ابيها واخوتها براحة تامة وسرور وانشراح فقاموا له وسلموا عليه وقربت منه عين الحياة وهنأته بالسلامة ونهاية هذا الحرب وقرب ايام الراحة . فقال لها ان الله قد استجاب دعانا وقرب منا زمن الافراح والاطمئنان ويسرنى الآن ان اراك مع ابيك على اتم سرور وفرح كونك كنت دائما تسأليني فى ذلك والآن فانى اتيت لأذهب بك وبجهان افروز الى المدينة لان أبى قد اعدلنا قصراً عظيماً من قصور الملك قيصر وهو القصر الذى كان ازمع ان يتزوج به أنوش ابنه وسيفكر فى الغد ما يلزم اتخاذه بحيث يكون العرس فى هذه المدينة والحمد لله قد زالت كل الموانع والعوائق ولم يبق من سبب يؤخر اجتماعنا فهلموا ابناجميعا لندخل البلد ولتأخذ كل واحدة منكما ثيابها وحلاها وما هى فى حاجة اليه فنهضت عين الحياة الى تدبير امرها وكذلك جهان افروز وسلموا كلما يلزم لهما الى بهروز واوصوه

يصحبهم معه إلى القصر . ثم ركب فيروز شاه وأركب خطيبته وأركب أيضا الشاه سرور وأولاده وخرجوا من الصيوان وجاءوا المدينة على أجنحة السرور ودخلوا القصر المعد لهم فرجدوا أن الخادم قد هيئته وزينته وأشعلته بالأنوار حتى صار يحلو للانظار ولما دخلت اليه عين الحياة قالت إلى فيروز شاه كم كنت تعيسة لو أدخلت اليه قبل الآن أى لما كان انبوش يطلب زواجى وقد ذهب إلى قلعة الحديد ليأتى بالية فاشكر الله على هذه المنة فهو مغير الأحوال ومقلبها وحاشاه أن يظلم قط عباده . فقال لها لو تم ذلك لكنت أنا فى اللحود منذ ذلك الحين لأنى لا أطيق أن أسمع أنك قبلت بغيرى أو بالحرى أرغمت فزففت على غيرى وما كان يحملنى أن أتحمل ثقل الحوادث بالصبر الجميل هو ما كنت أعلمه من صدق حبك وممانعتك من الموافقة على غيرى قالت كثيرا ما كان يخطر لى أنى أميت نفسى قتلا إذا وصلت إلى حالة أرى ذاتى مضطرة فيها إلى التسليم لغيرك ودخل فيروز شاه بها فانزلها فى غرفة فاخرة تليق بشأنها وفعل مثل ذلك لجهان افروز وأقام معهم فى ذلك القصر الذى كان فيه قبلا . وأما بقية الفرسان والملوك مثل خورشيدشاه وجمشيدشاه وكرمان شاه ومصفر شاه فكل منهم نزل فى قصر مخصوص أعد له وناموا جميعا تلك الليلة براحة واطمئنان ينتظرون الغد وبقى بدر فتات بين العساكر محافظا على طيفور ليبنيا يطلبه منه الملك ضاراب وقد بذل كل الجهد فى عذابه

قال وانقضت تلك الليلة على الجميع بحسب ما تقدم وفيروزشاه أسر الجميع وأفرحهم وقد أقام مع عين الحياة وجهان أفروز فى ذاك القصر وكان أعدله الخدم مائدة الطعام فأكلوا حتى اكتفوا ثم نهضوا إلى مائدة المدام فجلسوا عليها وأخذوا يتعاطون المدام ويتناشدون الأشعار ويطربون بالغناء وكان صوت جان أفروز جميلا جدا مسكرا ووجدت الدهر قد راق لها وطاب عيشها بحبيبها فارادت أن تسليه بغنائها فرفعت صوتها منشدة بما يأتى :

قد صفا ماء النعيم	فى محياه الوسيم
قربه جنة عدنى	وتنائيه جحيمى
ان رنا تيم بالالحا	ظ غزلان الصريم
او تثنى اخجل الاغصان	بالقد القويم
او تغنى بلبل البلبا	ل بالشدو الرخيم
وإذا قام بدير الرا	ح فى الليل البهيم
كشف الليل سناه	وانجلى ليل الهموم

يقرع الجام بدر منه فى ثغر نظيم
فاذا غب من الرا ح احتسى لب النديم
يا حياتى وحمامى وحبيبى وغريمى
لم لا ترثى لجسمى من تجنيك سقيم
رق حتى قد حكى رقة أنفاس النسيم

وكانت جهان أفروز تنشد وفيروز وعين الحياة مأخوذان بحسن صوتها ورقة إنشادها حتى كاد ذاك القصر يرقص طربا من معنى ورخامة ذاك الصوت وحسدتها عليه عين الحياة وأما فيروز شاه فانه سر لذلك كل السرور وأخذ كاسا من الخمر فسقاها بيده ثم أخذ هو أيضا كاسا وأنشدها :

لو صرت من سقمى شبيه سواك ما اخترت من دون الأنام سواك
لا فزت من إشراك حبك سالما إن شبت دين هواك بالاشراك
أخربت قلبى إذ ملكت صميمه أكذا يكون تصرف الملاك
كيف استبحت دم المحب ولم يكن قلبى عصاك ولا شققت عصاك
هل عندم الوجنات رخص فى دمى أم طرفك الفتاك قد أفتاك
أصغيت سمعا للوشاة فتارة أخشى عليك وتارة أخشاك
زعم العداة بأن حسنك ناقص حاشاك من قول العدا حاشاك
قالوا حكيت البدر وهى نقيصة البدر لو يعطى المنى لحكاك

ولما سمعت جهان أفروز إنشاده سرت به كل السرور وكان يقع على قلبها أحلى من النوم على أعين النعسان لأنها كانت لا تصدق أن تسمع منه مثـــل هذا الكلام وانه يخلص فى حبها إلى درجة أن ينزلها منزلة أولى ويعاملها ببعض المعاملة التى يعامل بها عين الحياه إذ أن تلك هى محبوبته الأصلية التى سلم كل قلبه لها منذ أول صبائه ومنذ لعب به لاهب الوجد والغرام وعاهدها أن يكون بكليته لها وتكون هى بكليتها له أما هى فانها دخيلة على هواه أرادت أن تحببه بذاتها بأعمالها وتحمله بواسطة أختها المرهفة أن يستحى إلى إجابة طلبها وكانت تتأكد أن منزلتها عنده هى أدنى درجة من منزلة عين الحياة إنما كانت ترى فى ذاتها أنها سعيدة بالاجتماع به وبتسليمه له بكل مايسره ومن بعد ذلك أخذ كاسا وملأها وسقاها عين الحياة وبعد أن شربت أنشدت :

صاد الأسود بمقلة وسناء وسبى العقول بطلعة وسناء
وأتى بأزرق ثوبه متوشحا فكأنه بدر بدا بسماء
خجلت بدور الأفق منه عندما وافى بتلك الطلعة الحسناء

والقضب خرت سجدا لما بدا متخطرا بالقامة الهيفاء
وبلبل طرته ظللت وإننى من صبح غرته وجدت هدائى
فتبارك الرحمن ما أحلاه من رشأ غدا مرعاه بالأحشاء
ما كنت أحسب قبل انى صدته ان الأسود فرائس لظباء
حتى طعنت بأسمر من قده وقتلت من ألحاظه بظباء
فاذا رنا وإذا انثنى لاتذكروا بيض الظبا مع صعدة سمراء
سلطان حسن فى الملاحة قده قد خصـــه من شعره بلواء
وبوجنتيه عجائب من بعضها نار يشب ضرامها بالماء
من رام يحيي فليمت فى حبه حتى يعد غدا من الأحياء

وشاهد فيروزشاه عنـد انشادها هذه الأبيات احمرارا صادرا عن خفقان قلبه لأنها كانت تنظر اليه نظرة المتحرق الولهان وتنشد بما يدعوها اليه من الحب الكامن فى قلبها وقد أهدته كل شمائرها ولم تعد ترى لها بابا للشكوى من الزمان على الفراق والبعد بل كانت كل شكواها من الخفقان الذى كان يحدث لها عند تكلمها معه لانها كانت من سرورها لا تعرف من أى جهة تقدم له نفسها وتكافئه على حبه ولا ترى وسيلة لسروره غير اظهار ما هو كامن فى قلبها وكان يعرف منها ذلك ويتأكد انها وإن كانت تخجل عند اباحتها بأسرارها له إنما ترى من نفسها أنها مضطرة إلى ذلك ارضاء له وان شدة الحب تدعوها بالرغم عن أميالها وأطوارها إلى التطرف به ولذلك قد اعتادت أن تصفه ويصفها وتشكو له ويشكو لها ولذلك سكبت كاسا وقابلته بالمثل أى انها سقته إياها وسألته الانشاد فانشدها

هجم الصباح فاين ياليل المفر وجياده بالنصر واضحة الغرر
أو ما تراه نضى لحربك يا دجى غضبا ثقيلا كاد يختطف البصر
ودعا اليك وقد أماط لثامه كالليث كشر للفريسة واكفهر
لا تغترر وترى الهزيمة منها فطلائع الاصباح خصت بالظفر
وكحيلة الأجفان لولا لحظها لم أدر ان الشمس تطلع فى السحر
ايه ولولا نبت سالف خدها لم أدر ان الآس ينبت فى الشرر
شمس على الأرداف أرخت شعرها لتريك ان المسك فى الورد انتشر
ولوت على الأجفان سالف عنبر فحمت بعقرب صدغها ورد الخفر
وأرت بلال الخال يرقب فى دجى ليل العذار صبيح مبسمها الأغر
ياظبية الوعساء يابرء الأسى يا مطمع الأهواء ياقيد النظر
اظبا جفونك أم ضيا عينيك قد ترك الفؤاد أسير تخييل الفكر

فاذا نفرت نفرت عن عين المنى وإذا سفرت سفرت عن وجه القمر

فالت عين الحياة من انشاده طربا وودت من نفسها أنها باعظم نعيم يطيب لها ان تصرف العمر بطوله على تلك الحالة دون أن تفكر بما سواها وكان فيروزشاه يرى أيضا من نفسه سعادة تلك العيشة وراحتها وبات يحسد نفسه على ماهى فيه من الفرح وعيناه تنتقل من واحدة إلى الثانية ولسانه يمدح من جمالها وهما تمدحان منه ومن أوصافه وتسكبان له الخمر وتسقيانه . وداموا على مثل ذلك الحال الى أن لاح جيش الصباح بطلائع نوره فذهب كل منهم الى غرفته لينام بضع ساعات وتاخذ النفس راحة

وفى صباح اليوم الثانى جلس الملك ضاراب فى ديوانه الجديد وجمع اليه وزراءه وكبراء دولته واستشارهم فى أمر الزفاف فقال طيطلوس ان ذلك عائد اليك مناط بك . قال انى كنت أحب أن أذهب إلى ايران وأزف ولدى هناك لانه وطنه إنما ذلك لا يمكن قط إذ أن لابد من بعث هذه الجيوش إلى الصين بعد زمان لاسيما وانى أرى موافقة هذه البلاد لنا وحسن مناخها وعليه فانى أرى ذاتى مضطرا لأن أبعث فاستحضر الملكة من ايران لتأتى وتشاهد ولدها وتفرح بزفافه ولا ريب انها بمزيد شوق إلى ذلك وقد مضى مدة طويلة دون أن تعرف عنا خبرا وهذا الأمر أهم لدينا من كل الاشياء ولا يصير زفاف دون أن تكون حاضرة وان كان بذلك كبير عاقة إنما كل آت قريب فقال طيطلوس ان ذلك واجب علينا فهى سيدتنا وليس لها غير هذا الولد ومن العدل أن يؤخر العرس إلى حين مجيئها ولابد أيضا من الاتيان بكولندان بنت ملك الاسكندرية وبتاج الملوك بنت المنذر بن النعمان صاحب لدن الطائف وبطوران تخت بنت الوليد ملك مصر وبالشاه سليم أبى الأميرة انوش خطيبة فرخوزاد ليكون الفرح كاملا شاملا ولا يبقى بعد ذلك لوم لأحد علينا لأن كل الفرسان والابطال لولا أملهم بزفاف فيروز شاه لتزوجوا جميعا غير أنهم كانوا صابرين لبعد زفاف مولاى ولدك والآن ينبغى أن يكون العرس واحدا فتغسل أقذار تلك الأيام الماضية التى صرفنا بالعذاب والمحن . فقال الملك ضاراب انى أفكر بذلك ولهذا أطلب من كل رجالى وأبطالى أن يكونوا حاضرين هذه الافراح ومن منهم شاء أن يتزوج فلا يتأخر قط من كل عساكرى كبيرا كان أو صغيرا ويكون مصروف هذه الأفراح من الخزينة الفارسية اكراما لولدى فيروز شاه ولزوجته عين الحياة ولهذا فانى أفوضك أيها الوزير الخبير والعاقل الحكيم بتدبير هذه الامور وترتيبها وأن تكتب الكتب إلى الملكة ثمرتاج زوجتى وسائر الذين ذكرت وكن أنت رئيس هذا العمل وانى أسلم زمام مصاريف العرس واحتياجاته

إلى رفيقك الثانى دوش الراى فيكون كل مايصرف و يفرق من يده بمعرفتك ومعرفته . قال انى أنتظر لمثل هذا اليوم فأخدم سيدى فيروزشاه فان فرحى به أعظم من كل فرح . وبعد ذلك أخذ طيطلوس فكتب لتمرتاج زوجة الملك ضاراب كتابا يقول فيه

بسم الله المفرح المنعم لااله الا هو وحده

من طيطلوس وزير الملك ضاراب إلى سيدتى تمرتاج ملكة بلادفارس وولدة فيروزشاه صاحب الفعل الجليل والفضل الغزير

اعلمى أيتها السيدة الكريمة المبرورة وتاج المخدرات وفخر المحصنات اننا منذ خرجنا من اليمن أتينا إلى مصر إلى حرب الوليد حاكمها وصرفنا زمنا ليس بقليل فى محاربته ولاقينا من الأهوال والمصائب ما يكل القلم عن وصفه الا انه بمساعدته تعالى قد انتصرنا على تلك البلاد وفزنا على ملكها وتملكناها وأدخلناها فى حوزتنا وحيث لم يتيسر لنا هناك الحصول على عين الحياة ولا رأيناها بل ترجح عندنا أنها سارت مع أبيها إلى بلاد الرومان إلى الملك قيصر وعليه فأتينا البلاد المذكورة بعد أن دوخنا فى طريقنا كثيرا من البلاد كدمشق وانطاكية وغيرها وعند وصولنا إلى الرومان باشرنا الحرب معهم مدة ليس بقليلة حتى بمساعدته تعالى تملكنا بلاد الرومان وفزنا على كل معاند ومخاصم فيها ودخلت عين الحياة فى حوزة ولدك وراق لنا العيش وانعم منا البال ولهذا اختار سيدى الملك ضاراب أن يزف ابنه فى هذه البلاد لأنها أعجبته جدا وطاب له المناخ بها ولذلك سلم إلى بأمر تدبير الزفاف وان أكتب كتابا إليك ألتمس منك الحضور مع بهزاد الذى أرسله سيدى الملك لخدمتك فى الطريق اذ لا يمكن أن يكون الزفاف بدون حضورك ومعاينتك فافرحى به وأنعمى بولدك الذى ساد على كل أقرانه فى زمانه وادعى من نساء ايران من يطيب لك ويروق فى عينك حضورها فقد قرب اليوم المنتظر وجاء الزمان المناسب لأن نفرح ونبتهج أبقاك الله فخرا للدولة الفارسية ومصباح حكمة ينير كل نيرة وأدامك معنا لأفراحنا ومسراتنا والسلام

وبعد أن فرغ من كتابة هذا الكتاب كتب كتابا آخر إلى الشاه سليم يدعوه للحضور إلى زواج بنته وقد كتب فيه

بسم الله العظيم الرحيم

من طيطلوس الحكيم وزير الدوله الفارسية إلى الشاه سليم حاكم البلاد اليمنية

بعد السلام عليك وتقديم الاحترام اليك أخبرك أيها الصديق الكريم والمحب الحميم اعلم أننا بحوله تعالى قد توفقنا الى الغاية المطلوبة وذلك أننا انتصرنا على

المصريين وتملكنا بلادهم فهرب الشاه سرور وبنته إلى بلاد الرومان إلى الملك قيصر فحضرنا إلى هذه البلاد وفعلنا فيها الأفعال التي تذكر حتى انتصرنا وملكنا البلاد وراقت أمورنا ولذلك عدنا على زفاف سيدنا وابن ملكنا فيروزشاه ابن الملك ضاراب هذه الأيام في بلاد الرومان إذ أنها دخلت في يدنا وأهلكنا ملكها وكل أنصاره ونوينا أيضا على زفاف فرخوزاد وكل بطل إيراني أو تفريرغب في الزواج بحيث تكون الأيام فرح وسرور ويعم الفرح الجميع من الصغير إلى الكبير ولهذا أمرني سيدي الملك أن أكتب اليك كتابا أدعوك لحضور زفاف ولده فيروزشاه على عين الحياة وحضور زفاف فرخوزاد على السيدة أنوش كريمتكم صاحبة الأفعال المحمودة وقد بعث سيدي الملك ضاراب بهزاد بطل إيران وحاميها ليأتي بزوجته الملكة من إيران ثم يمر من تعزاء اليمن فيكون حضوركم معه وتمرون على لدن الطائف فتأتون بتاج الملوك بنت المنذر بن النعمان لنزفها ومن ثم طوران تخت بنت ملك مصر وكولندان بنت ملك الاسكندرية فان لهن علينا عهودا ومواثيق ونسأله تعالى دوام أفراحكم ومسراتكم مع طول عمركم إلى الأبد والسلام

ثم طوى الكتاب وختمه وقال للملك ضاراب لما كان من الواجب علينا القيام بحق خدمة سيدتي الملكة رفعة لشأنها ولذلك أرى أن تأمر بهزاد أن يسير لهذه المهمة مع خمسة آلاف فارس من الفرسان الكرام أي من الأمراء والأعيان فيأتون إيران ويمشون في خدمة الملكة ومن ثم يعودون الى تلك العواصم والبلدان فيأتون منها بكولندان وتاج الملوك وطوران تخت والشاه سليم. فقال الملك لقد أصبت في هذا أيها الحكيم العاقل الخبير فان من الضرورة أن يكون بين أيديهم بطل من أبطالنا يمنع عنهم طوارق الحدثان اذا لا سمح الله وقع لهم مانع في الطريق وان كنت لا أخاف من أحد يسطو عليهم اذ أن البلاد من حد إيران الى هنا هي في يدي وتحت طاعتي الا انه ربما صدف مرور عدو فيها لا نعلمه وعدا عن ذلك في الضرورة أن يكون مع الملكة من هو أحب الناس عندي كابني فيروزشاه أو بهزاد الذي هو بمنزلته. وأما بهزاد فانه فرح فرحا لا يوصف وأظهر للملك ذلك وقال لي إني أحب يا سيدي أن أخدم بين يدي سيدتي الملكة واي شرف أرجوه أكبر من هذا ولو انتدب مولاي طيطلوس غيري اليها اصعب عندي وكدرني انما نظر بحكمته موضع النظر وأراد أن يعهد الى بمثل هذه الخدمة كاجبار خاطر من قبله.

فمدحه الملك على مثل هذا الكلام وأمره أن ينتخب له خمسة آلاف امير وفارس من رجال إيران ليصحبهم معه في سفرته وقال له سر في طريقك على بنات الملوك فأحضرهن معك وأحضر الشاه سليم أبو السيدة أنوش لانه من عمالنا المخلصين وبعد أن انتهى

تدبير أمر بهزاد نهض خورشيد شاه وتقدم من الملك ضاراب وقال له لقد سمعت يا سيدى أنكم قد بعثتم لاحضار تاج الملوك بنت المنذر بن النعمان وهو التى خطبتها فى الأول لنفسى وعاهدتها أن أكون لهـا بعلا وتكون لى زوجة ولاأنظر إلى غيرها ومن ثم أيضا بعثتم لاحضار كولندان بنت صاحب الاسكندرية والثانية أيضا لما طلبت إلى أخلص لها الود والوفاء وأعاهدها أن أكون لها بعلا أجبتها اليه وأنا باضطرار إلى ذلك وعاهدتها أن أحفظ ودها ولاأرغب فى غيرها ومتى جاءتا لا يمكنى أن أفى لهما العهد معا يعنى لاأحب أن أكون بعلا للاثنين فماذا ياترى يكون من أمرهما ومن منهما الواجب على مرعاة خاطرها ومن منهما يمكنى رد طلبها وكسر خاطرها مع أنهما الاثنتان قد عملتا معا معروفا وأكرمتانى مزيد الاكرام فأجاب الملك ضاراب اننا لانكسر بخاطر واحدة فمن مالت اليها نفسك فاجعلها زوجتك ومن تركتها زوجناها بغيرك من الأمراء ولاتتغاضى عنها بعد أن تكون قد عملت معنا معروفا وأكرمته رجالنا وكان خورشيد شاه عند ما كان بالاسكندرية رأى من كرمان شاه بعض ميل من كولندان وانه كان ينظر اليها نظر المتعجب من ذلك إنما كان لايبدى شيئا من دلائل الحب لعلمه بحبه لها وبحبها له ولهذا قال للملك ضاراب انى لا أفضل واحدة منهما من على الثانية كونهما بدرجة واحدة من الحسن والأوصاف الجيدة إنما لما كان سبق منى اليمين والعهد لتاج الملوك فمن الضرورة ان أفى لها بوعدى وإنما أسألك أن تسأل ابن عمى كرمان شاه ان يقبلها زوجة له واطلب ذلك حبا به لأنها من السيدات اللواتى يندر وجود مثلهن فى هذه الايام حسنا وأدبا واكراما لها أيضا بحيث تكون قد بدلتنى عن هو أحسن منى حسنا وكرما وأليق لطفا وأدبا ومتى وصلت هى إلى هنا تعرض عليها ذلك وتدعها أن تقبل ولاريب أنها تفرح به وتسر مزيد السرور فلم يسع كرمان شاه إلا الاجابة والرضا لأن قلبه كان يشتعل بمحبة كولندان وهو لايقدر أن يبديه أو يبوح به إكراما لخورشيد شاه وماصدق أن سمع منه هذا الكلام حتى أجاب على ذلك وقال لولا انى اعلم ان ابن عمى هو فى ارتباك من ذلك كالحجر بين شاقوفين وأنه لايرغب فى كولندان مرضاة لتاج الملوك لما وافقته على ذلك بل كنت أرغب من كل قلبى أن أراه مسرورا متنعما والآن حيث طلب إلى ذلك تخلصا من اللوم والعتب من إحدى خطيبتيه فقد أجبته اليه ومتى جاءت فاطلب اليك أن تدعوها اليه وتعرض عليها أمر خورشيدشاه وعدم اقتداره على القيام بوعده . فشكرهما الملك ضاراب على ذلك وقال يسرنى ان أرى جميع رجالى وابناء عمى على وفاق وحب وانى منذ وصول كولندان دعوتها إلى إتمام هذا القصد وسألتها إجابة طلبنا .

وفى اليوم الثانى ركب بهزاد بالأمراء والأعيان الذين انتخبهم ليصحبوه فى خدمة الملك ثم تاخ أم فيروز شاه وودع الملك ضاراب وسائر الابطال والفرسان وخرج من مدينة قيصر قاصدا إجراء خطته وبق الملك بتدبير أموره فى المدينة مع بقية رجاله إلى أن كان اليوم الخامس من دخولهم فيها وإذ ذاك جمع الملك ضاراب ديوانه وقال أريد منكم أن تحاكموا طيفور فليس من نفع فى بقائه ونخاف من أن يتخلص من الأسر إذا تغاضينا عنه ويفلت من أيدينا إلى حيث لا نعلم ولا أريد أن اعدمه ظلما بدون أن يكون مستحقا ذلك باتفاق الجميع كى لا أكون مسئولا بموته لدى العناية الالهية وأمام الطبيعة الانسانية لاسيما وأن من العدل أن لا يكون الملك مستبدا بكل إجراءاته لاسيما عند تحكمه بخليقة الله التى هو منها ونظيرها وقد منه الله عليها كيف لا وهو لا يقدر أن يوجد واحدا مثلها وان كان يتسلط على مئات ألوف منها وهذا مالا يترك ضميرى أن يرتاح اليه فاحكموا فيه بالعدل والامانة وإلا فأنتم مسئولون لدى الله والملك فان كان مستحقا للقصاص فاحكموا به فان القصاص أيضا هو من الوجوب الشرعى اللازم فى دواوين الملوك حفظا لانتظام الهيئة العامة ودفعا للاضرار التى تنتج عند عدمه . فاجابوه اليه وأمر طيطلوس كبير الديوان أن يؤتى بطيفور فأسرع بهروز وأحضره مقيدا إلى بين أيديهم وعند دخوله نظر فيهم إلى اليمين ثم إلى الشمال ونظر إلى الملك وقال حياك الله أيها الملك العادل الرحوم الكريم الذى أوجده الله كاملا فى جميع صفاته وزينه بالرقة والرحمة فأجاب الملك تحيته ونظر إلى الارض متواضعا ثم قال لطيفور لست بعادل ولا راحم فالمعدلة الكاملة والمرحمة التامة هما من خصائصه تعالى وما أنا إلا عبد من عبيده أسأله الخطية وكثيرا أعمل مالا يرضيه . وهاقد أحضرتك الآن لا لأظلمك بل لأبدى أمامك ضعفى وعجزى عن أن أعرف كيف أقوم برعية الرعايا المسلمين إلى وانى وان كنت أقدر الآن بكلمة واحدة أن أنفذ فيك القصاص غير أن الله سبحانه وتعالى جعل للملوك الدواين والمعاونين ليستشيروهم فى أمورهم ووضعت الشريعة لتكون كقضيب تأديب على كل باغ ولذلك قد طلبت من رجال مجلسى أن يحاكموك ويحكموا عليك بما تستحق حتى اذا رأوا انك برىء من كل ماتهمت به منعوا عنك المحاكمة وردوا الدعوى فأجازيك بالاحسان عوض القصاص . قال انى اريد ذلك وأرغبه وأسأله تعالى أن يظهر لديك براءتى لأنى طالما كنت أعرف من أنى ماخوذ عندك بالمقام والرتب والمناصب اذا وجدت فى دوائك ووافق سيدى الشاه سرور على التقرب منكم والرضا الى طلبكم ولو أطاعنى منذ البداية لما وصلنا الى هذه البلاد غير انه كان لا يرغب فى زواج بنته بفيروز شاه فجاريته عليه كونى وزيره وملتزم على الدوام بانفاذ مقاصده وعضدها .

قال الشاه سرور انى منذ البداية كنت أستشيره واخبره انى أميل إلى فيروزشاه وأرغب فيه فيمانع فى ذلك ويبين لى أنه مخل بشرفى وناموسى ان لم يكن على الطريقة المألوفة . فانكر طيفور رغبة الشاه سرور بفيروز شاه وقال لو كان يرغب فيه وفى صالح بنته لما قدرت أن أقنعه وهل سمعتم أن ملكا من الملوك الكبار يقاد إلى آراء وزيره بالرغم عنه لا سيما وهو يؤكد أنها معا كسة لصالحه وعليه فانى ما كنت أقول له أمرا إلا إسنادا لقوله أليس هو آمرى وولى نعمتى فما من سبيل لى بأن أرجعه عن أمر يريده حتما ولى دليل وشاهد أن الوزير طيطلوس ملزوم على الدوام بمرضاة الملك ضاراب والسعى فى كل ما يوافق مقاصده . فأجاب طيطلوس اننا نعرف ذلك إنما على الوزير العاقل أن ينصح مولاه ويقوده بآرائه وحكمته إلى ما به الصواب وان كان الملك لا يصغى إلى كلامه فلا يسلم معه بخراب بلاده كما فعلت أنت وانى أؤكد كل التأكيد أنك لو سعيت بنصيحة الشاه سرور لأجاب فى الحال . قال انى صرفت الجهد فى أول الأمر فلم أستفد شيئا وأخيرا حبا بكرامة سيدى حملت ثقل أوامره على عواتقى حفظا على الامانة الواجبة على نعم انمن المؤكد أن الآمر يقدر على إجبار المأمور غير أن المأمور لا يقدر على اجبار الآمر فالشاهسرور هووحده المخطىء ولست أنا فلو شاء منذ أول وجود فيروز شاه فى بلادنامعاملته بالرفق واللين لما جسرت على منعه . فعند ذلك تقدم فيروز شاه بحضور هيئة المجلس وقال أيمكن لهذا الخائن أن ينكر ما ادعيه الآن عليه من انه عند مجىء هورنك بعساكره إلى تعزاء اليمن طلب الشاه سليم اطلاقنا من الاسر وارجاع سلاحنا الينا لتدفع هذا العدو عنهم فمانع هو فى ذلك وجعلنا وسيلة للمصالحة والسلام وسلمنا لهورنك ليقتلنا فى ثأر ولده فأجاب طيفور انى لا انكر ذلك انما ما فعلته كان من قبيل السعى فى منع القتل عنك وعن فرخزاد لأن الشاه سرور كانقد أصر كل الاصرار على قتلكما واهلاككما فاتخذت هذا الأمر وسيلة لابعادكما عن القتل أملا ان يسهل لكما الله من يخلصكما إذا طال فى اجلكما وهكذا كان أليس كنتما إذ ذاك فى اشد السجون ضنابا وقدمتما للذبح وحصل التأخير فى ذاك الوقت باشارتى وقد قيل فى الامثال لا تعمل خيرا فلا تلق شرا . فقال الشاه سرور انى اشهد عليه انى كنت ازمعت على اطلاقهما عند ما عرفت انهما من شرفاء هذا العالم وابناء ملوكه فمنعنى وهو الذى بين لى الاسباب الموجبة لقتلهما وقال لى مرارا أن فيروز شاه قد خرق ناموسك وحرمتك وقصد الايقاع بحريمك على غفلة منك لأنه قبض عليه وهو يتسلق السطوح والجدران من مكان وجوده إلى قصر عين الحياة وبسبب أقواله كانت تحركنى نخوة المحاماة عن العرض فاصغى له ولم أكن فى البداية أعرف ما هو حاصـــل بين بنتى

وفيروز شاه من الحب الطاهر ولا أعلم باجتماعهما قط . فقال الملك ضاراب انى لا أنكر كون ولدى قد سلك فى أول الأمر سبيلا غير مناسب أخطأ به غير انى عند ما جئت إلى تعزاء اليمن فى طلبه لم أصادف ما كنت اظنه من التواطىء والاتحاد

قال وعند ذلك تقدم بهروز وقال انى شاهدته بعينى وسمعته باذنى يحرك طومار الزنجى إلى قتل فيلزور البهلوان وبقية الأبطال الذين كانوا فى أسره فى تعزاء اليمن ولولا وصولى فى نفس تلك الساعة بكتاب سيدى فيروز شاه لقضى عليهم جميعا فدافع طيفور عن نفسه وجعلت تتقدم عليه الشكايات وتعدد الذنوب التى ارتكبها فى مصر وغيرها حتى انتهوا الى الملك قيصر وقدم الشاه سرور عليه البرهان باتفاقه مع الملك قيصر واجباره على زواج بنته بانبوش مع أنه كان يكره ذلك ولا يقبل به . بعد أن قتل انبوش ورأى عدم اعتباره متى اتفق مع منكوخان على الكفر والعداوة وبعد أن ثبت على طيفور كل هذه الارتكبات ووجدانه مخطىء كل الخطأ ولم يقبل أن يعترف بخطائه ورأى طيطلوس وبقية الفرسان والامراء انه يستحق القتل لخباثته وتركه اخيرا عبادة الله وميله الى مجاراة اهل الصين فى عباداتهم طمعا برضاهم حكموا عليه بالقتل وسلموه الى بهروز العيار لينفذ فيه الحكم المذكور فاخذه وابقاه الى اليوم الثانى وفى اليوم الثانى بعث فنادى بقتل طيفور خارج المدينة بين عساكر إيران وأخرجه إلى تلك الناحية فاجتمع اليه ألوف من الناس يشاهدون مصرعه ليشتفوا منه وما من رجل بين عساكر الرومان والأعجام وغيرهم شفق عليه أو تحسر على موته بل كان الجميع يطلبونه برغبة راغبين فيه .

ثم ان بهروز جرد لهم طيفور من ثيابه ودعا بكامل العيارين وامرهم ان يأتى كل منهم بسوط ففعلوا وقال فليضربه قبل موته كل واحد عشرين سوطا دفعة واحدة ففعلوا حتى زهقت روحه وغاب من الألم والوجع وبعد أن فرغوا رجعوا فرش على وجهه الماء ليعى إلى نفسه ويرى موته فلا يكون غائبا وبعد أن وعى إلى نفسه أخذ بهروز الخيطان الرفيعة فشدها على جسمه حتى دخلت فى لحمه وانفجرت الدماء تتدفق من جسده كالسحاب من كل ناحية وصوب وهو يصيح ويستغيث وما من راحم أو مغيث حتى قرب من الموت وصار على آخر رمق من مفارقته الحياة فامر بهروز العيارين ان تنهب جسده بخناجرها وأن يقطع كما قطع شباغرس ففعلوا وقطعوه وذهبت روحه إلى النار وبئس القرار وقد اشتفى به الجميع وارتاحوا ولا سيما الشاه سرور فان قلبه كان مملوءا من بغضه بعد تلك المحبة والانقياد الاعمى ولما بلغ عين الحياة موته سرت مزيد السرور وشكرت الله على زوال ما تشتهيه من عدوها الذى حملها كل هذه الاثقال المتقدم ذكرها

وبعد أن ارتاح بال الملك ضاراب ووجدا أن لا شيء بعد بكدره تقدم منه فرخوزاد وسأله أن يمت الى الامير دولاب الذى كان عنده يستدعيه وقد اعتنى به وانتشله من الموت فقال له لقد أصبت ومن العدل أن نكافئ فاعل الجميل معنا على جميله كما أننا نقاص فاعل الشر على شروره ثم بعث فاحضره مع رسول مخصوص فلما حضر وجد فرخوزاد فى ديوان الملك ضاراب فخاف فى بادىء الامر الا أن فرخوزاد تقدم منه وسلم عليه وقال له الملك ضاراب اننا لاننسى لك جميلا فعلته مع رجل ايرانى من رجالى لا بل مع أمير وسيد من قومى وقد بعثت اليك لأكافئك على هذا الجميل . فقال اعلم ياسيدى انى مافعلت شيئا إلا اوجب على فعله قياما بحقوق الانسانية ومع كل ذلك فانى لم أعرفه إن كان ايرانيا أورومانيا أو غير ذلك ولم ارد أن اعرف تلك كى لاأكون قد فعلت جميلا لاعرف من اكافىء وكان ذلك لخيرى ونفعى فقد كافأنى هو نفسه وقاتل لى عدو فقتله وخلص لى زوجتى وهذا الجميل هو اعظم جدا من كل جميل ومعروف . فسر الملك ضاراب من حسن طويته وقال له اعرفك به الان واخبرك من هو فهو فرخوزاد ابن فيلزور البهلوان بهلوان تختى وفارس بلادى وقد رماه الله بيدك ولم يقبل أن يوصله الى غيرك والا ربما لو كان وقع بيد غيرك لكان اصيب بمصيبة كبرى ولهذا اردت أن اكافئك فاطلب اما أن تأتى بقومك فتقيم بين قومى ويكون لك كرسى فى ديوانى كبقية الأمراء أو اطلب مقاطعة فانيمتك عليها حاكما . قال انى ارغب ياسيدى ان اتشرف دائما بالمثول أمامك وبين يديك فاذا كنت تسمح لى بأن اتى على ما اشرت فى ديوانك فتلك منه لا أظن احصل عليها . قال اذن فأت بقومك الى بين قومى ويكون لك العلوفات والمعينات كبقية رجالى الممتازين ففعل وجاء المدينة واقام بقومة بين قوم فرخوزاد أى رجال اليمن الذين جاءوا مع انوش حيث استلم قيادتهم هو وصار الملك ضاراب بعد ذلك فى هناء وراحة منتظر مجيء زوجته لاتمام الزفاف وهو يقيم فى المدينة يومان ويخرج الى صيوانه وبين عساكره خمسة أيام فى الفلاة وفرخوزاد مع انوش فى مسرة وحبور مقيمان فى كل الوقت على المصافات والمودة وشرب العقار ومثل ذلك كان بهمنزار قبا مع كليلة بنت ملك الشام مقتدين بفيروزشاه فانه كان لا يخرج فى اليوم الا ساعة فقط فيأتى الى أبيه ويقبل أياديه ويستأذن منه ثم يعود الى قصره على ما هو عليه من دواعى الانس والصفا وأما طيطلوس فانه داوم اعداد المعدات وتهيئة ما يلزم للعرس من مفروشات واحتفالات وولائم ونحوها .

هذا ما كان من هؤلاء وأما بهراد فانه سار عائدا من الطريق الذى جاءوا منه

وبين يديه امراء الفرس المتقدم ذكرهم ولا زال يتقدم حتى قرب من مصر فخرج الى ملتقاه الشاه صالح مع وزرائه وادخلوه المدينة ومن بعد ذلك سالوه عن الملك ضاراب فاخبرهم بكل ما كان من امره وقال للشاه صالح ان سيدى الملك بعثنى لاحضر له زوجته تمرتاج ام فيروز شاه حيث فى نيته زواج ولده هناك ولهذا السبب عمدان يزف ايضا كل فرسانه وابطاله وابناء عمه بيوم واحد ولا جله امرنى ان احضر معى طوران تخت اثنـاء رجوعي من ايران وان ادعو من كل امراء مصر من يرغب فى حضور هذا العرس للمسير معى كى يكون العرس شاملا كاملا فارجوك ان تهيأ اختك وتجهز امرها حتى اذا مررت وقت رجوعى اصحبها معى فلا اتاخر بذلك .
فاجابه واقام يومين فى مصر وسار منها الى الاسكندرية وعرض على كرلندان الامر نفسه وطلب ان تكون على استعداد الى حين رجوعه . ثم ذهب من هناك الى لدن الطائف فالتقته تاج الملوك وسالته عن حالته فحكى لها ماجاء لاجله ففرحت فى داخلها وكانت تتقلى كثيرها من بنات الملوك لانقطاع خبر الفرس عنهن كل هذه المدة فى بلاد الرومان ومصر . قال وبعدان اقام فى الطائف نحو ثلاثة أيام ودع من هناك وانطلق الى تعزاء اليمن الى حضرة الشاه سليم فخرج لملتقاه عندما علم بقدومه وهو مشتاق لايعرف ماذا جرى على الفرس فى تلك البلاد وعلى بنته انوش التى ارسلها لمعونتهم فلما التقى ببهزاد ترحب به واحتفل مزيد الاحتفال كرامة له . وبعد أن قرأ مكتوب الملك ضاراب قال لابد من المسير معك اليه لانى باشتياق عظيم إلى تقبيل ايديه .
وبعد أن صرف أيضا نحو ثلاثة أيام فى تلك المدينة ودع الشاه سليم وسار بقصد ايران بجماعته إلى أن دخلها عفوفا بالتعظيم والاكرام لان اهل المدينة لما عرفوا بقدومه خرجوا عن بكرة ابيهم ليسلموا عليه وليعرفوا ماسبب مجيئه وما وراءه من الاخبار لانهم صرفوا اكثر من ست سنوات لايعلمون امراً عن ملكهم ورجالهم ولهذا كانوا باضطراب وقلق ينتظرون يوما بعد يوم وشهراً بعد شهر الاستطلاع على خبر جديد يصل اليهم منه فلما عرفوا هذه المرة بقدوم بهزاد خرجوا باجمعهم تشوقاً إلى ماتقدم وفى مقدمتهم أمين المدينة ولما رأوه سألوه عن سبب حضوره فنادى بينهم بنصر الفرس على اليمن ومصر إلى حد بلاد الرومان وأخبرهم بعرس فيروزشاه هناك ففرحوا مزيد الفرح وأخذوا فى أن يصفقوا ويرقصوا ويطربوا إلى أن دارت الولائم فيما بينهم
وأما بهزاد فإنه سار إلى حضرة الملكة تمرتاج فسلم عليها وبشرها بكل مسرة ودفع اليها كتاب طيطلوس فقرأته وفرحت الفرح العظيم وشكرت الله على مثل هذه المنة الكبرى وقالت لبهزاد أن الله معنا فى كل حال وإن كنت ارغب فى أن

يكون زفاف ابنى فى بلاده لكن من ارادة العناية ان لا يكون هنا وانى ساستعد للرحيل بعد أيام إلى بلاد الرومان فقط لما كنت اعرف كثيراً من رعايا دولتنا يرغبون فى حضور عرس ملكهم وابن ملكهم ومن احبوه الحب الزائد أطلب اليك ان تبعث المنادين ينادون فى المدينة ان بعد عشره أيام نسير عنها إلى حضور عرس فيروزشاه فمن يقبل فى مرافقتنا فليكن حاضرا وان مصاريف السفر والطريق هى على خزينة ايران . فاجاب سؤالها وامر امير المدينة أن يفعل ذلك ففعل واخذت الناس فى أن تستعد للمسير وذهب بهزاد إلى قصر ابيه واجتمع بوالدته ونعى لها أباه فبكت وبكى عليه مدة ثلاثة أيام وعملوا له مناحة كبرى وجددوا له العزاء فى ايران ثلاثة أيام والناس ترد افواجاً افواجاً للتعزية . ومن ثم اخبر والدته بما انعم عليه الملك ضاراب وأنه رفعه إلى رتبه عائلته وان أخاه فرخوزاد سيزف على انوش بنت الشاه سليم ففرحت وهيئت نفسها للسير معهم إلى بلاد الرومان لتحضر عرس ولدها فرخوزاد وتكون برفقة الملكة تمرتاج

هذا وبقى بهزاد فى المدينة نحو عشرة أيام والمدينة فى استعداد وفرح ولما انقضت المدة طلبت تمرتاج من بهزاد أن يركب فى أول الجميع بجماعته ويخرج إلى الخارج لتتبعه الأهالى الذين رغبوا فى السفر معهم فخرج بهزاد فى المقدمة ورفع العلم الفارسى المخصوص به فوق رأسه وأمر أن يتبعه كل من رغب فى المسير إلى الملك ضاراب ليشاهد زفاف فيروزشاه وما استقر فى خارج البلد حتى ازدحمت حواليه الأقدام وغاصت تلك الأرض بالأبطال والفرسان والأهالى من شيوخ وشبان وأطفال ما بلغ عددهم أكثر من خمسين الف نفس وتبعهم بعض نساء الأمراء وأولادهم وأطفالهم حتى كان لهم مشهد عظيم جداً ومن بعد ذلك خرجت الملكة وهى مزينة بأبهر الزين فى هودج من الحرير مجلل بالمنسوجات المزركشة بالفضة والذهب ومشى بين يديها بهزاد وجماعة من الامراء والأعيان وكان إلى جانب الملكة أم فرخوزاد وبعض الجوارى المختصات بها لأجل خدمتها وإذ ذاك تحركت ركابهم من إيران وخرجوا عنها بعد أن أوصلوا أمين المدينة الذى قائم بصفة الحاكم عليها بالتيقظ والانتباه ومشت بين أيديهم الأحمال مرفوعة على ظهور الجمال من تحف إيران ومن مصنوعات العجم لتقدم فى عرس فيروزشاه وأخذت الملكة شيئا كثيرا من مثل هذا لتزين به عرس ولدها وأصبحت معها من الجواهر ما تندر وجوده لتفرقه على كنتها يوم زفافها ودام نحو أربعين يوما تقريبا حتى وصلوا إلى تعزاء اليمن وأسرع المبشرون يبشرون الشاه سليم بقدوم الملكة فأمر أن تخرج الموسيقات اليمنية والسناجق بأجمعها وأن تركب الأمراء والأعيان بأحسن ترتيب ونظام لملاقاة تلك السيدة الجليلة وخرجت زوجة الشاه سليم ونساؤه ولما التقوا بها قدموا لها الاكرام والترحاب وهنأوها بالسلامة

الشاه سليم ونساؤه ولما التقوا بها قدموا لها الاكرام والترحاب وهنأوها بالسلامة وعادوا بين ايديها يطربون ويغنون مظهرين فرحهم إلى ان ادخلوها المدينة وانزلوها فى القصر الذى كان لعين الحياة وحكى لها بهزاد عنه فقالت انى اسر ان اقيم فى مكان كانت تقيم فيه قبلا كنتى ومن احبها ولدى وانى دون ان اعرفها او أراها فقلبى مملوء من الشوق اليها والحب الفائق الحد وانى اتمنى ان اصل اليها واشاهدها واروى شوقى منها غير ان كل آت قريب . ثم امرت بهزاد ان يطلب من الشاه سليم سرعة المسير إذ لا يمكننا أن نقيم أكثر من خمسة أيام فقط للراحة . فأجاب وباقل من المدة المذكورة هيأ الشاه سليم كل شيء وامرت ايضا الملكة ان ينادى فى تعزاء اليمن ان من يرغب فى حضور زفاف فيروز شاه على سيدتهم القديمة عين الحياة فليخرج معهم على نفقة الدولة وكان كثير من الاهالى يرغبون ذلك فما صدقوا ان سمعوا حتى حملوا ثيابهم واستعدوا مزيد الاستعداد وخرجوا مع رجال ايران وكان عددهم ينوف عن اربعين الف نفس وبينهم الشاه سليم رافعا الرايات اليمنية المخصوصة بملوكها وساداتها وبعد ان سارت الجموع الى شطرين الفرس من اليمين واليمنيون من الشمال وركبت الملكة هودجها المكلل بتيجان الهيبة والوقار ومشى بين ايديها بهزاد كالعادة برفاقه وقد قالت له انى لا احب ان انزل فى مكان بعد او ادخل مدينة الا فى مصر للراحة ومن ثم اسير الى الرومان دفعة واحدة لأنى اعلم ان الملك وولدى هم بالانتظار يطلبون حضورى ولو على اجنحة البرق ولذلك ارغب جدا ان لا اضيع من الوقت ساعة فابعث أمامنا رسولين أحدهما إلى لدن الطائف لتركب تاج الملوك بمن يريدان يركب وتسير بقومها بين رجالنا والآخر إلى الاسكندرية إلى كرمندان لتاتى إلى مصر برجالها الذين يرغبون حضور هذا الزفاف وبهذه الاعمال نختصر الوقت اختصارا مناسبا وندع الملتقى والمواجهة إلى بلاد الرومان فالوقت ثمين الآن فاجاب طلبها وفعل ما امرته أن يفعل

ولما قربوا من لدن الطائف بقيت الجموع سائرة وتقدم بهزاد من المدينة فوجد تاج الملوك بالانتظار فأمرها أن تركب فى هودجها وتسير بقومها فامتثلت وهى لا تصدق أنها سائرة إلى ملتقى خورشيد شاه وانها ستضم إلى جنبه بعد قليل من الايام وركب معها من قومها نحو خمسة آلاف نفس من كبار قومها وساروا فى جنب جيوش الفرس بعد ان حملوا من بلادهم الأحمال النفيسة من الاطايب والمفاخر ليقدموها فى عرس فيروز شاه وعرس سيدتهم تاج الملوك وداموا فى مسيرهم على هذا الترتيب ينزلون وقت الليل وقبل بزوغ الشمس يركبون واكثر الاوقات يأكلون على ظهور الخيول حتى قربوا من مصر وشاهدوا اسوارها عن بعد فارسل بهزاد رسولا

يخبر الشاه صالح ووزيره أبا الخير بقدوم الملكة زوجة الملك ضاراب وكان المصريون على استعداد لذلك فخرجوا عن بكرة أبيهم نساء ورجالا احتفالا لها ولقامها والنساء تزغرط والأولاد تنادى بالفرح والموسيقات تعزف بالتهانى وأدخلوها إلى المدينة على أحب اكرام واحتفال وأدخلوها قصر طوران تخت فتلقتها وترحبت بها وقبلت يدها وكان القصر مزينا بأبهى زينة وافخرها وانزلتها فى الغرفة التى كانت تقيم فيها عين الحياة وبعد أن استقر بها المقام جاءت اليها طوران تخت وقبلت يدها وجلست إلى جانبها تحدثها بما وقع لها مع عين الحياة ومجىء فيروزشاه إلى القصر ليلا فتعجبت أرسلت على خدودها دمعة رقيقة وقالت ان محبة ابنى لها محبة الآلهة ولولا ذلك لما كان يخاطر بنفسه لأجلها ولا كان جر كل هذه الملوك والفرسان للمحاربة ست سنوات واهلك ألوفا ومئات ألوف من الابطال لاجلها ولولا تستحق ذلك لما فعل . وكانت تمرتاج تنظر إلى طوران تخت وتعجب من حسنها وجمالها وبهائها ولين قوامها وقالت لاريب أن مصغر شاه يستحقها فهى جميلة الوجه والمعنى وهو كذلك وكانت تتمنى ونفسها تشتاق ان ترى عين الحياة لتعلم هل هى على كل هذه الاوصاف المحكى عنها لتكتسب هذه المحبة العظيمة من ابنها حتى انه مرارا كثيرة ما فداها بنفسه وطلب الهلاك لاجلها وكانت تحبها لحب ابنها دون ان تقدر أن تتصور معنى جمالها لانها لم ترها قط ولا وصفها احد امامها . ولما عرفت الملكة بعمل ابى الخير الجزار واحيائه لولدها دعته اليها وانعمت عليه وقالت له انى لا انكر معروفا عملته مع ولدى ولذلك اطلب اليك ان تسير إلى الرومان لتحضر عرسه وتنادى فى المدينة ايضا ان كل من رغب

انتهى الجزء السادس والعشرون ويليه الجزء السابع والعشرون

الجزء السابع والعشرون

من قصة فيروز شاه بن الملك ضاراب

فى المسير معنا فلا يتأخر ولاريب أن ولدى يشتاق اليك ويحب من كل قلبه أن يراك فى يوم عرسه حاضرا فرحه لأنه يتذكر معروفك ولا أظن أحدا عامله مثل ماعاملته ففرح أبو الخير من مجابرتها ورقة خطابها وشكرها وقال لها من أنا ياسيدتى لاكرم منك ومن ولدك فانى عبد من أضعف عبيدكم وقد رفعنى سيدى الملك إلى رتبة الوزارة وجعل لى مقاما بين هــذا العالم وصرت غنيا بعد أن كنت فقيرا وانى أحب من كل قلبى ان أتشرف فى خدمة اعتابه يوم زفافه فاثنت عليه مزيد الثناء وقالت له من الواجب ان تكون أنت من اقرب الناس اليه .

ثم أنه خرج من بين أيديها وهو يردد الشكر لها ويتعجب من انسها ولطفها وقال لاريب انها تستحق ان تكون ملكة لفارس ولغيرها وزوجة للملك ضاراب وأما لفيروز شاه لانها أكرم النساء ادبا ولطفا وخصها الله بكل فضيلة وبعد خمسة ايام من وصول الملكة إلى مصر وصلت كولندان برجال الاسكندرية وكان يبلغ عددهم نحو ٣٠ الف نفس وبلغ ذلك الملكة فأمرت ان تبقى فى الخارج مع قومها وفى هودجها وامرت بهزاد ان يخرج إلى الخارج وينادى بالرحيل ففعل وسار إلى كولندان ترحب بها وقال لهـا ان الملـكة كانت بانتظارك وهى فى هذه الساعة طالبة مبارحة هذه الديار فطلبت اليه ان يقدم احترامها وشكرها للملـكة وكان الجميع ولاسيما البنات يرغبون فى سرعة المسير إلى الملـكة . وبأقل من ساعة خرجت أهل مصر من كبار وصغار مايبلغ عددهم نحو مائة الف نفس فى خدمة طوران تخت وبين ايديهم الهدايا والتحف مماقلا وندر وقدم الشاه صالح خراج مصر إلى الملك ضاراب فى ذلك اليوم من كل موجودات مصر فحمل نحو مائتى الف جمل تحمل الاحمال على ظهورها الحنطه المصرية ومثلها وغيرها تحمل من كل مايليق بأن يقدم فى عرس فيروز شاه وبعد ذلك خرجت الملكة تمرتاج راكبة فى الهودج وركبت طوران تخت فى هودج آخر وسارت بين قومها المصريين ومن ثم سار الجميع مودعين أهالى مصر وديارهم وداموا فى مسيرهم عدة ايام وكلما قربوا من مدينة أو بلد وعرف اهلها خرجوا لملتقاهم وقدموا للملـكة احترامهم وافرغوا بين

اعطيت من الحكمة يديها الهدايا والتحف وسار منهم جماعة لحضور هذا العرس العظيم حتى ضاقت الارض منهم وامتلأت من كل جوانبها حتى من كان واقفا فى أول القوم لا يقدر أن يدرك آخرهم قط وكذلك من وقف بين الأحمال من الأول لا يمكن أن يدرك الآخر وكان نحو ثلاثين الف عبد تسوق الجمال والاحمال ومثلها فى مقدمتها راكبة على ظهور الخيول لتقودها وراءها ونحو ثلاثين الف راع تسوق القطعان والمواشى وما هو من فصيلتها والكل يتقدمون شيئا فشيئا حتى قربوا من ملاطية وشاهدت الملكة آثار الوقائع هناك واستفهمت من بهزاد فأخبرها بما وقع عندها وما كان من أمر صاحبها سيف الدولة وخرجت أهل ملاطية لملاقاتها وطلبوا اليها أن تعرج فترتاح عندهم قليلا فأجابت إلى ذلك ودخلت المدينة باحتفال عظيم وأقامت فى القصر التى كانت فيه عين الحياة مع امرأة سيف الدولة وبعثت من هناك الرسل إلى الملك ضاراب تعلمه بقرب وصولها وانها ستقيم فى انطاكية يومين أو ثلاثة أيام كى ترتاح من التعب الذى لاقته فى سفرها هذا كونها كانت تسير بسرعة كلية .

وبعد أن أقامت نحو ثلاثة أيام فى المدينة على إكرام وترحيب وولائم فاخرة ركبت وسارت وأمرت الجموع أن تسير وكانت منقسمة إلى قسمين كانتقدم واحدا إلى اليمين والآخر إلى الشمال وبين يديها بهزاد وجماعته وما بعدت يومين عن المدينة حتى وصلت أطراف الجماعة إلى مدينة قيصر مع أن الملكة كانت تبعد عدة أيام ولهذا خرج الملك ضاراب بنفسه وخرج ولده فيروزشاه وطيطلوس الحكيم ودوش الراى وسيف الدولة وجميع فرسان فارس وأنصارهم والموسيقات تعزف بأصوات الهناء اكراما وترحيبا بملكتهم وساروا بترتيب وانتظام فى وسط القادمين حتى التقوا بتمرتاج وهى فى هودجها فسلموا عليها وهى فيه وهنأوها بالسلامة واحدا بعد واحد وكلهم يتعجبون مما صحبت معها وبما جاءت به وتأكدوا أنه سيكون لفيروز شاه عرسا لم يسبق لغيره تجتمع به الألوف ومئات الألوف والملايين من الناس وتفرغ لأجله الخزائن والصناديق ونحوها وتنحر فيه الجمال والنياق والقطعان مما لا يمكن عده وحصره ثم تقدم الشاه سليم من الملك ضاراب وولده وسلم عليهما وهنأهما بالانتصار والظفر فترحبا به كثيرا وشكراه على غيرته ومعروفه واهتمامه وأبديا له كل مؤانسة ولطف وفعلا ذلك مع كافة الأمراء الآتين والرعايا صغارا وكبارا ثم تقدم فرخوزاد من الشاه سليم وقبل يديه فقبله وبكى كل منهما بكاء الفرح بملتقى الآخر وسأله عن بنته فأخبره أنها فى راحة تامة وكذلك الشاه سرور فانه سلم عليه وهنأه بالسلامة وبعد ذلك ساروا راجعين إلى المدينة وأمر الملك طيطلوس إن ينزل تلك الجموع فى منازل موفقة كل على حدة فى ضواحى المدينة بحسب ترتيبه وتدبيره

فأجاب إلى ذلك وأسرع إلى هذه المهمة حتى أقام كل فريق فى ناحية وضربت لهم الخيام وعينت لهم الخدم لتقديم الموائد والأطعمة ودخلت الملكة إلى المدينة وقد فرشت لها الأسواق بالأقمشة الفاخرة لتدوس عليها ومعها الأمراء والأعيان إلى قصر الملك وأخذت البنات الآتين معها إلى قصر مخصوص ودخلت القصر فرحة من كل ماتشاهد وترى وكان أكثر سرورها بولدها وقد اخذته إلى جانبه وهى لاتفارقه وتنظر إلى وجهه نظر الحنو والرأفة وتشكر الله على سلامته وعلى أنها عاشت ورأته سالما ولما استقر بها المقام قدمت لها المآكل والمشارب ثم طلبت الراحة والمنام فانصرف عنها الجميع وهم يؤملون بقرب يوم الزفاف اذ لم يكن من مانع بعد يمنع أو يبعد ثم دخلت الملكة غرفة المنام بعد أن قبلت ولدها الوف قبلات وتبكى وتشكر الله وهو يقبل يديها نامت مرتاحة وسار فيروزشاه إلى قصره واجتمع بجهان أفروز وعين الحياة فلاقتاه كالعادة واكرمتاه وهنأتاه بسلامة أمه ووصولها اليه فشكرهما وقال ان من اللازم ان نصرف هذه الليلة بالحظ والسرور والفرح اذ أنى أعلم أن أمى فى الغد تأخذكما اليها ولا أعود أراكما إلى حين الزفاف حيث ذلك واجب فى مثل هذه الظروف فهى بنفسها تقوم بشأنكما وشأن جميع بنات الملوك . فأجابتاه إلى طلبه ورقتا المدام وصرفتا ليلة بالأنس والصفاء معه لم يسبق ان صرفوا مثلها إلى حين الصباح

قال ولنعد إلى طيطلوس الحكيم وما وقع له فى كل هذه الأثناء وهو انه لما اقام الأمراء بعد تملكهم المدينة فى قصورها واخذ كل واحد قصرا لنفسه يقيم فيه اخذ طيطلوس قصرا له مع خدمه وحشمه وقد سر من انتظامه وكان فى ذاك القصر جارية تصلح شأنه وترتب اموره واثاثه فى كل صباح ومساء وتفرشه بحسب مشتهاها وهى رومانية لاتعرف الفارسية ولا غيرها وكانت من الحسن على جانب عظيم جدا بيضاء اللون صافية الخد مشربة بحمرة ذات قد قويم ولين وانعطاف على اتم مايكون من الحسن الذى يروق فى عينى من هو كطيطلوس خبير باحوال العالم يعرف الحسن الكامل ويعلم الصفات الحسنة . ولما وقعت عينه عليها تحركت فيه لواعج الوجد بالرغم عنه واراد ان يضبط نفسه ويمنعها عن سلوك هذا السبيل فخرج من القصر وطاف فى جهات المدينة لوحده دون نتيجة لأنه كلما اجتهد ليبعد عنه هذا التصور تطرق تلك الجارية افكاره وتلوح امام عينيه بقدها وجمالها وبهائها فيزيد به الوجد وابنما سار يتبعه إلى اخيرا وعى إلى نفسه

وقال ما هذا الأمر ياترى اليس ذلك من تدبيرات العناية فانى عشت عمرا طويلا دون ان اعرف فتاة او اميل إلى فتاة وكنت ارى من ذاتى انى اقدر على رد جماح النفس بما

والجلد أما الآن فلا سبيل للهرب من العشق فهو سلطان كل ميل ولا يرد قط بفضيله ولا يصبر فالعشق وحده هو الذى يتسلط على عقول الحكماء والملوك والأمراء والافراد ولا يفرق قط بين أحد ولا يكرم أحدا فاذا جاء إنسانا تحكم فيه بقدرته ومن مانعه زادعليه وضيق كل طرقه وطرائقه ورماه بالفرش والعذاب ولا يراعى لا حكمة ولافلسفة ولا دباولا معرفة ولا سلطانا . وماذا ياترى يمنعنى عن أن اتخذ هذه الجارية حليلة وأساوى غيرى من أبناء الملوك والوزراء وهى فى يدى وتحت سلطانى . ثم فكر فى الارض برهة وقال ماذا ياترى يقال عنى إذ أخذت جارية وهى خادمة فى القصر ألا يوجد بين بنات الملوك والأمراء من يصلح لى وباى طريقة يمكن أن أخبر الملك ضاراب بذلك ولا ريب ان الجميع يهزأون بى فى عقولهم ويحكى الناس بحق فيقولون تزوج بجارية أعدت لخدمة القصر وإصلاحه

قال وبعد ذلك عاد إلى القصر وهو معتمد على الزواج بها ولم ير مانعا قط إلا ما يتصوره من دناءة أصلها وانحطاط قدره بين رجال فارس وهذا كان يشغله ويهتم إلى تدبيره وبعد أن دخل القصر وقع نظره عليها تحركت فيه اللواعج وهاج به الغرام فدعاها اليه وكان يعرف اللسان الرومانى فاظهر لها كل لطف ورقة وكرامة فقابلته بالمثل وأبدت لديه من الرقة واللطف مازاد فى هواه وصرف كل السهرة على تلك الحالة كلما بعدت عنه ساعة وانفرد بنفسه يتبلبل باله ويضيع صوابه فيعود إلى طلبها ويدعوها اليه ويكلمها كلاما خارجا عن دائرة الحب والشكوى حتى لحظت منه كل ماهو واقع فيه فصبرت عليه ولم تقبل أن تبدى أقل حركة تجيب بها على أفكاره بل كانت تظهر له من الوداعة واللطف واللين ما يظهر له أنها ليست من الجوارى بل هى من درجة عالية . فقصد امتحانها ليعلم ماهى عليه من المعارف والآداب فوجدها مهذبة كل التهذيب عارفة بالتاريخ والجغرافيا وأحوال الممالك والبلدان وقالت له فى آخر كلامها انى شاعرة أقول الشعر جيدا بالرومانية حتى يندر بين قومى من يقوله مثلى فسر من كلامها وقال لها هل لك أن تسمعينى شيئا من شعرك لارى رقته فلا ريب ولاشك أنه يكون بديعا لطيفا لكونه صادرا من فتاة أتقنت الحكمة والتهذيب حتى أصبحت على غاية مايرام . فانشدته باللغة الرومانية ما يقرب معناه إلى العربية ما يأتى

أيا سيدا حاز المكارم واللطفا ومن شاوه فى حلبة الفضل لايخفى
لمثلك يعنو القول نظمت عقده وفرطت آذان المعالى بها شنفا
وكم فى طرق المعالى من يد هصرت بها غصن الوداد مع الأكفا

فذلك قد أفرزت للفضل أعينا ... فشارف ذرى العلياء وامدد لها كفا
ستحظى بها نعمى عليك مفاضة ... وترشف معسول الأمانى بها رشفا
دهاك بها إنسان عين أولى النهى ... الوكة أشراق من الأخلص الأصفا
نهاديكم عرف الرياض تحية ... وتنشر من صفو الوداد لكم صحفا

وكانت تنشد بلغتها الرومانية وفى لسانها لثغة تزيد فى حلاوة إنشادها وحديثها حتى خيل للوزير طيطلوس العاقل الحكيم أن كامل العشق برمته وأوائله وآخره قد وقع عليه فلم يبق له من صبر ولا جلد وكان ينطق بما انطوى فى ضميره فمنعته عزة نفسه من أن يكلم جارية بهذا الشأن أو يفاتحها بغرام وحب كجهال العالم وشبانها وعظم عليه الحال حتى كاد يفقد عقله ويغيب عن وعيه ولحظت هى منه ذلك وعرفت أن بقاءها عنده يضر براحته فقصدت أن تدعه ينام وثبت لديها كل الثبوت أنه وصل إلى الدرجة الأخيرة من حبها . فقالت له يا سيدى ان النعس قد فعل بى أشده حتى لم أعد أقدر ان أبق بين يديك فاسمح لى أن أذهب إلى فراشى أنام هذه الليلة كونى تعبة . فقال لها لا ريب أنى أرغب فى راحتك فاذهبى إلى فراشك ونامى أمينة مطمأنة فقبلت يديه وخرجت مظهرة كل أدب واحتشام وبعد أن بعدت عنه زاد به الشوق فأخذ يفكر فى محاسنها وفيما هى عليه من الحسن والجمال والرقة والآداب وتلاعبت به البلابل وحركته دواعى الحب فاراد أن يلهى نفسه بالنوم فلم يقدر فعاد إلى مكانه وأشعل غليونه وهو يعجب من نفسه ومن أفكاره وكلما أخذ أن يلوم قلبه على هذا التطرف بالحب عاد اليه وأقنعه أنه مضطر اليه وانه لا يقدر على تركه . ولم ير وسيلة تخفف من مصائبه إلا التلهى بالقصائد والشكوى فيها فجعل ينشد

فديتك لو وطئت على جفونى ... لما كاد تنبه من كراها
وقد سدلت غدائرها لتخفى ... إذا ابتسمت صباحا فى دجاها
وفى طرف الخباء ليوث حرب ... تدور عليهم أبدا رحاها
خشيت بسدلها فى الحى من أن ... يهب أشطهم أدنى شذاها
بدت فوجمت من دهش كأنى ... نظرت إلى وداع من لقاها
وقد حصرت حياء عن نظيم ... فمحته نثارا مقلتاها
فلا أدرى وقد آنست وطاب الـ ... ندى بما يحدثنيه فاها
حمام فى الغصون تنوح شوقا ... تبوح بسر ما يطوى حشاها
فكان الغصن لى غصصا وكان الـ ... حمام لنا بأن جمت نواها
فقمت لموقف التوديع أطوى الـ ... ضلوع من الشجون على لظاها

فلم أك أرى من بعدها فى نساء الحى أحلى من حلاها

وكان عندما ينشد الشعر يرد بعضا من غليله فيضحك من نفسه كيف أنه علق بالحب والغرام وهوى جارية من الرومان مع أن أكبر بنات العالم كانت ترغب فى أن تكون زوجة له لمقامه واعتباره بين رجال فارس ولحكمته وآدابه وتعقله ولا يستقر على مثل هذا الضحك حتى يجد من قلبه منبها قربا يسهل لديه طرق الغرام ويطلعه على سرائره وان ليس فى الحسن جارية أو سيدة فسيان عنده يزور كل من يطيب له أن يزوره وكان يتعجب كيف أن جارية مثل هذه تربت على الخدمة والضنك قدرت أن تتعلم مثل هذه العلوم وتعى فى صدرها معارف يعجز عن حمل مثلها غيرها من عقلاء الرجال لا بل من الملوك والوزراء . ولم يأخذه نوم كل تلك الليلة وفى الصباح نهض وخرج من غرفته على أمل أن يراها فلم يرها فعلم أنها نائمة فخرج إلى ديوان الملك وكان ذلك قصدا منها لأنها حاولت أن تبقى إلى بعد خروجه اختشاء من أن يشغله مرآها فلا يخرج إلى الديوان وربما خرج هائما متأثرا من جمالها وبهائها فتظهر حالته حالا إلا أنها فى المساء أصلحت نفسها إصلاحا مرتبا محولا على الأدب والوقار ولاقته وحيته وقدمت له الطعام بيدها فجلس على المائدة يأكل وخرجت من أمامه إلى أن اكتفى ثم قام إلى غرفته ودعاها وأخذ يشاغلها بأحاديث العالم وأمور الدين فوجدها على أوى جانب تعى فى صدرها أديان العالم وعباداتهم إلى آخر السهرة ثم استاذنت وخرجت وصرف تلك الليلة كالليلة الأولى وفى الصباح نهض وسأل عنها فقيل له نائمة فانتبه إلى غايتها وشكر ذلك منها كل الشكر وخرج إلى ديوانه وهو لا يصدق أن ينصرف ذلك النهار حتى يعود إلى قصره ويشاهدها ولما انقضى وانفرط الديوان رجع وهو مهموم من حالته يحب أن يطلعها على أمره ويبوح لها بغرامه وقال فى نفسه إلى متى هذا التهامل فانى ان صبرت على ذلك مدة أيام أصبت بمرض اليأس أنا المعروف بالحكمة والتدبير فأين عقلى وتدبيرى وممن أستمد المعونة وأطلب التدبير وإذا كانت جارية لا باس فتلك قسمة لى من الله تعالى ونصيب كتب لى ومن الموافق أن أحلها محل الأميرات من النساء وأرفع شأنها وأخفى أمرها إلى حين زفاف فيروز شاه فاظهره وأبديه علنا وهذا ضرورى لأنى تأكدت أن لا مفر منه ولا مهرب قط وإذا كنت أعلم ذلك فلما الاصرار على العناد . وعول أن يفاتحها بحبه تلك الليلة ويطلعها على اسرار قلبه ويمنعها من الخدمة ويحلها محل السيدات

قال ولما دخل القصر وجدها بانتظاره فتلقته بالترحيب والاكرام وأبدت له من الرقة والعذوبة ما أسكره ودخلت به غرفة الطعام فجلس على المائدة وجلست إلى

جانبه وأخذت تأكل معه كالسيدات وهو يتعجب كيف وعت إلى أفكاره وسمته فيها قبل أن فاتحها وثبت عنده أنها أدركت حبه وبعد أن فرغا من الطعام ونهضا عن المائدة . قالت له انى أسألك شيئا ياسيدى أريد منك أن تجيبنى عليه . قال وما هو فأوجزى وأكدى أنى لا أخالف لك قولا ولا أمنعك من شىء تطلبينه . قالت انى وإن كنت أعلم أنك من عقلاء الناس وفلاسفتهم وقد يندر وجود من هو مثلك فى هذا الزمان وأنك لا ترغب فى مجالسة النساء على صفرة المدام إنما لى كلاما أريد أن أطلعك عليه وأخبرك به ولا يمكن ذلك إلا عند معاطاة الخمور . وقد أعدت بواطى المدام على النسق اللائق بشأنك وكرامتك . فأطرق إلى الأرض وقال انى لا أسر من مجالسة من مثلك قط كونك لست من النساء الجاهلات إنما أكره التطرف بشرب العقار . قالت لا بأس فى هذه المرة وليس من سبب يمنعك عنه لاسيما وهو المساعد لما أبديه . فقال اليك ما تطلبين وقد وجد نفسه مضطرا إلى الانقياد اليها بالرغم عن غايته وعما تدعوه اليه رتبته وحكمته وتعقله فسار وإياها إلى غرفة المدام فوجدهناك صفرة ممدودة عليها من كل أجناس الزهور والرياحين والفاكهة الطيبة والأثمار اللذيذة والحلويات الطيبة وزجاجتين من الخمر صغيرتين فقط وكل الآنية من الذهب الوهاج المنقوش وإلى المائدة كرسيان من الآبنوس جلس هو على واحدة وجلست هى إلى جانبه . وقالت له أريد منك يا سيدى ان تعلم قبل كل شىء من أنا ليرتاح ضميرك وبالك وإنى أعلم أن شدة الحب أوصلتك إلى درجة نهاية فغاب عن ذهنك أن تسألنى عن نسبى مع أنه كان لديك من المسوغات ما يدعوك إلى ذلك كونى لو كنت جارية لما كنت حائزة على المعارف ولا تعلمت قط حتى أرى من نفسى أنى أقدر أن أرضيك بها

فلما سمع منها هذا الكلام ظن نفسه أنه فى منام ورأى ذلك منها بين الحكمة والتعقل واللطف والتبصر إلا أنه قال لها إنى ما كنت أظن أنك تجهلين أمرى وقد عرفت مؤكدا أنك فى رغبة لاجابة طلبى ولولا ذلك لما أدركته منى وعرفت مالا أبديه لك حتى الآن . قالت إنى عرفت حالتك وما أنا عما يجهل حالة الناس ولا سيما فى مثل هذه الظروف التى لا تخفى دواخلها ولا يمكن لصاحبها أن يكتمها إنما كنت أنتظر منك أن تستقصى عن نسبى وتعرف من أنا لتقلع من ذهنك ما يشغلك وتفكر به دائما وهو أنى جارية أو خادمة فى هـــذا القصر والصحيح انى أنا نور بنت الوزير بيد أخطل وزير الملك قيصر وقد صرف على كل ما عز وهان حتى علمنى العلوم النادرة فى غيرى إذ أنى وحيدة له وكان يحبنى حبا عظيما ويستشيرنى فى كل أموره ويفعل كل ما أقوله له حتى انى منذ بداية هـذه الحرب قلت له ان يطلع الملك قيصر على تتائج

وينصحه أن يرجع عن عزمه ولا يفتح حرباً مع الملك ضاراب لانه لا يقدر على مقاومته :
غيران ذلك لم يكن لتعلق انبوش ابنه بعين الحياة ورغبته بزواجها ولما بلغنى مقتل ابى
وما وقع على الملك قيصر وجماعته حزنت عليه وصبرت على امرى وتظاهرت بانى
خادمة القصر لاعرف كيف يكون منتهى أمرى وخوفاً من أن اكون مطمعاً لبعض
الشبان الجهلاء وقد طلبنى فى زمن أبى كثير من الشبان الامراء فامتنع اذ كنت أعلم
أنهم رجال قصف وخلاعة لا رجال حكمة وادب ونويت ان لم يقسم لى الدهر ببعل
أسر من آدابه يكون خبيرا بمثل هذا الارتباط المقدس وواجباته صرفت العمر عذبة .
ولما دخلت أنت هذا القصر وجدت نوعاً من السلوى والتعزية وشكرت الله على وجودى
بين يديك ولو كنت ابقى كل العمر خادمة ولم افرح زمانى بطوله فرحاً يقوم مقام هذا
الفرح لان ابى لا بل سائر الذين علمونى كانوا يذكرون أن لا رجل فى الدنيا اعرف
وأعلم من طيطلوس الحكيم الفارسى فقد جمع بين كل علم وادب وفن ورياضة وحكمة
وساد على الأمراء والوزراء والملوك واعيان حتى اخترق صيته السبع الطباق وسار من
المغرب إلى المشرق ومن الشمال إلى الجنوب واى شيء احب لدى من ان اصرف العمر
بين يديك وقد شاهدت منك اضعاف ما كنت اسمعه عنك فكرامة اخلاقك وسعة صدرك
اشغلا بالى وأرميانى بخلوص مودة وعشق فانى اعشق صفاتك فارجوك ان تعاملنى معاملة
الأب الحنون والمخلص الرؤوف ولا تبعدنى عنك العمر بطوله فانت الغاية القصوى والمراد .
ثم اشارت تمدحه بهذه الابيات

انت يا من تنقاد طوعا اليه	وامتثالا قلوبنا واختيارا
ما تاخرت عن مديحه الا	لامور تشتت الافكارا
أنت من يقبل الدهر كفيـ	ـه ويبدى اذا غضبت اعتذارا
اضعفتنى الاهوال عن كل شيء	لم تدع لحمل ظلى اقتدارا
وحظوظ اذا عتبت عليها	نسجت لى من الهوى اعذارا
غصت بحر القريض بالفكر حتى	لك اهدى من اللالى الكبارا
فلعلى اتيت منها بنذر	وقصورى بالعفو منك استجارا
كم اناس ما ان لهم فى شعور	يطلبون الاشعار منا اختبارا
وغبى يظن ان حاز كتباً	انها الفضل حاملا اسفارا
بك فخر القريض شرقا وغربا	وترى عند جاهك المقدارا
كل بيت اذا تأملت معنا	ه يقينا حسبتنى سحارا
كل بيت تكاد تشربه الار	واح لطفاً إذا ادير عقارا

لو روته الرواة يوما | للمصونات هتكت استارا
ليس يحكي من راح مما اعتراه | مقصد من سعى اليك وسارا
كل طرف يغض من وهج الشمـ | ـس وأنت المنور الابصارا

فلما سمع الوزير طيطاوس كلامها ورقة معناها كاد يغيب عن الوعي وتاه عقله من ورقة معانيها وطيبة قلبها وميلها اليه واظهارها ابدته لنحوه ومما زاده فرحا وكاد لا يصدقه ما سمعه منها من انها بنت وزير خطير وانها من كرماء النساء وأعقلهن فقال لها الا امكراني احبك وأبدي لك الآن حبي واظهره عيانا ومازدني فيك حبا هو ما شاهدته منك من التهذيب والتربية واني احب الآن أن اتخذك زوجة ومدبرة لملكي ومن كنت أنت زوجته وصاحبة بيته يكون سعيداً ناجحاً وما أوصلني الله اليك الا ليقرن حكمتي بحكمتك ويجمل نسلنا اذا قدر الله سعيداً واني اعرف ذلك ان الله سبحانه وتعالى قد ابقاني الى هذه الايام بلا زواج دون ان افكر به قط حتى أوصلني اليك فحببني بك وأرغمني الى معاعيل الطبيعة فقالت له من اين لي مثل هذه السعادة العظيمة أن اتشرف بتقبيل ايديك في المساء والصباح قال اني اعاهدك واتخذك لي زوجة وقدارتاح ضميري وصرت منذ الآن خطيبة وعند مجيء الملكة تقام الافراح وتزفين علي وأرف عليك والآن فاشربي مسرورة وكوني مرتاحة . فقبلت يديه وشكرته على معروفه وقبوله لها زوجة ثم قدمت له الرياحين ورشته بماء الورد وسكبت كاساً من الخمر فسقته وأنشدت

قدم الراح يا نديمي لعلي | اعقر الهم ان شربت العقارا
واجعل كاسها على وزمزم | باسم من صير العقل صاري
قهوة مثل دمعة العين في الكا | س صفاء فالليل زاد اعتكارا
وادرها اذا النجوم تجلت | وشهدنا من زهرها الانوارا
وكان السماء روضة حسن | اطلعت في مقامنا ازهارا
والثريا كانها في الدجى غيد | د تلففن بالشعور عذارى
وكان الهلال يحكي وقد را | ح من الغرب زورقاً أوسوارا
فاسقيني من يدك ترى الفجـ | ـر عن الصباح قد اماط الازارا
وصل الليل بالنهار فان العيـ | ـش اهناه ما يكون جهارا
في رياض حكى بها الزهر والور | د النضيران فضة ونضارا
وكان الاقاح فيها ثغور | عن غوالي الجمان تبدي افترارا
ويحكي النهر معصماً وسوارا | يتلوى وارقماً سيارا
يا قرع الكاس لاعدمتك صرفا | فعلى الصرف تصرف الاعمارا

واعتقد أنها حرام وزور لاتوافق يهودها والنصارى
واسأل العفو فالكريم رحيم قابل التوب يغفر الاوزارا

ثم سقته ثانيا وثالثا حتى ذاق لذة اجتماع ومؤانسة ومعاشرة أعادت اليه أيام الشباب التى صرفها بترك اللهو والبعد عن مغازلة الغادات على أن الله سبحانه وتعالى يمن بالمرء خصائص قابلة لسلوك مثل هذا السبيل فى زمان الحياة لبأهله بأن يكون ... بعد صاحب عائلة ورب بيت وخلق فيه أيام الشباب والصبا إن انثى أو ذكرا أميالا تنحصر على الأكثر فى الغرام وأسبابه وأوتاده وأفكارا تنقل وتتخطر فى دماغ كل من شبان هذه الأجيال تطلبا للارتباط ورغبة فى إيجاد المساعد الوحيد الذى هو الزوجة لتتعاضد فى مثل هـــذه الحياة ودفنها ومن المقرر الثابت أن كل شاب أو صبية منذ وصوله إلى أول درجة من الترعرع يرى أن أمياله تطلب شيئا ربما كان لا يعرفه ونفسه تسأله أن يدخل أبوابا يجهل طرقها ومعابرها وماتلك إلا بتدبيرات العناية الالهية التى تقوى تلك الاميال وتنميها وتقودها أخيرا إلى الاصغار بالارتباط بذاك المساعد المتقدم ذكره ومن ثم على الغالب تعود الأميال إلى التأخر والضعف ولا يعود فى المرء البصير همة للسعى فى ذاك الطريق. غير أن طيطلوس لما كان قد حارب تلك الأميال منذ بداية حياته وأهلكها بالتعليم والتهذيب بقيت كامنة فى ضميره تنتظر الوقت المناسب لتتسلط عليه وتتحكم فيه ومن ثم تبتعد عنه بعد قضاء مصلحتها منه وهكذا كان يغازل ويشتكى ويتحبب كأنه فى سن الفتوة ولما لعب به الغرام ودارت الخمرة برأسه جاش الشعر فى خاطره فأنشد .

نقض الجرح وكان اندملا وامتلأ القلب وقد كان خلا
عاده داء الهوى من بعدما راح قد أفرق عنه وسلا
ماله ترعجه زفراته كلما اشتاق صبا أو شمألا
وإذا شام بروقا لمعت غلب الدمع الحيا فانهملا
ومتى أبصر بدرا طالعا ظنه عنه الذى قد أملا
عاش فى أرغد عيش نزهة مستريحا راق حالا وحلا
ليس يدرى الهم حتى أن أرى ليته لم ير تلك المقلا
فعلت فيه بطرف لو رمت حجرا صلدا به لانفعلا
كيف لايجرح قلبى طرفه وإذا السيف تحرك قتلا
بأبى الريم الذى من لحظه سرق الظبى الكحيل الكحلا
لايم الصب على الحب الذى سيف لحظه يبيح الأجلا

والذى يصبو لأحداق المها لم يمت بها إلا مجندلا
خل عنك اللوم بالله فقد سبق السيف اليه العذلا
ويح قلبى من هوى ذى غنج ظالم فى حكمه لو عدلا
ماله حمله ما لم يطق أتراه ظن قلبى جبلا
غصن البان الذى فى قده سلب اللين القنا والاسلا
يا خليلى بلا أمـ سـلا فى فؤادى لحظها ما فعلا
أمقيم معـــه يصحبها أم دعاه للردى فامتثلا

وبالاختصار قد صرف طيطلوس ليلة من ألذ الليالى التى مرت عليه باجمعها ترك حكمته وعلمه ومعارفه إلى جنب وسلك سبيل الخلاعة والحب والزهو مع المحافظة على الآداب والعفة وجاء النهار وهو مع حبيبته الجديدة على مثل تلك الحالة المتقدم ذكرها وفى الصباح ذهب كل منهما إلى فراشه فنام فيه ريثما استراح ثم خرج طيطلوس إلى ديوان الملك وهو مسرور فى قلبه مرتاح فى ضميره وكان يصرف تلك الايام بتدبير معدات العرس وما هم باحتياج اليه وصار فى كل مساء بعد الانصراف من السهرة عند الملك ضاراب يعود فيرى خطيبته بانتظاره وقدهيئت له السفر المعتادة فينهى ليلته على تلك الحالة وقد أخفى أمره عن الجميع ينتظر الوقت المناسب وهو قدوم الملكة والمباشرة بالافراح ليطلع الملك على أمره ودام على مثل ذلك إلى أن جاءت الملكة كما تقدم واحتفل بها وأخذت إلى القصر الذى أعد لها وحينئذ وجد أن لا بد من اطلاع الملك والأمراء على أمره إذ كان يجب أن يتزوج علنا كيفية رجال العرس فصبر إلى أن كان المساء واجتمع فى ديوان الملك والأمراء والشاهات والملوك والعمال والوزراء يهنئونه بقدوم زوجته ويتشاورون بأمر العرس ومعداته وأن يبدأ فى اليوم التالى بالأفراح والزين فقال الملك إن هذا بانتظاره غير أنه مفوض لخاطر الملكة تمرتاج ولاريب أنها فى الغد تطلب أن تعرض عليها واحدة بعد واحدة لتراهن وترى عين الحياة ومن ثم نستشيرها فى ماذا يكون وعلى أى طريقة تريد أن يكون هـــذا الزفاف وكيف تقام فيه الافراح . وعند ذلك وقف طيطلوس الحكيم وقال اعلم أيها الملك المعظم أنى خدمت دولتكم بامانة واستقامة وأخلصت فيها بكل أعمالى وصرفت كل ما أعطانيه الله من الحكمة والمعرفة حتى كنت أكتسب رضاك ورضى أهل وطنى وقومى باجمعهم وكان ذلك يهمنى ويشغلنى نظرا إلى المستقبل وما كمن فيه كيفية الجبلة البشرية أعرف أن المرء لايمكن أن يخلد فى هذه الحياة وأنه لا بد من يوم ينحل فيه جسده ويرجع إلى أصله هكذا الله أراد وعمل وكان همى الوحيد أن أموت دون أن أترك من نسلى ذكرا لخدمة هذه الدولة من بعدى أو ان أعلم أو أهذب فتى يليق أن يكون بين أيدى سيدى الملك

أو بالحرى بين يدى سيدى فيروزشاه ونسله من بعده غير أنى كنت لا أسلك هذا السبيل لعلمى أن النسل لا يوجد إلا بالزواج وكنت لا أرغبه أوانئذ إذأن نفسى كانت بانشغال عنه لا سيا وإن كنت احب أن أتزوج بفتاة مهذبة عاقلة حتى إذا سمح الله بارسال البنين تكون قادرة على تربيتهم بما يرضى الله ويأملهم لأن يكونوا ودواوين الملوك وأن يكون لهم ذكروشأن وأعمال حسنة يحيون به ذكرى من بعدى . وأما الآن فقد وفقنى الله إلى المطلوب وقادنى بالرغم عنى إلى الوصول إلى ما كنت أطلبه سابقا وأرغب فيه فأنى بالقضاء والقدر اقمت فى قصر بيداخطل الوزير وزير الملك قيصر وإذا فيه بنت له جمعت من الصفات الحسنة ما يندر وجودها فى غيرها فصرفت هذه المدة معها أمتحنها فى كل العلوم العقلية والرياضية فاذاهى آية الحكمة ماتركت فنا إلا وتعلمته كانها تاريخ الأعصر ومرآة آدابه ونبذة المعارف وصفحاتها وعليه فقد ملت بكليّ اليها وأحببتها وسألتها الاقتران فأجابتنى عن حكمة منها وقالت لى انها كانت لا ترغب الزواج بأحد إلا بمن اعطى من الحكمة ما أعطيت ترقية لأدبها وعليه فانها قبلت بذلك تعشقا منها للمعارف والفنون . وإنى الآن أعرض عليك أن تضعنى فى مصاف الذين يرغبون فى الزفاف ويكون لهم عرس فى هذه الايام على أنى وإن صرت الآن كهلا إلا أنى بالزواج شابا إذ لم يكن زففت قبل الآن على غادة فهذه هى الامرأة الأولى التى اخترتها فمن الواجب ان أعاملها معاملة تليق بسنها وجمالها وصفاتها لأنها شابة وجميلة وليست بأدنى من غيرها من اللواتى سيتزوجن فى هذه الأيام ويقام لهن مقام فى صدر هذه الأفراح .

قال فلما سمع الملك ضاراب هذا الكلام من وزيره طيطلوس فرح غاية الفرح وقام اليه فقبله وقال له لا شىء يسرنى أعظم من هذا الخبر فأنت وحدك قد سببت لى هذا السرور أليس من الضرورة أن تدخل سلك السبيل البشرى وتكون كواحد من أعضائه متنعما بمثل هذه النعم المعينة منه تعالى أليس من الضرورة أن يكون لك بنين وبنات ليقام لك إلى الأبد ذكر فى الدولة الفارسية أهل لو لم يتزوج فيلزور البهلوان ويأتى بالأولاد النافعين الذين أخلفوه وفاقوه لما اعتزت دولة الفرس وانتصرت أليس انى فيروزشاه وبهزاد هما اللذان أقاما فى صدر المجد وكل منهما جعل لآبائه مدحا عظيما فى قومه وفى غيرهم وانتفعت المملكة منهم . والآن فقد لاقيت ما طالما كنت أتمناه وذلك بتدبيره تعالى لأنه لا يريد أن يحرم هذه الدولة من الانتفاع بل فى نيته أن تبقى يد إسماعيل إلى الأبد معتزة بالمجد والانتصار وإنى سأعد لك مركزا فى هذا العرس فوق كل مركز لأنك أحق به من غيرك . ففرح طيطلوس من كلام الملك وسر مزيد

السرور وكذلك جميع الأمراء والقواد والوزراء فانهم شكروا طيطلوس على اهتمامه بالزواج على أمل أن يروا من نسله من يقوم مقامه بعد وفاته ومن ثم انفرط الجميع من ديوان الملك وذهبوا إلى قصورهم يتحدثون بأمره وذهب هو إلى قصره فوجد محبوبته نور بانتظاره على حسب العادة فقبلت يده وقبلها وذهبت إلى غرفة الطعام فأكلا واكتفيا وأخبرها بكل ما كان له مع الملك وأمرها أن تكون على استعداد لتقدم في الغد إلى الملكة تمرماج مع بقية البنات وربما تقيم في قصرها إلى حين الزواج ففرحت بذلك ووعدته بطاعة أمره وصرف تلك الليلة كالعادة ومن ثم عاد إلى المنام .

وفي اليوم الثاني نهضت الملكة من مرقدها وجلست في سريرها ودعت اليها الملك ضاراب فجاءها وسألها عن حاجتها فقالت له أريد منك ياسيدي الملك إجابة لسؤالي قبل المباشرة بالعرس وبقيام الأفراح والمسرات إلى ما أسألك فيه الآن . قال أمري فاني أنفذ لك أمرك على أسرع ما يكون ولا بد من النظر في رغائبك . قالت أنت تعلم أني بشوق زائد إلى عين الحياة خطيبة ولدي وان قلبي ملهوف لرؤيتها وقد مضى الآن أكثر من ثماني سنوات منذ خروج ابني من إيران وأنا أسمع بحديثها وأتشوق إلى رؤيتها لأرى ما هي عليه من المحاسن والصفات كيف لا وقد هلك كثير من الناس وخربت عدة ممالك وانحط قدر الملوك بل وقتل جماعة منهم ورن صيتها في مشرق الأرض ومغربها كل ذلك مما يستدعي أن أتشوق اليها ولهذا السبب فكرت أمراً واحداً وهو أن أدخل كل البنات اللواتي جئن ليزفن على الأمراء يوم عرس ولدي كي لا يقال إني أفضل عين الحياة على غيرها لا سيما وأنا أحب أن أبين لأمراء فارس وشاهاتها شوقي إلى خطيباتهن ومعاملتهن كأولادي . مما أريده أيضاً أن تبقى البنات في قصري وتحت نظري أقيم بينهن الأفراح وفي الأخير أصلح شأنهن بمعرفتي وأزف كل واحدة على طالبها فتخرج من قصري اليه وليس من الصواب أن يبقى كل خطيب مع خطيبته ولا أريد أيضاً أن تبقى عين الحياة وجهان افروز عند ولدي إلى يوم زفافه وأن تزف وهي في يده ومن الموافق أن تبعدا عنه قبل الدخول بهما عدة أيام أي أيام الأفراح إنماء لشوقه وتهيئة لذاك اليوم . فقال لها الملك حسناً تعملين وإني منذ هذه الساعة سأصدر أمري أن يأتي كل أمير بمحبوبته اليك على حسب مشتهاك ويكون لك ما تطلبين ومن ذلك الوقت خرج إلى ديوانه ودعا اليه جميع القواد والأمراء وأمر خورشيد شاه أن يأتي بتاج الملوك وكولندان إلى قصر الملكة لتراهما ولتعرض على كولندان وجوب زواجها بكرمان شاه ثم أمر فرخزاد أن يأتي بأتوش أيضاً وأمر صفرشاه وطيطلوس وبهمنزار قبا أن يأتوا بطوران تخت ونور وكليلة إلى الملكة وأمر ولده فيروزشاه أن يذهب بعين الحياه

وجه'ن افروز إلى والدته . فأجاب الجميع وسار كل إلى قصره ينفذ أمر الملك وعاد الملك إلى زوجته فأخبرها بقرب مجيء البنات اليها فنهضت من سريرها ولبست ملابسها الفاخرة المرصعة بالجواهر واليواقيت وأرخت عليها مشلحا طويلا من النسيج الفارسي الكشميري مشغولا من دائره بالحرير الملون وفى كل حبكة من تلك الحر رماسة بقدر الجوزة ولبست على رأسها التاج الخصوص بها المرصع بكل حجر كريم حتى أصبحت كأنها الشمس تضيء فى رابعة النهار وكانت كما تقدم الكلام جميلة الوجه والطلعة فسر الملك ضاراب من عملها وكان قد مضى عليه عدة سنين وهو لم يرها فى مثل هذه الزينة ثم ذهبت إلى غرفة الاستقبال وجلست على كرسي من العاج وإلى جانبها الملك وأقامت بالانتظار وإذا بخورشيدشاه قد أدخل عليها كولندان وتاج الملوك فنظرت اليهما ومها فى حللهما الفاخرة وعليهما من الملابس ما يدهش العقول وتعجبت من حسنهما وجمالهما وسالت الملك ضاراب عنهما فقال إن احداهما هى تاج الملوك بنت المنذر ابن النعمان صاحب الطائف والثانية كولندان بنت صاحب الاسكندرية ثم حكى لها خبر خورشيدشاه معهما وبعد ذلك تقدمتا منها وقبلتا يديها فقامت لهما وترحبت بهما وقبلتهما بين الاعين وأكرمتهما مزيد الاكرام واجلستهما إلى جهة من القاعة وقالت لخورشيد شاه يهنالك يا ابن عمى بما أعطيت فان الله قد أقسم لك نصيبا من السعادة فى هذه الحياة واننا نفرح الآن لفرحك فما أنت الا كولدى فيروزشاه يسرنى أن أراك مرتاحا منعما . وكان الملك ضاراب قد بعث وراء كرمان شاه فحضر لبين يديه فامره أن يجلس الى جنب كولندان كما جلس خورشيدشاه الى جنب تاج الملوك ثم قال لكولندان اعلمي أيتها الابنة الكريمة انى أشعر بما صنعتيه معنا من الجميل أثناء وجود ابن عمي خورشيدشاه أسيرا فى الاسكندرية وما سهلت لجيوشي من الطرق لفتح تلك المدينة ولذلك لا أنسى قط أننا ملزومون بمكافأتك على مثل هذا الجميل وان ابن عمى المذكور كان قد عاهدك أن يكون لك زوجا وتكونين له أهلا فى ذلك الوقت الا أنه كان قد سبق منه مثل ذلك العهد الى تاج الملوك بنت المنذر ابن النعمان الحاضرة أمامك الآن وقد بادتنا بالمعروف كما باديتنا أنت أيضا وانتشلته مع فرخوزاد من الاسر وسلمتهما ايضا المدينة وعليه فقد فكرت واخترت أن أزفك على ابن عمى كرمانشاه الحاضر أمامك الآن فهو يحبك ويرغب فيك ولا أظن أنك تمتنعين طلبي فهما فى درجة واحدة حسنا ونسبا وأدبا فاقبلي منى ما أطلبه اليك واستقلى بزوج واحد كما ان خورشيدشاه يرغب أيضا أن يستقل بزوجة واحدة . فلما سمعت كولندان هذا الكلام أطرقت الى الارض حياء وخجلا وقد احمر وجهها وكادت تختنق من الحياء

فقالت لها الملكة انك لست انت الآن فى مقام تخجلين من التصريح فيه بما فى ضميرك لاننا فى حاجة كلية إلى جوابك ومن اللياقة أن تجيبى الملك على غايته فهو ينظر فى صالحك ويرغب لك الخير وما أمل بخورشيد شاه فأسرعى بالجواب فقامت إذ ذاك ثانية ودنت من الملكة فقبلت أيديها وأيدى الملك بعدها وقالت وهى مطرقة إلى الأرض انى لا احب أن أجيب فى مثل هذا المعنى لانى أرى من نفسى انى جارية بيد سيدى الملك يدبرنى بحسب معرفته ويقدم لى ما يريده أهل فى وسعى أن أخالفه وهو بمقام أب نصوح حنون بصير ينظر فى أمرى نظر الرأفة والحب على انى وان كنت قد عاهدت خورشيد شاه فى الأول فالآن أنا أعتبر كرمان شاه اعتبار المعين المساعد وأرجو منه أن يقبلنى خادمة فى بيته ولى بذلك شرف كبير لا أنساه منه قط ومن الصواب والحكمة أن أكون مختصة به بحيث تكون تاج الملوك مختصة بمن عاهدته وعاهدها قبلا وانى أجدد لديكم الآن العهد لكرمان شاه وأخلصه الحب والطاعة . فلما سمع كرمان شاه منها هذا الكلام وفرح غاية الفرح وسر مزيد السرور وحسب نفسه سعيدا وقام إلى الملك وقال له ان كولندان قبلت بى عن طيب خاطر وصفاء باطن تكرما منها لطيبة أصلها وما أعطاها الله إياه من العقل والحكمة وعليه فانى أعاهدها بحضورك على أن أكون لها بعلا أمينا أحافظ على راحتها وأرعى لها الحب ما حييت فشكره الملك وشكرها واثنى عليهما . وحينئذ أمرت الملكة أن يعطى لكل من كولندان وتاج الملوك ثوبا من الحرير المنسوج بالزراكش الفضية من صنعة للفرس فدفع اليهما وافرغ عليهما وما استقرت لحظة بعد ذلك حتى نظرت إلى باب القاعة فشاهدت صبية تدهش العقول قد أعطيت من الجمال قسما كبيرا وعليها من الحلى والحلل الفاخرة فسالت الملكة عنها فقال لها الملك هذه انوش بنت الشاه سليم صاحبة الفعل الحسن المحمود وهذه التى رفعت الشدة عنا فى مصر بعد أن كنا فى الضيق وهى خطيبة فرخوزاد فلاقتها الملكة بكل بشاشة واكرام وترحبت بها واجلستها مع فرخوزاد إلى جانب من القاعة وهنأتها وامرت ان يدفع لها ايضا ثوبا من مثل الثوبين المتقدم ذكرهما فشكراها عليه وانوش تتعجب من بهاء الملكة ورقة جانبها ولين معاملتها وهى مسرورة منها كل السرور ثم نظرت الملكة إلى خارج الباب وإذا بها ترى صبية بيضاء بلون الياسمين قد تزينت باحسن ثوب وهى تميل وتخطر كأنها غصن البان يحمل من فوقه بدرا عظيم الاشراق بهى المنظر . فاندهشت الملكة من محاسنها وسالت الملك عنها فقال لها هذه كليلة بنت صاحب دمشق خطيبة بهمزار قبا وقد اخذ اسيرا إلى الشـــام فاحبته وتسببت بخلاصه ثم حكى لها بالاختصار كل ما وقع له معها . وبعد ذلك تقدمت كليلة من

الملكة وسلمت عليها وقبلت يديها ومدحتها واثنت على انسها ولطفها فشكرتها والبستها ثوبا فاخرا من الثياب التى البستها لبقية البنات وأمرتها أن تجلس إلى جانب مع بهمنزاو قبا بالقرب من كولندان وكرمان شاه فجلسا وهما من الفرح والسرور لا يعيان على هذه الدنيا ولذاتها وأى خير فيها . وما استقرت على كرسيها حتى مالت الملكة بانظارها عنها إلى الخارج ووقعت أنظارها على ذات حسن باهر باهى مكللة با كاليل اللطف والظرف والكمال ومن خلفها طيطلوس . فسالت الملك عنها فقال لها انى قبل الآن لم أرها غير انى أظن أنها بنت بيداخطل الوزير وزير الملك قيصر وقد خطبها لنفسه طيطلوس لما وجد فيها من التهذيب والكمال . فاظهرت على نفسها الفرح ولاقت طيطلوس بكل ما يليق بشأنه وبسنه ومقامه وهيئت لها مكانا معتبرا فى القاعة المقيمة فيها وأفرغت عليها حلة مدبجة وهنأت طيطلوس بها وقد سرت منها كل السرور لأنها وجدتها على جانب عظيم من الحسن والجمال والتعلق والفصاحة التى لم ترها قبل فى غيرها من البنات وبعد أن جلس طيطلوس وخطيبته نور دخل على الملكة مصفر شاه وإلى جانبه طوران تخت بنت الوليد ملك مصر وكانت قد رأتها قبل ذلك الوقت فسلمت عليها وترحبت بها كغيرها من البنات والبستها ثوبا مثل تلك الأثواب . وبعد دقائق قليلة شعرت الملكة تمرتاج من نفسها بحاسة مفرحة فوق العادة وسمعت وطىء اقدام خفيفة لطيفة انتبهت اليها بكليتها وقد رأت فتاة من ابدع خلقه تعالى حسنا تسير وطلائع الحسن تتقدمها وجيش من الهيبة والوقار يحيط بوجهها وبدر من اجلى واجمل الانوار حل محل حول دردالك الوجه الحقيقى الفاضح المسى الكثير الجاذبية فاندهشت الملكة من هذا الجمال النادر المثال وصاحت على غير انتباه ان كانت هذه عين الحياة بنت الشاه سرور فيالسعادة ولدى ونهضت واقفة بالرغم عنها فقال الملك هى التى سحبنا لأجلها من إيران إلى بلاد الرومان فوجهت كلامها اليها قائلة تستحقين ايها القمر الشارق والظبى النافر والغصن القويم ان تقع الحروب لأجلك بين ممالك العالم ليس فقط ست سنوات بل ثلاثين سنة تستحقين ايتها الابنة الكاملة البديعة ان تأتى ملكة إيران ليس من بلادها فقط إلى هذه البلاد بل إلى اقصى بلاد العالم تستحقين ايتها المحبوبة من الاله ومن الطبيعة ان تكونى سلطانة فى إيران وملكة عليها وزوجة لفيروز شاه ثم اندفقت ادمع الفرح من عينيها واسرعت اليها فلاقتها وقبلتها وهى تبكى مدهوشة من بهائها واندفعت بمفاعيل الحب الذى كان كامن فى قلبها قبل ان تعرفها إلى ان تضمها إلى صدرها وتقبلها فى وجنتيها اللامعتين وهى لا تعرف ماذا تقول اوماذا تفعل بل اخذتها من يدها وهى لا تعى على ولدها ولا على جهان افروز التى كانت آتية من خلفها ولا

انتبهت اليهما فى الحال إلا بعد أن أجلست عين الحياة إلى جانبها وصرفت أكثر من نصف ساعة تقبلها وتنظر اليها وتضمها وهى تقبل أيديها وتشكر من انسها ومجابرتها ثم نظرت إلى جهان أفروز وسألت عنها فأخبرها الملك أنها أيضا كنتها وانها من بنات الجان وأخبرها بقصتها وما كان من أمر أختها المرهفة فتعجبت من ذلك ومالت اليها فقبلتها وأجلستها إلى جانبها الآخر ودعت ولدها فقبلته وهنأته بمحبوبتيه وقالت له إنك لم تخطىء ياولدى بكل ما عملته بسبب عين الحياة فهى فوق ما كنت أظن وما فعلت شيئا إلا واستحقت أكثر من ذلك باضعاف نعم هذه الفتاة الوحيدة التى يليق بان تكون زوجة لفيروز شاه ابن الملك ضاراب فارس هذا الزمان وإنسانه وأجمل رجال إيران وجها وعملا وصفة فاهنأ بها وبجهان أفروز وانعم وتنعم حياتك بطولها ولاريب انك سعيد من الله مسعود بعنايته لاتؤثر فيك الحوادث مهما كانت فى جنب توفيقات البارى ثم قالت للملك أنت تعرف انى صرفت ثمانى سنوات أتلوع على فراق ولدى وبعـــده عنى كونه وحيدا لى وبعد ذلك لاقيت من الاكدار ومحاربة الافـكار والهموم بسبب هذا الفراق وبسبب محاربتكم مع الأعداء وانقطاع أخباركم عنى كل هذه المدة الطويلة وكل ذلك قد نسيته فى هذه الساعة وقدكنت اخاف ان لاأكون راضية من جمال عين الحياه فبالحقيقة قد أعطيت ما لم يعط إلى غيرها . فقال الملك وانى نظيرك صرفت ست سنوات انتقل من بلد إلى بلد وانهض من حرب فانغمس فى غيرها دون أن أراها إنما كنت افكر انى ملزوم إلى ذلك لأن ولدى يحبها ويريدها ولهذا كنت أشعر بميل غريزى اليها واشتاق أن أفدى بنفسى وعساكرى فى سبيل حصوله عليها والآن قد زالت والحمد لله كل هذه الاخطار ولم يعد من عائق يمنع غسل تلك الأقذار بماء الراحة والفرح الكامل الجامع لكل الأسباب المسرة وانى بحوله تعالى قد عولت على أن أجعل زفاف ولدى وبقية الأمراء بيوم واحد محفوفا بالاستعدادات التى لم يسبق لها نظير قط كى تضرب الأمثال فيما بعد به ويقال عن كل يوم طرب يوم زفاف فيروز شاه لاشىء أقدر ان ابديه اعظم من سرورى مثل هذه الايام السعيدة ولا ألوم أحدا من أمرائى على تهوره بالحب كما انى لا ألوم أيضا بنات الملوك اللاتى تبعتنا رغبة فينا ولـكل فتاة من الفتيات الحق فى أن تحب من تريد وان كان من غير جنسها وبعيد عن معتقدها بشرط أن تكون خصيصة له وليس من العدل أن تلازم الابنة بسميها فى ظروف مثل هذه الظروف إذ لايمكن أن تضيع أيام صباها وتجعل شبوبيتها فريسة لأنياب القهر والحكم وكم من حبيبين يصرفان الوقت يتحرقان دون بلوغ غاية والظروف تمنعهما من نوال الوصال وتحول دون اجتماعهما وعلى هذا فانى أعذر الجميع وأفرح لفرحهم

وأطلب من الله أن يتم سرورنا على أحب ما نشتهى ليجتمع كل محبوب بحبيبته بعد ذاك العذاب والبعاد وقطع الرجاء ومقاسات أشد الأهوال

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

قال وكانت قاعة الجلوس القائمين فيها ترهج من محاسنهم وما عليهن من الحلى الذهبية والفضية وقد دفعت الملكة لجهان أفروز ثوبا نادر المثال كأنه الكوكب فى اللمعان وأفرغت أيضا على عين الحياة ثوبا من أجمل الثياب كانت تستعد لعمله منذ كانت فى إيران وقد رصعته بالحجاره الكريمة وجعلت أزراره من الجواهر تلمع فى صدرها حتى الارض لانها كانت تعلم أن لابد لها من اجتماعها بها وانها تحضر زفاف ولدها ولذلك شغلت ثلاثة أثواب مخصوصة واحد عند أول ملاقاتها وهو هذا والثانى لتلبسها إياه يوم زفافها تتجلى به لتتيه على سواها والثالث وهو أبيض لتلبسه فى ثانى يوم الزفاف ثم ان الملكة قالت للملك ولجميع الحضور اعلموا أنى نويت ان أبقى عندى البنات هذه المدة فلا أحد منكم يرى خطيبته قبل يوم العرس وذلك من الواجب اللائق إذ أن مرادى أن أدبر أمرهن وأصلح شأنهن وأقوم بأفراحهن ويأخذ كل واحد عروسه من قصرى لاسيما وانى عزمت أن أبقى خمسة عشر يوما مع البنات وسائر النساء اللاتى يرغبن الحضور فى هذا العرس فى فسحة خارج المدينة يكون فيها الفرح وأسباب الحظ قائمة من كل ناحية وأنصب ميدان سباق وهرج ولعب سلاح بين البنات ممن يرغبن مقارنة الرجال واجعل أياما منها للغناء والموسيقات والمسرات الكاملة وتكون فى هذه المدة الولائم قائمة والذبائح مشغلة كل النواحى والخزر تدار على جميعهن وأطلب إجراء ذلك الآن من حضرة سيدى الملك وان لايكون بين هؤلاء البنات ذكر قط بل يكون جميع المدعوين نساء وبناتا وكذلك الخادمات والطابخات والناحرات الأغنام والمغنيات من جنسنا لتكون حرية كل منهن كاملة تسر وتفرح حسب مشتهاها دون أن يراقبها أو يلاحظها ذكر البتة وفى نفس هذه المدة يكون الفرح قائما بين كل من الرجال بمكان قيامهم على الطريقة التى يختارها سيدى الملك .

فلما سمع الملك ضاراب كلامها أجابها اليه . وقال لها إن البنات سيسلمن اليك من هذه الساعة وسأقوم لك بطلبك فتذهبين إلى خارج المدينة من جهة غربيها وأنصب لكن الخيام وأجعل كل ما تطلبيه حاضرا بعد يومين وأقيم بعيدا عنكن الخفر من عساكرى بحيث يجازى كل ذكر أيا كان يرغب فى المرور من تلك الجهة فاسرحن وامرحن فاليوم يوم عرس فيروز شاه . وانى سأقيم مثل هذا الاحتفال بين رجالى وفى عساكرى على النسق الذى أشتهيه وبعد نهاية الايام

المذكورة تدخل المدينة لتزف كل أمير على عروسه فيكون اليوم الأول مخصوصا لفيروزشاه على جهان افروز والثانى لعين الحياة وبقية البنات ليفرح الجميع بوقت واحد ويسرون معا .

قال وبعد أن قدم لهم الشراب ممزوجا بماء الزهر والسكر فى كاسات من الذهب على صوان من ذهب أيضا دعتهم الملكة لتناول الغداء. عندها مأكلوا وأقاموا باقى النهار إلى المساء. وفى المساء خرج كل واحد منهم مودعا حبيبته متألما من فراقها ولولا يعدون أنفسهم بالاجتماع بهن بعد قليل من أيام الاجتماع المطلوب والمرغوب والمنتظر منذ أيام، لما قدروا على الصبر وسار كل واحد إلى قصره ينتظرون ما يكون من أمر هذا الزفاف وتدبيراته . وفى صباح اليوم الثانى خرج الملك مع طيطالوس إلى غربى المدينة واختارا مكانا للنساء موافقا لطلب الملكة فأمر الملك أن تنتقد كل حصاة منه وأن يمهد من كل جهاته وتضرب فيه الخيام الكثيرة لقيام من أراد حضور هذا الاحتفال من نساء المدينة ومن النساء اللاتى أتين برفقة الملكة تمرتاج وأمر أن يضربوا صيوانا كبيرا تقيم فيه الملكة نفسها مع كنتيها عين الحياة وجهان افروز ويضرب إلى جانبه الصواوين الفاخرة المفروشات . ودام الشغل كل ذاك النهار بطوله فى تلك الأرض واليوم الثانى والاستعدادات قائمة على ساق وقدم والموائد تنقل إلى تلك الخيام والخور تحمل وآلات الطرب والملاهى حتى كمل كل ما يحتجن اليه وما طلبته الملكة وبعد أن انتهى عمل كل شىء جاء الملك إلى الملكة وأخبرها باتمام كل شىء على حسب مشتهاها فخرجت إلى المحل المذكور ونظرت فيه فأعجبها ترتيبه ونظامه ومن ثم قالت للملك إنى أريد منك ياسيدى أن تبعث المنادين ينادون فى المدينة أنى قائمة باحتفال ولدى فيروزشاه وإنى أدعو كل امرأة وبنت إلى حضور هذا الاحتفال العظيم فمن رغبت منهن فلتذهب من نفسها إلى الخيام وتقيم فيها ومدته تكون إلى ١٥ يوما ثم سألته أيضا أن ينقل النساء اللاتى جئن من إيران وتعزاء اليمن ومصر وغيرها إلى تلك الخيام إذ أنهن أتين مع رجالهن لهذه الغاية ففعل الملك ما سألته وارتاح باله من جهتهن وذهب لقيام الولائم وعمل العرس بين الرجال . وخرجت الملكة مزينة بأحسن زينة ولبست التاج الفارسى المرصع بالجواهر المتقدم الذكر وجلست فى صدر صيوانها وأخذ النساء والبنات يردن اليها ويقدمن التهانى لها بزفاف ولدها ثم تقبلن أيديها وتخرجن إلى الخيام ليقمن بها وكانت قد قسمت الخادمات إلى فرق ونواحى فلكل خمسين خيمة خادمات مخصوصات تقمن بواجبات ضيفاتهن وعين جماعة منهن لتفريق ما يلزم من الطعام على كل ناحية كل يوم بيومه واختص بعضهن لتناول المعدات التى ترد فى كل يوم من خدم الملك وتهيئتها ونحر القطعان فى

كل صباح وتوزيعها على الترتيب حتى لا يكون خلل قط ولا ينقص أحد قط شيئا من المآكل والمشارب وأسباب الحظ وكان موجود أكثر من مائتى ألف أتى فى دعوة الملكة ولم يكن قط واحدة مهملة أوغير معتنى بها وصرفت الملكة اليوم الأول والثانى تتلق الواردات عليها والمهنئات وهى جالسة كما تقدم وأجواق من المغنيات مع اختلاف أجناسهن تغنين بالألحان المطربة الشجية فكانت الايرانيات تأخذن وقتا للغناء على النسق الايرانى واليمنيات على حسب عادتهن والمصريات تغنين بالألحان المصرية والروميات كذلك وكل جوق بدوره يضرب بآلاته ويغنى بنغمه .

وفى اليوم الثالث أمرت الملكة بنقل كرسيها إلى الخارج إلى الميدان والمتروك فى نصف الخيام مأمرت أن توضع فى صدره وأن تصف الكراسى من اليمين والشمال صفوفا صفوفا على أحسن ترتيب ونظام وجلست بعد ذلك على كرسيها وهو مرتفع فوق الجميع كأنها الكوكب فى اللمعان وجلس على الكراسى عموم نساء الأمراء والوزراء والأعيان والقواد والسادات حتى احتبك الميدان من كل جهاته ووقف بقية النساء المتفرجات من خلفهن صفوفا صفوفا وبعد أن انتهى الاجتماع ضربت صنوج المغنيات بألحان حربية محركة إلى مثل هذه الألعاب . وإذ ذاك أمرت تمرتاج أن تبرز إلى الوسط كل فتاة لها معرفة وإلمام بهذا الفن . وفى الحال نهضت أنوش بنت الشاه سليم واستأذنت من الملكة وقبلت أيديها فأذنتها وبعد ذلك تناولت سيفا وطارقة وتوسطت الساحة والتفتت ذات اليمين وذات الشمال ثم ذكرت الله ودعت للملكة الفارسية بالانتصار والفوز للملك ضاراب وابنه ورجاله وأبطاله بطول العمر والبقاء ثم رفعت السيف فأدارته بالهواء على أخف حركة وأدقها ثم قفزت قفزات الغزال وضربت به على الطارقة فسمع له صوت وفرقعة وجعلت تدور فى تلك الساحة كأنها المنجنيق وهى تلعب بأعجب لعب وأدقه حتى انبهر منها كل من شاهدها ثم سألت البراز من النساء . وفى الحال نهضت عروسة ذاك المحفل وبدر سمائه عين الحياة بنت الشاه سرور واستأذنت من حماتها فأذنت لها وسقطت إلى الوسط وقد خففت ما عليها من الثياب وربطت ضفائرها كالعصابة فوق رأسها وحسرت قليلا من أذيال ثوبها وتناولت سيفا وطارقة وفعلت كما فعلت أنوش وقد كشفت زنودها فأرسلت نورا وبروقا شديدا اللمعان أخذا بأبصار الجميع وكاد يغيبون عن الصواب ولا سيما أنوش فانها اندهشت من إشراق جبينها وبياض زنودها ومن عملها وكانت لا تظن فى الأول أنها تحسن حمل السيف فرأت منها أنها قادرة على اللعب وعارفة بفنونه تديره بايديها برشاقة وخفة عجيبتين وتقفز من اليمين إلى الشمال كأنها الظبى النافر من الصياد . ومن ثم فاجأت أنوش وصدمتها فتلقتها

بصدر رحيب واخذتا فى القتال والمحاولة فى المجال . وقد تقدم معنا ان عين الحياة كانت عارفة بفنون الحرب عالمة ببعض ابوابها ذات قلب قوى وجنان جرى فاخذت باعمالها عقول الجميع ولا سيما الملكة تمرتاج فانها انعطفت خواطرها اليها وصار قلبها متعلق بها وخائفة من ان تخرج احداهما الثانية وكانت تسر عندما تراهما قد افترقتا للتنقل فى اطراف الساحة واللعب بالسيف والرقص فيه وشكرت الله انه قد جمع فيها كل الصفات وخصها ببياض وجه واشراق طلعة وهيبة ووقار حتى انه لم يكن بين تلك النساء واحدة قط تضاهيها فى حسنها فكانت ينبوع المحاسن التى اكتسبتها جميعهن فما من فتاة الا وتنظر اليها فى نفس تلك الساعة وهى مع انوش على مثل تلك الحالة غير ان انوش كانت ابسل واشجع وقد تعودت الغارات ومقابلة الرجال وخوض المعامع ورمى السهام حتى انه كان يندر ان يقاس بمثلها اشد الرجال بسالة ومع ذلك فقد تبينت فيها الاقدام فارادت مطاولتها وهى ماخوذة الابصار من اشراق جبينها وبياضها وعين الحياة تزيد فى عملها وتجود فى قتالها الى ان مضى عليها اكثر من ساعتين وحينئذ نظرت الملكة الى انهما قد غاصتا بالعرق فخافت من تعب عين الحياة ورثت لديها مقدرة انوش عليها وتغاضيها عن ان تظهر لها ذلك فامرتهما بترك السلاح والرجوع عن الساحة الى مركزهما وفى الحال اطاعتا امرها وعادتا اليها فقبلتا يديها وقبلتهما بمزيد الفرح والسرور وبعد ان جلستا امرت ان يقدم لكل واحدة منهما كاسا منعشا من الشراب المفرح للقلوب فشربتا واستراحتا وبعد ذلك امرت الملكة ان يتقدم من النساء من اراد فاخذت النساء تلعب فى تلك الساحة وترقص فى ميدان القتال بالسيوف على ما تعلمن عليها كل ذلك النهار ومن ثم امرت الملكة بالانصراف وان تذهب كل فتاة الى مقرها ليعدن فى الصباح الى ما يشابه هذا العمل

قال وكان الملك ضاراب كما تقدم قد خرج الى بين عساكره واخرج الموسقات الملوكية المتعددة وزين الخيام بالزهور والرياحين ورفع فوق كل صيوان علم فارسى واجتمعت الفرسان من كل ناحية ومكان يتهيئون ويتعددون للقيام بهذه الافراح بين يدى الملك وكلهم يدعون له بدوام الافراح ويهنئون فيروزشاه بزفافه مقدار ثلاثة ايام وفى صباح اليوم الرابع امر الملك ان ينتصب مضمار القتال ويتقدم بين يديه الفرسان والابطال ليدربهم بحسب معرفته وان يركب كل على جواده ففعل الجميع وركب الملك ضاراب فوق جواده كأنه البرج الحصين ورفع فوق رأسه العلم الفارسى الكبير وهو علم الاسد والشمس فاخذ يخفق رأسه اخفاق الهيبة والوقار وفيه من علائم الافراح والمسرات ما يبين للرائى انه مشترك مع القوم فيها . ثم

أمر الملك ان تضرب بين يديه الموسيقات ساعة من الزمان بالاستعداد للقتال كأنهم كانوا يتهيئون لقتال الاعداء. فجعلت الطبول تضرب والموسيقات تعزف كانها تنذرهم بوقوع القتال. ثم امر الملك ولده فيروزشاه ان يتقدم اليه ففعل وهو على كميته كانه الجبل الراسي وبعد ذلك دعا بهزاد فدنا منه ووقف بين يديه وهو ايضا على جواده الذي جاء به من مصر أى فرس البحر فدفع ليد كل واحد علما وقال ترأسا هذا القتال الاسمي كل منكما يكون فى ناحية وأوصيكما بعداوة القتال وان لا يظهر فيه احقاد وضغائن وان تتجنبا ان يؤذى احد من جماعتكما الآخر فليكن على سبيل اللعب والمزاح . ثم انه قسم الفرسان جميعهم الى قسمين تحت قيادة كل منهما قسما وترتبوا بعد ذلك على احسن ترتيب وأبهى نظام ووقف الملك ضاراب فى صدر الميدان وأمر الموسيقات أن تعزف بالالحان المهيجة وفى الحال هز فيروزشاه علمه واقتحم الرجال كانه الاسد الرئبال وفعل مثله بهزاد وكان تحت قيادة كل منهما الف فارس من فرسان ايران وابطالها فدامت الحرب على رحاها . واجتهدت الفرسان بما يزيد فى ارتفاعها وعلاها . واشتبك كل فارس باخر واخذ معه فى المحاولة . والمناضلة والمجادلة وبقية الابطال والفرسان . تنظر عن بعيد بالعيان . وتعجب من سرعة قتال رجال ايران . وخفة جريهم فى وسط الميدان . وانتقالهم كمروخ الجان من مكان إلى مكان . وبقى القتال على مثل هذا الحال الى الزوال . فاشار الملك ضاراب بضرب طبول الانفصال وان يرجع الفريقان من ساحة المجال فانفصل الجمعان فى الحال وجاءوا من الملك ضاراب فقبلوا يديه كل بمفرده وشكرهم على ماشاهده منهم فى ذلك النهار . وعاد الخيام والموسيقات بين يديه وتفرقت الأقوام لمناولة الطعام حيث ان الخدم قد هيئته ومن بعد ذلك أخذوا فى المرح واللعب والمزاح كل ذلك اليوم وفى الصباح أمر الملك بنصب ساحة الصراع والعراك بين الفرس والأبطال وانقطع ذلك النهار على تلك الحال وفى المساء عادوا إلى الخيام حسب العادة وفى اليوم الذى بعده رجعوا إلى الميدان وأمر الملك أن يأخذ القوم فى انتصاب ميدان لسباق الخيل وعين جوائز وحددها لمن يسبق فى الأول ومن يسبق فى الثانى وهكذا صرفوا إلى اليوم العاشر على مثل هذه الأحوال وبعد ذلك أمر الملك أيضا أن يبطل القتال وفروعه ويأخذ القوم فى الولائم وشرب الخمور والعقار والدفوف والرقص فى كل مكان وأن يكون الجميع مسرورين ولديهم من أسباب الحظ والهناء ما يكفيهم وقامت الأفراح فى كل ناح وعلت أصوات المغنين حتى ضج ذلك البر من أربع جهاته ورقصت المدائن والبلدان من الطرب والسرور وكان النساء أيضا على مثل هذه الحالة وأصواتهن مرتفعة إلى الجو

الأعلى فبعضهن يزغرط وبعضهن يرقص وبعضهن يصفق بالأيدى وغيرهن يضرب بالدفوف وكن من شرب العقار فى كل نهار يصبحن بلا وعى ولا إدراك فينطقن من مكان إلى مكان .

قال صاحب الحديث إنه فى كل صباح كان يذبح مائتى ألف رأس من الخرفان وتقدم لعمل الأطعمة للرجال ومثل نصفه للنساء فكان الجمع يأكلون ويشبعون من فضل الملك وخيره ويدعون له بدوام الأفراح والهناء وكان نحو عشرة آلاف نفس تطبخ الطعام وتصلح شأنه ونحو عشرين ألف تمد الموائد وتضع المآكل عليها وتفرقها فى النواحى وبعد أن يفرغ الناس من الطعام ترفعها وتعيدها وما بقى من المآكل يؤخذ فيوضع فى البرارى لتأكله وحوش البر وطيور الفلاة . ومثل هذا العدد كان قائما لتقديم الخمور والفاكهة كل ذلك عينه طيطلوس بحكمته ومعرفته وأوصى به بأن لا يترك أحد بدون إكرام من المدعوين الذين جاءوا بقصد حضور زفاف فيروزشاه لأنه ملكهم وسيدهم فيكونون بذلك راضين من الخاص إلى الدون ومن الصغير إلى الكبير وكان مثل هذا جار بين النساء والجميع يطلبون أن تطال تلك الأيام وتمد فلا تنتهى غير أن أيام الهناء على الدوام قصيرة تنقضى دون أن يشعر بها بعكس أيام الأكدار فانها ترى طويلة مملة لا تنقضى على المصاب إلا بعد اليأس والضجر . ولما قرب انقضاء تلك الأيام المذكورة وصارت على وشك النهاية أمر الملك طيطلوس أن يأمر بترك زين المدينة وتنويرها ليدخلوا اليها ويجروا ختام الزفاف فيها فوشر بهذا العمل الذى أمر به الملك . ولما كان اليوم الرابع عشر جلس الملك فى صيوانه على كرسيه الخصوصى وجلس إلى جانبه ابنه يرتاحون ذاك النهار عما كانوا عليه ولما استقر بهم الجلوس تقدم طيطلوس من الملك ضاراب فهناه بانقضاء هذه الأفراح على ما يرام وختامها شكر الجميع على مالاقوه من نعمه ثم أشار إلى فيروزشاه يمدحه ويهنئه ويقول :

أيا سيدا ما زلت أسأله لطفا	ويا ماجدا لم ألق حقا له اكفا
تنزهت شأنا واجتليت محاسنا	وحليت سمعى حيث صار له شنفا
لعمرك للعلياء أدركت يافعا	فهزت معانيها الحسان لك العطفا
وكم حزت من غارات خدر مسجف	بغيداء جيد قد أباحت لك الرشفا
فقابل حلاها بالقبول فانها	غريبة وصف فيك أعربت الوصفا
ودم بالهنا طول الزمان مشيدا	لدولة إيران تعززها لطفا
زفافك هذا اليوم حل قلوبنا	بأبهج أوقات نهز بها عطفا

فشكره الملك ضاراب على ذلك وأثنى عليه فيروزشاه وقبل يديه ثم تقدم بعده دوش الراى وفعل كما فعل طيطلوس ثم أشار أيضا يهنئه :

أجد غرامى وهو للجسم هازل وأحيى بأفكارى الورى وهو قاتل
ولم أر مثل حافظا سن الورى إذا أعرضت عنه الصدور المواثل
إذا أحدثت عينى لغيرك نظرة تطهرها غدران دمعى المراسل
لناظرك الفتان بالسحر آية عليها رسول الدمع فى الخد سائل
فتى عمرت منه المعالى ولم تكن تعمر عمن بان إلا المنازل
سراج لبيت الملك إذ هو مظلم وحلى لجيد الدهر إذ هو عاطل
وهو لدين الله سيف وناصر وفيه لبيت الله حام وحامل
أخو البأس والنعمى فاما حاسة وأما حسام صادق القول فاعل
إذا افتر ثغر البيض فى أفق كفه بكت سحب أجفان الجراح الهوامل
من القوم حلوا زورة المجد والتقى فهم فى سما العليا البدور الكوامل
يروغون من تحت الدروع كأنما تسير بهم تحت السروج الهياكل
أأجحدك النعماء عندى وقد نمت نمو الربى جادت عليه الهواطل
فدم لأيام المسرة رونقا يزيدك رب العرش ما أنت سائل
وعش بالهنا دهراً فسعدك ظاهر وجدك مسعود ومجدك كامل

وبعد أن فرغ دوش الراى من إنشاده عاد إلى مكانه بعد أن شكره الملك ضاراب وفيروزشاه ثم تقدم سيف الدولة صاحب ملاطية فهنأه بهذا الزفاف السعيد وشكر من إفضال الدولة الايرانية الفخيمة وإنعامها عليه وقربه منها ثم أشار بعد ذلك يهنىء فيروزشاه بما يأتى :

كوكب السعد بالنجاح أنارا وجلا عن صدورها الأكدارا
ودد الطرف فى وجوه تراها حسنات تكفر الأوزارا
وغصون تدق بماء نعيم قد أرتنى الشموس والأقمارا
وزوات تقدمت فاضاءت وأفاضت على الورى أنوارا
تنجلى عرائسا وعليها من جيوب الغمام تلقى نثارا
وترى الروض فى شباب وحسن جعل النور برده المعطارا
فتنشق من الربى نفحات مهديات ما يدهش الأبصارا
واغتنم صحبة الأعاظم واعلم أن فيهم قد نلتقى الافتخارا
وتمتع بمدح فرع كريم من أصول زكت علا وفخارا
فتراه فى السلم أحلم من كا ن وفى العزم صارما بتارا
قد محا ظلمة الخطوب صباح مسفر من جبينه أسفارا
أترانا نحتاج للمسك طيبا وثناه قد عطر الاقطارا

ان اباءه الكرام هم النا س جلالا ورفعة واعتبارا
ولهم غرس نعمة فى البرايا وهبات تدفقت أنهارا
وبحور السماح منهم أكف تطمم العنبر الرطيب النارا
واشترى منهم النفوس كريم ودعاهم أعزة أحرارا
أيها السيد . المعظم شأنا عزك الله رفعة واقتدارا
واهنأ اليوم بالزفاف ودم فى هـذه الدنيا تخجل الأقمارا
واقتل الوقت بالسرور زمانا فزمان السرور نحوك سارا

وبعد أن جلس سيف الدولة فى مكانه تقدم بعده الشاه سرور وقد شكره الملك ومدح من صهره ثم أشار يهنئه بهذه الأبيات :

هده ليلة السرور التى كل ولى بشـملها مسرور
وأنا اليوم فى طلابك كالدو لاب تجرى دموعه ويدور
وتمام السرور عندى ان أمـ كن من وجهك الجميل الحضور

فقام اليه فيروز شاه وقبل يديه وشكره على مجابرته وهو يحمد الزمان الذى قاده إلى الوفاق والرضا بينه وبين عمه ليكون زمن العرس رائقا ما من شىء يشوبه وبعد أن رجع الشاه سرور جلس على كرسيه وقلبه مملوء من الفرح والسرور . ثم تقدم بهزادشاه إلى نحو فيروزشاه فقبله وهنأه بالعرس وأشار يقول :

لا تخش يا ربع الحبيب همودا فلقد أخذت على العهاد عهودا
وليغنين فراك عن صوب الحيا صوب المدامع إن طلبت مزيدا
كم غادرت بفناك يوم وداعنا سحب المدامع منهلا مورودا
ولكم سكبت عليك وافر أدمعى فى ذلك اليوم الطويل مريدا
ولقد عهدت بك الظباء سوانحا بظلال شعبك والحسان الغيدا
وحملت اعباء الفراق وثقله فردا وحاربت الزمان وحيدا
ورعت أنجمه فاكسدت السها سقمى وأكسب جفنى التسهيدا
نجم تدين له النجوم خواضعا ملك تخر له الملوك سجودا
غشت بريك من السيوف بوارقا ومن الجياد زلازلا ورعودا
رأى يرى ما تحت أطباق الثرى وعلا تزيد إلى السماء صعودا
يا أيها الملك الذى ملك الورى فغدت لدولته العباد عبيدا
كم غارة شعواء حين شهدتها أعطيت فيها النصر والتأييدا
فى نارها كنت الخليل وإنما عند التماس حديدها داوودا

اخضبت وجه الأرض من جثث العدى   حتى جعلت لك الوحوش وفودا
زوجت أبكار العدا بنفوسهم   وجعلت أطراف الرماح شهودا
كفروا فآمنت الرؤوس لأنها   خرت لسيفك ركعا وسجودا
ضاقت على القتلى الفلاة بأسرها   فجعلت أكباد النسور لحودا
وجرت على الخيل الدماء مذالة   فكأنما كسيت بهن جلودا
يا ويح قوم أغضبوك بجهلهم   ورأو قريب الفتح منك بعيدا
وتحصنوا فى قلعة لم يعلموا   ان سوف تشهد يومها الموعودا .
حتى رميت حصونها بكتائب   شهب وقدت لها الجياد القودا
من فتية كسروا غمود سيوفهم   واستبدلوا قلل الرؤوس غمودا
نزعوا الدروع عن الجسوم وأسبغوا   فوق الجسوم من القلوب حديدا
مروا بها خزر العيون فارجفت   جزعا وكادت بالكماة تميدا
لو لم يورد خدها منهم حيا   جعلوا الدماء لخدها توريدا
قذفت بمن فيها اليك كأنما   علمتها من راحتيك الجودا
قالوا وقد وجدوا لبأسك رهبة   ومخافة تذر الفصيح بليدا
سألوا البقاء فكان مانعك الحيا   من أن يرى لك سائل مردودا
لو شئت ما أبقت صفاحك يافعا   منهم ولا تركب قناك وليدا
نبذوا السلاح مخافة لما رأوا   رايات جيشك قد ملأن البيدا
ظنوا السحاب إذا تشأن عجاجة   والبرق بيضا والرعود بنودا
سكروا وما سكروا بكاس مدامة   لكن عذاب الله كان شديدا
أوليتهم لما أطاعوا أنعما   لا نستطيع لبعضها تحديدا
فانظر تجد مع كل نفس منهم   من فيض برك سائقا وشهيدا
وصفا الزمان ونلت مرادكم   وجلت أياديك الليالى السودا
وفرشت فيما بيننا سرر الهنا   وجعلت وقت الحاضرين سعيدا
فاهنأ ونم متوسدا حجر المنا   أبقاك ربك بالورى مقصودا

ثم جلس بهزاد شاه فى مكانه وتقدم بعده فرخوزاد بن فيلزور البهلوان فهنا فيروز شاه بزوال البؤس وأيام الهناء وأشار يقول

أمولاى يا انسان عين زمانه   ومن شك فى هذا فليس بانسان
لقد جل ما أوتيته من فضائل   فضاق بتعدادى لا طوق امكانى
سررت بها أهل المودة والولا   ولكنها أودت بحاسدك الشانى
فاجهدت فى أوصاف قدرك طاقتى   وحاولت لمس النيرين فاعيانى

تفضل بصفح عن قصور مدائحى فوصفك لا ينهيه مثلى بتبيان
فانت ابن بيت لم يزالوا يقابلوا أساءه من يجنى بصفح وإحسان
لانتم بدور للعلوم وللندى إذا غاب بدر لاح بدر بها ثانى
بقيتم لعصر أنتم فجر ليله وفخر بنيه من صدور واعيان
ودمتم مدى الأيام بالانس والصفا بكثرة انعام وصحة أبدان
تقيمون أوقات السرور بنعمة تدوم وافراح وبشر واحسان

ثم تقدم بعده مصطفى شاه فقبله فى عارضيه وهناه تهنئة الأهل والخلان وأشار بمدحه وبطرح لديه تهانيه وأنشد

هزوا القدود وأرهفوا الأجفانا أو ما رأيت البان والغزلانا
وثنوا معاطفهم وقد لاحوا فهل أبصرت أقمارا علت أغصانا
وجلوا بروق مباسم ما أومضت إلا وأمطر دمعى العقيانا
وبمهجتى منهن خود خدها قد شاكل النعمان والسوسانا
حرست بأسود شعرها أعطافها وكذا الأساور تحرس الكثبانا
وجلت معاطفها الشهود ولم أكن شاهدت بانا أسمر الرومانا
ناديت مبسمها المنضد دره يا جوهرا كيف اعتديب جمانا
ودعوت بلبل خال ورد خدودها يا عنبرا أبدا حمى مرجانا
قسما ولولا أن ريقك قرقف ما مست يا غصن النقا نشوانا
والقضب ماسا فى الغلائل عندما صاغت أزاهرها لها تيجانا
وأصبح أظهر آية يمحو بها صبغ الظلام فخلته السلطانا
مولى إذا ملنا لبث صفاته كى نستمد الروح والريحانا
أملى علينا مجده فاذا انثنى همنا فلا ندرى الذى أملانا
متهلل طلق إذا وعد الغنى بالبشر أطبع بره الاحسانا
كالغيم ما سطعت لوامع برقه إلا وأهدت غيثه الهتانا
شرف اليه وبيت ملك شامخ بعلا الكمال يناله إيوانا
يقظان أبلج قد جلا بجبينه وحسامه الظلماء والاظعانا
ملك تشامخ ملكه فلاجل ذا أضحى الملوك لعزه عدانا
لا يستكن الرعب بين ضلوعه والليث لا يتخوف السرحانا
بطل إذا رمقت لواحظ سمره فرت لها ضم الكلا عميانا
كم ليث غاب صيرته فريسة أرماحه كى تقرى العقبانا
أمقتل الصيد الكماة برعبه لمن ادخرت السيف والمرانا

لم تكتسى أعداك إذ حاربتهم صاف الدروع بل اكتسوا أكفانا
عاودت أوجههم بحيث لقيتهم اقفاهم وعيونهم آذانا
وكان منطقه بصفحة طرسه زهر بروض نقط الغدرانا
من معشرهم فى الندا سحب وان جن الوغى فتراهم شهبانا
جعلوا السروج أرائكا لنزولهم والسمر قضبا والظبا خلجانا
والنبل نورا والحمام مطاعما والنقع روضا والعدا ضيفانا
صيد إذا غابت جفون سيوفهم جعلوا الطلا لسيوفهم أجفانا
وليهنكم فى الدهر ان سناكم سر القلوب وشنف الآذانا
خدم الزمان ركابكم فاخصكم بهنائه ووفاكم الاحسانا
أنا بهذا الدهر كوكبه نضى . على الملوك ترفعا ومكانا

وبعد أن انتهى مصفر شاه من كلامه رجع إلى مكانه فجلس وقام بعده كرمان شاه فقبل يد الملك وتقـــدم من فيروزشاه فقبله وهناه بهذا الوفاق السعيد وأنشد

أيا ملكا أحيى مكارم من مضى بحسن السجايا أو بيمن نقيبة
وانى وإن باكرت بالمدح منشدا لداع لعلياكم بمنح الدجنة
جواهر لفظ قد حلت وتكررت اليكم بها لا للأنام وسيلتى
فأنت ملاذى واعتمادى وغايتى وعزى وسلطانى وأمنى ومنيتى
وغوثى وفخرى وافتخارى وعدتى وكهفى ومطلوبى وكنزى وعمدتى
ولا زلت فى عز وجاه ورفعة ونصر وملك وافتخار وقدرة
ويسر وخير وارتقاء وعزة وأمن ويمن واقتراح وبهجة

انتهى الجزء السابع والعشرون وسيليه الجزء الثامن والعشرون

الجزء الثامن والعشرون

من قصة فيروز شاه بن الملك ضاراب

ودام ما رنت روض باحداق نرجس ومهما شدت ورق باعواد دوحة

ومن ثم قام خورشيد شاه وأشار يقول مهنئا ومادحا

يازهر روض يقتطف وهلال تم فى صدف
اشرب هنيا فالطلا أحلا شراب يرتشف
وانشق أزاهر روضة خلنا شذاها المقتطف
والثم ثنايا غادة حوت الملاحة والظرف
يا من علا أعلى الشرف إذ حاز بالنسب الشرف
أصبحت منهاج الهدى ونهجت منهج من سلف
أوضحت شاكلة الصوا ب فكنت عن سلف خلف
لو لم تكن روضا لما أبديت زهرا يقتطف
يا بدر مجد قد أضا وسحاب جود قد وكف
لازلت دهرك جامعا جمل المحاسن واللطف
ولقيت أسباب الهنا ووقيت دائرة التلف
ما مد زاخر راجز وأبان درا من صدف

وعاد خورشيد شاه محفوفا بثناء الملك وولده شاكرا التفاتهما وعنايتهما وبعد أن استقر به المقام نهض الخواجه اليان وقبل يدى الملك ثم قبل يدى فيروزشاه ومدحه على كرمه وجوده وقال له طالما ياسيدى كنت أنتظر مثل هذا اليوم السعيد الذى أتمكن به من أن أقف بين يديك وأهديك حق مالك على من الجميل والمعروف فأنت السبب الوحيد لاحياء اسمى وارتقائى ووجودى فى دواوين الملوك وبين أصحاب المقامات ثم أنشد يقول

فؤاد صبا لم يرجعنه حذار ووجد له بين الضلوع قرار
وشوق كمين فى الجوانح هاجه بعيد التأنى زفرة وآوار
ذكرت والذكرى ترجعها النوى غداة استقل الظاعنون وساروا
تناءوا وجسمى فى المعاهدة قاطن وصبرى يحدوهم وقلبى جار

وليل سرينا فيه والقلب ذاكر زمان التداني والدموع غزار
بكينا فأدمينا المحاجر حرقة وفاضت عيون دونهن بحار
ولما وصلنا للديار عشـــية وطاب لنا بعد البعاد جوار
لثمنا بها الأعتاب نبدي تحية وقد زاد منا عند ذاك وقار
وكحلت أجفاني بأثمد تربها فصحت وهل يشفي العيون غبار
ولولا ضياء من أغر ممجد لما لاح في قطر السماء منار
ولولا سطاه في الأعادي وبأسه لما سار في جو الحروب غبار
ولولا نداه إذ يؤمل آمل لما عم كل العالمين يسار
جوار له في كل يوم مواهب فليس لراج عن حماه فرار
يصول وفي أيديه سمر كأنها لظى طار منها المنون شرار
إذا جال في الميدان خلت غضنفرا على أجدل فيه العقول تحار
له أذنا سمع إذا صاح صائح تشوق لأوان عراه نفار
كأنهما إذ ذاك رأس يراعة مثقفة قد حرفته شفار
تسابقه ريح الصبا فيفوتها فيلحقها غيظ لذاك وعار
طليق المحيا قد يستهل حياؤه ببشر على حر الجبين يمار
فلو كان للبدر المنير بهاؤه لكان له وسط السماء قرار
ولو كان للبحر الخضم نواله لما كان في الدنيا فلا وقفار
فيا فارس الهيجاء دمت مكرما تقاد له طول الزمان مهار
ويا ملكا مالت اليه قلوبنا تهنى فان الانس فيك بدار
وجد لدخيل جاء يخدم بابكم بلطف به كل الأنام تحار

وبعد أن جلس الخواجه اليان مكانه ومدحه فيروز شاه على إنشاده وخلوصه ووعده بكل جميل ومعروف وانه سيكون عنده على الدوام معززا مكرما وتقدمته من بعده الفرسان والابطال والقواد واحدا بعد واحد وكل منهم يقدم له التهنئة ويمدحه بقصيدة ويعود إلى مكانه وكان بين كل مرة تضرب الموسيقى الايرانية بأنغام السرور والتهاني اجابة لطلب الملك ولما فرغ الجميع من تهانيهم له وما تقدم ذكره تذكر ما مر عليه وما عرض به رجال وخطر بباله مالاقى من الأهوال وكيف تغلب على كل الصعوبات التي حالت دون غايته إلى أن نال مراده وهو لايصدق أن ذاك اليوم يوم زفافه وخطر له ماجعله أن يردد منشدا

شفها السير واقتحام البوادي ونزولي في كل يوم بوادي
ومقيلي ظل المطيـة والترا ب فراشي وساعداها وسادي

وضجيعى ماضى المضارب عضب … أصلحته القيون من عهد عاد
أبيض أخضر الحديدة مما … شق قدما مرائر الآساد
وقميصى درع كأن عراها … حبك النمل أو عيون الجراد
وندىمى لفظى وفكرى أنيسى … وسرورى مألى وصبرى زادى
ودليلى حسن التوسم فى البيـ … ـد لبادى الأعلام والأطواد
وإذا ما هدى الظلام فكم لى … من نجوم السماء فى الليل هاد
ذاك انى لاقل الضيم نفسى … ولو انى افترشت شوك القتاد
هذه عادتى وقد كنت طفلا … وشديد على غير اعتيادى
فاذا سرت أحسب الارض ملكى … وجميع الاقطار طوع قيادى
وإذا ما أقمت فالناس أهلى … أينما كنت والبلاد بلادى
قد تبيت العلياء جهدا بجدى … وركوبى أخطارها واجتهادى
وبلفظى إذا نطقت وفضلى … وجدالى عن منصبى وجلادى
غير انى وان أتيت من النظـ … ـم بلفظ يذيب قلب الجماد
إنما مفخرى بنفسى وقومى … وقناتى وصارمى وجوادى
معشرا أصبحت فضائلهم فى الـ … ـأرض تتلى بألسن الحساد
ألبسوا الآملين أثواب عز … وأذلوا أعناق أهل العناد
كم عنيد أبدى لنا زخرف القو … وأخفى فى القلب قدح الزناد
ورمانا من غدره بسهام … نشبت فى القلوب والأكباد
فسرينا اليه فى أحجم السمـ … ـر بغاب يسير بالآساد
وأتينا من الخيول بسيل … ساق فوق الهضاب قبل الوهاد
وبرزنا من الكماة باطوا … د حلوم تسرى على أطواد
كلما حاولوا الهوادة منا … شاهدوا الخيل مشرفات الهواد
وأخذنا حقوقنا بسيوف … غنيت بالدما عن الاغماد
فكأن السيوف عاصف ريح … وهم فى هبوبها قوم عاد
ولئن فلت الحوادث حدى … فلقد أخلص الزمان انتقادى
ولقد نلت من منى النفس مارمـ … ـت وأدركت منه فوق مرادى
وتحققت إنما العيش أطوا … ر وكل مصيره لنفاد

وانقضى ذاك النهار على مثل تلك الحال يظهر كل لفيروز شاه هناءه وسروره بهذا الزفاف السعيد وعند المساء قال الملك ضاراب لوزيره ولبقية أمرائه وأعيانه اننا قد صرفنا أربعه عشر يوما فى هذا المكان على الحظ والهناء دون أن يرسل لنا الله ما

يكدرنا أو يبعث علينا أمرا نكرهه ولذلك أرى من الواجب أن نجعل يوم غد هو اليوم الأخير يوم صلاة وصوم وعبادة لله عز وجل لنقدم له شكرنا وشعورنا برحمته وعدله والتفاته الينا منذ البداية إلى النهاية فهو الاله الواجب علينا التمسك باذياله ورحمته إلى الأبد لأنه وإن نسيناه أياما فهو لا ينسانا قط بل ينظر إلينا ويساعدنا فى كل دقيقة وساعة . وعليه فليكن معلوما عندكم ذلك لتكونوا على استعداد لمثل هذا اليوم الذى هو عندنا من أم الأيام وأفضلها وبدونه لا يمكن أن ينتهى زفاف فاجاب الجميع طلبه وعرفوا اضطرارهم إلى ذلك كون قلوبهم كانت مملوءة من حبه تعالى وخوفه . وبعث الملك بامره إلى الملكة يأذنها أن تصرف نفس ذلك اليوم على هذا النمط المتقدم ذكره لتكون العبادة عبادة وهكذا كان فان اليوم الخامس عشر صرف بالشكر لله والصوم والصلاة حتى كان فى كل مكان وفى كل جهة ترتفع الأصوات بالصلاة فلا يسمع غير ذكر الله سبحانه وتعالى وتردد اسمه طول ذلك النهار إلى أن انقضى إلى مسائه وعند المساء تناولوا الطعام مشعرين برحمته تعالى وبقبول صلاتهم لديه وبعد العشاء جاءوا إلى صيوان الملك واجتمعوا حواليه فامرهم أن يكونوا فى صباح الغد على استعداد للدخول إلى المدينة حيث انقضت أيام الأفراح فى الخارج وان الذين يدخلوا هم الأعيان والأمراء والقواد فاجابوه إلى طلبه ثم سال الملك طيطلوس إذا كان قد انتهى العمل من زينة المدينة وتنويرها . فاجابه ان هذا قد انتهى عمله إذ أن العاملين قد حضروا اليه وأخبروه بذلك . فسر الملك منه وباتوا تلك الليلة على نية الذهاب إلى المدينة فى الغد .

قال وكان للمدينة أربعة وعشرين بابا كبيرا أقيم على كل باب قبة من النحاس الأصفر وعلى أعلاها دواليب تدور حاملة الأنوار تديرها معها وعلى عواميد القبة قناديل من الزجاج الكثير الالوان ما بين أحمر وأخضر وأصفر وما شاكلها وهى محاطة بفروع الرياحين الحاملة الازهار الحمراء والبيضاء والصفراء ومثل ذلك كان أعلى كل باب وجانباه أى أنها كانت مغطاة بالرياحين وفى وسطها الانوار المختلفة الالوان وفوق كل باب ثلاثه أعلام كبيرة فارسية واحد فى الوسط وهو الاكبر وإلى جانبه اثنان أصغر منه ومثل هذا كانت جميع أسواق المدينة وقصورها فقد علقت عليها القناديل الملونة تحيط بها من كل جهة بحيث تغطى جدرانها فلا يرى منها شىء البتة سوى القناديل المذكورة وكان قصر الملك ضاراب هو القصر الكبير فى المدينة وكان موقعه فى وسط المدينة تماما ولهذا علقت القناديل مرسلة من كل باب من أبواب المدينة إلى القصر المذكور أى أنه ربطت حبال طويلة مرسلة من الابواب إلى أعالى القصر المذكور وعلق فى تلك الحبال القناديل وأخذت التدابير اللازمة فى كل

الجهات التنوير فى أثناء الليل وأمر طيطلوس أن تفرش أسواق المدينة من قصر
الملك ضاراب إلى قصر زوجته القائمة فيه مع البنات بالمنسوجات العجمية الثقيلة التى
هى من نوع السجادات ومن قصر الملكة أيضا إلى قصر ولدها فيروزشاه بحيث لا تمشى
العروس إلا على السجادات فلا تدوس بأرجلها الأرض أو بلاط الأسواق وأن تزاد
الأنوار فى تلك الطرقات وتحف بالزهور والرياحين من كل جهاتها وكان كل ما أمر
به ودبره وقد انتهى بوقت قريب لان كل ذلك قد تهيأ منذ دخولهم المدينة قبل اتيان
الملكة الى حين العازة اليه

قال وفى صباح اليوم السادس عشر نهض الملك ضاراب فركب على جواده
وأمر الأمراء والشاهات أن تركب وتنزل المدينة فركب الجميع وساروا بعد أن أوصوا
العساكر بالمحافظة على السكينة ومداومة الأفراح مدة ثلاثة أيام أخر لوحدهم أى إلى
اليوم الأخير الذى ينتهى به زفاف فيروز شاه على عين الحياة وكذلك زفاف بقية
الأمراء وعين لهم ما هو من أسباب هذا الهناء ليدوم عندهم الثلاثة أيام المذكورة
ونزل محفوفا بكبراء قومه حتى دخل المدينة معهم وكلهم يتعجبون من هذا الترتيب الذى
تقدم ذكره ومن عمل طيطاوس ورسمه الذى كان يرسمه للعاملين والشاغلين بمثل هذه
الأمور ودخلوا قصر الملك فوجدوه مفروشا بالمفروشات الجديدة الذهبية والحريرية
كلها جديدة كانت قد هيئت منذ أشهر لمثل ذاك اليوم وكذلك الأوانى وبقية الأثاث فانه
كان جديدا ومن الدرجة الأولى فى الحسن والاتقان وغلاء الثمن وكانت كل حيطان القصر
من الداخل مغطاة بالسجادات الفارسية الملكية التى كانت تشغل للملوك وهى التى أحضرتها
معها الملكة من إيران استعداد لمثل هذا اليوم فقدمتها لتفرش فى قصور الفرسان وقصر
الملك وكانت كرسى الملك مجللة بوشاح من الذهب وعليها أى على مكان جلوسه فيها قماش
من الحرير الناعم جدا محشو من ريش النعام الناعم أيضا وهكذا كانت إلى جانبه كرسى ولده
صاحب هذه القصة وعريس ذاك الاحتفال وكانت كامل كراسى الأمراء تقاربها فى الشكل
والهيئة إلا أنها كانت أصغر منها مقدارا ولما دخل الملك واستقر به المقام قال لرجاله وأمرائه
فليذهب الآن كل منكم إلى مكانه يأخذ لنفسه الراحة ويبيت هذه الليلة على سرير
الهناء على أمل أن تعودوا الينا فى الغد فيكون الغد مخصوصا لزفاف ولدى على جهان
افروز فى مسائه واليوم الذى بعده يكون زفافه على عين الحياة بنت الشاه سرور
وكذلك يكون زفاف بقية الأمراء فى نفس اليوم المذكور وهو الذى كنت أنتظره
منذ سنين وأعوام أنا وبقية قومى ورجالى وكثير من العالم أيضا المحبين لنا الراغبين
فى مصلحتنا فأجابوا طلبه وذهب كل إلى مكانه وكان فيروزشاه يرى من نفسه انقباضا

وكدرا فاستأذن من أبيه أيضا وذهب إلى قصره الخصوصى فوجده على أبهى وأتى ما يكون من الحسن والرونق يزيد قصر أبيه إتقانا وجمالا غير أنه لم يفكر بذلك بل كان يرى من نفسه غيظا وكدرا كيف أنه يزف على جهان أفروز قبل عين الحياة مع أنه لايفضلها عليها ولايرغب فيها وكيف يمكنه أن يعيش معها كل تلك العمر وهى تطلب مفارقة عين الحياة ومزاحمتها فيه ويذم الزمان الذى جاءه بها وأوصلها اليه مع انه كان فى غنى عنها ومابعثت اليه إلا لتمزج فرحه بأكدار وكان أكثر همه وغيظه عندما يفكر أن عين الحياة ستتكدر فى الغد إذا شعرت بزفافه على جهان أفروز فعلا ودخوله بها وأنها مهما كانت كريمة الأخلاق لابد أن تتأثر من ذلك إذ أن الطبيعة النسائية تتغلب عليها وتجبرها إلى أن ترى من نفسها أنها اتخذت شريكا به فتلعب بها الغيرة وتمسى عرضة للغيظ والحنق . وأكبر شىء كان يكدره ماسبق منه من الوعد لجهان أفروز مع أنها لم تلاق فى الحب مالاقته هى ولاتحملت لأجله ما تحملته من المصائب والأهوال والتشتت من مكان إلى مكان حتى أصبحت فى أقصى ممالك العالم وأبعدها مشقة عن بلادها . وكثيرا ما فكر فى الاحناث بوعده ورجوعه عن محبة جهان أفروز إلا انه يرى اضطراره إلى ذلك إكراما لأختها المرهفة ولوعده لها بأنه سيدخل عليها قبل عين الحياة . وصرف كل تلك الليلة بمثل تلك الأفكار إلى أن استقر أخيرا أن يبقى على ماهو عليه وأن يقوم بصادق وعده حفظا لشرفه وناموسه وانه متى اجتمع بعين الحياة يعتذر اليها وهى من نفسها تعلم أنه لا يحب جهان أفروز بتعشق ولايميل اليها قط من ذاته وتعلم أيضا أنها مالكة لكل قلبه وحدها دون غيرها وأن لا يسر مزيد السرور إلا بالاجتماع بها والتقرب منها وهذا الفكر أراحه وقال سوف بعد ذلك تظهر الأيام لها ما يجعلها بأمان واطمئنان وسترى بعد هذا الزفاف خلوصى لها واعتنائى بها أكثر من تلك .

هذا وكانت تمرتاج الملكة قد دخلت المدينة بعد نهاية احتفالها بمن معها من النساء والبنات وتفرقن عنها كل إلى ناحية وأخذت إلى قصرها البنات اللاتى عندها من قبل ودخلت القصر وأقامت فيه ذاك النهار تصلح شأن جهان أفروز لعلمها أنها ستزف فى اليوم الثانى على ولدها وهيئت لها كل ما تحتاجه وأخرجت لها ملابس العرس وجعلتها على أتم الاستعداد ودبرت من بعدها شان الباقيات على أمل أنهن فى اليوم الذى يكون بعـــده يكون زفافهن على الأمراء وكانت أفرحهن جهان أفروز لأنها فكرت فى أن تكون هى مقدمة عليهن وعلى عين الحياة وأنها عن قريب تنال غايتها وماكانت تتمناه من فيروز شاه وصرفت كل هذا منذ رأته فى الاسكندرية إلى هذا اليوم على الأمل والرجاء تنتظر هذا اليوم لتحسب من نفسها أنها زوجة له

وقد قربت إلى نوال غايتها وحازت السباق على الجميع وأعد لها يوما مخصوصا وباتت على فراشها بالسرور والفرح تتمنى انقضاء تلك الليلة لتكون فى اليوم الثانى مع فيروز شاه وكانت حالتها هذه بخلاف حالة عين الحياة التى شعرت فى ذلك اليوم بعظم الغيظ والكدر من مسابقة جهان أفروز لها إلى حبيبها وأثرت فيها هذه الحالة ولعب بها نوع من الغيرة والحسد ولو لم تر سلوى من نفسها لانفطرت مرارتها وانشق فؤادها وأصيبت بالجنون لكنها قالت فى نفسها ماذا يا ترى أقدر أن أعمل اليس هو نفسه يقبل ذلك ويسرنى أن أفعل غايته وارادته وانى أعرف معرفة أكيدة أنه لا يفضلها على ولا يحبها بقدر حبى عنده والبرهان أن كل قلبه عندى وطالما وجه إلى بأمياله وأعرض عنها وقال لى انى أنا التى سأصبح ملكة إيران ويقدم التاج لى وحدى وأشاركه فى حياته وملكه وهذا دليل قوى على ارتفاع منزلتى عنده على سواى وهو يحبنى بخلوص زائد ولا يمكن أن يرجع عن حبى . قد عاهدنى ولا يكذب قط بعهده ولا يرجع عنه كيف لا وقد لاقى من أجلى عذابا من أشد العذابات وأصعبها ورمى بنفسه مرات كثيرة إلى المهالك والمخاطر طمعا باستماع كلمة منى أو أملا بنظرة من وجهى على أن هذه الدخيلة لم تكن ولا وقعت من أفكاره ولا سعى وراءها قط بل هى سعت وراءه وطلبته فهى التى تعشقه وليس هو الذى يعشقها . ولما فكرت أخيرا أنها هى المعتدية لم تقدر أن تضبط نفسها من زيادة الحنق منها والغيظ من مزاحمتها واجتهدت كثيرا أن تطرد عنها هذه الأفكار وتتسلى عنها بغيرها فلم يطعها قلبها بل أخذ فى أن يحارب أفكارها ليتسلط على تعلقها ليفهمها أنها بشر وأنها من جملة النساء اللاتى تفعل بهن الغيرة إلى حد الجنون كما تفعل بالرجال أصحاب النخوة والمروءة إذ لا يقدرون على السماح لأحد أن ينظر إلى نسائهن وكانت حرب قوية قائمة داخلها بما أقلقها كل تلك الليلة ولم يأخذها نوم قط وأخيرا قالت لا خلاص لى من هذه الورطة الوبيلة إلا بالاتكال على سيدى ومخلصى فيروز شاه فسوف أعرض عليه أمرى وأسأله أن يتسبب بابعادها عنا فلا تكون على الدوام مزاحمة لى به ومن ثم يكون لى وحدى . وما من مخاصم به ولا شريك يحاسبنى وقد صدق من قال

تركت حبيب القلب لا عن ملامة ولكن جنى ذنبا يأول إلى الترك

أراد شريكا بالمحبة بيننا وإيمان قلبى لا يميل إلى الشرك

وذلك مشهور فى كل نفس انثى كانت أو ذكرا وما لزوم للبحث عنه والأخذ فيه وما من أحد يلوم عين الحياة على مثل هذه الأفكار الصادرة عن قلب مملوء بالحب والخلوص . وعندما فكرت بالاتكال عليه ارتاحت نوعا وصبرت إلى حين الاجتماع به فتعرضه عليه . وكانت هذه الأفكار ليست تشغل فقط فيروز شاه وعين

الحياة بل كانت موضوع بحث واهتمام عموم أمراء إيران وشاهاتها ومنهم فى تلك الدعوة يتعجبون من وقوع هذا الأمر الذى وقع بالصدفة فالجأ فيروزشاه إلى أن يتخذه زوجة قبل عين الحياة ويزف عليها قبلها وهى تنظر وترى .

قال ولما كان صباح اليوم الثانى من دخولهم المدينة نهض الجميع من مراقدهم ولبسوا ملابسهم النظيفة وجاءوا قصر الملك ومثلهم فيروزشاه فانه نهض متكدرا من نفسه وخرج إلى قصر أبيه ودخل عليه وقبل يديه وجلس وهو منقبض وظهر من حالته أنه غير راض من هذا الزفاف كل الرضا ولم يخف أمره على أحد إنما كان ذلك بالقضاء والقدر والصدفة العجيبة . ولهذا أمر الملك الموسيقات أن تحضر إلى قصره فى الحال وأن تقام فى المدينة كل أسباب الزينة واللهو وأن يطرب الجميع وأن تدار الخمور على الحضور قاصداً بذلك أن يلهى ولده عن حالته لجرى ذلك وأخذ الفرح يدور على الجميع كأنه مكلف من نفسه إلى ذلك لا يأتى بالغرض المطلوب لا من فيروزشاه ولا من رجاله الذين كانوا يفرحون لفرحه ويتكدرون لكدره ولحظ هو من نفسه المركز الواقع فيه وأنه محتاج إلى طرد هذه الأفكار من رأسه وإظهار كل سرور وفرح حبا بقومه وأقاربه ومن حواليه فجعل يضحك ويفرح دون أن يقدر على إخفاء ما يظهر على وجهه من الأدلة الظاهرة . وعلى ذلك طلب الملك ضاراب من طيطلوس أن يقنع ولده بترك هذه الأوهام من رأسه وأن يبين له وجوب القيام بالعرس بفرح وطرد كل هم وكدر يطرأ عليه . فتقدم طيطلوس منه وقال له إن حالتك هذه التى ترغب أن تخفيها هى ظاهرة للعيان وقد لحظها منك كل من هو فى هذا المكان ولا سيما أبوك . وهذا عين الغلط منك وإن كنا نعلم أنك صادق الحب لعين الحياة فقد استدللنا منك أنك كاره فى هذا الزفاف على جهان أفروز مع أنك وعدتها به وعدا فارسيا ولا يمكن الرجوع عنه قط وأنت تعلم أن الله سبحانه وتعالى قد سمح للرجال أن يتخذ الواحد منهم أكثر من زوجة لأنه خلقهن للتعاون لنا والتعاضد وسلطنا عليهن وسلم بأيدينا زمام أمرهن وجعلهن وسيلة لنعمتنا وعلة كبرى لاحياء جبلته التى خلقها وأوجدها بحيث تكاثر وتتناسل والسبب الوحيد فى منحنا هذا الامتياز بأن الرجل يقدر أن يأخذ أكثر من واحدة بوقت واحد رغبة فى إكثار النسل بحيث أن الرجل إذا اكتفى بواحدة ربما تكون عاقرة لا تلد قط فيلتزم إلى أخذ غيرها لاحياء نسله وإيجاد من يقوم بمصالحه بعده وإذا اتخذ اثنتين أو ثلاث وكن كلهن ولودات كان ذلك أفضل وأحسن فى عينى الله سبحانه وتعالى لانماء خليقته وهذا السبب الوحيد فى خلقه للنساء مع أمور أخرى كثيرة ضرورية لارتباط الرجل بأكثر من زوجة يعرفها كل إنسان . فاذا كان الله سبحانه وتعالى

منحنا هذه السلطة وخيرنا باتخاذ النساء فلا تتكدر من حكمه علينا بهن ومن اللازم اللازب الآن أن تسر سرورا عظيما لعلمك أن لابد من زفافك على جهان افروز ولا تقدر أن ترجع عنه وأنت ساع فيه وأنها ستصبح فى نهاية هذا اليوم زوجتك من لحمك ودمك فقال فيروزشاه إنى أعرف ذلك غير أنى لا أحب أن أسر بزواج هذه كسرورى بزواج عين الحياة وكما أن الله سبحانه وتعالى منحنا السلطة ولم يحرم علينا أن نتخذ أكثر من واحدة كذلك خيرنا فيهن ولم يمنعنا من تفضيل بعضهن على البعض وليس من العدل أن أكون بزفاف جهان افروز على حالة كالحالة التى يجب أن أكون بها يوم زفاف عين الحياة ومع كل ذلك فانى أفعل إرادة أبى وأسلم بأمرى اليه تعالى أن يرى التعزية بقلب عين الحياة كى لا تكون غيورة من هذه الدخيلة . ومن تلك الساعة أخذ أن يتدرج إلى مساواة قرمه بالفرح والسرور والغبطة والحبور مؤملا أنه لا بد من مضى ذاك النهار وتلك الليلة وإتيان الغد فيزف على عين الحياة .

قال وصرف ذاك النهار بالحظ والمسرات التكليفية والمآكل والمشارب إلى أن كان المساء فأشعلت المدينة بالأنوار ولعبت فى آفاقها الأنوار النارية من كل مكان وقام الغناء فى كل ناحية . ثم نهض الملك ضاراب وأمر أن ينهض الجميع ويسيرون إلى قصر الملكة لاجراء الزفاف فيه وكتابة العقد فنهضوا جميعا وساروا إلى قصر الملكة وكانت جهان افروز قد تزينت بأفخر الملابس التى كانت قد أعدتها لمثل ذلك اليوم وهى من صنعة الجان تكاد تدهش الأبصار بما زاد فى حسنها وجمالها حتى كانت فتنة للناظرين وبهجة للرائين ولما رآها فيروزشاه كاد يؤخذ بذاك الجمال الباهر ولولا تعلقه التعلق الشديد بعين الحياة لاتخذها معبودا له إلا أنه صبر على نفسه وقال هى ليلة فتنقضى وفى الحال نهض طيطلوس فأخذ العروس وقدمها من الملك فقبلت أيديه وأيدى الملكة وهى لا تقدر أن تصف عظم الفرح الواقعة فيه وبعد ذلك قدمت من فيروزشاه وكتب عقد الزفاف على النسق الفارسى المعروف عندهم فى ذلك الزمان وحينئذ تقدم الجميع فهنأوا فيروزشاه وكانت الملكة قد أعدت المعدات اللازمة عند اجتماع الآتين اليها فامرت أن يقدم لهم الشراب ونحوه وبالاختصار بعد أن صرفت السهرة فى قصر الملكة أمر الملك أن يسير ولده إلى قصره محفوفا بالأمراء والعظماء وان الموسيقات تعزف اما مه إلى حين وصوله إلى قصره ومن ثم يرجعون عنه إلى مساكنهم ليرتاحوا تلك الليلة إذ ان فى تلك الليلة التى بعدها يكون امرهم طويلا وسهرهم كثيرا وفرحهم اعظم عظما . وهكذا كان فان الجميع ساروا بين يدى فيروزشاه الى قصره حتى دخله ومن ثم تفرقوا عنه وذهب كل الى مكانه ودخل فيروزشاه وهو وحيد مع جهان افروز ورأى من نفسه انها صارت زوجته شرعا وانه مضطر ان

يعاملها كمعاملة الزوجات فأخذها اليه وترحب بها وكانت عنده طول تلك الليلة وقد صرفوا ليلة هناء لم يصرف مثلها فيروزشاه منذ خلق إلى ذاك اليوم وبعد أن نال كل منهما هناء على أحب مايرغب تكرارا وانبثق نور النهار وأخذ الصباح فى أن يتقدم حينئذ نهضت جهان ،أفروز فقبلت يديه وقالت له اعلم ياسيدى أنى أريد أن أطلب اليك أمرا ولا أحب أن تمنعنى منه قط لأنى صرت الآن فى يدك وتحت أمرك ومسئولة بك وبراحتك . قال قولى مهما أردت فانى لا أمنعك من أمر تريدينه . قالت أحب أولا أن تقسم لى بحياة أبيك ومحبة عين الحياة لا تمنعنى منه فأقسم لها بطلبها . فقالت له اعلم ياسيدى أنى كنت أتحرق وقتا طويلا على مثل هذه الليلة وقد نلتها كرامتك ولطفا واذ كنت أحب عين الحياة كما تحبها أنت وقد تعلق قلبى بهامثلك ولما وجدت فيها من كرامة الأخلاق ورقة الجانب لاسيما وهى نفسها التى سبقت فقبلت أن أكون زوجة لك قبلها وقد قبلت أنت بعدها ذلك بالرغم عن احساساتك وإرادتك فأنت معذور على كل حال لأنك عاهدتها قبلى وأخلصتها الود واختزتها منذ عدة سنوات شريكة لحياتك وزوجة بيتك فوجدت من نفسى ثقلة عظيمة لاأقدر أن أتحملها قط وكنت مرارا كثيرة أفكر فى أن أرجع عن طلبى وأبعد عنك فلا أكدر عيشتك بها ولا أكدر عيشها بك ولا أكون بينكما علة كدر غير أن حبى كان يمنعنى وتطلبات قلبى لاتطيعنى أن أرفض سعادة أعدها لى الزمان واختارتها لى الصدف فالتزمت أن أصبر لبعد هذه الليلة بحيث نلت مرادى وأطفيت تلك الجمرات التى كانت تتسعر بنيران حبى لك حتى صرت أقدر ان أقول

وأقول للعذال موتوا حسرة   هذا الحبيب وها أنا المتمتع

وأرى من ذاتى الآن وإن كنت اعد نفسى منك بلذة عظيمة وبسعادة عيشة أبدية بالقرب اليك والنظر فى وجهك غيرأنى سأتغلب على أميالى فأقهرها ترضية لعين الحياة وخدمة لك وأسرعنكما إلى بلادى وماذلك الالأكون كعين الحياة كريمة الأخلاق فأترك لها من تحبه ولاأقبل أن تكون أعظم منى كرامة ولاأريدمنك أن تمانعنى فى ذلك . قال كيف يكون ذلك بعدأن صرت زوجتى وأصبحت مضطرا للمحافظة عليك . قالت انت أقسمت لى فلا يمكن أن تحنث بقسمك وترجع عنه وانى أقسم لك بحبك الذى هو أفضل ماأعتبره فى هذه الدنيا انى أبقى محافظة عليه وأصون نفسى حتى انقضاء عمرى وأبقى غير ذاكرك لاأذكر فشعر فيروزشاه كأن حملا عظيما سقط عن قلبه ووجد فى داخله راحة كبرى وقال لها حيث أقسمت لك فلا بد من القيام بقسمى فلا أمنعك شيئا تختارينه قط ثم ودعها وودعته الوداع الأخير وخرجت من أمامه باكية العين حزينة القلب وسارت إلى

بلادها لاتعود فيما بعد ولا تذكر في هذه القصة . وبعد أن ذهبت من أمام فيروزشاه تأثر لرحيلها وحزن حزنا مؤقتاً لأنها على كل حال صارت من لحمه ودمه وعرفها معرفة الزوج للزوجة وبقى نحواً من ساعة على حاله إلى أن أشرقت الشمس فنهض من فراشه ولبس ثيابه وإذا بأبيه قد دخل عليه مع طيطلوس الحكيم ودوش الراى ليهنئوه بما مضى عليه فلاقاهم وترحب بهم وأخبرهم بما كان من جهان أفروز وأنها اختارت الرحيل إلى بلادها وأنها لاترجع فيما بعد اليهم فتأثروا من ذلك الا أنهم قالوا إن الخير في بعدها لعين الحياة وانك وقد نظرت موضع النظر وفعلت الفعل الجميل الحسن . ثم أقاموا في قصره نحو ساعة وخرجوا وذهبوا إلى الملكة فأخبروها بما تقدم ففرحت وأخبرت عين الحياة وذهب الملك إلى قصره لقيام عرس إبنه في ذاك النهار وبقية الأمراء وزفافهم على البنات في تلك الليلة

قال وبعد أن ذهب الملك من قصر ولده نهض فصلى لله وهو مسرور بما سيلاقيه في ذاك النهار ثم دخل غرفة اللبس فأفرغ عليه ثوبا محلى بالذهب مرصعا بالألماس والياقوت مخرجا بالأخرجة الذهبية في كل جهاته وأخرج سيفا بجوهر امصفحا بالذهب مرصعا أيضا بالحجارة الكريمة من أعلاه إلى أسفله فتمنطق به في وسطه ووضع على رأسه قبعة من الذهب الخاص في أعلاها جمة من الجوهر محاطة بشعاع ذهبي حتى أصبح من رأسه إلى قدمه محاطا بالذهب ولما انتهى من لبس ثيابه تقدم أحد خدمه وأخبره أن الموسيقات عند الباب بانتظاره وقد أعد له جواده الكمين للركوب ليسير إلى قصر أبيه فخرج إلى الخارج وإذا به بالجواد مسرجا بسرج من الذهب الخاص المرصع بالحجارة الكريمة أيضا فركبه وفي الحال ضربت الموسيقات أمامه بألحان التهانى وكانت طوائف من العساكر واقفة إلى الجانبين صفوفا من قصره إلى قصر أبيه فحين ارتفاعه على ظهر الجواد ضج الجميع وصاحوا بصوت واحد فليحى فيروزشاه وليهنأ ملكنا ورفعوا بسيوفهم علامة للسلام له فسار بتلك العظمة والاحتفال وهو يحيى رجاله عن الجانبين وهم يدعون له بالنصر وطول العمر والاقبال وبقى سائرا وكان كما تقدم أرض الطريق مفروشة بالسجادات العجمية حتى وصل من قصر ابيه فنزل عن جواده وإذا بطيطلوس ودوش الراى ينتظرانه في الخارج وعليهما الملابس الرسمية الذهبيه والوسامات الفارسية تلمع عليهما ولما دخل باب القصر تقدما منه ووضع كل منهما يده تحت ابطه وسارا به إلى باب قاعة الجلوس فخرج ابوه الملك ضارا إلى ملاقاته عند بابها وعند ما رآه خر ساجدا بين يديه وقال له امنحنى البركة يا ابى فرفع يديه فوق رأسه وقال له فليباركك الرب يا ابنى وليكن فرحك كاملا ولتحى بأيامك دولة الفرس ثم رفعه وقبله فقبل يديه وسار كل إلى كرسيه وجلس

عليها . وبعد أن استقر به الجلوس أمر الملك أن تسير الموسيقات إلى قصر ابن عمه كرمان شاه وأن يؤتى به على مثل هذا الاحتفال ففعلوا وجاءوا به مكرما معظما فدخل على الملك وقبل أياديه وقبل فيروز شاه فقبله وكان عليه من الملابس الرسمية الذهبية ما هو من ملابس الملوك وبعد أن جلس أتى بمصفر شاه ومن ثم بخورشيد شاه وفرخوزاد وكلهم بالملابس الرسمية الملوكية واجتمع فى القاعة الشاه سرور والشاه سليم وسيف الدوله والجميع عليهم ثياب الأفراح وكذلك بهزادفانه لبس ملابس أبيه المختصة به كلها من الذهب الوهاج ووضع على رأسه القباء الأخضر المذهب الذى أنعم به عليه الملك وبالاختصار أن تلك الغرفة كانت مملوءة من الذهب بما لا يثمن بثمن ولا يقدر بحساب وبعد أن تم اجتماع الجميع أمر الملك أن ينهضوا إلى مائدة الطعام فقاموا وأكلوا حتى اكتفوا وكانت المائدة وما عليها من الذهب الخالص ثم رجعوا إلى مراكزهم وجلسوا على كراسيهم فأمر الملك أن يدار عليهم الخمر والنقولات وان تضرب الموسيقات باصواتها المفرحة وأن يغنى المغنون وان يصرف بعد ذاك النهار بأعظم ما يكون من اسباب الفرح والسرور وهكذا صار . وكان فيروز شاه فرحا جدا تطفح على وجهه فى كل دقيقة علائم المسرات والاستبشار وهو يحيى الجميع ويظهر منتهى سروره وفرحه بما هو فيه وهذا الذى كان يزيد فى سرورهم ويبرهن إلى أبيه وإلى الجميع خلوص وده لعين الحياة وانه يحبها محبة لا تقاس بها محبة حتى اصبح معنى الحظ والفرح بخلاف اليوم السابق فانه كان غير مسرور من نفسه . وانقضى ذاك النهار على مثل تلك الحالة والجميع فى بسط وانشراح ولا سيما فرخوزاد وكرمان شاه ومصفر شاه وخورشيد شاه وبهمنزار فيما فان كلا منهم يعد نفسه انه سيلاقى بعد ساعات قليلة حبيبته ويذهب بها إلى خلوته وتنقضى تسولات غرامه وهم يرفسون بارجلهم ذاك الوقت القصير الضيق

ولما كان المساء اشتعل ذاك القصر بالانوار من كل جهاته ومثله المدينة بأجمعها حتى لم يعد يرى قط بيت او سكن او قصر كبيرا كان او صغيرا دون تنوير من الخارج من الأعلى إلى الأسفل كل هذا والموسيقات تضرب من كل الجهات على حسب ما تقدم وكانت الملكة تمر تاج قد سألت الملك أن يتناول الطعام فى ذاك المساء فى قصرها مع كامل الأمراء والأعيان ولذلك أمر أن يسير الجميع إلى هناك فركب الملك وركب إلى جانبه فيروز شاه وركب من بعده الجميع واحدا بعد واحد على تلك الصفة وساروا بين طوائف العساكر من المتفرجين الى قصر الملكة حتى دخلوه وإذا بها قد فرشت أرضه من الباب إلى كامل الغرف من الشال الحريرى الفاخر الثمن ليدوس عليه ولدها ولما استقر بهم الجلوس قدم لهم الشراب ثم دعوا إلى غرفة

الطعام فاكلوا واكتفوا وعادوا إلى مكانهم ينتظرون امر الملكة لاجراء العقد
قال وكانت الملكة تمرتاج قد اصلحت بيدها شان العروسات باجمعهن على حسب ما اشتهت والبستهن الملابس الفاخرة وزينتهن باجمى الحلى والجواهر ووضعت على رؤوسهن اكاليل من الزهور البيضاء وافرغت على كل واحدة وشاحا من الكشمير المرصع بالاخرجة الذهبية وكانت ابهاهن منظرا وهيئة عين الحياة لانها البستها ذاك الثوب الذى كانت تعده منذ زمان لمثل هذه الليلة البهية الانيسة وجعلت كل ما عليها من الرأس إلى القدم من الجواهر الثمينة اللامعة ووضعت بين رجليها كرسيا من الذهب تضعهما عليه حتى كانت تبهج كل من رآها وقد زاد هذا فى محاسنها التى كانت تشرق فى ذاك المحفل باشد الانوار واللمعان . ولما اتى الملك ورجاله إلى القصر وضعت فوق كل واحدة من العروسات شوراء رفيعة من الحرير الابيض . وعند فراغهم من الاكل وارتياحهم قليلا دعتهم للدخول لكتابة العقد فدخلوا جميعا وكانت قد هيات لهم محلات الجلوس فجلس كل فى مكانه وقد نظر فيروز شاه إلى عين الحياة نظرة الحب الخالص فكاد يقع إلى الارض من عظم ما اصابه لانه اندهش بما هى عليه وما اعطاها الله من الحسن الذى كان يزيد بها كل دقيقة وكذلك عين الحياة فانها سرقت نظرة منه بطرف عينها فوجدته على تلك الحالة وهو مجلل بالذهب وانوار وجهه اللامع تسطع وتلمع وتضىء ضياء الاقمار ولو ما تحول بنظرها حالا عنه لوقعت إلى الارض دون شك انما تجلدت وصبرت على نفسها وجعل قلبها يخفق وهى تسكنه وخافت من الفضيحة وجعلت تعود بنظرها اليه مرة بعد مرة اى انها كانت فى كل فترة تبعث بنظرة خفية اليه ثم تحول عنه بسرعة واصبحت غير واعية للحالة التى هى فيها وهكذا كان فعل كل فتاة مع فتاها . ولما استقر بهم الجلوس امرت الملكة ان يقدم إلى الجميع الشراب فشربوا ثم امرت إحدى الخدم ان يقدموا على صينية من الذهب تاجا مرصعا كانت قد اعدته لتلبسه لعين الحياة فى وقت عقدها فاتى به وكان اشبه باكليل فى دائرة جواهر كل واحد منها بقدر الجوزة مشغولة على احسن ترتيب ونظام واتقن صفة منقوش بالذهب فى كل جهاته نقشا بديعا وكان لمعان ذاك التاج يشبه لمعان البرق الخاطف حتى انه كاد يقارن تاج الملك الذى على رأسه وهو التاج الفارسى بقيمة مجوهراته او تاج الملكة وهو تاج ملكها هيئته وتركيبه . ولما دخل الخدم بذاك التاج محرلا على صينية من الذهب على ايديهم قالت الملكة انى استاذن من سيـــدى الملك ان يسمح لولده فيروز شاه ان يلبس زوجته هذا التاج بحسب العادة لانهـا ستصبح الملكـة فى بلاد فارس والمالكـة على اهلهـا وستلبس ذات يوم التاج المرفوع الان على رأسى ومن

الواجب حفظا لعادة فارس أن تزين بهذا التاج الذى هو بمقام الاكليل رمزاً عن التاج الحقيق الذى يرفعه إلى رأسها بعد قليل من الأيام حيث يشاء الله سبحانه وتعالى فأجاب الملك سؤالها وطلب إلى فيروزشاه أن يتقدم إلى عين الحياة ويقدم لها التاج عن الصينية ويرفعه إلى رأسها . فأجاب هذا الطلب غير أنه كان يرتجف من داخله لما اعتراه من الخفقان عند ما أمعن بها النظر جيدا ورفع التاج وقرب منها فوقفت إجلالا ودنت منه وقد أخفضت رأسها قليلا وهى مطرقة إلى الأرض فوضعه عليها ورجع إلى أبيه فقبل يديه ويدى والدته وجلس فى مكانه ولما وضع التاج على رأس عين الحياة وجدت من نفسها أنها دخلت فى درجات الملكات الفارسيات وهى لا تصدق بذلك وقد زادت بهاء فوق بهاء وجمالا فوق جمال وأخذت الأنوار تتدفق وتتموج من فوق رأسها على جبينها فتلطمها أمواج الحسن بما هى عليه من القوة والفيضان وتدفعها دفعا قوياً بما يحصل من الالتطام والتقاء القرتين وهكذا كانت كانها ينبوع لكل حسن وجمال ومصدر لكل زينة وورونق ولم تكن بنات الملوك بين يديها إلا كالخادمات أمام السيدة لأنهن وإن كن جميلات ذاك الزمان إنما جمالهن كان كالخادم عند جمالها .

وبعد أن استقرت الملكة نحوا من ربع ساعة وعاد كل شىء كما كان أخرجت علبة من الذهب مرصعة بأثمن الحجارة الكريمة ففتحتها وأخرجت منها عقدا من الجواهر الكبيرة كل واحدة بقدر البيضة يساوى ملك ملك وتقدمت من عين الحياة فألبستها إياه فى عنقها وكان وهو فى يدها يشرق ويلمع بلمعان البرق حتى اندهش منه الجميع إلا أنه لما صار على عنقها اختفى ما هو به من الرونق والبهجة وأكمد لمعانه بما غطاه من بياض عنقها ولمعانه ثم إن الملكة أخرجت عقدا آخر أدنى منه درجة وألبسته أورش يدها وأخرجت ثالثا فألبسته كايلة ورابعا فعلقته بعنق طوران تخت وخامسا بعنق تاج الملوك وسادسا بعنق كولندان وسابعا بعنق نور وكلما ألبست فتاة عقدا قبلت يدها على هذه المنة والاكرام ولما انتهت الملكة من عملها ومن تقديم هداياها إلى العروسات عادت إلى كرسيها وسألت الملك إجراء العمل بكتابة العقد فأمر طيطلوس الوزير بذلك فنهض فى الحال وعقد لعين الحياة على فيروزشاه وطلب لها البركة من الله سبحانه وتعالى وسأل أباه أن يباركه فباركه وأهداه الرضا ودعا له بالتوفيق والسعادة وطول العمر والبنين وإذ ذاك صفق له الجميع فرحا واستبشارا وصاحوا فليحى سيد الفرس وملكهم ثم جلس إلى جانب عروسه ومن ثم كتب عقد مصفرشاه على طوران تخت بنت الوليد ملك مصر ودعا له بالتوفيق معها وأجلسه إلى جانبها ومن بعده عقد لتاج الملوك بنت النعمان بن المنذر صاحب مدن الطائف على خورشيدشاه ابن عم الملك ضاراب ومن بعده

عقد لكولندان بنت صاحب الاسكندرية على كرمان شاه وهنأه الجميع ومن بعده عقد لفرخوزاد على أنوش بنت الشاه سليم وفرح الجميع له ولا سيما أخوه بهزادشاه بطل إيران وبهلوانها فانه تقدم منه وهنأه وقبله فى جبينه وبين عارضيه فقبله هو أيضا وأظهر له شكره وكانت قلوبهما قد راقت وصفت وامتلأت من الحب والحنو. وبعد أن انتهى طيطلوس من عمله طلب من درش الراى أن يعقد له على نور بنت الوزير بيداخطل وزير الملك قيصر فكتب له كتابه ووقع الشهود على كل عقد وشهدوا على كل عريس وعروس وبعد أن انتهى كل عمل أمر الملك أولا بضرب موسيقات التهانى فى نفس ذاك المحفل ففعلوا وكانت الملكة قد استحضرت جوقا من المغنيات فأمرتهن بضرب الآلات والغناء وكن من الروميات فضربن الآلات وغنين الغناء المطرب حتى كان المكان يرقص من عظم الفرح ومن طربه بعذوبة ألفاظهن وحسن أصواتهن قال وبقين على مثل ذلك إلى أن مضى قسم كبير من الليل والخمر تدار على الحضور بأمر الملكة من كل أنواعها وقبل انقضاء السهرة أمرت الملكة أن تحضر مائدة الحلوى المعدة لمثل هذا العرس فأحضرت ونهض الجميع اليها ووجدوا من طيب المآكل التى كانت الملكة قد أمرت بصنعها ما يأخذ بشهوة كل إنسان فانها كانت من ألذ الأنواع المعروفة من ملوك الفرس وغيرهم وبعد انقضاء مدة الأكل والاكتفاء نهضوا الجميع يشكرون من الملكة ومن حسن إنعامها وإكرامها للجميع واعتنائها بهم.

وبعد أن راق لهم الوقت مدة نصف ساعة قال الملك ضاراب الآن قد انتهى الوقت ولم يبق من وسيلة للتطويل لأن الليل أوشك أن ينقضى وصار من اللازم علينا أن نطوف فى المدينة بالعروسات والعرسان ومن وصل إلى قصره أدخلناه اليه وذلك رغبة بان نطوف الجميع على أهل المدينة لأنهم لا يزالون بالانتظار وكثير منهم ومن رجالنا ورعايانا وغيرهم قد دخلوا المدينة وأقاموا على جدرانها وسطوحها وفى طرقاتها أملا بان يروا ملكهم وعروسه ذاهبا بمثل هذا الاحتفال إلى قصره وعليه إكراما لهم وحبا باجابة رغائبهم أريد أن أطوف بولدى وزوجته وأمراء مملكتى ونسائهم فى الشوارع الى أن يدخل كل سيد الى قصره ومن ثم نعود اذ لا بد اذ ذاك أن يكون قد أشرق الصباح أو كاد يشرق. فوافقه الجميع على رأيه وتعجبوا من حلمه ورقته وانتباهه الى صالح رعيته واهتمامه بها فى كل زمان ومكان ولا سيما الشاه سرور فانه اندهش من كل هذه الأعمال التى كان يراها ويسمعها وهو يذم نفسه على ما فرط منه بحق صهره فيروزشاه وكان ينظر اليه وهو جالس الى جانب بنته نظر المتعجب من جماله وقد عرف اذ ذاك

حق المعرفة وكشف الحجاب الكثيف الذى كان يستر أعينه ان فيروزشاه هو أجمل رجل فى ذاك الزمان كما أنه أشجع رجل وأبسل فارس فيه وان لا يليق ان يكون لعين الحياة زوجا غيره فما خلقت الا له وما خلق الا لها وكثيرا ما كان يحدث نفسه بنفسه ويقول أين طيفور اللعين الخبيث ينهض من حفرة هلاكه ويأتى الى هذا المحضر فيرى هذين القمرين اللذين لا نظير لهما فى هذه الدنيا وهل من العدالة والرأى أن يمنعا عن بعضهما .

وبعد أن فرغ الملك ضاراب من كلامه نهض واقفا ووقف من حواليه جميع رجاله وأبناء عمه من الكبير الى الصغير وأخذ كل امير يد امير وكل فتاة يد عروس وخرجوا الى الخارج وكانت الخيول مسرجة بالسروج الذهبية بعضها للرجال وبعضها للنساء فركب الجميع وفى مقدمتهم عين الحياة بتلك الصفة المبهجة كالكوكب الوضاح ومشت الموسيقات بين ايديهم تعزف بأصوات الهناء والفرح واحدة بعد واحدة . وامر الملك ان يحمل بين يدى عين الحياة احمال الذهب من اليمين واليسار فترمى بها على الناس لتلتقطها وهكذا كان فان عين الحياة اخذت تقبض من تلك الأحمال قبضة بعد قبضة وترش بها على المتفرجين والعساكر الذين كانوا وقوفا على جانبى الطريق فكانت الأقدام تزدحم للالتقاط فكانت اكفها مصدر الغنى لكثيرين من الناس من الرومان وغيرهم اذ ان الذهب كان يتساقط من سماء يديها كتساقط الأمطار من صدر السماء . ولهذا كان الدعاء قائما من كل مكان للملك ضاراب وولده لانهما يذوع الكرم والرحمة وقد افرغا الخزائن واخرجا الذهب الذى جاءا به من حدا ايران الى بلاد الرومان فافرغوه بيوم واحد حتى ان الأرض كانت تفرح وتبسم ضاحكة من مرور عين الحياة عليها حيث انها قد مزجت ترابها بالذهب . وما مشوا الا القليل حتى مروا بقصر مصفرشاه فامره الملك ان يدخل اليه بعروسه طوران تخت فاستاذنه ودخل بها وكان قصره مزينا ومفروشا بالفرش الفاخر فسلم على عروسه ودخل بها الى غرفة النوم وهو مملوء من السرور والفرح . واما الملك ضاراب فانه سار مع من تقدم ذكرهم على تلك الصفة من العظمة والرونق حتى مروا بقصر خورشيدشاه فامره الملك ان يدخل بعروسه تمرتاج الى قصره وينفرد به فاجاب واخذها من يدها بعد ان استاذن منه للدخول ودعاله بطول العمر والبقاء والعز والارتقاء ودخل القصر قاصدا غرفة المنامة حيث كان سرر المنامة معدة لمثل تلك الليلة المنتظرة .

وسار الملك ضاراب وعين الحياة على حالتها ترش الذهب من اليمين إلى الشمال والناس تلتقط وفيروزشاه يحيى الجميع بابتسام وبشاشة وهم يدعون له ويتمنون بقاءه اماءهم لامتلاء اشواقهم من النظر اليه والشاه سرور يسير من خلف بنته وصهره

وإلى جانبه الخواجا اليان وهو مأخوذ من هذا العمل متعجب من تلك الحالة البهجة وقد قال الخواجا اليان انى لا أقدر أن أكافئك أيها الرجل الأمين المحب لدولتى وشخصى لأنك أنت بالحقيقة السبب الوحيد الذى قاد هذا الرجل العظيم فى العالم اليا وأوصله إلى بلادنا ولو كنت ذو عقل وحكمة منذ الأزل لما اخترت سواه لى صهرا غير أن الله قد أعمى بصيرتى عن النظر إلى الصواب وأبعد عنى معرفة الحقيقة وذاك اللعين طيفور ألزمنى إلى ابداء كل هذا العناء حتى خسرت ملكى ووطنى وأهلى ولو لم تداركنى عين الحياة بما أعطيت من الحكمة والدراية وما ارتبطت به من الحب لنحوى لخسرت نفسى أيضا خسارة الموت والهلاك إلا أنها كانت تعرف حق المعرفة أن العناية الالهية تسر مزيد السرور إذا حافظت على طاعتى وحبى وسهلت لى طرق الراحة وعليه فقد أجهدت نفسها لتوفق بينى وبين فيروز شاه وتجمعنا على المحبة والسلام ولم تقبل أن تسلم ذاتها له دون أن أكون معه على أتم رضا ووفاق . قال انها مصيبة بذلك حكيمة نظرت موضع النظر ورأت إلى مستقبلها بعين الصواب لأنها لو قبلت أن تكون زوجة لفيروز شاه غير ملتفتة اليك لما لقيت من الهناء والراحة بل كانت فى كدر داخلى وعذاب ضمير إذ تكون قد باعت أباها بيع الخيانة والاهانة وكانت تذم من العالم أجمع وتلام من الكبير إلى الصغير لأن زوجة فيروز شاه تكون ذات موقع فى ألسنة الملوك وأبنائهم ووزرائهم وأمرائهم وعرسها يكون له شأن فى كل زمان ومكان فكانت حينئذ تذكر بالاستهزاء والاحتقار فيقال أنها أخذت سبية وقبلت لغايتها بهلاك أبيها أو يبعده عنها وعلى هذا فهى الآن كاملة فى كل شىء ألم تر أن الاحتفال العظيم التى هى فيه لم يسبق أن سمع بمثله قط منذ بداية الخليقة إلى هذا اليوم قد اجتمع فيه من الناس مئات الألوف وألوف الألوف من الرجال والنساء من أقاصى الأرض حتى أدانيها وبذر فيه من الذهب ما لا يقدر بحساب كان نهرا يتدفق على الناس من كل جهة فكيفما ملت وجدت الذهب مكوما وموجودا ومبذورا بعضه على الأرض وبعضه فى السقوف وبعضه تحت الأرض كأنه تراب لا بل أدنى من التراب فاشكر الله على مثل هذه النعمة التى أوصلتك اليها حتى أصبح أول رجل فى الدنيا زوجا لبنتك ومساعدا لك ومعينا لأمورك ولكل أحوالك بعد أن لاقيت عذابا وأهوالا . قال اعلم انى فى حيرة عظيمة من أمورى لا أعرف ما تنتهى اليه أحوالى لأن الشاه سليم قد صار صاحب بلادى وحاكمها وسيدها وقد نصبه الملك ضاراب عليها ووعده بكل جميل ولا يمكن أن يحنث بوعده معه لأن الفرس أصحاب صدق ووفاء فلا يمكن أن يرجعوا بقول عزموا عليه ونووه ولهذا أريد منك لأنك مقبول الكلمة عند صهرى ويمكنك أن تذكرنى عنده بعد انتهائه من

زفافه وانى سأطلب أيضا من بنى عين الحياة أن تذكرنى أمامه وتسأله إرجاع ملكى أو غيره بحيث يعاد إلى جاهي وسلطانى وأكون حاكما إلا محكوما ولا تفقد من يدى تلك السلطة التى استلمتها من آبائى وأجدادى على انى مرار كثيرة نويت ان أسعى بذلك فيمنعنى الحياء وأصبر نفسى وأقول لابد لهم من ذواتهم أن ينتبهوا اليه ولا يمكن أن ينسونى ويتغاضوا عنى وانى أخاف أن يكونوا بحيرة من ذلك مرتبكين بينى وبين الشاه سليم . قال لابد من النظر فى ذلك بعد هذا اليوم وانى أظن أن صهرك لم يغفل عنه قط إنما من الواجب عليهم أن لا يفكرون به ولا يبدونه إلا بعد نهاية الزفاف بحيث تحضر زفاف بنتك وانى أرى من المناسب أن تقسم مملكة اليمن إلى قسمين قسم لك وقسم للشاه سليم ويضاف عليها بعض ملحقات من البلاد التى دخلت فى أيديهم قال انى أقبل ذلك ولا أرفضه وعلى كل حال فان الله يدبر أمرى بحكمته ورحمته والملك ضاراب يعاملنى بعدله وكرامته وانى أشعر من نفسى ان حالى ستكون أحسن من الاول بكثير لأن صهرى قادر على كل شيء وبيده كل شيء وهو سيكون السيد على كل هذه البلاد التى دخلت فى يده وتسلط عليها من بلاد إيران حتى بلاد الرومان قال اصبت به فهو وحده الذى يقدر ان ينفع ويضر غير انى ارى انه من الضرورة مدة من الزمان ان الفرس سيسيرون إلى بلاد الصين لتخليص امرائهم منها ولا يمكن للملك ضاراب قط ان يتركهم او يتغاضى عنهم ولا يمكن لملك الصين ان يسلمهم دون حرب وقتال بل يبقيهم عنده إلى حين وصول الفرس اليهم حيث يجعلهم مفتاح شر وعناد

كل هذا يجرى بين الشاه سرور والخواجا اليان وهما سائران فى ذاك المحفل إلى جانب بعضهما والملك ضاراب وفيروز شاه وباقى الأمراء والفرسان سائرون على اتم ترتيب ونظام مشغلون بالأفراح والمسرات وبما يلاقون من أجواق المتفرجين إلى ان وصلوا إلى قرب قصر كرمان شاه فوقفوا عنده وتقدم إذ ذاك من الملك ضاراب وقبل يديه واستأذنه بالدخول إلى القصر بعروسه فأجابه وقبله وهنأه باتمام فرحه ومسرته على كل خير وتوفيق ودخل كرمان شاه وادخل معه كولندان بنت الاسكندر صاحب الاسكندرية ولا يصدق بان ينال منها مرادا او يجتمع بها بمثل هذه الخلوة وكان قلبه مولعا بحبها منذ رآها فى الاسكندرية دون ان يسمح له الزمان ان يجتمع بها او يحكى لها ما بقلبه بل كان يتحمل ثقل هواها وهو قاطع الرجاء منها لعلمه انها ستكون زوجة لخورشيد شاه وان الحب بينهما مكين ولا يمكنه ان يزاحمه بها . قال وسار الملك بتلك الأبهة والاحتفال على الطرقات من مكان إلى مكان حتى قرب من قصر فرخو زاد فوقف واسترقف الجميع والموسيقات تضرب على مثل ما هى عليه

لاتفتر دقيقة واحدة عن العزف والغناء وإذذاك تقدم فرخوزاد من الملك فقبل يديه وسأله الاذن بالدخول إلى قصره . وفى الحال انحدرت دمعة رقيقة من عينى الملك وقال له اهنأ أيها النسل الكريم لامين دولتى المرحوم فيلزور الذى قتل ظلما فى هذه الحرب وصرف كل العمر فى خدمتى وطاعتى وأن لاشىء أحب لدى من أن أرى نفسى قادرا على مكافأة أولاده الذين تركهم فى مملكتى يخدمونها نفس خدمته وأعظم أمر أشتهيه فى زمانى كله هو أن يكون ذاك الامين حاضرا معنا الآن يشاهد ويرى مجد أولاده وعظمتهم وفرحهم فوقع كلامه هذا فى قلوب الجميع وما منهم إلا من بكى على فيلزور وتذكره لأنه صاحب الفضل عليهم وأستاذ بهلوانى إيران ومحب الجميع . ثم ان الملك ضاراب قال لفرخوزاد ادخل الآن سعيدا مع زوجتك ويسرنى أن أراك مسرورا كما يسرنى أن أرى أخاك بهزاد قائما فى منصب أبيه يحيى له ذاك الاسم الشريف المحبوب من كل رجال إيران وإذ ذاك قبل فرخوزاد يد الملك ضاراب ويد عمه الشاه سليم وقبله كل منهما ودخل إلى قصره بعروسه أنوش وهى إلى جانبه كالبدر المنير مسرورة لسروره لأنها لاقت من من هواه عظيما أملا بتلك الليلة كالاقى هو أيضا وقد خطبا بعضهما قبل كل أمير وفتاة من رجال إيران أى منذ أكثر من ست سنوات من حين مسير فيروزشاه من إيران وافتراقه ووقوعه فى المدينة السليمية وليس فى الاعادة إفادة ولهذا دخل بها إلى غرفة منامه وانفرد بها لوحده يشكر الزمان الذى عاد فجاد له بالاجتماع

وكان فرح الشاه سليم بزفاف بنته على فرخوزاد ليس بأقل من فرح الملك ضاراب بزفاف ابيه بعين الحياة لأنها كانت وحيدة له محبوبة منه محبة الآلهة لايهمه شىء من هذه الدنيا إلا أمرها وكان أيضا يحب فرخوزاد محبة الابن الأمين الصادق منذ وقع فى مدينته إلى ذلك اليوم وكان أعظم شىء يسره أيضا خلوصه لدولة إيران ووقوعه عندهم بأرفع مكان وأعلى درجة حتى انهم كانوا يعتبرونه أيضا اعتبارا عظيما ويفضلونه على سواه وكان يسير مع تلك الحفلة وهو يطلب منه تعالى أن يزيد فى هناء بنته وأن يرزقها الله البنين وتدوم مع صهره على الوفاق وطول العمر وقد سر مما سمعه من الملك باظهار عواطفه وشعوره نحو صهره والتفاته اليه كونه ابن فيلزور البهلوان الذى كان الرجل الأول فى مملكة إيران بنسبة طيطلوس وزيره الاول بخلاف الشاه سرور فان بعض الحسد الذى كان مجبولا عليه تحرك إذذاك فى فؤاده وحسب أن محبة الملك لفرخوزاد ولأولاده فيلزور تزيد فى رفعة مقام الشاه سليم وتقدمه أكثر فأكثر من الملك ولهذا قال للخواجه اليان أن منزلة الشاه سليم تنمو على الدوام عند الملك ضاراب ومن هذا أرى أن لابد

من بقائه فى منصبه ولا يمكن للملك أن يفصله منه وإذا فصله وقصد أن يعيد إلى ملكى تنكدر أولاد فيلزور وهو لا يرغب فى كدرهم فما من وسيلة أرى الرجوع إلى نعزاء الين والتسلط عليها كالأول

فعلم الخواجه اليان أنه حسد الشاه سليم من ذاك الاعتبار غير أنه قال كن مرتاحا يا سيدى وانظر إلى الأمور بعين بصيرة أليس صهرك هو عند الملك صار أب أعز من صهر الشاه سليم وأحب عنده من كل إنسان بل هو أحب من نفسه أيضا أليست بنتك كنته ومحبوبة لديه أكثر بكثير من أنوش بنت الشاه سليم فأنت على كل حال أفضل فى عين الملك وأحب عنده وعند ولده من الشاه سليم لكنه صادق الخدمة معهما مخلص الحب لهما ولدولتهما فلا بد من مكافأته واعتباره على كل حال وأما ما فعلته أنت معهم من القبائح والعداوة وما سببته لهم من العذاب والحروب قد أصبح الآن نسيا منسيا ولا أظن أن أحدا منهم يذكره فيما بعد أو يفكر به لأنهم كرماء الأخلاق صافون البواطن لا يأخذون المجرم بجريمته إذا تاب إليهم واعترف بذنبه فارفع من ذهنك كل هذه الأوهام وعندى أن الملك سيعيدك إلى ما كنت عليه غير ملتفت إلى الماضى وذلك مراضاة لبنتك عين الحياة التى أصبحت كواحدة منهم بل سيدة عظيمة فيهم ولا يمكن اذا سألت زوجها أمرا يمنعها منه أو يرجعها عنه لأنها عنده أفضل من العالم أجمع وأفضل من كل مالكها وملوكها لأنه هو يحبها بتعشق عجيب قوى لا نظير له . فاطمأن فكر الشاه سرور من كلام وزيره الخواجه اليان ورأى أنه يقدر أن يعود إلى ملكه اذا اعتنت بنته عين الحياة بأمره وسألت زوجها فيه وطلبت اليه أن يكرمه ويحسن معاملته ومما زاده اطمئنانا ما يعلمه فى بنته من الميل اليه والرغبة فى صالحه وكان يسير إلى جانبه أيضا ولداه الشاه أسد والشاه ليث وهما كأبيهما مأخوذان مع كلما يشاهدان وينظران من ذاك الاحتفال وكان يقع على قلوبهما ما يقع على قلب أبيهما وتحركهما تلك الأعمال إلى محبة الفخار والمجد ويتمنيان أن يكون لكل منهما احتفالا مثل هذا الاحتفال وكانت مزية الطمع مولدة فيهما أصلية وصلت اليهما بالارث ولذلك كانا يتمنيان أن يكون كل ذاك الذهب الذى يبذل من أيدى أختهما هو لهما ومن أعجب العجائب أن تكون عين الحياة بنتا للشاه سرور إذ لم يكن فيها ولا صفة قط من صفاته وبل كل ما كان فيها كان وحيدا ومحبوبا يندر وجوده فى غيرها من النساء والرجال وقد يظهر أن الله مازينها بتلك الصفات الحسنة إلا ليجعلها بعين فيروزشاه ويصلحها لتكون زوجة له وأن تحمل على قلوب الناس متشيعة إلى بيته بجيوش الدعاء والاستحسان ومروا بعد ذلك على قصر مهنزار قبا وأمروه بالدخول إلى قصره فدخل بزوجته كليلة بعد أن قبل يدى الملك وشكره وكان بمزيد شوق اليها يكاد لا يصدق فى اجتماعه بها

قال وبقى الملك ضاراب فى مسيره بعد ادخال فرخوزاد إلى قصره فى صدر ذاك المحفل المشهود من كل إنسان حتى وصل إلى قصر بيداخطل الوزير وهو القصر الذى أقام فيه طيطلوس الوزير فوقف الملك هناك وأمر الناس بالوقوف ودعا طيطلوس أن يدخل بعروسه إلى قصره . فقال له انى لا أرغب فى ذلك ياسيدى الآن بل من الواجب على أن أبقى بخدمة سيدى فيروزشاه إلى حين وصوله إلى مكانه بحيث أكون قد أتممت ما أنا بانتظاره لأنه سيدى وعلى العبد القيام بخدمة السيد فقال الملك أن هذا لا يمكن قط ولا أرغبه وليس من العدل إلا معاملتك كبقية أهلى وقومى مع أنك أفضل من الجميع عندى ولا يمكن لدولة إيران أن تسرى بدون رأيك أو تعتز بغير حكمتك فلهذا أنت ميزان تقدمها ونجاحها فادخل واهنأ بعرسك هذا وافرح كفرح غيرك ولا يليق بنا أن ندعوك إلى مرافقتنا إلى أكثر من هذا لاسيما وإننا قد انتهينا من المسير وبعد دقائق قليلة نصل إلى قصر ابنى فندخله اليه ومن ثم يعود كل إلى حال سبيله وما حاجة بعد لمرافقتك فأجاب طيطلوس سؤال الملك ودنا منه فتصافحا وتوادعا ودخل طيطلوس إلى قصره مصحبا معه نور وهو مسرور بها وهى مسرورة به وقد ثبت عندها أنها زوجة لأعقل رجل فى العالم وأحكم رجل وأنه رفيع المقام بما يقابل درجة الملك ضاراب اكراما واعتبارا فى الدولة الفارسية ومن ثم دخل وإياها إلى غرفة منامته

قال صاحب الحديث وهكذا قد انتهى اجتماع كل محبوب بمحبوبته من تلك البنات اللاتى تقدم ذكر حديثهن معنا فى هذه القصة منذ بدايتها إلى تلك الساعة ولم يبق إلا فيروز شاه الذى بقى سائرا مع أبيه قاصدا قصره لان مصفر شاه دخل على محبوبته طوران تخت وصرف معها بقية تلك الليلة على المسرة والهناء ونال منها كل ما كان يتمناه غير أنها لا تأتى منه بولد قط بل تكون عاقر . وكذلك خورشيدشاه فانه اختلى بزوجته وأتاها من عظم شوق زائد ودام على التقبيل والعناق وبث أشواق وشكوى فراق تقضى وتمضى ولم يبق له أثر وهذه أى تاج الملوك تحمل منه بالبطل شيرواه وسيأتى معنا ذكره فى ما يأتى من هذه القصة إن شاء الله وبقى معها على تلك الحالة إلى اليوم الثانى وأما كرمان شاه فانه يلد له ذكر يدعى شيرزاد يخرج آفة عظمى وطامة كبرى ويكون له حديث يذكر وليس كرمان شاه كان مع عروسته بأقل هناء وبسط من غيره بل لاقى مثلما لاقوا وشاهد مثلما شاهدوا وكانت صاحبة غنج وخلاعة ودلال فاسكرته حتى كادت تغيبه عن الهدى وفرخوزاد مع عروسته بالحظ والسرور وكانت تتلقاه ملاقاة المشتاق الولهان حتى انقضى عليه ما بقى من ذلك الليل بما زاده فى أنوش محبة وتعلقا وقد سلمته بنفسها تسليم الزوجة للزوج فنال

منها حلالا كل ماكان يتمناه ويتطلبه منذ سنين وهى تروح منه حامل بولد ذكر يدعى أردوا أيضا يكون له من هذه القصة نصيب عظيم وحديث يحكى فيما بعد. ومثله جرى على طيطلوس فانه نظر إلى عروسه نظر الشباب إلى الشابة وأحلهامنه محل الرضا وصرف آخر ليلته معها بما أمر به الله تعالى وكتبه على جبين كل ذكر وأنثى وأحله فى رأس كل مخلوق من خليقته إنسانا كان أو حيوانا قياما بوظيفة التناسل وسنة التوارث التى سنها عليهم واحياء وانماء للشغل بالأرض وماعليها وتدبير أمورها وتحسينها على الدوام وقد قيل انه يأتى لطيطلوس الحكيم من زوجته هذه نور ولد يدعى بزرجمر ويكون حكيما عاقلا كأبيه ويكون له كغيره شأن فى دولة فارس ويكون محبوبا من الجميع كأبيه أيضا ولا يأتى له غيره ومثله كان عمل بهمنزار فيا أحد بهلوانية الفرس غير انه لاقى من زوجته كليلة ما سره جدا وجعله بأرفع درجة من البسط والانشراح لأنها كما تقدم كانت من نساء الشام الموصوفات بالرقة واللطف وحسن المسايرة والدلال والقصف وهكذا قد انقضى عرس أولئك الأمراء والشاهات والقواد وتم عليهم بوجه السرور الأخير دون مكدر أوحدث مانع يمنع من قضاء اغراضهم وإتمام أفراحهم .

وأما فيروز شاه فانه بقى سائرا إلى جانب أبيه ومن جانبه الآخر عين الحياة على جواد عال مسرج بالذهب كما تقدم وهى تنثر الذهب فوق الرؤوس على مثل ماتقدم ومن خلفهم بقية الملوك والأمراء والوزراء والشاهات حتى قربوا ن قصر فيروزشاه وإذا هو يرهج وينور بأشد الأنوار وقد تجمع حوله ألوف من الناس ينظرون وصول العروس والعريس اليه وكان الوقت إذ ذاك آخر الليل وكادت أنوار النهار ان تكشف ظلمة سواده الأخير وعند وصول الجميع إلى تلك الساحة صاح الناس صياح الافراح والمسرة وصفقوا بأيديهم لعظم الفرح والهناء وكان كثيرات من النساء فوق الجدران والسطوح تزغرطن وتبدين أصوات الفرح والهناء بجيات الرجال على أصوات الدعاء والافراح ولما وقف فيروز شاه أمام قصره وقف الجميع لوقوفه ونظر إلى أبيه منتظرا أمره وإذا بالملك قد دعا بالشاه سرور ان ينزل بنته عن جوادها بيده إلى الارض ويقدمها لخطيبها فيروز شاه تسلم الرضاء والقبول من كل خاطره وقلبه ليقبل يده وينال منه المسامحة وينال منه المكافأة عن هذا التسليم وكان باق بين يدى عين الحياة شىء من الذهب المحمول على رؤوس العبيد فنثرته كله على القوم الموجودين قبل نزولها عن الجواد ومن ثم تقدم أبوها اليها وانزلها بلطف وتأن وكذلك فيروز شاه نزل عن جواده وتقدم من عمه فقبل يديه وقال له اطلب منك ياعمى السماح عن كل غلط وذنب صدر منى فيما مضى لأنى كنت السبب فى كل هـــذه الاسباب السابقة ولو لم أطلب

زواج بنتك لما وصلت إلى هذه البلاد غريبا مشتتا بعيدا عن الوطن قال بل أرجو منك السماح لان الله الآن قد أنار بصيرتى وعرفت خطائى وذنبي الذى ارتكبته وانى لو قبلت منك منذ البداية لما وصلت إلى مثل هذه الحالة ونزع ملكى منى ولحق بى من الاهانه مالم يلحق بغيرى من أدنى الناس وانى الآن أشكر الله وأحمده على منته فلم يقبل باهانتى بل قربنى منكم وقربكم منى حتى قادنى إلى الصواب وجعلنى أن أزوجك بنتى برضائى وقبولى وهاهى الآن صارت زوجتك وبين يديك وما من حاجة ان أوصيك بها . ثم سلمه إياها وكان قلب عين الحياة مملوءا من الفرح بهذا الوفاق والحب وشدت على يد فيروز شاه فأدرك غايتها وعرف بعظم شعورها ولما كان هو أيضا قد امتلأ من الفرح والسرور ولم يعد من عظم السعادة يعرف فى أى درجة هو أو بماذا يكافىء حمه ولذلك قال انى لاأشعر الآن بسعادة عظيمة ونعمة كبرى ولاأسكر مقدار هذا التسليم الذى سلمتنى إياه وكم هو كبير عندى وعظيم وثمين إلى مافوق أفكار البشر وعليه فانى أحب ان أكافئك بما من حقك ولا اضيعه سدى فهو أغلى من ممالك العالم وأثمنها وأطلب إلى ابى ان يصادق على ماأقوله وهو انى أرجع اليك ملكك وبلادك فى نفس هذه الساعة وهذه الدقيقة ويكون بدلا من طيفور الخواجه اليان وكلما غاب عنك وفقدمنك يعاد اليك وتزاد فوقه وانى اعوض على الشاه سليم بلاد الرومان فيكون احد القياصرة الذين ملكوها وتكون له مدة حياته وانى افرح الآن بحيث أرى ذاتى قادرا ان اكافئك بما ترضاه وان كان لايحسب شيئا بالنسبة إلى هذه الجوهرة التى فوضت امرها إلى وملكتنها بمساعدة البارى فلما سمع الشاه سرور هذا الكلام كاد لايصدقه ووقع على عنق صهره يقبله ويسكب دموع الفرح والسرور ويشكر الله سبحانه وتعالى على منته العظيمة فقبل يديه وقال الملك ضاراب لقد اصبت ياولدى ونظرت موضع النظر وانى اجيبك إلى وعدك هذا .

قال ومن ثم دخل فيروز شاه وعين الحياة إلى القصر وكانت ارضه مفروشة بالاقمشة الكشميرية الثمينة المقدار من عمل الفرس التى هى اثمن من كل قماش وعليها كثير من الزراكش الذهبية والفضية تدوسها عين الحياة بارجلها .

قال وبعد ان دخل القصر العريس والعروس ذهب الباقون يتفرقون كل إلى مكانه وانفض ذاك العرس على احب مايرام واشهى مايطلب ولما صار فيروز شاه فى غرفته المعدة للمنامة تلقى عين الحياة بكل ترحيب وإكرام وهنأ نفسه بها وعاملها بكل رقة ولين وحكى لها عن جهان افروز وماقالته عنها وكيف انها طلبت البعاد ترضية لها وكيف ان طلبها جاز القبول عنده وتلقاه بفرح لأنه كان من اجل ذلك فى شاغل عظيم

وبلبال اعظم وصرف يوما ثقيلا جدا بالغم والكدر لم يسبق له ان نظر مثله فلما حكت له هي أيضا ما حل عليها من جرى الافكار التي وقعت عليها في نفس ذاك اليوم وكيف انها لم تنم كل تلك الليلة وقالت له اخبراني وان كنت عرضت لمفاعيل الطبيعة وتأملت جدا من جرى مراحتها لي فيك إنما يصعب علي جدا ان اسمع مثل هذا الكلام من انها غلبت على امياله وتحملت ظلم بعادك لأجلي مع انها اصبحت زوجتك بسنة الله وشريعته مثلي وما من شيء اريده الآن وان كنت قبل ذلك اطلب بعادها ان الاقيها واشكرها على احسانانها واودعها ومع هذا فان الله سبحانه وتعالى قد دبر امرنا بحكمته وما حاجة لذكر ما مضى وحينئذ صعد إلى سريره المعد لمنامته وهو من الديباج المحشو بريش النعام فغرق في وسطه ونامت هي إلى جانبه لقضاء فروض الزواج وإطفاء لواعج الوجد والغرام ومساواة من سبقه من المتزوجين وكان الوقت إذ ذاك صباحا على الناس وليلا عليه ودام طول ذاك النهار والليلة التي بعده وهو على سريره يتنعم بمحاسن عين الحياة ويسر من جمال كتب لأجله ولم يخرج من سريره إلا وقت العشاء وعند مناولة الطعام ولما كان صباح اليوم الثاني نهض مسرورا منعم البال فرحان القلب يردد قول من قال .

لله ليلة انس قد ظفرت بها	قضيتها سهرا احلى من الوسن
قربتها وعيون الدهر غافلة	عني ولم اخش فيها حادث الزمن
في خلوة رحبة الاكتاف عاطرة الا	انفاس قد جلست في منظر حسن
فتارة فرط اشواقي يرنحها	وتارة طول شكواها يرنحني
وبات ظبي تناجينا لواحظه	بين الورى هي كانت منشأ الفتن
تعزى الشمول إلى معنى شمائله	واللاذ يشبه منه رقة البدن
بتنا كغصنين في روض يرنحنا	ريح الصبا لخنا غصنا على غصن
وبات عندي شك في معانقتي	إياه حتى حسبت الطيف صاحبني
ياليلة منه ارضاني الزمان بها	عنه على انه قد كان يسخطني

وخرج من خلوته وتطيب واقام في قاعة الجلوس الى أن جاء ابوه وعمه والأمراء فهنأوه الهناء الكامل وأقاموا عنده نحوا من ساعة ثم انصرفوا عنه الى منازلهم وبقي ابوه وعمه ومن ثم اخذ المهنئون والمباركون يردون اليه كل ذاك النهار وكذلك عين الحياة فانها بعد ان خرجت من خلوتها لبست ثوبا ابيض كانت قد اعدته لها حماتها من ايران لصباح يوم الزفاف وخرجت الى غرفة ثانية كبيرة وجاءت اليها حماتها أي الملكة تمرتاج وهنأتها ونقطتها بالحلي الفاخرة والجواهر الثمينة وقبلتها مرارا وهي تقبل ايديها وبقيت عندها كل ذاك النهار والنساء ترد للتهاني حتى المساء وانصرف كل

إلى مكانه ومن ثم عاد فيروزشاه مع زوجته إلى الانفراد فجلسا على الطعام وأخذا يأكلان ويطعمان بعضهما حتى اكتفيا وبعد ذلك جلسا على صفرة المدام وصرفا قسما من تلك الليلة عليها وهما على أحب ما يكون من السرور والهناء تسقيه ويسقيها وتقبله ويقبلها وتعانقه ويعانقها حتى دارت برأسهما الخمرة فقاما إلى المنام وفي الصباح خرجا كاليوم الأول . قال وصرف فيروزشاه أكثر من ثلاثة أشهر على تلك الحالة ما خرج من قصره قط ولا ترك زوجته يوما واحدا إلى أن ظهر عليها الحبل ففرح مزيد الفرح وعرف أبوه بذلك فزاد فرحه فوق فرح وثبت عنده وجود وريث ثالث للملك وعزم في نيته ان جاءت بولد ذكر يدعيه بهمن كاسم أبيه وكذلك الملكة تمرتاج فانها فرحت مزيد الفرح وأعطت وأوهبت وأقامت تنتظر يوم الولادة

وفي كل هذه المدة كان الملك قائم مع أمرائه ووزرائه على حسب العادة لا يهتمون بأمر ولا يفكرون بشيء والذين جاءوا لحضور هذا الزفاف يتفرقون إلى بلادهم قوما بعد قوم وأميرا بعد أمير إلى أن مضى أربعة أشهر واذ ذاك دعا الملك بولده فيروزشاه أن يخرج من قصره إلى ديوانه فأطاع وخرج واجتمع عند الملك رزراؤه من الكبير إلى الصغير وحينئذ قال لهم اعلموا أني ادعيتكم الآن لأمور خطيرة يقتضي النظر فيها والرأي في تدبيرها وهي أولا مسألة الشاه سرور والشاه سليم فان ولدي قد سمح لعمه بالرجوع إلى ملكه واعادته إلى بلاده كما كان وزاده فوق كل ذلك أن سألني أن أضيف إلى ملكه بعض بلاد دخلت في يدنا وهذا لا بد منه وقد أجبت طلبه وقد أشار ولدي أيضا إلى أنه قلد رئاسة مملكة الرومان وأعهد حكومتها إلى الشاه سليم بدلا من اليمن وهي على كل حال أوسع ملكا وأكثر سكانا وأغزر مالا وقد أصاب في ذلك ومن اللازم النظر فيه أهل يقبل كل منهما ما أعهد اليه من ولدي وفي الحال نهض الشاه سليم وقال ان ما أشار ولدك هو كبير علي ولا أستحقه ومن أين لي يا سيدي أن أقدر على القيام بمهام مملكة مثل هذه المملكة وأشكر نعمتكم إذ قدرتموني قدري وانعمتم علي بما لا أستحقه . والحق يقال اني كنت مزمعا ان في مثل هذا الاجتماع بعد نهاية الزفاف أن أتخلى عن تمزاء اليمن وأسلم بعرشها إلى صاحبها وملكها وأعود إلى بلادي الى المدينة السليميه وكفاني فخرا واكراما منكم ان قبلتم بنتي زوجة لأحد أعيانكم وامراكم ومن اللازم اولا وآخرا ان اسلم اموري اليكم فمهما امرتم به فاني اقوم به واني ان بقيت في بلاد الرومان حاكما فاكون عليها كعامل لكم ادفع الجزية في كل عام . فشكره الملك ضاراب على رقته ولطفه وانعامه وبارك له الجميع بمملكة الرومان وامر الملك ضاراب ان يقدم له التاج القيصري فقدم اليه ورفعه على رأسه واجلسوه على كرسي قيصرية واصبح منذ ذلك

الصين حاكما على بلاد الرومان وأمر الملك أيضا طيطلوس فى أن يكتب إلى عموم الولاة والحكام والملوك المجاورين بقيام الشاه سليم ملكا عليهم . ثم بعد ذلك قال لرجال ديوانه وإن أمرا آخر أريد أن أجريه وهو إرجاع سيف الدوله إلى ملاطية حاكما عليها مستقلا وأزيده فوقها حكومة أنطاكية وحلب وما جاورهما فيعاد أمرها اليه فهو من العظام الذين خدموا دولتى بأمانة واستقامة وصدق . فسر سيف الدولة مزيد السرور عند سماعه هذا الكلام وشكر الملك عليه وأمر طيطلوس من الملك أن يكتب إلى حكام تلك البلاد بذلك ويدعوهم إلى طاعة ملكهم الجديد .

وبعد أن فرغ من كل ما تقدم قال من حيث قد راق البال من هذه الجهة ولم يبق علينا ما نفكر فيه الا أمرا واحدا وهو لدى أهم من كل شيء وقد دعوتكم لأجله لتتخابروا به وتعرضوا على بأفكاركم من قبله وذلك أنى مشغل البال على الدوام من جهة الأمراء الذين فى الصين وليس فى وسعى أن أتقاعد عن ارجاعهم الى ولو هلكت وهلك كل رجالى ومملكتى أليس هم الذين قاتلوا أمامنا وأسروا بسببنا فليس من العدل أن أتقاعد عنهم أو نرجع الى بلادنا دون أن يكونوا معنا فابدوا رأيكم فى ذلك وما ترونه موافقا. فأطرق الجميع يفكرون فى ذلك ومن ثم تكلم طيطلوس فقال اعلم يا سيدى أن من العدل والاصابة ارجاع رجالنا والسعى خلفهم وان كانوا من أدنى خدمنا فكم بالحرى هم من السادات والأمراء والقواد غير أنه قبل المباشرة بالعمل أو الفكر بأمر آخر خطر لى أن نبعث بكتاب الى جهان ملك الصين نسأله اطلاقهم وارجاعهم الينا حسما للنزاع وتركا للحروب اذليس بيننا وبينه من عداوة أصلية أساسية فاذا أجاب كان ذلك من مراحمه تعالى والا يكون الله سبحانه وتعالى قسم لنا نصيبا بالحرب وقدر على رجالنا أن تدوس تلك البلاد البعيدة فلما سمع الملك والباقون هذا الكلام رأوه صوابا وعليه طلب الملك منه أن يكتب الكتاب الى جهان ليبعثه مع الرسل فاخذ طيطلوس وكتب

بسم الله الحى الذى لا يغفل ولا ينام بيده الامر والنهى وهو على كل شيء قدير .

من الملك ضاراب سلطان الاعجام وفاتح اليمن ومصر والرومان وقاهر الملوك العظام الى جهان صاحب الصين وحاكمها .

اعلم أيها الملك المعظم أن الاله الذى أعبده هو وحده الذى يجب أن يعبد ويكون إلها لكل من هب ودب لانه هو صانع الخليقة وواجدها تكونت بامره الكائنات وسارت بحسب ارادته ومشتهاه ولذلك تراه لما كنا مطيعين وصاياه وعاملين على طاعته فينظر الينا وييسر أمامنا ويساعدنا على كل حروبنا والبرهان اننا نحن فيئة

قليلة فى عينى الملوك الكبار خرجنا من بلادنا واستولينا على اليمن بقوة السيف وكذلك على السودان أجمع وقتلنا هورنك وطومار الزنجى وكان هو المقوى والمساعد سبحانه لا إله الا هو ثم جئنا من اليمن الى مصر ندوخ البلاد فى طريقنا فتسعى الى طاعتنا ولا خفاك ما كان عليه ملك مصر من العظمة والقوة ونفوذ الكلمة فاغتصبنا بلاده بقوة السيف وفتحناها ونشرنا عليها الأعلام الفارسية ودخلت فى يدنا ثم جئنا اليمن ننشر سطوتنا على كل العواصم التى نمر فيها حتى بمساعدته تعالى استولينا أخيرا على بلاد الرومان وقتلنا الملك قيصر وصارت البلاد بلاد فارسية وبالقضاء والقدر وقع بيد رجالك الذين بعثتهم لنصرة الرومان بعض قومى وهم طهمور وسيامك سيامك سياميا وبهمزار قلى وأخذوا الى بلادكم أسارى ولا ريب أنهم باقون الآن عندكم وعليه فقد بعثت اليك هـــذا الكتاب أولا لأذكر بالله سبحانه وتعالى وأعرض عليك طاعته وعبادته فتنال الخير المعظم فى هذه الدنيا وسعادة الآخرة ولا تهلك أخيرا فتكون حياتك بالنار وآخرتك للنار والعذاب . وثانيا لما كان ليس من عداوة أصلية بيننا وبينكم ولم نقصدكم قط بشر بل انك أنت المبتدئ بالشر والعداوة حيث بعثت عساكرك لمساعدة عدونا علينا دون أن يكون سبق لنا سابق أذى لك والاله الذى نعبده لم يشأ أن تنفذ فينا سهام الأخصام بل ساعدنا ففرقناهم ونال قومك بسهام منه نصيبا كنصيبهم فبناء على ما تقدم أطلب اليك أن تبعث الى برجالى القائمين فى أسرك على الاكرام والراحة وبهذا تكون قد رفعت من بيننا سببا عظيما ومنعت انتشاب حرب قوية وجعلت بيننا روابط حب وولاء فتنال أجر حقن دماء عباده تعالى ولكن ،ؤكدا عندك أيها الملك المعظم انى لا أترك رجالى قط ولست أنا كمن تظن انى أغلب أو أقهر ومع ما أعرفه من مساعدة إلهى لى وما أعطانى إياه من السلطان والقوة أرغب جيدا فى السلم والأمان ولا أحب أن أصل أذية إلى أقل عباده تعالى وقد وضحت لديك غايتى ومقاصدى فاذا كنت عاقلا حكيما تلقاها ملقى القبول واعمل بموجبها ولا تدع الكبر والعظمة تنفخ فى أنفك فتلقيك على بساط الندم فيما بعد والسلام على من وعى إلى نفسه وعمل بارادة رب الأنام

وبعد أن انتهى طيطلوس من كتابة الكتاب قرأه على الملك فأعجبه ثم ختمه بختمه ودعا بشبرنك العيار فدفعه اليه وقال له خذ معك عشرة فرسان من فرسانى واحمل ما تحتاجه اليه فى طريقك من المأكل ذهابا وإيابا لأن البلاد بعيدة والطريق طويلة وادخل على ملك الصين وادفع اليه كتابى وأتنى منه بالجواب حالا واسرع مهما أمكن من السرعة فانى قائم على الانتظار فأخذ الكتاب منه وقبل يديه وخرج من حضرته وانتخب عشرة رجال لمرافقته فى الطريق وحمل أحمال الطعام وما

يحتاج اليه ويخرج بهم من قيصرية يقصد بلاد الصين . وأقام الملك ضاراب من بعده ينتظر عودته وفيروز شاه عاد إلى القيام عند عين الحياة لا يخرج إلا قليلا وكذلك مصفر شاه وبقية الذين زوجناهم بهذه القصة منذ أمد قريب وأما بهزاد فانه صرف بقية العمر بلا زواج لأنه كان لا يرغب فيه وقد سأله الملك ذلك لاحياء النسل فلم يقبل وقال له اعلم أن ذلك واجب على انما لم تطلبه نفسى حتى الساعة ولا أريد أن أترك خدمتك ساعة

فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من منكوخان وزير الصين فاننا كنا قد تركناه مهزوما مع رجاله من بلاد الرومان وسائرا الى بكين عاصمة الصين وهو حزين جدا على أولاده الذين قتلوا من سيوف أهل ايران وعلى ما فقد من عساكره الذين جاء معتزا بهم وفى فكره أنه يعود بالغنائم والأموال ومعه أسارى ايران السابق ذكرهم وبقى فى مسيره عدة أيام وليال يقطع تلك المهامة والقفار ويمر على البلدان والضياع حتى قرب من بلاد الصين ولم يبق بينه وبين العاصمة الا يوما واحدا فنزل بمن معه هناك وأقام يوما وليلة استراح وفى اليوم الثانى أمر العساكر أن يسيروا مشاة الى المدينة وأن يكثروا من الصياح والبكاء والنواح ويحثوا التراب على رؤوسهم وعند وصولهم أبواب المدينة ينادون بالويل والفناء ويلطمون على وجوههم حتى يسمع لهم صوت عظيم فأجابوه الى طلبه وساروا بين يديه وهو أيضا ماش على رجليه مكشوف الرأس ينوح ويبكي أولاده المقتولين حتى وصلوا الى المدينة وهناك أيضا أكثروا من البكاء وزادوا فى الصياح حتى ارتجت المدينة من أصواتهم وشاع خبر وصولهم على تلك الحالة وانتشر ما حل بهم فى كل المدينة حالا فتأثر الجميع لعملهم وسمع جهان ذلك وهو فى أعلى سمائه فسأل حجابه المناطين بخدمته على السبب فشرحوا له كل ما سمعوه وما هو واقع من الوزير منكوخان فحزن جدا حزنا ممزوجا بالغيظ

انتهى الجزء الثامن والعشرون ويليه الجزء التاسع والعشرون

الجزء التاسع والعشرون

من قصة فيروز شاه بن الملك ضاراب

والغضب وأرغى وأزبد وذم الزمان ولعن الفرس ألف لعنة وتغضب عليهم ودعى لهم بالمحاق والخراب وأمر فى الحال أن يؤتى بمنكوخان اليه ليعرض عليه تفصيل ما كان من أمره فأسرعوا اليه وأحضروه بين يديه وهو مطرق إلى الارض ممزق الثياب مكشوف الرأس بحالة يرثى لها . فقال له جهان احك لى ماذا جرى عليك ومن قدر ان يصل بشره اليك وأنت محفوظ ببركات الآلهه ورحمتى انا قال اعلم ياسيدى ان الذى فعل معنا هذه الأفعال هم الفرس رجال الملك ضاراب الذى جاء لقتال الملك قيصر وقد قتلوا لى اولادى بأجمعهم وأحرمونى لذيذ الرقاد وقداوقعوا بالعساكر وشتتوها وانا اجهد النفس إلى الثبات واطلب من النار ان تبعث بغضبها اليهم فتحرقهم بشدة حرارتها فلم تسمع ولم تجب لأن لاوجود لعبادتها فى تلك النواحي فهم يعبدون إلها يقولون انه محجوب لايرونه ويفكرون ان له قدرة وما اشبه ذلك يجربها عند الحاجة دون ان يعلموا السبب واى متى تكون ولهذا السبب أرى ان النار غضبت عليهم وهجرت تلك الجهات وبعدت عنها ولا تريد ان يكون لها اسم او نفوذ بين اولئك الكفرة . وانى اخبرك ياسيدى والهي بالحق ان بين الفرس رجال وابطال يندر وجود مثلهم فى هذا الزمان ولاسيما فيروز شاه ابن الملك ضاراب وبهزاد بن فيلزو والبهلوان فهما آفتا الحرب والقتال ولا اظن ان احدا يقدر على التغلب عليهما فى هذا العالم الا اذا كان مرفوقا برضاك عليه وايصال بركتك اليه وانى فى الوقعة الاخيرة انتقمت لنفسى من الفرس فقتلت كثيرا منهم وأسرت أربعة فرسان وأبطال من الأمراء المعززين عند الملك ضاراب على أمل أنه يسعى خلفهم ويأتى لخلاصهم إلى هذه البلاد فترسل حينئذ بغضبك عليهم أو إذا شئت أن تتنازل من علو سمائك فتلاقيهم وتبددهم وتذرهم فى الارض كالهباء المنثور قال لقد أصبت بأسرك لهؤلاء الرجال الذين ذكرتهم فاحفظ عليهم ودعهم يكونون فى السجن إلى حين مجيء ملكهم اليهم إنما مع زيادة الحفظ لا تدع أحدا يوصل اليهم أذى فان حفظ صحة أبدانهم مطلوب منا إلى الالهة حتى إذا انتصرنا على الفرس وساعدتنا عليهم قدمنا لها تقدمة منهم فيكونون صحيحى الابدان سمناء الاجسام وأما أنت فانى أعزيك على أولادك وانى أسأل لك النار ان تعين لهم مكانا شديدا من أماكنها

وأنها لا تحل بأرواحهم إلا فى أجسام محبوبة منها قائمة فى وسطها أو بين يديها .

وأما من جهة الملك ضاراب فانى سأنتظره بعض أشهر فاذا جاء إلى انقاذ قومه جازيته على فعله بما استحقه وإذا خاف من سطوتى وامتنع عن الاتيان إلى بلادى ورضى بهلاك رجاله وتخلى عنهم سرت اليه بنفسى ونزعت ملكه منه وأتيت به لأقدمه للنار فى يوم عيدها وانى أرى نفسى محتاجا لأن أسير ليس فقط لأجله بل لأجل كل الملوك الطاغين الباغين الذين اتخذوا عبادة غير عبادتها حتى انى أرى احتياجى أيضا أن أملك الدنيا بأسرها فأضيفها إلى ملكى وبلادى وتكون مملكة الصين سائدة على العالم أجمع

قال فلما سمع منكوخان كلام جهان قبل الارض تكرارا بين يديه وخرج إلى خارج قصره وجاء بالأسارى فوضعهم بالسجن وأمر بالمحافظة عليهم أن يوضعوا فى أمنع السجون وأحصنها إنما يكرمون ولا يهانون وتقدم لهم المآكل اللذيذة الطيبة ففعلوا وبعد ذلك أقيمت المناحة فى المدينة على الذين قتلوا وفقدوا مقدار ثلاثين يوما على التمام وبعد ذلك أقاموا على الانتظار ينتظرون مايكون من الملك ضاراب إلى أن مضى أكثر من سنة دون أن يحصلوا على نتيجة وبعد السنه وصل اليوم شبرنك بكتاب سيده الذى تقدم ذكره وسأل عن قصر الملك فى المدينة وأخبر أنه جاء بكتاب من ملك الفرس فأخذوه إلى دار الوزير مدبر المدينة ولما وصل اليه دفع له الكتاب محترما ومعلونا باسم جهان صاحب الصين فلما رأى الوزير ذلك لم يفضه لأنه كما تقدم كان لايعرض على الملك إلا بكتابات الملوك فقط وماسواها لايعرض عليه ولذلك أخذه وسار إلى قصر الملك وطلب إلى حجابه أن يطلعوه على قدومه حيث يعرض عليه أمراً مهما فدخلوا اليه ونادوه وأطلعوه على طلب مدبر مملكته فسمح له بالدخول ولما صار الوزير بين يديه وهو مطرق إلى الارض لا يرفع رأسه إلى فوق إذ لايسمح له أن ينظر الاله وهو فى سمائه وكان كما تقدم لايقدر أن ينظر إلى وجه الملك وهو فى أعالى مجده بل عند خروجه يحق لكل رجل كبيرا كان أو صغيرا السجود له والتقرب منه ولما صار فى وسط القاعة وبدا الحجاب على رأسه طل الملك برأسه وسأله عن سبب مجيئه فأخبره أن رسلا جاءوا من قبل الملك ضاراب يحملون كتابا اليه . فأمره أن يقرأه فقرأه ولما فرغ اضطرب جهان وغضب وقال له أيظن هذا الرجل العجمى عابد الاوهام انى كغيرى من ضعفاء الملوك أخافه أو أحسب له حسابا أو أرضى بذكر إلهه ولهذا أريد منك أن تجيبه على كتابه بما استحق وتخبره أن لابد من موته وهلاكه وتبديد جماعته وانى لا أسلم اليه جماعته قط وإذا جاء بنفسه قرنته اليهم مع ولده وبددت رجاله وإذا لم يأت استخرت النار وسرت بنفسى اليه وأدبته

على فعله . فخرج الوزير عند سماعه كلامه وسار إلى دار الحكومة وكتب إلى الملك ضاراب ما يأتى :

من جهان إله الصين ورسول النار إلى الملك ضاراب ملك بلاد العجم والفرس الساكنين فى قرنة الدنيا .

اعلم أيها الرجل أنه وصلى كتابك وفهمت ما تضمنه وعجبت من تعديك حدود قدرك وافتخارك بنفسك وإلهك كأنك فاقد الحس أعمى البصيرة من جهة المعبود الوحيد الذى يجب أن يكرم ويراعى لأنها ينبوع كل خير تنفع من يستمد بمعونتها ويحتاجها لقضاء أى أمر أراده وتضر بمن يدنو منها ولا يعتبر قوة سلطانها بخلاف إلهك الغير منظور وأما طلبك رجالك الأسارى عندنا فقد أمرت ببقائهم عندنا إلى الأبد فى السجن لا أخرجهم منه إلا أمواتا أو أقدمهم ضحية للنار عند الاقتضاء وإذا أطمعتك النفس بالمسير الينا والقدوم علينا أملا بخلاصهم قرناك اليهم وجازيناك المجازاة التى تستحقها لأنك قتلت رجالنا وبددت فيئة من عساكرنا وعلى كل حال لا بد من ملاقاتك وأنا بانتظارك فى بلادى عدة شهور وأعوام فاذا لم تأت إلى فى الآخر سرت أنا اليك لأجعل بلادك كلها صينية وأضيف ما بقى من ممالك العالم خارجا عن طاعتى اليها ولا تعتز بولدك ورجالك فلدى من الأبطال والفرسان كثير مثله وعندى من الجيوش والأبطال ما هو بعدد الرمل والحصى حتى أن ملوك الهند والسند وغيرهما يسمع إلى وينقاد لأمرى فادع إلى ذلك والسلام إلى من خدم النار ورضى بعبادتها وكانت راضية عليه .

وبعد أن فرغ الوزير من كتابة الكتاب وقعه باسم جهان ودفعه إلى شبرنك وجماعته فأخذوه وعادوا سائرين إلى بلادهم إلى ملكهم حتى وصلوا إليه بعد معاناة مشاق السفر وطول الطريق وعند وصولهم دخلوا عليه ودفعوا اليه الكتاب فتلاه طيطلوس على الجميع وهم يتعجبون من الملك جهان وافتخاره بنفسه وادعائه وبعد أن سمع الملك ضاراب ذلك ثبت لديه وقوع الحرب بينه وبين الصينيين ولذلك قال لرجاله إنه لم يبق من شك بانتشاب هذه الحرب وبعد أيام قليلة تتفرق من هذه البلاد لتدبير أمورنا نعم إن حربنا مع الصين هى حرب قوية لم نلاق قط مثلها لكثرة جيوشهم وفرسانهم التى هى أشبه بالجراد المنتشر غير أنى أرجح أننا سنفوز عليهم بمساعدته تعالى وهو لا يقبل أن يهملنا ويترك الكفرة وعبدة النار تتسلط علينا وتفعل بنا مالا يطاق أمام عينيه وإذ كان لابد لنا من ذلك فاطلب إليكم النظر فيه وكيف يكون مسيرنا والرحيل من هذه البلاد وتعديل قوتنا وما يلزم لنا فى مثل هذه الحرب . فقال له طيطلوس إنى

أسأل الملك أن لا يعجل فى مثل هذه الحرب بل من اللازم تهيئة كل ما يلزم فيها وعندى من الرأى والاصابة أن يسير فى هذه الحرب الفرسان والأبطال فقط إذ أن بلادنا أصبحت عرضة للخراب والاهمال كل هذه المدة حتى أنه ربما يظن سكان تلك النواحى وملوكها أننا تركناها أو لم يعد فى وسعنا أن نرجع اليها فينفذون قوتهم فيها ولا سيما إذا تأكدوا أننا سرنا بأجمعنا إلى الصين وهى بلاد بعيدة موصولة بآخر الدنيا فماذا ياترى يكون من أمرهم وأعظم شىء أرى وجوب النظر فيه هو أن كثيرا من رجالنا قد طعنوا بالسن وأضعفتهم الحوادث فى هذه الحرب والجراح والنساء أيضا اللاتى لا يمكن حملهن إلى تلك البلاد مع أولادهن ومن الاصابة أن يذهب بين سيدى الملك ويصحب معه بعض البهلوانية ويأخذ النساء إلى إيران ويرجع الى كرسيه وكرسى أبيه وأجداده ولدينا من الأبطال والفرسان ما يكفى للقيام بكل مهام . ويلزم لنا جيوش كثيرة واستعداد عظيم ففى أثناء عودته يمر على العواصم والبلاد فيقيم بقدر ما يمكن لجمع العساكر والمؤن ويرسلها إلى هنا بلدا بعد بلد وعاصمة بعد عاصمة فينضم الجميع إلى ما ننتخبه من بقية عسكرنا الحالى من الذين لا تزال أجسامهم قادرة قوية وقد تحنكوا بالحرب واختبروا أحوالها فقال الملك ضاراب إن هذا العمل يحتاج إلى وقت طويل ولا يمكن أن ينقضى بسنة أو سنتين قال وان كان فى ذلك طويل وقت انما يجب التأنى بالعمل والتبصر فيه بحيث لا يكون فى تدبيرنا نقص ولا يخفى بعد الصين عنا فاذا كان لدينا ما يكفى من كل وجه فزنا بالمطلوب والا اذا وقع بنا نقص واحتجنا الى زيادة عسكر لا يمكننا أن نحصل عليه فى الحال ولا بعد سنة فتتأخر أمورنا ونسير الى الخراب والانقراض . فوافق الجميع رأى طيطلوس وقر قرارهم أن يعملوا بموجبه وكذلك الملك ضاراب واستحسنه لأنه كان بشوق زائد إلى بلاده وخائفا عليها من عدو أو أمر آخر لبعده عنها وربما انقطع الأمل من رجوعه اليها .

قال وكانت فى تلك الأثناء قد ولدت عين الحياة ولدا ذكرا ذات حسن وجمال وبهاء يشبه أباه خلقة وهيئة وفرح به فيروزشاه والملك ضاراب وكان ليوم ولادته عظيم احتفال وفرح بين الفرس أعظم من يوم الزفاف وقد دعاه الملك ضاراب بهمن كاسم أبيه . وفى نفس ذلك الاسبوع ولدت أيضا أنوش ذكرا فدعا الملك اسمه اردوان وكذلك كولندان ولدت ذكرا صبوح الوجه جميل الطلعة كبير الجثة فدعوا اسمه شيرواه وولدت أيضا تاج الملوك ولدا عليه سمة الأبطال ودلائل الشجاعة منذ الصغر دعوه اشيرزاد وفى الأخير ولدت نور بيداخطل زوجة طيطلوس ولدا دعوه بزرجمهر وأقاموا الافراح مدة ليست بقليلة وكل أب مسرور بولده فرح به إلى أن ثبت وجوب ذهابهم الى الصين فاختاروا فراقهم وارجاعهم مع أمهاتهن الى

إيران من أن يصحبوهم إلى تلك البلاد البعيدة خوفا من أن يطرأ عليهم أمراً أو يصابون بأمر

وبقى الملك ضاراب فى قيصرية نحواً من نصف سنة بعد ذلك حتى هيأ كل ما يلزمه ودبر ما يحتاج اليه وبعث أمامه كل ملك من الملوك إلى بلاده يدبر ما هم فى حاجة اليه ويجمع الرجال ويبعثها إلى مركز اجتماعها العام فسار سيف الدولة والشاه سرور وأمراء العواصم والأعيان إلى مثل هذه الغاية وبعد مضى الستة أشهر جمع الملك اليه عساكره وأمر طيطلوس وولده فيروزشاه وبهزادشاه أن ينتخبوا منهم من يصلح للحرب وينتقدوا من لا يصلح ليأخذهم معه إلى إيران ففعلوا وجعلوا ينقدون واحداً بعد واحد حتى فرغوا فكان مجمل ما اختاره من الأشداء نحو مائتى الف فارس والباقون سألوا الملك استصحابهم معه فجمعهم إلى بعضهم وأمرهم أن يتهيئوا للسير وعاد إلى المدينة وأمر كل رجل أن يصلح أمر زوجته ويعد لها ما تحتاجه إذ أنه عزم على الرحيل بعد ثلاثة أيام وهكذا كان وقد ودع كل رجل زوجته وابنه وحزن لفراقهما مزيد الحزن وسأل الله الرجوع اليهما والاجتماع بهما وكذلك النساء بكين على فراق أزواجهن وبعدهن عنهم ولا سيما عين الحياة فانها كانت فى حزن شديد لفراق زوجها تذم الزمان الذى ما أفرحها حتى ابكاها وما سرها حتى أحزنها وحسبت كل المدة التى تقضت معه بالهناء لا تحسب بشىء فى جنب ذلك الفراق الطويل الذى لا تعرف نهاية مدته فطلبت اليه أن أن يصحبها معه . فقال لها انى كنت أرغب فى ذلك لكن ليس من سبيل اليه أولا لمجاراته بقية الأمراء والفرسان الذين يعملون كفعله ويقتدون به على الدوام وثانيا اجابة لطلب أبيه ودفعا للعذاب والتعب الذى يلحق بها إذا سارت معه وخوفا عليها من الأعداد فلما سمعت كلامه سكتت باكية نائحة تسأل الله منه أن يمنحها الصبر ويمنحه السلامة والعودة اليها بوقت قريب

وفى نهاية اليوم الثالث ركب الملك ضاراب بمن عزم على الركوب بهم وأركب النساء كل واحدة على هودج وخلص بها الخدم والعبد ليخدموها فى الطريق وركب الرجال الذين عدوا على الرجوع إلى إيران معه وأخذ الملك ضاراب من بهلوانى مملكته للركوب معه احتسابا للمحاجة مرادخت الطاهر ستانى وشبرين الديلى الطلقانى وعبد الخالق القيروانى وخرج من المدينة ومشى على طريق ملاطية بعد أن أوصى ابنه بالتيقظ والانتباه ودبر الأمور على أحسن ما اختار وخرج الجميع معه وساروا فى وداعه يوما كاملا ومن ثم ودع الملك ولده وقبله وسأل الله سلامته وأن يوفقه فى سفره ويحفظه من غوائل ملك الصين وحربه وكذلك ودع كل الأبطال والفرسان وهم فى بكاء ونحيب

على هذا الفراق والملك لا يعرف نهاية هذا البعاد وما تكون عاقبته الخير أم التجاح
وتقدم كل أمير من زوجته فاعاد وداعها وأوصاها بالمحافظة على ولده وحسن تربيته
ومن ثم رجع الجميع فى حالة الكدر والحزن وسار الملك ضاراب بمن معه عدة أيام
قليلة حتى وصل إلى ملاطية فدخلها باحتفال عظيم واقام فيها مع سيف الدولة نحو ثلاثة
أشهر وقد بعث بالكتب إلى حلب وانطاكية وما حواليها يطلب إتيان العساكر وجمع
الفرسان وجعلت ترد اليه افواجا افواجا حتى اجتمع عنده نحو مائة وخمسين الفا من
الرجال فبعثهم إلى ولده فيروز شاه مزودين بالمؤن والذخائر مايكفيهم إلى عدة سنوات
وبعد ان فرغ من هناك رحل إلى سورية ودخل دمشق فخرج اهلها عن بكرة ابيهم إلى
ملاقاته وترحبوا به وهنأوه بالسلامة واقام عندهم نحو ستة اشهر يجمع بالعساكر من
من بعلبك ولبنان وبيروت وصور إلى حد اورشليم حتى اجتمع عنده نحو مائتى الف
فارس من الرجال الأشداء المعتادين على الحرب والقتال . وبعد ان زودهم بالمؤن واكفاهم
من العدد امرهم بالمسير إلى بلاد الرومان إلى ولده فيروز شاه فركبوا وساروا وبعد ذلك
بارح الملك ضاراب سورية وفلسطين بمن معه من النساء والرجال وساروا إلى مصر حتى
وصلها وعرف بقدومه الشاه صالح فخرج لملاقاته بمن معه من كل امير وقائد وادخل على
الترحيب والاكرام وبعد ان استراح الملك ضاراب قليلا من الأيام امر الشاه صالح المذكور
ان يكتب الكتب إلى عمال بلاده ويجمع العساكر ما يمكن جمعه من ابن عشرين إلى
اربعين من الارياف والصعيد والاسكندرية وغيرها وان يبعث بالاغلال والمؤن والذخائر
الكثيرة فأجاب فى الحال وكتب الكتب وارسلها بهذا الطلب واقام على الانتظار

قال واما عين الحياة فانها دخلت القصر التى كانت مقيمة فيه مع طوران تخت
وتذكرتا تلك الايام الماضية وما جرى لهما فيه مع مصفر شاه وفيروزشاه وتحركت
فى قلوبهما لواعج الحب والغرام كل واحدة لنحو زوجها وكانت عين الحياة شديدة
الحب قوية الذكرى لا يبرح من خاطرها قط شخص من احبته محبة الآلهة وصرفت
كل تلك المدة بالعذاب والتعب والنصب والتشتت من مكان إلى مكان على امل ان
تصرف بقية العمر بعد زواجها به على الراحة والطمأنينة والهناء والسعادة وقد لاقت
منها جانبا ما لبث ان انقضى كالظل لم تشعر به ولا وعت اليه وكانت تتسلى نوعا بالنظر
إلى وجه ولدها بهمن إذ تجد فيه من ملامح ابيه وهيئته اشياء كثيرة كانها عند تلك
النظرة لا تقدر ان تضبط نفسها عن البكاء الناتج عن الحنو اليه والشوق لابيه وعليه
صرفت فى نفس ذاك القصر وقتا على مثل تلك الحالة هى وطوران تخت وقد أنشدت
تشكو البعاد والفراق وغدر الزمان :

بدا والدجا فحمة كاللهيب　له شرر بالدرارى ترامى
فهيج القلب أشواقه　ونبه لوعته ثم ناما
سرى موهنا فاستطار الفؤاد　إلى ما تذكر منه وهاما
تذكر أيامه بالنعيم فحن　وما كنا إلا مناما
آثار له من جواء القديم　وقلده الوجد طوقا لزاما
تحرشه فسباه جوى　وحرده فقضاه غراما
وقد خاله الطرف سقط الزناد　أمال إلى القلب منه الضراما
لقد كان فى راحة قلبه　فجر إلى عاتقيه حساما
أبا برق كم ذا تعنى الحشا　أعمدا تروم أذاه على ما
تقول وأسباب هذا الغرام　ضروب تحير فيه الأناما
أمن كبدى سيفه وصلت　فيدى الوحيب إلى ان يساما
منازل كان المنى خادما　بها والزمان لدينا غلاما
فآها لأيامها لو تدوم　وآه لحلى لو كان داما
نشدتك والود يا صاحبى　يراه الفتى الحر دينا لزاما
اعرنى ان كان طرف يعار　فانسان عينى بدمعى عاما
يرى لى فؤادى وراء الركاب　اسار وإلا لعجز اقاما
خف الله يا ظبيات النقا　اما فى دمى تحملين الاثاما
رعى الله منكن ظبيا اغر　احل بجسمى داء عقاما
اغار عليه اعتناق الصبا　واحسد رشف لماه ابتساما
إذا ما بدا خده فى الدجى　احال الدجى من ضياه عياما
فودع لا كان ذاك الوداع　وسار فودع جفنى المناما

وقد ملأت حجرها من فيضان بحر دموعها التى كانت تتساقط حالة إنشادها وليس امامها من يسليها او يصبرها بل كانت لديها طوران تخت التى اخذت بانشادها وتحرك حنها غرامها مثلها ووجدت نفسها تدعوها من داخل فؤادها للشكوى والحب فانشدت

ليالى الحما ما كنت إلا لآليا　وجيد سرورى بانتظامك حاليا
فرفق منك الدهر ما كان ريقا　وكدر منك البعد ما كان صافيا
وقد كنت اخشى من تجافى احبتى　فلما فقدناهم وددت التجافيا
ومن لى بصد منهم وتجنب　إذا كان منا منزل القوم دانيا
لقد ارسلت نحوى الفؤادى من الحما　روائح ارخصن الكبا والغواليا

وما اعتنقنا للوداع وقد وهت عقود لآلى نحره وماقيا
فحلت عقود الدمع ما كان عاطلا وعطل عقد الضم ما كان حاليا
أسير ومن فوقي وتحتي ووجهتي وخلفي ويمناى الهوى وشماليا

وبقي الملك ضاراب فى مصر تسعة أشهر يجمع العساكر ويذكرها ويعددها ويهيىء ما يحتاج اليه إلى أن كملت وكان عددها نحو مائتي وخمسين ألفا ولما انتظم عقد اجتماعها أمرها بالركوب وبعثها لولده مع كتاب يطمنه به عن صحته وصحة زوجته وولده والنساء جميعا وأولادهن . ومن ثم ركب من مصر بمن معه وسار لجهة اليمن وبقى سائرا إلى أن مر ببلدن الطائف فمال اليها وأقام فيها نحو عشرين يوما واختار منها مالومه ودخلت تاج الملوك قصر أبيها وهى بشوق زائد اليه لأنها تربت فيه وصرفت أيام صباها هناك ولاسيما تلك الأيام اللذيذة الحلوة التى قطعتها فيه مع خورشيدشاه وبعد ذلك نهض الملك ضاراب من الطائف ومشى بقومه إلى جهة تعزاء اليمن فدخلها باحتفال عظيم جدا وأقر الشاه سرور عليها وأعاد اليه ملكه كما كان وكتب بذلك إلى كل بلاد اليمن وأمر الولاة والحكام بارسال العساكر والأبطال وما يتحضر من المؤن والذخائر وأقام فى تعزاء اليمن على الانتظار نحوا من نصف سنة وجرى لعين الحياة فى قصرها من الحزن والكآبة مالم يمر على قلبها قط قبل ذلك الحين وهى فى مزيد شوق وذكرى وولوع إلى أيام فيروزشاه وكلما طالت الأيام يطول عليها الوجد والهيام وكان ابنها قد ترعرع ومشى وصار عمره أكثر من أربع سنوات فكانت تتسلى به وتلاعبه وتصرف الوقت بالاعتناء به وبتربيته على حسب ما أعطيت من الدراية وكذلك باقى الأولاد لأنهم كانوا بعمر واحد يكبرون على الدوام ويتمنون شهرا بعد شهر . واجتمع فى تعزاء اليمن نحو مائتي وخمسين ألف رجل ما بين فارس وماش وحينئذ أمرهم الملك بالمسير تحت الراية الفارسية إلى بلاد الرومان ومن ثم انتقل من هناك وسار إلى جهة بلاده مصحبا معه زوجته والنساء ومن تقدم ذكرهم وكل فكره موجه إلى جهة ولده وما تنتج الحرب تلك ويدعو الله أن تكون العاقبة إلى خير ونجاح ونصر مجيد

وأما فيروزشاه فانه بقى فى مدينة الرومان على ما تقدم يتلقى الأبطال والفرسان والعساكر التى ترد من أبيه قوما بعد قوم وفيئة بعد فيئة ركلما وصل اليه جماعة منهم أنزلهم فى جهة من تلك الأرض وأمرهم بالقيام فيها والمحافظة على ما جاءوا به من الذخائر والمؤن والمهمات ومضى على ذلك نحو ثلاث سنوات حتى امتلأت تلك الأرض بالعساكر والأبطال وتغطى سهلها وجبلها ووديانها وأصبحت ترتج بالأسلحة وتمج بالرجال وكلهم ينتظرون الأمر بالركوب والمسير إلى بلاد الصين وبعد ذلك

أخذ فيروزشاه بتهيئة كل ما هو لازم له فى مثل هذه السفرة الطويلة فأقبل ركوبه جمع اليه العيارين وقال لهم اعلموا أن مسيرنا إلى بلاد الصين أصبح قريبا ولا بد منه ولذلك أوصيكم بالانتباه وصرف الدقة إلى كل امر ولا يخفاكم أن فى الصين عيارون من الدرجة الأولى وكلهم أصحاب حيل وخداع فاذا لم تتخذوا حذركم من الآن وتحضروا إلى ما تحتاجون اليه والا أوصلوا آذاهم الينا ورمونا بألاعيبهم وانتشلوا منا كل من يعز علينا وبالعكس إذا انتبهتم لأنفسكم أوقعتم بهم وجعلتم لكم وللدولة إيران ذكرا حميدا ورميتم بقلوبهم خوفا لا ينقضى على مدى السنين فوعده الجميع بأن يكونوا على أتم ما يرام

وحينئذ أعلن فيروز شاه بين قومه والجموع القائمة هناك أن يستعدوا إلى مدة ثلاثين يوما ومن ثم يركبون إلى جهة الصين قاصدين الحرب والقتال فأخذ كل منهم يستعد إلى أن جاء اليوم المذكور وفيه خرج فيروزشاه الى الخارج واعتلى فوق كميته كأنه البرج الحصين وأمر النفير أن ينادى بالركوب والمسير وبأقل من ساعة أخذت الرجال تعلو خيولها وتتقدم كل فئة الى ناحية تحت امرة قائدها وأميرها وهكذا سار الجميع عن تلك الأرض يتقدمون الى جهة طريق الصين وكان فى المقدمة فرخوزاد برجال اليمن ومن بعده كرمان شاه ومصفر شاه وخورشيد شاه وجمشيد شاه وفى الوسط فيروز شاه بالعظمة والجلال تحت العلم الأكبر برجال إيران الأشداء ومن بعد قاهر شاه وبقية الملوك والفرسان وفى المؤخرة بهزاد شاه مع رجاله وقد أضاف اليه فيروزشاه رجال مصر بأجمعهم ليكونوا تحت امرته وكان جملة العساكر نحو ألف ألف وثلثمائة ألف نفر ما بين فارسى ويمنى ومصرى وروماني وشامى ونحوها وكان العيارون يطوفون فيما بينهم على الدوام ويأتون فى المساء إلى فيروزشاه وهم بهروز وشبرنك والأشوب وبدر فتات وطارق وكودك ونحوهم من عيارى ايران وغيرهم الذين دخلوا فى خدمتهم ولم يكن الا قليل من الايام حتى استلموا طريق الصين وساروا عليها وفيروزشاه مشتاق الى الحرب والقتال يتمنى قرب وصوله اليها ليعجل بها ويرجع الى بلاده الى عين الحياة لأن قلبه كله عندها لا ينساها قط بل على الدوام يفكر بها وبولده ولما تمادى به السير وقويت عليه الذكرى أشار يقول

ثقى وحقك ان البعد يضنينى ... ونار حبك وسط القلب تكوينى
عين الحياة ركبت البر مجتهدا ... نحو العدو وكاس الشوق يسقينى
عين الحياة بعادا لا أؤمله ... وغير ذكرك شىء لا يسلينى
ياعين لا تفكرى ان البعاد اذا ... سطا يؤثر فى حبى فينسينى
بل أكدى ان طول البعد يذهب بى ... الى تزايد أشواقى وتمكينى

كيف السلو ووجدى لا قرار له   وشخص حسنك فى قلبى يناجينى
كيف التصبر والأحشاء فى ضرم   من الفراق وسهم الشوق يرمينى
أصبت فى كبدى منه ولى أمل   بلطف طيفك يأتينى فيشفينى
وانى ذاهب نحو العـــداة على   جواد عزم سريع الجرى ميمون
كأنه البرق تحتى ليس تدركه   عيون ناظره وسط الميـــدان
ويل لأعداى إن راموا معاندتى   وألف ويل إذا ماجلت فى الصين
سأضرب الرأس فى نعلى فأنزعه   وأترك الذيل فى لوى وتلوين
وأقسم الصين عدلا لا أجور به   بين وحش البرارى والشياطين
وبعد هذا ترينى قد رجعت ولى   صيت يتوج هامات السلاطين
ويرجع الدهر يوفى بعد نفرته   وعادة الدهر أوفيه ويوفينى

ودام فيروزشاه فى مسيره على مثل تلك الحالة أفكاره تتلاعب بين الحرب مع الصين والايقاع بها وبين الاهتمام بجيوشه والالتفات إلى منع الاضرار بهم وبين التذكر بعين الحياة وبلذيذ عيش انقضى فى بلاد الرومان وكذلك جميع أمراء فارس وشاهاتها ما عدا بهزاد فانه كان كل فكره موجها إلى الاهتمام بالحرب ومايتنج عنها وهو يتشوق بفروغ صبر إلى الوصول إلى ساحة القتال ليجرد السيف الذى طالما جرده واخترق به صفوف الأعداء ونال ما تمنى فيه وبقى الجيش على مسيره بتأن وراحة تأمين لأن فيروزشاه كان لايحب أن يهلكه بالسرعة بل كان يسير به من الصباح إلى الظهر فيأمره بالنزول للغداء فيفعلون وبعد أن يأكلوا ويرتاحوا نحو ساعتين بحيث يكون قد سكن هيجان الحر من حرارة الشمس وبرد النسيم فيسيرون إلى مابعد الغروب وهكذا كانت حالة سفرهم على أحب ما يكون من الراحة والاطمئنان ومجانبة التعب إلى أن مضى عليهم أكثر من ستة أشهر وفى الشهر السابع وصلوا إلى بلاد الملك عجيب وهى فى منتهى الحد الواقع من بلاد الصين وكانت رحبة جدا وخصبة غاية الخصب وكان بينها وبين بكين عاصمة بلاد الصين نحو شهر تقريبا وهى منقادة لأمر ملك الصين تدفع اليه الجزية غير أنها مستقلة الاجزاء لا تراجعه بشىء .

قال وعند وصول فيروزشاه إلى تلك البلاد هب عليه بارد نسيمها ونظر إلى اتساع أرضها وخصب كلاها حتى مع أنها كبيرة جدا وهى أشبه بروضة خضراء يانعة لايرى فيها أرض يابسة قط اختار القيام فيها عدة أشهر أولا للراحة وثانيا للاستعداد ويجعلها مركزا عاما يأوى اليه ويقيم فيه عند الحاجة وعلى هذا أمر الرجال الذين معه أن يحطوا على تلك الأرض ويضربوا خيامهم ويسرحوا خيولهم فيها ففعلوا وارتاحوا كل تلك

الليلة وهم فى أنعم بال وأطيب عيش مسرورين من معاملة فيروزشاه لهم ومن اعتنائه بهم وهو يطوف من مكان إلى مكان يتفقد الجميع ويؤانس الجميع ويوصيهم بالمحافظة على صحتهم وعدم التعرض لما ينشأ عنه مرض أو وباء فكانوا يجيبونه بطاعة وحب مجيدين ولا يعملون إلا ما يأمرهم به وبعد أن استقر به القيام دعا بطارق وبدر فتات وقال أريد منكما أن تسيرا من هنا إلى هذه المدينة البعيدة التى نراها من هذا المكان فادخلاها وجسا لى أخبارها وحالة ملكها واسمه وأتيانى بما تريانه مفصلا فأجاباه إلى طلبه وانطلق كل منهما فى جهة بعد أن لبسا ملابس الدراويش وغيرا حالتهما وغابا نحو ثلاثة أيام وفيروزشاه مقيم فى تلك الأرض مع قومه على الانتظار وإذا بهما قد دخلا عليه وقال له طارق اعلم ياسيدى أن المدينة اسمها مدينة السرور وهى ذات أسوار منيعة وحصون مشيدة وبها من الأبنية الفاخرة ماينذر وجوده فى غيرها وقد دخلنا أسواقها وعاملنا جماعة من أهلها ودخلنا بينهم فاذا هم أصحاب أنس ولطف عجيب يمشون ويبشون على الدوام ويظهر من أمرهم أنهم يكرهون عبادة النار ويرغبون فى الخروج عن طاعة جهان ملك الصين إذ أنا بينا لهم أننا من بلاد الحجاز نعبد الله تعالى فأظهروا فرحهم من ذلك وقالوا إن هذه العبادة محبوبة عندهم منذ إنشاء هذه المدينة انما لما تغلبت الصين عليهم أوجبتهم الى تركها وهى لاتزال محفوظة بالسر بينهم يعلمها الأب للابن والابن لابنه بطريقة خفية لا يقدرون على ابناء معابد ومساجد اذ أن المعابد القديمة أصبحت هياكل للاصنام والأوثان وأقيم بينهم معبد للنار يأتون اليه فى يوم عيدها متظاهرين من خوفهم من ملك الصين بالطاعة لها وعبادتها وهم يطلبون الى الله أن يرسل اليهم من يخلصهم منه ولهم ثقة كبرى بمساعدة الله سبحانه وتعالى من أنه لا يتركهم زمانا طويلا على عبادة النار ويعتبرون الحالة التى هم عليها تجربة منه لعدم انتباههم اليه فى البداية حق الانتباه . ومن ثم سألنا عن اسم ملكهم فقيل لنا اسمه الملك عجيب فاستدللنا على ديوانه وأتيناه فطلبنا احسانه وسألنا ما سألنا قومه فحكينا حالنا واننا دراويش من الحجاز نعبد الله عز وجل فلما سمع كلامنا تنهد ولم يبد كلمة بل أمر لنا بالطعام وأكرمنا وبعد ذلك أنعم علينا وخرجنا مسرورين منه فرحين بما لقينا وعندنا اذا شئت فارسل اليه بكتاب الطاعة فلاريب أنه يوافق وينقاد اليك ويأتى لخدمتك بكل رجاله وقومه . فلما سمع فيروزشاه هذا الكلام فرح غاية الفرح وأمر الوزير بكتب كتاب اليه يأمره الانقياد والطاعة وعبادة الله ويحذره من سطوة الفرس والذين جاءوا لمحاربة الصين فأخذ وكتب :

بسم الله الجامع والمشتت يفعل بعباده ما أراد وهو الخبير العليم .

من فيروزشاه ابن الملك ضاراب ملك بلاد الفرس وسيد اليمن ومصر والرومان

وما حواليها الى الملك عجيب صاحب مدينة السرور .

اعلم أيها الرجل الكريم أن لا بد أن تكون أخباري قد وصلت اليك وبلغك طرف من أعمالي حيث قد خرجت برجالي من بلادي إيران تحت الراية المظفرة وهي الراية الفارسية وتحت الكلمة التوحيد والتسبيح وهي كلمة الحق سبحانه وتعالى فتملكت بلاد اليمن والسودان ومصر وسورية والرومان وكل البلاد من حدود إيران إلى تلك النواحي ومن الرومان إلى هذه المدينة أيضا لأني أينما سرت نشرت كلمة طاعتي وأعلنت كلمة الله ودعوت الناس اليها فيتلقوها بالقبول والشكر ولا يخفاك أن جهان قد بعث بوزيره منكوخان إلى حربنا وقتالنا مع أولاده وأربعمائة الف فارس من قومه وما ثبتوا أمامنا أكثر من القليل حتى تشتتوا كلهم وقتل أولاد منكوخان جميعا وفر يطلب النجاة لنفسه مكتفيا بأربعة رجال من رجالنا جاء بهم أسارى وأبقاهم عنده ولما كانوا من عبدة الله سبحانه وتعالى ومن قومنا كان لا بد لنا من السعي خلفهم وارجاعهم فأتينا بلاده لأجل هذه الغاية ولأجل أن نجعل من فيها يعبدون الله ومن ثم نعود من حيث أتينا . وقد عرفت أيها الملك العاقل ما أنت عليه من الرقة والحلم والتعقل وأن في قلبك محبة الله وضعت فيك من أبيك ومن يحب الله لا تقلع محبته من قلبه ولا يمكن أن يتركه البتة ولهذا فقد جئناك الآن لسنا كمتهددين أو نقصد لك شرا إلا إذا رفضت طلبنا ولم تجبنا إلى ما نسألك به وهو أن تفتح لنا بلادك فندخل اليها كضيوف ونقيم في ضواحيها ولا نثقل عليك بشيء بل كل ما نحتاجه هو معنا يكفينا إلى أكثر من عشره سنين وما يأخذه رجالي من المدينة يدفعون ثمنه بأكثر من مقداره لأن لدينا من الأموال أيضا ما لا يفرغ ولا ينتهي بمرور السنين والاعوام ونطلب اليك أيضا أن تنزل الراية الصينية عن أسوارك وترفع الراية الفارسية وتنادي باسم الملك ضاراب أبي وسيدي وتهدم معابد النيران وتكسر الأصنام والأوثان وتقيم المعابد والمساجد لله سبحانه وتعالى وتنشر عبادته بين قومك فمن أطاع كان خيرا ومن عصى فجزاؤه الموت واعلم أيها الملك العاقل أننا قادرون على كبح ملك الصين ونزع الملك من يده وهدم بلاده من الأول إلى الآخر فلا تتوهم منه ولا تخف أن يعود اليك بسوء فلدينا من الفرسان والأبطال ما لا يوجد مثلهم في هذا الزمان أو في غيره فكن حكيما وأجب بالنظر والقبول وانظر موضع النظر والسلام ختام .

وبعد أن فرغ من الكتاب ختمه ودفعه إلى طارق فأخذه وسار مع بدر فتات كعيارين من عياري الفرس بملابس تدهش الأبصار وسار إلى المدينة وكانت تبعد نحو يوم ونصف يوم عن الجيش ودخلوا أسواقها والناس تعجب من أمرها حتى وصلوا إلى ديوان الملك

وهو عتبك باعيان المدينة والوزراء . ولما وصل طارق وبدر فتات نظر الجميع اليهما م
مندهشين من أمرهما ومن ملابسهما ودنا طارق من الملك وقال له اعلم أيها السيد أنى
منذ ثلاثة أيام أتيت اليك مع رفيقى هذا كدرويشين أجس أخبارك وأكشف على أحوال
المدينة وسكانها من قبل سيدى فيروزشاه ابن الملك ضاراب بطل هذا الزمان وفارس
ميدانه من لم يخلق الزمان له ثان فى قوة الجنان وفصاحة اللسان فما عنترة العبسى وسيف
إبن ذى يزن من بعض عبيده إذا ركب الجواد أو أشهر بيده الحسام وما لقمان إذا
نطق وتكلم ولا حاتم وغيره يصلح أن يخدم فى ركابه إذا فتح يده ووهب وقد رجعت
اليه بخبرك وحكيت له عن اسلك ولطفك فسر مزيد السرور وأعادنى مع رفيقى اليك
بهذا الكتاب كعيارين لا كدرويشين كما فى الأول لادفعه اليك وابشرك بقرب راحتك
وابلغك رسالته وأدعوك إلى طاعة الله سبحانه وتعالى ولا تخف من ملك الصين
ورجاله فبين يدى سيدى فيروزشاه أبطال وفرسان كبهراد بن فيلزور البهلوان بهلوان
تخت بلاد فارس وقاتل تمرتاش وأولاد منكوخان وأخوه فرخوزاد صاحب الوقائع
المشهورة والغارات المأثورة وأخوه بيلتا بهلوان تخت كرمان شاه من يسجد لقائم
سيفه كل جبار عنيد وخورشيد شاه وكرمان شاه وجمشيد شاه وقاهر شاه وقد يكفى
سيدى فيروزشاه وحده فهو قاتل طومار الزنجى بضربة واحدة شطرته من رأســـه
إلى بطن فيله الذى كان يركبه وعدا من ذلك فان عندنا من العيارين أكثر من
مائة عيار تحت أمره استاذنا بهروز بن الغول الذى لا يصعب عليه أمر من أمور
الدنيا إذا شاء انتزع جهان من سمائة وأخرجه من بين قومه دون أن يدع أحدا يشعر
به أو يراه ومن هؤلاء العيارين شبرنك والأشوب واما سيد عيارى مصر وبدر
فتات الحية الرقطاء وكوذك عيار الملك قيصر وغيرنا فانظر إلى نفسك موضع النظر

قد انتهى الجزء التاسع والعشرون من سيرة فيروز شاه بن الملك ضاراب
ملك بلاد فارس وبه انتهى المجلد الثالث من هذه السيرة وسياتى ان شاء الله
المجلد الرابع مبدوءا بالجزء الثلاثين